

فِي حَدَّ الْعِبَادَاتِ

طَرَيْفٌ

لِفَضْلَةِ الشُّفَعَى
مُحَمَّدُ بْنُ صَاحِحِ الْعَثْمَانِ

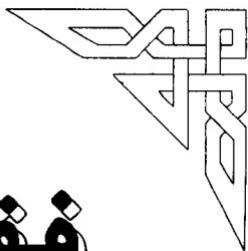
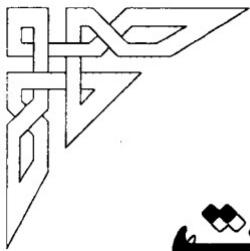
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
الْمَالِكُ

بِحَكْيَةِ الْأَنْبَابِ
بِالْمُنْصُوبَةِ

الله



© 2014



فقه العبادات

لفضيلة الشيخ

مُحَمَّدْ بْنْ صَالِحْ الْعَثِيمِينَ

راجعه وخرج أحاديثه

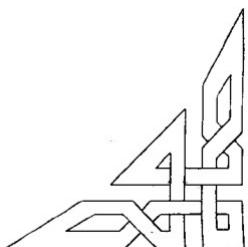
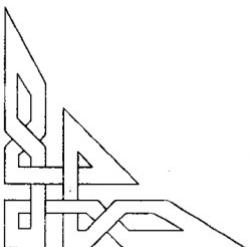
مُحَمَّدْ مُحَمَّدْ تَامِر

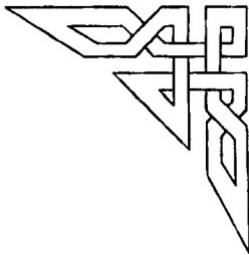
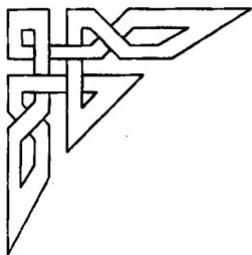
مدرس مساعد بكلية دار العلوم - قسم الشريعة

الناشر

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر
٢٢٥٧٨٨٢

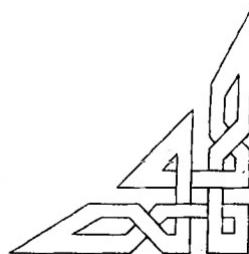
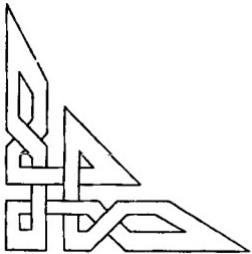




حقوق الطبع محفوظة

مكتبة الإيمان - المنصورة
أمام جامعة الأزهر

٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢ ت:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبِيَّةٌ مِّنْ حَيَاةِ الشَّيْخِ ابْنِ عَثِيمِينَ

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

اسمها ونسبتها : هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهبيي التميمي .

مولده : ولد في مدينة عنزة ، إحدى مدن القصيم في ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧ هـ .

نشأته وطلبه للعلم : ظهرت عليه موهبة عالية ، وحرضاً على التحصيل العلمي وقد بدأ الشيخ بقراءة القرآن الكريم على جده لأمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ ، فحفظه ، ثم اتجه إلى طلب العلم على أيدي كبار العلماء ، وفي مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - والذي يعتبر شيخه الأول ؛ حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث الفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف . ثم قرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - حيث يعتبر شيخه الثاني ، فابتداً عليه قراءة صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية .

وقد التحق الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بالمعهد العلمي بالرياض ، عام ١٣٧٢ هـ ، وبعد تخرجه عُيِّن مدرساً في معهد عنزة العلمي معمواصلة الدراسة انتساباً في كلية الشريعة مع مواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السعدي أرحمه الله -

ولما توفي الشيخ السعدي تولى الشيخ ابن عثيمين إماماة الجامع الكبير بعنزة ، بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ، ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ، وما زال بها حتى تفاه الله ، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .
نشاطه في الدعوة إلى الله : كان للشيخ - رحمه الله - نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل وتبصير المسلمين ، فقد عرَفَ الناسَ من خلال دروسه النافعة وخطبه

الرائعة في المسجد الكبير بعنيزة بالقصيم ، وفي دروسه بالمسجد الحرام أيام الاعتكاف في شهر رمضان من كل عام ، ومن خلال فتاويه لجماهير المسلمين في مشارق الأرض وغاربها في موسم الحج ، وفي الصحف والجلات ، وفي برنامج «نور على الدرب» بالإذاعة السعودية .

* وقد حصل الشيخ - رحمه الله - على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

مؤلفاته : للشيخ - رحمه الله - مؤلفات عديدة في شتى أنواع علوم الدين ، منها على سبيل المثال : أثر المعاصي على الفرد والمجتمع ، وأصول في التفسير . والأصول في علم الأصول . والخلاف بين العلماء : أسبابه و موقفنا منه . والدماء الطبيعية للنساء . والشرح الممتع على زاد المستنقع . والصحوة الإسلامية : ضوابط وتوجيهات . والقواعد المثلثة في صفات الله وأسمائه الحسنى . والقول المفيد على كتاب التوحيد . وشرح العقيدة الواسطية . وشرح أصول الإيمان . وتفسير آية الكريسي . وتقرير التدمرية وشرح كشف الشبهات . وتسهيل الفرائض . وحقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة . ورسائل في العقيدة ، ورسالة إلى الدعاة . وشرح لغة الاعتقاد الهدى إلى سبيل الرشاد . ومصطلح الحديث ، وشرح منظومة البيقوني في علم مصطلح الحديث . وعقيدة أهل السنة والجماعة . وفتح رب البرية بتلخيص الحموية «وهو أول كتاب طبع لسماته» .

أولاده : عبد الله ، عبد الرحمن ، وإبراهيم ، عبد العزيز ، عبد الرحيم .
والشيخ رحمه الله تزوج زوجة واحدة .

مرضه ووفاته : توفي الشيخ - رحمه الله - يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شوال عام ١٤٢١ هـ بعد معاناة وصراع مع المرض الشديد ، حتى نزل وزنه إلى ٣٨ كجم ، وصارت درجة المناعة عنده صفرًا ، وقد أصر الشيخ - رحمه الله - على إلقاء دروسه المعتادة في الحرم المكي هذا العام بالرغم من معاناته الشديدة للمرض . فسأل الله عز وجل أن يتغمده برحمته ، وأن يُعلى قدره و منزلته ويحشره مع الصالحين والشهداء .

التجريد والاعتقاد

الغاية من خلق البشر

س ١: ما هي الغاية من خلق البشر؟.

الجواب: قبل أن أجيب على هذا السؤال، أحب أن أنبه على قاعدة عامة، فيما يخلق الله، وفيما يشرعه، وهذه القاعدة مأكولة من قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]، وغيرهما من الآيات الكثيرة الدالة على إثبات الحكمة للله، فيما يخلق، وفيما يشرعه، أي: في أحکامه الكونية والشرعية، فإن ما من شيء يخلق الله إلا له حكمة، سواء كان ذلك في إيجاده أو إعدامه، وما من شيء يشرعه الله إلا لحكمة، سواء كان ذلك في إيجابه، أو تحريمه، أو إباحته.

لكن هذه الحكم التي يتضمنها حكمه الكوني والشرعية، قد تكون معلومة لنا، وقد تكون مجهولة، وقد تكون معلومة لبعض الناس دون بعض، حسبما يأتیهم الله من العلم والفهم، إذا تقرر هذا فإننا نقول: إن الله خلق الجن والإنس لحكمة عظيمة، وغاية حميدة، وهي عبادته تبارك وتعالى، كما قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبُوكُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا وَأَنَّكُمْ إِنَّا لَا تُرْجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَيَحْسَبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يُرَكَ سُدًّا﴾ [القيامة: ٣٦]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى حكمة بالغة في خلق الجن والإنس، وهي عبادته، والعبادة: هي التذلل لله: محبة، وتعظيم لفعل أوامره، واجتناب نواهيه، على الوجه الذي جاءت به شرائعه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرْتُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

فهذه هي الحكمة من خلق الجن والإنس، وعلى هذا، فمن ترد على ربه، واستكبر عن عبادته، فإنه يكون نابذا لهذه الحكمة التي خلق العباد من أجلها،

و فعله يشهد بأن الله تعالى خلق الخلق عبثاً و سدي، وهو وإن لم يصرح بذلك، لكن هذا مقتضى تمرده واستكباره عن طاعة ربها.

* * *

س٢: لكن هل للعبادة مفهوم يمكن أن نعرفه، وهل لها مفهوم عام، ومفهوم خاص؟

الجواب: نعم.

مفهومها العام كما أشرت إليه آنفاً، بأنها التذلل لله محبة و تعظيمها، بفعل أوامرها واجتناب نواهيه، على الوجه الذي جاءت به شرائعه، هذا المفهوم العام. والمفهوم الخاص - أعني تفصيلها - قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** - رحمه الله: «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كالخوف، والخشية، والتوكّل، والصلوة، والزكاة، والصيام، وغير ذلك من شرائع الإسلام».

ثم إن كنت تقصد بمعنى المفهوم الخاص والعام ما ذكره بعض العلماء من أن العبادة؛ إما عبادة كونية، أو عبادة شرعية، بمعنى أن الإنسان قد يكون متذلاً لله تذلاً كونياً وتذلاً شرعياً، فالعبادة الكونية عامة، تشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر، لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ رَبَّهُ هُنَّ عَبْدًا﴾ [مرim: ٩٣]. فكل ما في السموات والأرض فهو خاضع لله كوناً لا يمكن أبداً أن يضاد الله، أو يعارضه فيما أراد بالإرادة الكونية.

وأما العبادة الخاصة، وهي العبادة الشرعية، وهي التذلل لله تعالى شرعاً، فهذه خاصة بالمؤمنين بالله، القائمين بأمره، ثم إن منها ما هو خاص أخص، وخاص فوق ذلك.

فالخاص الأخص كعبادة الرسل عليهم الصلاة والسلام، مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

وقوله: ﴿وَإِن كُثُرْ مَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِكُمْ أَلَيْدِي وَالْأَبْصَرِ﴾ [ص: ٤٥] واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب [ص: ٤٥]. وغير ذلك من وصف الرسل عليهم الصلاة والسلام بالعبودية.

* * *

س٢: هل يناب من اختصوا بالعبارة اللونية عن هذه العبادة السرعية؟

الجواب: هؤلاء لا ينابون عليها، لأنهم خاضعون لله تعالى شاءوا أم أتوا، فالإنسان يمرض، ويفقر، ويفقد محبوبة، من غير أن يكون مریداً لذلك، بل هو كاره لذلك، لكن هذا خضوع لله خضوعاً كونياً.

* * *

أول واجب على العبيد

س٤: ما هو أول واجب على الفلان؟

الجواب: أول واجب على الخلق، هو أول ما يدعى الخلق إليه، وقد بينه النبي صلي الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن فقال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم أليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»^(١)، فهذا أول واجب على العباد، أن يوحدوا الله وأن يشهدوا لرسوله بالرسالة. وبتوحيد الله، والشهادة لرسوله بالرسالة، يتتحقق الإخلاص والمتابعة، اللذان هما شرط لقبول كل عبادة.

فهذا هو أول ما يجب على العباد، أن يوحدوا الله، ويشهدوا لرسوله

(١) رواه : البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : وجوب الزكاة ، حديث (١٣٩٥) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، حديث (١٩) ، والترمذى ، حديث (٦٢٥) ، والنسائي ، حديث (٢٥٢٢) ، وأبو داود ، حديث (١٥٨٤) ، وابن ماجه ، حديث (١٧٨٣) .

بالرسالة. فشهادة أن لا إله إلا الله تتضمن التوحيد كله.

* * *

علاقة الشهادة بأنواع التوحيد

س٥: لكن هل تشمل أنواع التوحيد؟

الجواب: هي تشمل أنواع التوحيد كلها، إما بالتضمن وإما بالالتزام، وذلك أن قول القائل: أشهد أن لا إله إلا الله، يتبادر إلى المفهوم، أن المراد بها توحيد العبادة، وتوحيد العبادة الذي سمي توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، لأن كل من عبد الله وحده، فإنه لن يعبد حتى يكون مقرأ له بالربوبية، وكذلك متضمن لتوحيد الأسماء والصفات، لأن الإنسان لا يعبد إلا من علم أنه مستحق للعبادة، لما له من الأسماء والصفات، ولهذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَأَبْتَلِنِيَّ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنِّكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]. فتوحيد العبادة، وهو توحيد الألوهية، متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

* * *

معنى التوحيد

س٦: ما معنى التوحيد؟

الجواب: التوحيد يفهم من اللفظ في الواقع، وذلك أنه مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً، وهذا لا يتحقق إلا ببني وإثبات؛ نفي الحكم عما سوى الموحد، وإثباته له، فمثلاً، نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد، حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فينفي الألوهية عما سوّى الله، ويثبتها لله وحده، وذلك أن النفي المفض تعطيل مفض، والإثبات المفض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم، فلو قلت مثلاً: فلان قائم، فهنا أثبتت له القيام ولكنك لم توحدة به، لأنك من الجائز أن يشركه غيره في هذا القيام، ولو قلت: لا قائم، فقد نفيت نفياً مفضاً، ولم تثبت القيام لأحد، فإذا قلت: لا قائم إلا زيد، أو لا قائم إلا فلان، فحينئذ تكون

وحدث فلان بالقيام، حيث نفيت القيام عن سواه، وهذا هو تحقيق التوحيد في الواقع، أي أن التوحيد لا يكون توحيدا حتى يتضمن نفيا وإثباتا.

* * *

أنواع التوحيد

س٧: نود أن تعرف أنواع التوحيد على سبيل الإجمال؟

الجواب: أنواع التوحيد حسب ما ذكره أهل العلم ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وعلموا ذلك بالتبغ والاستقراء، والنظر في الآيات والأحاديث، فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة، فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع.

س٨: ما هي أنواع التوحيد مع التوضيح والامثلة لذلك؟.

الجواب: أنواع التوحيد بالنسبة لله ، تدخل كلها في تعريف عام، وهو إفراد الله بما يخص به، وهي ثلاثة أنواع:

توحيد الربوبية: وهو إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير، فالله تعالى وحده هو الخالق، لا خالق سواه، قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى مبينا بطلان آلهة الكفار: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. فالله تعالى وحده هو الخالق، خلق كل شيء قدره تقدير، وخلقه يشمل ما يقع من مفعولات، وما يقع من مفعولات خلقه أيضا، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر، أن تؤمن بأن الله تعالى خالق لأفعال العباد، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

ووجه ذلك: أن فعل العبد من صفاته، والعبد مخلوق لله، وخالق الشيء خالق لصفاته.

ووجه آخر: أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله تعالى ، وخالق السبب التام خالق للمسبب، فإذا قلت: كيف نقول إنه تعالى منفرد بالخلق، مع أن الخلق قد يثبت لغير الله، كما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحَسْنُ الْخَلَقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. وقول النبي ﷺ في المصورين: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» .^(٢)

فالجواب على ذلك : أن غير الله تعالى لا يخلق كخلق الله ، فلا يمكنه إيجاد معدوم ، ولا إحياء ميت ، وإنما خلق غير الله يكون بالتغيير ، وتحويل الشيء من صفة إلى أخرى ، وهو مخلوق لله تعالى ، فالمصور مثلاً إذا صور صورة ، فإنه لم يحدث شيئاً ، غاية ما هنالك أنه حول شيئاً إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير ، أو إلى صورة جمل وكما يحول بالتلويين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة ، والمداد كله من خلق الله تعالى ، والورقة البيضاء أيضاً من خلق الله تعالى ، فهذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة لله تعالى وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق، وعلى هذا فيكون الله تعالى منفرداً بالخلق الذي يختص به .
ثانياً : من توحيد الربوبية : إفراد الله تعالى بالملك ، فالله تعالى وحده هو الملك، كما قال تعالى: ﴿هُوَ بَرَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] ، وقال تعالى: ﴿فَقُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِهِ جَنِيرٌ وَلَا يُجَاهَرُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] .

فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو الله تعالى وحده ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله تعالى لغيره الملك ، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفْرَاتَهُ﴾ [النور: ٦١]. قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا

(٢) رواه: البخاري ، كتاب: اللباس ، باب: عذاب المصورين يوم القيمة ، حديث (٥٩٥١) ، ومسلم ، كتاب: اللباس والزيمة ، باب: تحريم صورة الحيوان ، حديث (٢١٠٨) ، والنسائي ، حديث (٥٣٦١) ، وأبي ماجه ، حديث (٢١٥١) ، وأحمد في مسنده (٢٠/٢) حديث (٤٧٠٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧) حديث (٢٦٨) حديث (١٤٣٤٣) .

مَلَكُتْ أَيْمَنَهُمْ [المؤمنون: ٦]. وما أشبه ذلك من النصوص الدالة على أن لغير الله تعالى ملكاً، لكن هذا الملك ليس كملك الله فهو ملك قاصر، وملك مقيد؛ ملك قاصر لا يشمل، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو، والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد، ثم هذا الملك مقيد، بحيث لا يتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه، ولهذا نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال ^(٢).

وقال الله تعالى: **فَوَلَا تُؤْتُوا الصُّفَهَاءَ أَنْوَارَكُمْ أَتَيْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيمًا** [النساء: ٥]. وهذا دليل على أن ملك الإنسان ملك قاصر، وملك مقيد، بخلاف ملك الله فهو ملك عام شامل، وملك مطلق، يفعل الله ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

الركن الثالث من أركان توحيد الربوبية: أن الله تعالى منفرد بالتدبير، فهو سبحانه الذي يدبر الخلق، يدير أمر السموات والأرض كما قال الله تعالى: **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** [الأعراف: ٥٤].

وهذا التدبير تدبير شامل، لا يحول دونه شيء، ولا يعارضه شيء، والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات، كتدبير الإنسان وأمواله، وعلمائه، وخدمه، وما أشبه ذلك، هو تدبير ضيق محدود، ومقيد غير مطلق، فظاهر بذلك صحة قولنا: إن توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير، وهذا هو توحيد الربوبية.

أما النوع الثاني: فهو توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بالعبادة، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبد ويقترب إليه، كما يعبد الله تعالى ويقترب إليه، وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون، الذين قاتلهم النبي ﷺ،

(٣) رواه: البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : قوله تعالى : «لا يسألون الناس إلحاقة» حديث (١٤٧٧) ، ومسلم ، كتاب : الأقضية ، باب : النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ، حديث (٥٩٣) ، وأحمد في مستنه (٤٢٤٩) ، وابن ماجه في صحيحه (١٣/٢٧) حديث (٥٧١٩) ، وأبو عوانة في مستنه (٤/١٦٦) حديث (٦٣٨٩) ، والبيهقي في الكبرى (٦/٣٦) حديث (١١١٢٢) .

واستباح نسائهم وأموالهم وأرضهم وديارهم، وهو الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب مع أخويه توحيد الربوبية والأسماء والصفات، لكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد، وهو توحيد الألوهية، بحيث لا يصرف الإنسان شيئاً من العبادة لغير الله ، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسلاً، ولا لولي صالح، ولا لأي أحد من الخلقين، لأن العبادة لا تصح إلا لله تعالى، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك، كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية، وبتوحيد الأسماء والصفات، فلو أن رجلاً من الناس يؤمن بأن الله هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأنه سبحانه المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات، لكن يعبد مع الله غيره، لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية وبتوحيد الأسماء والصفات. لو فرض أن رجلاً يقر إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، لكن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه، أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه، فإن هذا مشرك كافر، خالد في النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَوَّلَهُ السَّارُّ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن المعلوم لكل من قرأ كتاب الله ، أن المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم، وسي ذريتهم ونسائهم، وغنم أرضهم، كانوا مقررين بأن الله تعالى وحده هو رب الخالق، لا يشكون في ذلك، ولكن لما كانوا يعبدون معه غيره، صاروا بذلك مشركين بباقي الدم والمال.

أما النوع الثالث من أنواع التوحيد، فهو توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله بما سمي به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو علي لسان رسوله ﷺ، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، فلابد من الإيمان بما سمي الله به نفسه، ووصف به نفسه، على وجه الحقيقة لا المجاز، ولكن من غير تكيف ولا تمثيل. وهذا النوع من أنواع التوحيد ضلت فيه طوائف من هذه الأمة من أهل القبلة، الذين يتسببون إلى الإسلام على أوجه شتى ؛ منهم من غالى في النفي والتزريه غلواً يخرج به من الإسلام، ومنهم

متوسط، ومنهم قريب من أهل السنة، ولكن طريق السلف في هذا النوع من التوحيد، هو أن يسمى الله ويوصف بما سمي به ووصف به نفسه علي وجه الحقيقة، بلا تحرير، ولا تعطيل ولا تكليف، ولا تمثيل.

مثال ذلك: أن الله سمي نفسه بالحي القيوم، فيجب علينا أن نؤمن بالحي على أنه اسم من أسماء الله، ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف، وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعده، ولا يلحقها فناء. وسمي الله نفسه بالسميع العليم، فيجب علينا أن نؤمن بالسميع اسمًا من أسماء الله، وبالسمع صفة من صفاتاته، وبأنه يسمع وهو الحكم الذي اقتضاه ذلك الاسم وتلك الصفة، فإن سمينا بلا سمع، أو سمعنا بلا إدراك مسموع، هذا شيء محال، وعلى هذا فقيس.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلْتَ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا
قَاتُلُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

فهنا قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فأثبت لنفسه يديين موصوفتين بالبسط، وهو العطاء الواسع، فيجب علينا أن نؤمن بأن الله تعالى يدين اثنين مبسوطين بالعطاء والنعم، ولكن يجب علينا ألا نحاول، لا بقلوبنا وتصوراتنا ولا بأسنتنا أن نكيف تلك اليدين، أو نكيف هاتين اليدين، ولا أن نمثلهما بأيدي المخلوقين، لأن الله يقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ويقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْحُكْمَ رِبِّ الْفَوْحَشَاتِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ يُغْيِرُ الْحَقَّ وَأَنْ تُشَرِّكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَنَتِنَا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ويقول الله: ﴿وَلَا تَنْقُفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فمن مثل هاتين اليدين بأيدي المخلوقين فقد كذب قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقد عصي الله تعالى في قوله:

﴿فَلَا تَصْرِيْبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالُ﴾ [النحل: ٧٤]. ومن كيفهما وقال هما على كيفية معينة أيا كانت هذه الكيفية، فقد قال على الله ما لم يعلم، وفقاً ما ليس له به علم.

* * *

المبحث السادس: نزعة زيادة تفصيل في القسم الأخير من أقسام التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات؟

الجواب: الحقيقة أن هذا النوع من التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات، ينبغي أن يبسط فيه القول لأنهم، وأن الأمة الإسلامية تفرقت فيه تفرقاً كثيراً، وهدى الله الذين آمنوا من السلف وأتباعهم لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

تقديم لنا قاعدة في هذا النوع، وهو أنه يجب علينا أن ثبت ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات، على وجه الحقيقة، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكليف ولا تمثيل، وذكرنا لهذا أمثلة في أسماء الله، ومثلاً في صفة من صفاته وهي صفة اليدين، وذكرنا أنه يجب فيما يتعلق بالأسماء، أن ثبت ما سمي الله به نفسه أسماء لله، وأن ثبت ما تضمنه من صفة، وما تضمنه من حكم، وهو الأثر الذي تقتضيه هذه الصفة، وذكرنا أنه يجب علينا أن نؤمن بما وصف الله به نفسه من الصفات على وجه الحقيقة أيضاً، وذكرنا مثلاً وهو اليدان، حيث أثبت الله لنفسه يدين اثنين، وهما ثابتان لله على وجه الحقيقة، لكن لا يجوز لنا أن نمثل هاتين اليدين بأيدي المخلوقين، ولا أن نتصور بقلوبنا أو ننطق بأسنتنا عن كيفية هاتين اليدين، لأن التمثيل تكذيب قول الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وعصيان الله لقوله تعالى ﴿فَلَا تَصْرِيْبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالُ﴾ [النحل: ٧٤].

وأما التكثيف فهو وقوع فيما حرم الله ونهى عنه، لأن الله يقول: ﴿فَلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّ الْفَوْحَشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ يُعَذِّبُ الْجَحَّاجَ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَنْفُتْ مَا لِيَسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُفْلِتَكَ كَانَ عَنْهُ مَسْأُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

نزيد مثلاً ثانياً في الصفات، وهو استواء الله تعالى على عرشه، فإن الله تعالى أثبت لنفسه أنه استوى على عرشه في سبعة مواضع من كتابه، كلها أتت بلفظ «استوى»، وإذا رجعنا إلى الاستواء في اللغة العربية وجدرناه إذا عددي بعلي لا يقتضي إلا الارتفاع والعلو، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وأمثالها من الآيات، معناها علا على عرشه علو خاصاً غير العلو العام على جميع الأكوان، وهذا العلو ثابت لله تعالى على وجه الحقيقة، فهو عالي على عرشه علو يليق به سبحانه وتعالى لا يشبه علو الإنسان على السرير، ولا علوه على الأنعام، ولا علوه على الفلك، الذي ذكره الله في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَمَ مَا تَرَكُبُونَ﴾ [١٧] لِسَتَوْا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا بِعَمَّةِ رَبِّكُمْ إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَمْ مُقْرِنِينَ﴾ [١٨] وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمْ نَقْلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤-١٢].

فاستواء المخلوق على شيء لا يمكن أن يماثله استواء الله على عرشه؛ لأنه الله ليس كمثله شيء في جميع نعمته.

وقد أخطأ خطأً عظيماً من قال: إن معنى «استوى على العرش» استولى على العرش؛ لأن هذا تحريف للكلم عن مواضعه، ومخالف لما أجمع عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومستلزم للوازم باطلة، لا يمكن للمؤمن أن يتغافل بها بالنسبة إلى الله ، فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية بلا شك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

وقال تعالى: ﴿هُنَّا نَزَّلْنَا عَلَيْهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٩٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ



يلسان عَرَبِيًّا مُّبِينٌ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]. ومتى قتضى هذه الصيغة «استوى على كذا» في اللغة العربية، العلو والاستقرار، بل هو معناها المطابق للفظ.

فمعنى «استوى على العرش» أي علا عليه علوا خاصا يليق بجلاله وعظمته، فإذا فسرناه باستولى فقد حرفا الكلم عن موضعه، حيث أخرجنا هذا المعنى الذي تدل عليه اللغة - لغة القرآن - وهو العلو إلى معنى الاستيلاء، ثم إن السلف والتبعين لهم بإحسان مجمعون على هذا المعنى، إذا لم يأت عنهم حرف واحد في تفسيره بخلاف ذلك.

وإذا جاء اللفظ في القرآن والسنة ولم يرد عن السلف ما يخالف ظاهره. أو لم يرد عن السلف في تفسيره ما يخالف ظاهرة، فالالأصل أنهم أبقوه على ظاهره واعتقدوا ما يدل عليه .

ولهذا لو قال لنا قائل : هل عندكم لفظ صريح بأن السلف فسروا استوى بمعنى علا، قلنا: ورد ذلك عن السلف، وعلى فرض أن لا يكون ورد عنهم صريحا، فإن الأصل فيما دل عليه اللفظ في القرآن الكريم والسنة النبوية، أنه باق على ما تقتضيه اللغة العربية من المعنى.

أما اللوازم الباطلة التي تلزم على تفسيرنا الاستواء بمعنى الاستيلاء فإننا إذا تدبرنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقلنا «استوى» بمعنى «استولى» لزم من ذلك أن يكون العرش قبل خلق السموات والأرض ليس ملكا لله تعالى، لأنه قال: خلق ثم استوى، فإذا قلت: أي «ثم استولى» لزم من ذلك أن يكون العرش ليس ملكا لله قبل خلق السموات والأرض، ولا حين خلق السموات والأرض، وأيضا يلزم منه أن يصح العبر بقولنا: «إن الله استوى على الأرض»، واستوى على أي شيء من مخلوقاته» - نقدره أو نقوله - وهذا لاشك أنه معنى باطل لا يليق بالله ، ففيه بهذا أن تفسير الاستواء بالاستيلاء فيه محظوران:

أحدهما: تحريف الكلم عن موضعه.

والثاني: أن يتصرف الله بما لا يليق به.

* * *

الواجب تجاه كل نوع من أنواع التوحيد

س١٠: نريد أن نعرف الواجب علينا نحو كل نوع منها على صحة؟

الجواب: الواجب علينا أن نعتقد ما يتضمنه كل نوع، وأن نوحد الله بما يقتضيه هذا النوع من المعاني.

* * *

خطر عبادة غير الله

س١١: ما حكم صرف شيءٍ من أنواع العبادة لغير الله سبحانه؟

الجواب: هنا ربما يفهم الجواب مما سبق آنفاً حيث قلنا: إن توحيد العبادة إفراد الله بالعبادة، بأن لا يتبعد أحد لغير الله تعالى بشيءٍ من أنواع العبادة، ومن المعلوم أن الذبح قربة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، لأن الله تعالى أمر به في قوله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ» [الكوثر: ٢]. وكل قربة فهي عبادة، فإذا ذبح الإنسان شيئاً لغير الله تعظيماً له، وتذللاً، وتقرباً إليه، كما يتقرب بذلك ويعظم ربه، كان مشركاً بالله، وإذا كان مشركاً، فإن الله تعالى قد بين أن المشرك حرم الله عليه الجنة وأن مأواه النار.

وبناءً على ذلك نقول: إن ما يفعله بعض الناس من الذبح للقبور - قبور الذين يزعمون أنهم أولياء - شرك مخرج من الملة، ونصيحتنا لهم: أن يتوبوا إلى الله مما صنعوا، وإذا تابوا إلى الله، وجعلوا الذبح لله وحده، كما يجعلون الصلاة

لله وحده، والصيام لله وحده، فإنهم يغفر لهم ما قد سبق. كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْقِرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأُولَئِكَ﴾ [الأనفال: ٣٨]. بل إن الله يعطيهم فوق ذلك، فيبدل الله سيئاتهم حسنات، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَتَعُرَّفُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰءَ أَخْرَىٰ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْزُقُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَشَاماً ﴿٦٩﴾ يُضَعَّفُ لَهُ الْمَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَمَاءَنَ وَعَمِلَ عَكْمًا صَنِعًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

فنصيحتي لهؤلاء الذين يتقربون إلى أصحاب القبور بالذبح لهم، أن يتوبوا إلى الله تعالى من ذلك، وأن يرجعوا إليه، وأن يبشروا إذا تابوا بالتوبة من الكريم المنان، فإن الله يفرح بتوبة التائبين.

* * * معنى الشهادتين *

س ١٢: نريد أن نعرف معنى الشهادتين ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

الجواب: الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، مما مفتاح الإسلام، ولا يمكن الوصول إلى الإسلام إلا بهما، ولهذا أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن أن يكون أول ما يدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله .

فأما الكلمة الأولى: وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه، بأنه لا معبد إلا الله ، لأن «إله» بمعنى مألوه، والتائه: التعبد، والمعنى: أنه لا معبد إلا الله تعالى وحده.

(٤) سبق تخریجه برقم (١).

وهذه الجملة تشتمل على نفي وإثبات؛ فأما النفي ففي قوله «لا إله» وأما الإثبات ففي قوله: «إلا الله»، و«الله» بدل من الخبر المذوق خبر «لا» لأن التقدير: «لا إله حق إلا الله». فهو إقرار باللسان بعد أن آمن به القلب بأنه لا معبود حق إلا الله ، وهذا يتضمن إخلاص العبادة لله وحده، ونفي العبادة عما سواه، وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة «حق»، يتبيّن الجواب عن الإشكال الذي يورده كثير من الناس وهو كيف يقولون: «لا إله إلا الله» مع أن هناك آلة تبعد من دون الله سماها الله آلة، وسمتها عابدوها آلة، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ عَالَهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَهُمْ رِزْكُ وَمَا زَادُوهُمْ عَغْرِيْرَ تَنْبِيْبِ﴾ [هود: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ﴾ [الإسراء: ٣٩] . وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ﴾ [القصص: ٨٨] فكيف يمكن أن نقول لا إله إلا الله، مع ثبوت الألوهية لغير الله ، وكيف يمكن أن ثبتت الألوهية لغير الله والرسل يقولون لأقوامهم: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٩].

والجواب على الأشكال: يتبيّن بتقدير الخبر في «لا إله إلا الله» فنقول: هذه الآلة التي تبعد من دون الله هي آلة، لكنها باطلة، ليست آلة حقة، وليس لها من حق الألوهية شيء ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطَلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]. ويدل لذلك قوله تعالى أيضاً: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّهَ وَالْعَزِيزَ ۖ وَمِنْهُ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ ۖ وَلَهُ الْأَنْتَنَ ۖ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضَيْرَتِ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُهُا أَنْتُمْ وَإِبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ﴾ [السجدة: ٢٣-٢٩].

وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿مَا تَبْدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُهُا أَنْتُمْ وَإِبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ﴾ [يوسف: ٤٠]. إذن فمعنى «لا إله إلا الله» أي لا معبود حق إلا الله .

فأما المعبودات سواه ؛ من الرسل، أو الملائكة، أو الأولياء، أو الأحجار، أو

الأشجار، أو الشمس، أو القمر، أو غير ذلك، فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقة، أي: ألوهية باطلة، بل الألوهية الحق هي ألوهية الله.

* * *

معنى شهادة أن محمد رسول الله

س ١٣: هنا معنى شهادة لا إله إلا الله، فما معنى شهادة أن محمداً رسول الله؟

الجواب: أما معنى شهادة أن محمداً رسول الله: فهو الإقرار باللسان، والإيمان بالقلب، بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق، من الجن والإنس، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا أَلَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِيٌ وَيُمْبِتُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَلْأَمَّى الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَيْعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ومقتضى هذه الشهادة: أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر، وأن تمثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهي وجزر، وألا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً: ألا تعتقد أن لرسول الله حقاً من الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه، ولا لغيره شيئاً من النفع والضر إلا ما شاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَوْلَىٰ لَكُمْ عِنِّي خَرَابُنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلِكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأعام: ٥٠]. فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشَدًا ﴿٦٦﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَّحِدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ

أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَسْتَ كُرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَنِيَ الشَّوْءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف: ١٨٨].

فهذا يعني شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وبهذا المعنى تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ ولا من دونه من الخلقين، وأن العبادة ليست إلا لله وحده، وأن رسول الله ﷺ حقه أن نزله المنزلة التي أنزله الله تعالى، وهو أنه عبد الله ورسوله.

* * *

الفرق بين الاعتراف باللسان والقلب

س ١٤: لَكَنَّ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْاعْتِرَافِ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ؟ وَهُلْ يَلْزِمُ الْهَمْعَ بِيْنَهُمَا؟.

الجواب: الفرق بين الاعتراف بالقلب واللسان ظاهر، فإن من الناس من يعترف بلسانه دون قلبه كالمافقين، فالمافقون يقول الله عنهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِّقُونَ قَاتُلُوا نَشَهِدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المافقون: ١]. هؤلاء اعترفوا بآسئلتهم دون قلوبهم، وقد يعترف الإنسان بقلبه، لكن لا ينطق به، وهذا الاعتراف لا ينفعه بالنسبة لنا ظاهرا، أما فيما بينه وبين الله فالعلم عند الله، أو فحكمه إلى الله، لكنه في الدنيا لا ينفعه، ولا يحكم بإسلامه ما دام لا ينطق بلسانه، اللهم إلا أن يكون عاجزا عن ذلك، عجزا حسيا أو حكريا، فقد يعامل بما تقتضيه حاله. فلا بد من الاعتراف بالقلب واللسان.

* * *

شبهة وجوابها

س ١٥ : الذي هدانا إلى هذا السؤال أن هناك فريقا من الناس الآتى اذا دعى أهلهم الى العبادة قال : ان الله رب قلوب ، وهذا أيضا نريد التعليق عليه .

الجواب : نحن نقول إن الله رب القلوب والألسن ، وليس رب القلوب فقط ، والقلوب لو صلحت لصلحت الجوارح ، لأن النبي ﷺ يقول : «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(٥) ، وهذا الحديث يبطل كل دعوى يدعى بها بعض الناس ، إذا نصحته في أمر من الأمور مما عصي الله به قال لك : «التقوى هاهنا»^(٦) ويشير إلى صدره ، وهي كلمة حق أريد بها باطل ، والكلمة قد تكون حقا في مدلولها العام ، لكن يريد بها القائل أو المتكلم معنى باطلًا ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا إِبَآءَنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] . فهم قالوا : لو شاء الله ما أشركنا ، وصدقوا فيما قالوه ، فلو شاء الله ما أشركوا ، ولكنهم لا يريدون بهذه الكلمة حقا ، بل يريدون بها تبرير بقائهم على شركهم ، ورفع العقوبة عنهم ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿كَذَّلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] . فلم ينفعهم الاحتجاج بالقدر حين أرادوا به الاستمرار على شركهم ، كما قال الله تعالى لنبيله : ﴿أَتَيْتَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ﴾

(٥) رواه : البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه ، حديث (٥٢) ، ومسلم ، كتاب : المساقاة ، باب :أخذ الحلال وترك الشبهات ، حديث (١٥٩٩) ، وابن ماجه ، حديث (٣٩٨٤) ، وأحمد في مسنده (٢٧٠/٤) ، والدارمي في سنته (٣١٩/٢) حديث (٢٥٣١) ، وابن حبان في صحيحه (٥٣٢/١) حديث (٢٩٧) .

(٦) رواه : مسلم ، كتاب : البر والصلة والأدب ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، حديث (٢٥٦٤) ، وأحمد في مسنده (٢٧٧/٢) حديث (٧٧١٣) ، والبيهقي في الكبير (٩٢/٦) حديث (١١٢٧٦) .

المُشَرِّكُينَ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٦-١٠٧]. لكن هناك فرق بين الحالين، فالله قال لنبيه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ ليبين أن شركهم واقع بمشيئته وأن له حكمة في وقوع الشرك منهم، وليسلي نبيه ﷺ بأن هذا الأمر الواقع منهم بمشيئته تبارك وتعالى.

فالمهم أن هذا الذي قال حينما نصحته: «التقوى هاهنا»^(٧) هو النبي ﷺ لكن الذي قال ذلك هو الذي قال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله»^(٨) فإذا كان في القلب تقوى، لزم أن يكون في الجوارح تقوى. والعمل الظاهر عنوان على العمل الباطن.

* * *

مفهوم الإيمان

س١٦: نريد أن نعرف مفهوم الإيمان وأدراكته بصورة مختصرة.

الجواب: الإيمان له مفهومان: مفهوم لغوي، وهو الإقرار بالشيء والتصديق به، ومفهوم شرعي، وهو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان، فلا يكفي في الشرع أن يقر الإنسان بما يجب الإيمان به، حتى يكون قابلاً ومذعنًا. فمثلاً: لو أفرَّ الإنسان بأنَّ محمداً رسول الله ﷺ وعرف أنه رسول الله، لكن لم يقبل ما جاء به، ولم يذعن لأمره، فإنه ليس بمؤمن. ولهذا يوجد من المشركين من اعترفوا، وأقرروا للنبي ﷺ بالرسالة، لكنهم لم يقادوا له ولم يذعنوا، بل بقوا على دين قومهم، فلم ينفعهم هذا الإقرار المجرد عن القبول والإذعان، فالإيمان في الشرع أخص من الإيمان في اللغة، وقد يكون الإيمان في الشرع أعم من الإيمان في اللغة، فالصلة مثلاً من الإيمان شرعاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ

(٧) انظر السابق.

(٨) سبق تخریجه برقم (٥).

إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُنَاهِي عَنِ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران: ١٤٣]. أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، لكنها في اللغة لا تسمى إيماناً، لأنها عمل ظاهر، والإيمان في اللغة من الأمور الباطنة. فإذا أردنا أن نعرف الإيمان الشرعي نقول فيه: هو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان، فإن لم يكن مستلزمًا لذلك فليس بإيمان شرعاً.

• • •

علاقة هذا المفهوم بحديث جبريل

س١٧: هل هنا المفهوم الذي قاله رسول الله ﷺ لعبيرل حينما سأله عن الإيمان؟^(٩)

الجواب: نعم، لأن الإيمان الحقيقي بالله وملائكته وكتبه ورسله يستلزم القبول والإذعان، فمن قال: إنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ولكن لم يقبل ولم يذعن، لم ينفعه هذا القول، ولا الإيمان الذي في قلبه أيضاً، فلا بد أن يقبل ويذعن.

三

س١٨: لَكُنْ إِذَا سُئِلَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْإِيمَانِ هَلْ يَقُولُ هُوَ
الْفَرَارُ الْمُسْتَلزمُ لِلْقَبُولِ وَالْبَذْعَاتِ، أَوْ يَقُولُ: أَنْ تَؤْمِنَ بِاللهِ
وَمَا لَأَنْتَهُ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ؟

الجواب: نحن نقول إنها القبول والإذعان، وإذا قلنا بهذا وأراد السائل أن نفصل نقول: تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ثم إن تفصيل الإيمان الذي أشرنا إليه يشمل الدين كله.

三

^(٩) رواه : البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبي ﷺ ، حديث (٥٠) ، ومسلم ، كتاب : بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، حدث (٩) ، والنسائي ، حدث (٤٩٩١) ، وأبي ماجة ، حدث (٦٤) ، وأحمد في مسنده (٤٢٦/٢) حدث (٩٤٩٧) ، وأبي خزيمة في صحيحه (٥/٤) وأبي حبان في صحيحه (٣٧٥/١) حدث (١٥٩) .

مفهوم الإيمان وأركانه

س ١٩ : نريد أن نتوسيع في مفهوم الإيمان، ولكنك نريد أن نعرف أركان الإيمان؟

الجواب : كنا تكلمنا عن التعريف الذي أشرنا إليه والتعريف الذي ذكره النبي ﷺ في حديث جبريل ؟ التعريف الذي أشرنا إليه هو تعريف عام يشمل الدين كله، وهو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان، وهو الذي يتكلم عليه العلماء في كتب العقائد، أما ما جاء في حديث جبريل، فإنه مفهوم خاص للإيمان، لأن الرسول ﷺ سأله جبريل عن الإسلام وبينه له، ثم سأله عن الإيمان الذي هو العقيدة الباطنة.

والإسلام هو الأعمال الظاهرة، وإنما لا يشك أحد أن اعتقاد الإنسان بأنه «لا إله إلا الله» هو من الإيمان بلا شك، لكنه لما كان قوله صار من الأعمال الظاهرة، التي هي: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والأركان التي بينها الرسول عليه الصلاة والسلام ستة كما هي معلومة، قال عليه الصلاة والسلام في جوابه لجبريل: «الإيمان أن تؤمن بالله، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره» ^(١٠) ، ونتكلّم عن هذه الأركان الستة لأهميتها.

أما الإيمان بالله : فإنه يتضمن أربعه أمور: الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

أما الإيمان بوجوده : فهو الإقرار التام بأن الله موجود، ولم يفه أحد بإنكار وجود الله إلا على سبيل المكابرة، وإنما فأن كل عاقل لا يمكنه أن يدعي بأن هذا الكون خلق أو جاء صدفة، أو جاء من غير موجود، لأن هذا ممتنع باتفاق العقلاة، فوجود الله دلت عليه جميع الأدلة ؛ العقلية، والفطريّة، والحسية، والشرعية، هذه الأشياء الأربع كلها دلت على وجود الله .

(١٠) انظر السابق .

أما الدليل العقلي : فإننا نشاهد هذا الكون في وجوده، وفيها يحدث فيه من أمور لا يمكن أن يقدر عليها أحد من المخلوقين، وجود هذا الكون، السموات، والأرض، وما فيها ؛ من النجوم، والجبال، والأنهار، والأشجار، والناطق، والبهيم، وغير ذلك، من أين حصل هذا الوجود أو جد نفسه؟ هذه ثلاثة احتمالات لا يقبل العقل شيئاً رابعاً، وكلها باطلة إلا الاحتمال الرابع، الذي هو الحق فأما كونها وجدت صدفة فهذا أمر ينكره العقل وينكره الواقع، لأن مثل هذه المخلوقات العظيمة لا يمكنك أنت أن توجدها هكذا صدفة، كل أثر لا بد له من مؤثر، وكون هذه المخلوقات العظيمة بهذا النظام البديع المتناسق، الذي لا يتعارض، ولا يتصادم، لا يمكن أن يكون صدفة، لأن الغالب فيما وقع صدفة أن تكون تغيراته غير منتظمة لأنه كله صدفة.

وأما كون هذا الوجود أو جد نفسه، فظاهر الاستحاللة أيضاً، لأن هذا الوجود قبل أن يوجد ليس بشيء، بل هو عدم، والعدم لا يمكن أن يوجد معدوماً.

وأما كونه وجد من غير موجود فهو بمعنى قوله : إنه وجد صدفة، وهذا كما سبق مستحبيل. بقي أن نقول إنه وجد بموجب وهو الله ، كما قال الله تعالى : ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلَقُونَ﴾ ^(٢٥) أَمْ خَلَقُوا أَسْمَاءَ وَالْأَرْضَ
بَلْ لَا يُؤْفِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

إذا فهذا الكون دل عقلاً على وجود الله ، وأما دلالة الفطرية على وجود الله فأظهر من أن تحتاج إلى دليل، لأن الإنسان بفطرته يؤمن بربه، قال النبي ﷺ : «كل مولود يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ^(١١) ، ولهذا

(١١) رواه : البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : ما قيل في أولاد المشركين ، حديث (١٣٨٥) ، ومسلم ، كتاب : القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ، حديث (٢٦٥٨) ، وأبي داود ، حديث (٤٧١٤) ، والترمذى ، حديث (٢١٣٨) ، وأحمد في مسنده (٢٣٣/٢) حديث (٧١٨١) ، ومالك في موطنه (٢٤١/١) حديث (٥٧١) ، وابن حبان في صحيحه (٣٣٦/١) حديث (١٢٨) .

لو وقع على أي إنسان في الدنيا، شيء بعفة وهذا الشيء مهلك له، لكن يقول بلسانه من غير أن يشعر: يا الله، أو يا رب، أو ما أشبه ذلك، مما يدل على أن الغريرة الفطرة جلت على الإيمان بوجود الله .

وأما دلالة الحس على وجود الله، فما أكثر ما نسمع من أجيابه الله تعالى للدعاء، ومن إجابة الدعاء للإنسان نفسه، كم من إنسان دعا الله وقال يا رب، فرأى الإجابة نصب عينه، ففي القرآن أمثلة كثيرة من هذا، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَتُوبَ إِذْ نَادَنِي رَبِّهُ أَفَيْ مَسَنِيَ الظُّرُورُ وَأَنَّ أَرْحَمُ الرَّاجِحِينَ﴾ ^{٨٣} فاستجبنا لـ [الأنبياء: ٨٤-٨٣]

وفي السنة أمثلة كثيرة أيضاً: ومنها حديث أنس بن مالك ^{رض} قال: دخل رجل يوم الجمعة والنبي ^{صلوات الله عليه} يخطب فقال : يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغينا، فرفع النبي ^{صلوات الله عليه} يديه وقال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا» ؛ وكانت السماء صحوها ليس فيها شيء من السحاب، فما نزل النبي ^{صلوات الله عليه} من علي منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته عليه الصلاة والسلام، وبقي المطر أسبوعاً كاملاً حتى دخل رجل من الجمعة الثانية، فقال يا رسول الله: تهدم البناء، وغرق المال فادع الله أن يمسكها عنا. فرفع النبي ^{صلوات الله عليه} يديه، وجعل يقول: «اللهم حوالينا ولا علينا» ^(١٢) ، ويشير بيده، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت بإذن الله، فخرج الناس يمشون في الشمس. وكم من دعاء دعا به الإنسان ربه فوجد الإجابة، وهذا دليل حسي على وجود الله .

أما الدليل الشرعي: فأكثر من أن يحصر، كل القرآن، وكل ما ثبت عن النبي ^{صلوات الله عليه} من الأحاديث الحكمية والخبرية، فإنه دال على وجود الله ، كما قال

(١٢) رواه : البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ، حديث (٩٣٣) ، ومسلم ، كتاب : صلاة الاستسقاء ، باب : الدعاء في الاستسقاء ، حديث (٨٩٧) ، والنمسائي ، حديث (١٥١٨) ، وأحمد في مسنده (٢٦١/٣) حديث (١٣٧٦٩) ، وابن حبان في صحيحه (٢٧٢/٣) - (٢٧٣) حديث (٩٩٢) .

الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. هذا أحد ما يتضمنه الإيمان بالله وهو الإيمان بوجوده. أما الإيمان بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فقد سبق القول المفصل فيها، حين تكلمنا على أنواع التوحيد الثلاثة.

三

كيف نرد على الدهريين؟

س٠٢٠: لَكُنْ نَهَرُ الدَّهْرِيْنَ مَثَلًا وَهُمْ كُثُرُ الْأَنْوَارِ وَهُمْ مِنْ
الْعَقَالَاءِ لَا يَنْهَمُ بِفَلَكِهِنَّ وَيَنْتَهِيُونَ، لَتَسْبِحُمْ يَهْمَعُونَ عَلَى عَدَمِ دِهْرِهِ
اللَّهُ فَلَيْفَ يُرَدُّ عَلَى مَثَلِ هَؤُلَاءِ؟

الجوائز:

أولاً: أريد أن أعلق على قولك انهم عقلاء ؟ فإن أردت بالعقل عقل إدراك، فنعم هم عقلاء ويفهمون، وإن أردت بذلك عقل الرشد، فليسوا عقلاء، ولهذا وصف الله الكفار بأنهم ضم بكم عمي فهم لا يعقلون، لكنهم عقلاء عقل إدراك، تقوم به الحجة عليهم، وهم إذا قالوا ذلك، فإنما يقولون هذا مكابرة في الواقع، وإلا فهم يعلمون أن الباب المنصوب، لا يمكن أن يصنع نفسه، ولا يمكن أن ينصب نفسه، يعرفون أن هذا الباب لا بد له من نجار، أو حداد أقامه، ولا بد من بناء ركبته، بل يعلمون أن الطعام الذي يأكلونه، والماء الذي يشربونه، لا بد له من مستخرج، ولا بد له من زارع، وهم يعلمون أيضا أنه ليس بإمكان أي أحد من الناس أن يكون هذا الزرع، أو أن ينبت هذه الحبة، حتى تكون زرعا له ساق وثمرة.

فهم يعلمون ذلك، ويعلمون أن هذا ليس مما يقدر عليه البشر، ولكنهم يكابرون. والماكابر لافائدة من محاجته، ولا يمكن أن يقبل أبداً مهما كان، لوقت له: هذه الشمس، وهي أمامه ما قبل، فمثل هؤلاء تكون المجادلة معهم مضيعة وقت، وتكون دعوتهم كما قال بعض أهل العلم بالمجادلة لا بالمجادلة.

الإيمان وأركانه

س ٤١ : اذن بقى معنا انت نصرة اركان الإيمان؟

الجواب : الإيمان كما قال النبي ﷺ: «أن تؤمن بالله، وملائكته،...».

تكلمنا عن الإيمان بالله، والملائكة هم عالم الغيب ؛ خلقهم الله من نور، وجعلهم طوع أمره ﴿يُسَيِّحُونَ أَثَلَّ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتُرُونَ﴾ [الأنسية: ٢٠]، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. وهم على أصناف متعددة، في أعمالهم، ووظائفهم، ومراتبهم.

فجبريل عليه الصلاة والسلام موكل بالوحى، ينزل بوحى الله تعالى على رسول الله، كما قال تعالى: ﴿هُنَّا نَزَّلَنَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٥٣] على قلبك لتكون من المُنذِّرِينَ [١٥٤] يلسان عرفي مين [١٥٥] [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَّزَّلَ رُوحُ الْقَدُّسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]. وقد رأه النبي ﷺ على صورته التي خلق عليها مرتين، رأه مرة على صورته له ستمائة جناح قد سد الأفق» [١٣].

وميكائيل : أحد الملائكة العظام، وقد وكله الله بالقطر والنبات (القطر: المطر، والنبات: نبات الأرض من المطر).

وإسرافيل : من الملائكة العظام، وقد وكله الله بالنفح في الصور [١٥]، وهو أيضاً أحد حملة العرش العظيم.

(١٣) رواه : البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ، حديث (٣٢٣٤) ، ومسلم ، كتاب : الإمام ، باب : معنى قول الله عز وجل : «ولقد رأه نزلة أخرى ...» ، حديث (١٧٧).

(١٤) رواه : الطبراني في الكبير (٣٧٩/١١) حديث (١٢٠٦١) ، والبيهقي في الشعب (١٧٦/١ - ١٧٧) حديث (١٥٧) حديث (١٥٧) ، وذكره الهيثمي في المجمع (١٩٩) وقال : رواه الطبراني ، وفيه أبي ليل ، وقد وثقه جماعة ولكنها سمعت الحفظ ، وبقية رجاله ثقات.

(١٥) ذكر الحافظ في الفتح (٣٦٨/١١) عن الحليمي من أئمة الشافعية أن الإجماع قد وقع على أن إسرافيل هو صاحب الصور . وذكر في ذلك بعض الأحاديث . وانظر سنن الترمذى حديث (٢٤٣١) وحديث (٣٢٤٤).

وهو لاء الثلاثة كان النبي ﷺ يذكرهم في استفتاح صلاة الليل، يقول ﷺ في استفتاح صلاة الليل: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفت فيه من الحق يا ذننك، إناك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١٦) ، وذكر هؤلاء الثلاثة لأن كل واحد منهم موكل بما يتضمن الحياة، والبعث من الموت يعتبر حياة، فهو لاء الثلاثة هم أفضل الملائكة فيما نعلم، ومنهم ملك الموت الموكل بقبض أرواح الأحياء، ومنهم ملائكة موكلون بتتبع حلق الذكر، ومن أراد المزيد من ذلك فليراجع ما كتبه أهل العلم في هذا.

* * *

الإيمان بالملائكة

س٢٢: هل بقي شيء يتعلّق بالإيمان بالملائكة ترىون أن تتصدّروا عنه أم تنتقل إلى بقية الأركان؟

الجواب: بقى من الركن الثاني وهو الإيمان بالملائكة أن الإيمان بالملائكة عليهم السلام يكون إجمالاً ويكون تفصيلاً، فما علمناه بعينه وجب علينا أن نؤمن به بعينه ونفصل، نقول: نؤمن بالله، نؤمن بجبريل، نؤمن بـميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ومالك خازن النار، وما أشبه ذلك.

وما لم نعلمه بعينه فإننا نؤمن به إجمالاً، فنؤمن بالملائكة على سبيل العموم، والملائكة عدد كبير لا يحصيه إلا الله، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «في

(١٦) رواه : مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، حديث (٧٧٠) ، وأحمد في مسنده (١٥٦/٦) حدث (٢٥٢٦٦) ، وأبي حزيمة في صحيحه (١٨٥/٢) حدث (١١٥٣) ، وأبي حبان في صحيحه (٣٣٥/٦) حدث (٢٦٠٠) ، والبيهقي في الكبرى (٥/٣) حدث (٤٤٤٤) ، والنمسائي في الكبرى (٤١٧/١) حدث (١٣٢٢) .

البيت المعمور الذي فيه السماء السابعة ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم»^(١٧) .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه: «ما من موضع أربع أصابع في السماء إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد»^(١٨) ، ولكننا لا نعلم أعيانهم ووظائفهم وأعمالهم إلا ما جاء به الشرع، فما جاء به الشرع على وجه التفصيل، من أعمالهم وأحوالهم ووظائفهم، وجب علينا أن نؤمن به على سبيل التفصيل، وما لم يأت على سبيل التفصيل، فإننا نؤمن به إجمالاً.

وهؤلاء الملائكة الذين لهم من القدرة والقدرة ما ليس للبشر من آيات الله ، فيكون في الإيمان بهم إيمان بالله وبقدرته العظيمة، وعلينا أن نحب هؤلاء الملائكة، لأنهم مؤمنون، وأنهم قائمون بأمر الله ، ومن كان عدواً لأحد منهم، فإنه كافر، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوا لِلّٰهِ وَمَلَكِيْتَهِ وَرَسُولِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللّٰهَ عَذُوٌ لِّلْكٰفِرِيْنَ﴾ [البقرة: ٩٨] ، وقال تعالى: ﴿فَقُلْ مَنْ كَانَ عَدُوا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّمَا نَزَّلَ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّٰهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧] . فالمهم أن هؤلاء الملائكة عليهم الصلاة والسلام علينا أن نحبهم، لأنهم عباد لله تعالى، قائمون بأمره، وأن لا نعادى أحدها منهم.

* * *

١

(١٧) رواه : البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ، حديث (٣٢٠٧) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله ﷺ ، حديث (١٦٤) ، والنسائي ، حديث (٤٤٨) ، وأحمد في مسنده (١٥٣/٣) حديث (١٢٥٨٠) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٣/١) ، (١٥٤) ، (١٥٥) حديث (٣٠١) ، وأبو عوانة في مسنده (١٠٨/١) حديث (٣٣٧) .

(١٨) أخرجه بنحوه الطبراني في المعجم الأوسط ، (٤٤/٤) ، حديث (٣٥٦٨) ، وال الكبير (١٨٤/٢) ، حديث (١٧٥١) ، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الروايد (٥٢/١) ، (٣٥٨/١٠) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عروة بن مروان ، قال الدارقطني : ليس بقوى في الحديث . وبقية رجاله رجال الصحيح .

الإيمان بالكتب

س٢٣ : بقى الركن الثالث من أركان الإيمان؟

الجواب : الركن الثالث هو الإيمان بكتب الله ، كتب الله التي أنزلها على رسله عليهم الصلاة والسلام، فإن ظاهر القرآن يدل على أنه ما من رسول إلا وأنزل الله معه كتابا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ وَأَنَّا نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولَمُ الْأَنَاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَجَهَدَهُ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنَّرَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ إِلَيْهِ حُكْمٌ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وطريق الإيمان بهذه الكتب أن نؤمن بها إجمالا، فما علمناه بعينه نؤمن به بعينه، فالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى والقرآن الكريم، هذه كتب معلومة لنا بعينها، فنؤمن بها بعينها، وما عدا ذلك نؤمن به إجمالا؛ لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها. ولكن كيف نؤمن بهذه الكتب؟ نقول: ما صرحت به إلينا من الأخبار عن هذه الكتب وجب علينا تصديقه بكل حال، لأنه من عند الله، وأما أحكامه، أي ما تضمنته هذه الكتب من الأحكام، فلا يلزمها العمل إلا بما جاء في القرآن الكريم، وأما ما نقل إلينا منها ولم نعلم صحته، فإننا نتوقف فيه، حتى يتبيّن لنا صحته، لأن هذه الكتب دخلها التحريف، والتبديل، والتغيير والزيادة والنقص.

* * *

الإيمان بالرسل

س٤٤: هنا بالنسبة للرَّكْنِ التَّالِيِّ فَمَا قَوْلَتُمْ فِي الرَّكْنِ الرَّابِعِ الَّذِي هُوَ إِلِيمَانٌ بِالرَّسُلِ؟

الجواب: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام يكون بأن تؤمن بأن الله أرسل إلى البشر رسلًا منهم، يتلون عليهم آيات الله ويزكونهم، وأن أول هؤلاء الرسل نوح عليه الصلاة والسلام، وأخرهم محمد ﷺ، وأما قبل نوح فلم يبعث رسول، وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا: إن إدريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح، لأن الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة: أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: أنت أول رسول الله إلى أهل الأرض^(١٩)، فلا رسول قبل نوح، ولا رسول بعد محمد ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فأما نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان فإنه لا ينزل على أنه رسول مجدد، بل ينزل على أنه حاكم بشرعية محمد ﷺ، لأن الواجب على عيسى وغيره من الأنبياء: الإيمان بمحمد ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ النَّبِيِّنَ لَمَّا ظَاهَرَتِكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَفَرَرَتُمْ وَأَخْذَتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَأَشَهَدُوا وَإِنَّا مَعَكُمْ مِنَ الشَّهِيدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وهذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد ﷺ، كما صرح بذلك عن ابن

(١٩) أخرجه البخاري بنحوه ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : قول الله : (وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ، حديث (٤٤٧٦) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩٣) ، وابن ماجه ، حديث (٤٣١٢) ، والإمام أحمد في مسنده (١١٦/٣) ، حديث (١٢١٧٤) ، والنمسائي في السنن الكبيرى (٤٦٤/٦) ، حديث (١١٢٤٣) .

عباس وغيره، فالمهم أن نؤمن بالرسل على هذا الوجه، بأن أولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ وكيفية الإيمان بهم، أن ما جاء من أخبرهم وصح عنهم، نؤمن به ونصدق، لأنه من عند الله ، وأما الأحكام فلا يلزمها اتباع شيء منها، إلا ما جاء به محمد ﷺ وما اقتضته شريعته.

أما بالنسبة لأعيان هؤلاء الرسل، فمن سماه الله لنا، أو سماه رسوله، وجب علينا الإيمان به بعينه، وما لم يسم فإننا نؤمن به على سبيل الإجمال، كما قلنا في الكتب والملائكة.

* * *

الإيمان باليوم الآخر

س ٢٥: كَيْفَ يَتَوَرَّتُ الْإِيمَانُ بِالرَّكْنِ الْخَامِسِ وَهُوَ الْيَوْمُ الْآخِرُ؟
الجواب : الإيمان باليوم الآخر، يعني الإيمان بقيام الساعة، وسمى يوما آخر، لأنه ليس بعده يوم، فإن الإنسان كان عدما، ثم وجد في بطن أمه، ثم وجد في الدنيا، ثم ينتقل إلى البرزخ، ثم يوم القيمة، فهذه أحوال خمس للإنسان.
 (هَلْ أَقَنَ عَلَى الْإِنْسَنِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) [الإنسان: ١]. هذه الحال الأولى أنه ليس شيئا مذكورة، ثم وجد في بطن أمه، ثم خرج (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) [الحل: ٧٨]. ثم يكدر في هذه الدنيا ويعمل، ثم ينتقل إلى الآخرة في برزخ بين الدنيا وقيام الساعة، فالإيمان باليوم الآخر يدخل فيه . كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية .
 الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمن الإنسان بفتنة القبر، ونعيم القبر، وعداته، ويؤمن بقيام الساعة، بالنفح في الصور، بالحساب، بالميزان، بالحوض المورود، بكل ما جاء عن النبي ﷺ ؟ إما في كتاب الله، أو في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، مما يكون بعد الموت.

ويحسن هنا أن نتكلم عن فتنة القبر، وهي أن الميت إذا دفن، آتاه ملكان

فيسأل الله عن ربه ودينه ونبيه، فاما المؤمن فيثبته الله بالقول الثابت، فيقول: ربى الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ، وأما غير المؤمن فإنه يقول: هاه هاه لا أدرى، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى يوم القيمة، فمن كان من غير المسلمين، فهو في عذاب إلى يوم القيمة، فمن كان من عصاة المؤمنين، فإنه قد يعذب في قبره لمدة يعلمها الله ، ثم يرفع عنه العذاب، وهذا العذاب أو النعيم، يكون في الأصل على الروح، ولكن قد يتآلم البدن، وقد تتألم النفس به، ففي الدنيا مثلاً، الضرب يقع على البدن، والألم يقع على البدن، والنفس قد تتأثر بذلك، فتحزن وتغتم، أما في القبر فالامر بالعكس، العذاب أو النعيم على الروح، لكن البدن لا شك أنه يحصل له شيء من هذا العذاب أو النعيم، إما بالفرح بالنعيم، وإما الألم بالحزن بسبب العذاب.

أما إذا قامت الساعة، وهي القيمة الكبرى، فإن الناس يقومون من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً:

حفاة. ليس عليهم ما يقي أقدامهم من نعال أو خفاف أو غيرها. عراة: ليس على أجسادهم ما يكسوها. غرلاً: أي غير مختوين^(٢٠) ، فتعود القطعة التي قطعت في الختان في الدنيا، ليخرج الإنسان من قبره تماماً لا نقص فيه، كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. ثم يكون الحساب على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم النهاية إما إلى جنة وإما إلى نار، فمن دخل الجنة فهو مخلد فيها أبداً الأبددين، ومن دخل النار فإن كان من العصاة، فإنه يخرج منها بعد أن يعذب بما يستحق، إن لم تنته الشفاعة أو

(٢٠) إشارة إلى حديث أخرجه البخاري ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : «واتخذ الله إبراهيم خليلاً»، حديث (٣٣٤٩) ، بلحظ : إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ، ثم قرأ : «كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين»، وأخرجه مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيمة ، حديث (٢٨٦٠) والترمذى ، حديث (٢٤٢٣) ، والنمسائي بلحظ مختلف وسند آخر ، حديث (٢٠٨٣) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٢٣/١) ، حديث (١٩٥٠) ، وابن حبان في صحيحه من طريق عبد الله ، (٣٢٣/١٦) حديث (٧٣٢٨) .

رحمة الله ، ولكنه لا يخلد فيها، وأما الكافر فإنه يخلد فيها أبد الآدين.

* * *

الإيمان بالقدر

س ٦٦ : بقي الإيمان بالقدر نبيه أن تحدتنا عنه أتابكم الله.

الجواب : الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي بينها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل حين سأله عن الإيمان، والإيمان بالقدر أمر هام جداً، وقد تنازع الناس في القدر من زمن بعيد، حتى في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان الناس يتنازعون فيه ويتمارون فيه، وإلى يومنا هذا والناس كذلك يتنازعون فيه، ولكن الحق فيه والله الحمد واضح بين، لا يحتاج إلى نزاع ومراء، فالإيمان بالقدر: أن تؤمن بأن الله قادر كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وهذا التقدير الذي قدره الله تابع لحكمته، وما تقتضيه هذه الحكمة من غايات حميدة، وعواقب نافعة للعباد في معاشهم ومعادهم.

ويتطور الإيمان بالقدر على الإيمان بأمور أربعة:

أحدها: العلم، وذلك أن تؤمن إيماناً كاملاً بأن الله قد أحاط بكل شيء علماً؛ أحاط بكل شيء مما مضى، وما هو حاضر، وما هو مستقبل، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله سبحانه أو بأفعال عباده، فهو محيط به جملة وتفصيلاً، بعمله الذي هو موصوف به أولاً وأبداً.

وأدلة هذه المرتبة كثيرة في القرآن والسنن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعِنَّدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوْسِعُ بِهِ قَسْمَهُ﴾ [ق: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يِمَّا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. إلى غير ذلك من الآيات

الدالة على علم الله في كل شيء جملة وتفصيلا.

وهذه المرتبة من الإيمان بالقدر، من أنكرها فهو كافر، لأنَّه مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين، وطاعنٌ في كمال الله ، لأنَّ ضد العلم إما الجهل وإما النسيان، وكلاهما عيب، وقد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام حين سأله فرعون: ﴿قَالَ فَنَّا بِالْفَرْوَنَ الْأُولَئِ﴾ [٥١] ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢-٥١]. فهو لا يضل، أي: لا يجهل شيئاً مستقبلاً، ولا ينسى شيئاً ماضياً .

أما المرتبة الثانية: فهي الإيمان بأنَّ الله تعالى كتب مقدار كل شيء، إلى أن تقوم الساعة، فإنه سبحانه لما خلق القلم قال له: اكتب، قال: ربِّي، وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن «^(١)». فجرى في تلك الساعة ما هو كائن إلى يوم القيمة جملة وتفصيلاً، فكتب الله في اللوح المحفوظ مقدار كل شيء.

وقد دل على هذه المرتبة وما قبلها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. فقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾. أي: معلومة عند الله ﴿فِي كِتَابٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ ثم هذه الكتابة تكون أيضاً مفصولة أحياناً، فإن الجنين في بطن أمه، إذا مضى عليه أربعة أشهر، يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أم سعيد، كما ثبت ذلك في الصحيح في حديث عبد الله ابن مسعود ، عن النبي ﷺ ^(٢).

(١) أخرجه أبو داود بنحوه ، كتاب : السنة ، باب : القدر ، حدث (٤٧٠٠) ، والترمذى ، كتاب : القدر ، باب : ما جاء في الرضا بالقضاء ، حدث (٢١٥٥) ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ورواه عبد الله بن حنبل في السنة (٤٠١/٢) ، حدث (٨٧١) .

(٢) رواه : البخارى ، كتاب : التوحيد ، باب : قوله تعالى : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا) حديث (٧٤٥٤) ، ومسلم ، كتاب : القدر ، باب : كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ، حدث (٢٦٤٣) ، وأبو داود ، حدث (٤٧٠٨) ، والترمذى ، حدث (٢١٣٧) ، وابن ماجه ، حدث (٧٦) ، وأحمد في مسنده (٣٨٢/١) حديث (٣٦٢٤) ، وابن حبان في صحيحه (٤٧/١٤) حديث (٦١٧٤) .

ويكتب أيضاً في ليلة القدر ما يكون في تلك السنة، كما قال الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾٢٦﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ ﴾٢٧﴿ مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٥-٣].

أما المرتبة الثالثة: فالإيمان بأن كل ما في الكون، فإنه بمشيئة الله، وكل ما في الكون فهو حادث بمشيئة الله ، سواء كان ذلك مما يفعله هو عز وجل، أو مما يفعله المخلوق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهُ دِكْثُرَةً أَجَمِيعِنَّ﴾ [النحل: ٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ بَجَعَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٦]. إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة، الدالة على أن فعله تعالى واقع بمشئته، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنَّ أَخْتَلَفُوا فِيمُهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وهذا نص صريح بأن أفعال العباد قد شاءها الله ، ولو شاء الله أن لا يفعل لم يفعل.

أمـ المرتبة الرابعة في الإيمان بالقدر . فهي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، فالله هو الخالق، وما سواه مخلوق، فكل شيء الله تعالى خالقه، فالمخلوقات مخلوقة الله ، وما يصدر منها من أفعال وأقوال، مخلوق لله أيضاً، لأن أفعال الإنسان وأقواله من صفاتـه، فإذا كان الإنسان مخلوقـاً، كانت الصفات أيضاً مخلوقةـ للـه، ويدلـ لذلك قوله سبحانهـ وتعالـيـ : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. فنصـ الله تعالىـ على خلقـ الإنسانـ، وعلى خلقـ عملـهـ، قالـ: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

وقد اختلف الناسـ فيـ «ما»ـ هناـ ؟ـ هلـ هيـ مصدرـيةـ،ـ أوـ موـصـولةـ؟ـ وـ عـلـىـ كـلـ تـقـديرـ،ـ فإنـهاـ تـدلـ عـلـىـ أـنـ عـلـمـ الإـنـسـانـ مـخـلـوقـ لـهـ .

هذه أربع مراتب لا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها، ونعني بها فنقول:

أولاً: أن تؤمن بأن الله تعالى عليم بكل شيء جملة وتفصيلا.

ثانياً: أن تؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء.

ثالثاً: أن تؤمن بأن كل حادث فهو بمشيئة الله .

رابعاً: تؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء. فإذا تمت هذه المراتب الأربع، أو تم الإيمان بها، فقد حقق الإنسان الإيمان بالقدر، ثم اعلم أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب، بل إن فعل الأسباب مما أمر به الشرع، وهو حاصل بالقدر، لأن الأسباب تنتج عنها مسبباتها، ولهذا لما توجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى الشام، ذكر له في أثناء الطريق أنه قد وقع فيها الطاعون، فاستشار الصحابة رضي الله تعالى عنهم هل يستمر ويضي في سيره، أو يرجع إلى المدينة، فاختل了一 الناس عليه، ثم استقر رأيهم على أن يرجعوا إلى المدينة، ولما عزم على ذلك، جاءه أبو عبيدة عامر بن الجراح، وكان عمر يجله ويقدره، فقال يا أمير المؤمنين كيف ترجع إلى المدينة، أفارا من قدر الله؟ قال : نفر من قدر الله إلى قدر الله.

وبعد ذلك جاء عبد الرحمن بن عوف - رضي الله تعالى عنه - وكان غائباً في حاجة له، فحدثهم أن النبي ﷺ قال عن الطاعون: «إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه»^(٢٣).

الحاصل قول عمر : نفر من قدر الله إلى قدر الله، فهذا يدل على أن اتخاذ الأسباب من قدر الله . ونحن نعلم أن الرجل لو قال: أنا سأؤمن بقدر الله،

(٢٣) رواه : البخاري ، كتاب : الطب ، باب : ما يذكر في الطاعون ، حدث (٥٧٣٩) ، ومسلم ، كتاب : السلام ، باب : الطاعون والطيرية والكهانة ونحوها ، حدث (٢٢١٩) ، ومالك في الموطأ (٢ - ٨٩٤) حدث (١٥٨٧) ، وابن حبان في صحيحه (٢١٨/٧ - ٢١٩) حدث (٢٩٥٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١٧/٧) حدث (١٤٠٢٠) ، وأبو يعلى في مسنده (١٤٩/٢ - ١٥٠) حدث (٨٣٧) .

وسيرزقني الله ولدا بلا زوجة، ولو قال هذا لعد من المجانين، كما أنه لو قال: أنا أؤمن بقدر الله ولن أسعى في طلب الرزق، ولم يتخذ أي سبب للرزق، لعد ذلك من السفه.

فالإيمان بالقدر إذن لا ينافي الأسباب الشرعية أو الحسية الصحيحة، أما الأسباب الوهمية التي يدعى أصحابها أنها أسباب وليس كذلك، فهذه لا عبرة بها، ولا يلتفت إليها.

ثم اعلم أنه يرد على الإيمان بالقدر إشكال وليس بإشكال في الواقع، وهو أن يقول قائل: إذا كان فعلي من قدر الله فكيف أعقاب على المعصية وهي من تقدير الله؟ والجواب على ذلك أن يقال: لا حجة لك على المعصية بقدر الله، لأن الله لم يجبرك على هذه المعصية، وأنت بجي تقدم عليها لم يكن لديك العلم بأنها مقدرة عليك، لأن الإنسان لا يعلم بالمقدور إلا بعد وقوع الشيء، فلماذا تقدر قبل أن تفعل المعصية أن الله قدر لك الطاعة، فتقوم بطاعته، وكما أنت في أمورك الدنيوية تسعى لما ترى أنه خير، وتهرب مما ترى أنه شر، فلماذا لا تعامل نفسك هذه المعاملة في عمل الآخرة، وأنت لا أعتقد أن أحداً يقال له: إن مكة طرقين؟ أحدهما طريق مأمون ميسّر، والثاني طريق مخوف صعب، لا أعتقد أن أحداً يسلك الطريق المخوف الصعب، ويقول: إن هذا قدر لي، بل سوف يسلك الطريق المأمون الميسّر، ولا فرق بين هذا وبين أن يقال لك: إن للجنة طريقاً وللنار طريقاً، فإنك إذا سلكت طريق النار، فأنت كالذى سلك طريق مكة المخوف الوعر، وأنت بنفسك تنتقد هذا الرجل الذي سلك الطريق المخوف الوعر، فلماذا ترضى لنفسك أن تسلك طريق الجحيم، وتدع طريق النعيم، ولو كان لإنسان حجة بالقدر على فعل المعصية، لم تنف هذه الحجة بإرسال الرسل، وقد قال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

زيادة الإيمان ونقصانه

س ٢٧: هل الإيمان يزيد وينقص؟ ونود أن نعرف بأي شيء تحصل زيارة وبأي شيء يحصل النقصان؟.

الجواب: هناك كلمة باقية في الإيمان بالقدر بسيرة، وهي أن الإيمان بالقدر له ثمرات جليلة على سير الإنسان وعلى قلبه، لأنك إذا آمنت بأن كل شيء بقضاء الله وقدره، فإنك عند السراء تشكر الله ، ولا تعجب بنفسك، ولا ترى أن هذا الأمر حصل منك بحولك وقوتك، ولكنك تؤمن بأن هذا سبب إذا كنت فعلت السبب الذي نلت به ما يسرك، وأن الفضل كله بيد الله ، فتزداد بذلك شكرًا لنعمة الله ، ويحملك هذا على أن تقوم بطاعة الله على حسب ما أمرك الله به، وألا ترى لنفسك فضلا على ربك، بل ترى المنة لله عليك، قال الله تعالى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُونَ عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلَّ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذِهِكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]. كما أنه إذا أصابتك الضراء فإنك تؤمن بالله ، وتستسلم، ولا تندم على ذلك، ولا تلحقك الحسرة، ألم تر إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء لا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(٢٤) فالإيمان بالقدر فيه راحة النفس والقلب، وعدم الحزن على ما فات، وعدم الهم والغم لما يستقبل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُمَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبَرَّأُوهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ لِكَيْنَلَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا أَتَنَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣] والذي لا يؤمن بالقدر، لا شك أنه سوف يتضجر عند المصائب، ويندم، ويفتح

(٢٤) رواه : مسلم ، كتاب : القدر ، باب : في الأمر بالفورة وترك العجز والاستعانة ، حدث (٢٦٤) ، وابن ماجه ، حدث (٧٩) ، وأحمد في مستنه (٣٦٦/٢) ، وابن حبان في صحيحه (٢٨/١٣) حدث (٥٧٢١) ، والبيهقي في الكبرى (٨٩/١٠) ، والنسائي في الكبرى (١٥٩/٦) حدث (١٠٤٥٧) .

له الشيطان كل باب، وأنه سوف يفرح ويسيطر ويغتر فيما إذا أصابته السراء، لكن الإيمان بالقدر يمنع هذا كله.

أما بالنسبة لزيادة الإيمان ونقصانه، فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو الإقرار بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح، فهو يتضمن هذه الأمور الثلاثة؛ إقرار بالقلب، ونطق باللسان، عمل بالجوارح، وإذا كان كذلك، فإنه سوف يزيد وينقص، وذلك لأن الإقرار بالقلب يتفاصل، فليس الإقرار بالخبر كالإقرار بالمعاينة، وليس الإقرار بخبر الرجل كالإقرار بخبر الرجالين، وهكذا.

ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلٌ وَلَكِنْ لِيَطْمِئِنَ قَلْبِي﴾ [آل عمران: ٢٦٠]. فالإيمان يزيد من حيث الإقرار، إقرار القلب وطمأنينته وسكونه، والإنسان يجد ذلك من نفسه، فعندما يحضر مجلس ذكر فيه موعظة، وذكر للجنة والنار، يزداد إيماناً حتى كأنه يشاهد ذلك رأي العين، وعندما تكون الغفلة، ويقوم من هذا المجلس، يخف هذا اليقين في قلبه.

كذلك يزداد الإيمان من حيث القول، فإن من ذكر الله عشر مرات، ليس كمن ذكر الله مائة مرة، فالثاني أزيد بكثير.

وكذلك أيضاً من أتى بالعبادة على وجه كامل، يكون إيمانه أزيد من أتى بها على وجه ناقص، وكذلك العمل، فإن الإنسان إذا عمل عملاً بجوارحه أكثر من الآخر، صار الثاني أزيد إيماناً من الناقص، وقد جاء إثبات الزيادة والنقصان في الكتاب والسنة. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَشْحَابَ الْأَنَارِ إِلَّا مَلِئْتُمْ وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ اللَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزَلتْ سُورَةً فَيَقُولُ أَئُكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ فَإِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادُوهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِّشُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٥-١٢٤].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب بليل الرجل الحازم من إحداكن» (٢٥) فالإيمان إذا يزيد وينقص.

* * *

للتَّنِّي ما سبب زيادة الإيمان ونقصانه؟

أما أسباب زيادة الإيمان فمنها:

السبب الأول: معرفة الله بأسمائه وصفاته، فإن الإنسان كلما ازداد معرفة بالله وبأسمائه وصفاته ازداد إيمانا بلا شك، ولهذا تجد أهل العلم الذين يعلمون من أسماء الله وصفاته ما لا يعلمه غيرهم، تجدهم أقوى إيمانا من الآخرين من هذا الوجه.

السبب الثاني: النظر في آيات الله الكونية والشرعية، فإن الإنسان كلما نظر إلى آيات الله الكونية التي هي المخلوقات - السماوات والأرض والإنسان والبهيمة وغير ذلك - ازداد إيمانا قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ أَئِنَّ لِتُؤْمِنَ بِنَفْسِكُمْ أَفَلَا يَبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]. والآيات الدالة على هذا كثيرة، أعني الآيات الدالة على أن الإنسان بتدبره وتأمله في هذا الكون يزداد إيمانا.

السبب الثالث: كثرة الطاعات، فالإنسان كلما كثرت طاعته ازداد بذلك إيمانا، سواء كانت هذه الطاعات من الطاعات القولية أو الفعلية، فالذكر يزيد الإيمان كمية وكيفية، والصلوة، والصوم، والحج يزيد الإيمان أيضا كمية وكيفية. أما سبب النقصان فإنه على العكس من ذلك، فالجهل بأسماء الله وصفاته يوجب نقص الإيمان، لأن الإنسان إذا لم يعرف أسماء الله وصفاته ينقصه العلم بهذه الأسماء والصفات التي تزيد في الإيمان.

(٢٥) رواه : البخاري ، كتاب : الحيض ، باب : ترك الحائض الصوم ، حديث (٣٠٤) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات ، حديث (٨٠) بلفظ : «أغلب لب منكن» ، ومثله أبو داود ، حديث (٤٦٧٩) ، والترمذى ، حديث (٢٦١٣) ، وابن ماجه ، حديث (٤٠٠٣) . وأحمد في مسنده (٦٦/٢) حديث (٥٣٤٣) ، وابن حبان في صحيحه (٥٤/١٣) حديث (٥٧٤٤) .

السبب الثاني: الإعراض عن التفكير في آيات الله الكونية والشرعية، فإن هذا السبب يسبب نقص الإيمان، أو على الأقل ركوده وعدم نموه.

الثالث: فعل المعصية، فإن للمعصية آثاراً عظيمة على القلب، وعلى الإيمان، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» .

والرابع: ترك الطاعة، فإن نقص الطاعة سبب لنقص الإيمان، لكن إن كانت الطاعة واجبة وتركها بلا عذر، فهو نقص يلام عليه ويعاقب، وإن كانت الطاعة غير واجبة، أو واجبة لكن تركها لعذر، فإنه نقص لا يلام عليه، ولهذا جعل النبي ﷺ النساء ناقصات عقل ودين، وعمل نقصان دينها أنها إذا حاضت لم تصل ولم تصم، مع أنها لا تلام على ترك الصلاة والصيام في حال الحيض، بل هي مأمورة بذلك، لكن لما فاتها الفعل الذي يقوم به الرجل، صارت ناقصة عن الرجل من هذا الوجه.

* * *

س ٢٨: بالنسبة لزيادة الإيمان ونقصانه هناك من يرى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن المعصية تذهب الإيمان لله ويُلacer الإنسان. كيف يرد على هؤلاء؟.

الجواب: يرد على هؤلاء بما أشرنا إليه من قبل بالنصوص من الكتاب والسنة، وكذلك بالواقع، فإننا نقول لهم: أنتم الآن لو آتاكم مخبر وقال: إن فلانا قدم البلد اليوم، وهذا الخبر عندكم ثقة، يكون لديكم إيمان بأنه قدم، فإذا جاء رجل آخر وأخبركم بذلك، أفلًا يزداد إيمانكم به؟ سيقولون: بلى يزداد إيماننا بذلك، فإذا رأيتم هذا الرجل القادم رأى العين، ازددتم يقيناً أكثر، وهذا أمر لا يمترى فيه أحد، ثم نقول: ما دمنا أدخلنا الأقوال والأعمال في مسمى الإيمان، فإن اختلاف الأقوال والأعمال بالزيادة والنقص أمر معلوم لا ينكر، فيكون في هذا دليل واضح على أن الإيمان يزيد وينقص.

إنكار أن الإيمان يزيد وينقص

س ٢٩: للنّ ما حلّم عدم الإقرار بزيادة الإيمان ونقصانه؟

الجواب: هذا يرجع إلى حال المنكر، إن كان أنكر ذلك تكذيباً وجحداً، فهو كافر لتكذيبه وجحده لما جاء به القرآن، وإن كان تأويلاً فإن التأويل له درجات، قد يصل إلى الكفر وقد لا يصل، فالإنسان الذي يقول أنا لا أقول أن الإيمان يزيد وينقص متأولاً، فإنه على حسب تأويله.

* * *

صفة الحكم بغير ما أنزل الله

س ٣٠: ما هي صفة العَلَم بغير ما أنزل الله؟

الجواب: الحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول: أن يُبطل حكم الله ليحل محله حكماً آخر طاغوتياً، بحيث يُلغى الحكم بالشريعة بين الناس، ويجعل بدله حكماً آخر من وضع البشر الذين يُنتّخون الأحكام الشرعية في المعاملة بين الناس، ويُحلّون محلها القوانين الوضعية، فهذا لا شك أنه استبدال بشرع الله غيرها، وهو كفر مخرج من الملة؛ لأن هذا جعل نفسه بمنزلة الخالق، حيث شرع لعباد الله ما لم يأذن به الله، بل ما خالف حكم الله ، وجعله الحكم الفاصل بين الخلق، وقد سمي الله تعالى بذلك شركاً في قوله تعالى: ﴿لَمْ لَهُمْ شَرِيكُوا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الَّذِينَ مَالُمَ يَأْذِنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

القسم الثاني: أن تبقى أحكام الله على ما هي عليه، وتكون السلطة لها، ويكون الحكم منوطاً بها، ولكن يأتي حاكم من الحكام فيحكم بغير ما تقتضيه هذه الأحكام، أي يحكم بغير ما أنزل الله، فهذا له ثلاثة حالات:

الحال الأولى: أن يحكم بما يخالف شريعة الله معتقداً أن ذلك أفضل من حكم الله وأنفع لعباد الله، أو معتقد أنه مماثل لحكم الله ، أو يعتقد أنه يجوز له

الحكم بغير ما أنزل الله، فهذا كفر. يخرج به الحاكم من الملة، لأنه لم يرض بحکم الله ، ولم يجعل الله حکما بين عباده.

الحال الثانية: أن يحکم بغير ما أنزل الله معتقداً أن حکم الله تعالى هو الأفضل والأفعى لعباده، لكنه خرج عنه، وهو يشعر بأنه عاص لله إنما يريد الجور والظلم للمحكوم عليه، لما بينه وبينه من عداوة، فهو يحکم بغير ما أنزل الله لا كراهة لحكمة الله ولا استبدال به، ولا اعتقاد بأنه أي الحکم الذي حکم به أفضلاً من حکم الله أو مساوا له، أو أنه يجوز الحكم به، لكن من أجل الإضرار بالمحكوم عليه حکم بغير ما أنزل الله، ففي هذه الحال لا نقول إن هذا الحاكم كافر، بل نقول إنه ظالم معتد جائز.

الحال الثالثة: أن يحکم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أن حکم الله تعالى هو الأفضل والأفعى لعباد الله، وأنه بحکمه هذا عاص لله ، لكنه حکم لهوى في نفسه، لمصلحة تعود له أو للمحكوم له، فهذا فسق وخروج عن طاعة الله ، وعلى هذه الأحوال الثلاث يتنزل قول الله تعالى في ثلاثة آيات: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وهذا يتنزل على الحالة الأولى، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. يتنزل على الحالة الثانية ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. يتنزل على الحالة الثالثة.

وهذه المسألة من أخطر ما يكون في عصرنا هذا، فإن من الناس من أولع وأعجب بأنظمة غير المسلمين، حتى شغف بها، وربما قدمها على حکم الله ورسوله، ولم يعلم أن حکم الله ورسوله ماض إلى يوم القيمة، فإن النبي ﷺ بعث إلى الخلق عامة إلى يوم القيمة، والذي بعثه عالم بأحوال العباد إلى يوم القيمة، فلا يمكن أن يشرع لعباده إلا ما هو نافع لهم في أمور دينهم ودنياهם إلى يوم القيمة، فمن زعم أو توهّم أن غير حکم الله تعالى في عصرنا أفعى لعباد الله من الأحكام التي ظهر شرعاً في عهد النبي ﷺ فقد ضلل ضلالاً مبيناً، فعليه أن

يتوب إلى الله وأن يرجع إلى رشده وأن يفكر في أمره.

* * *

الفرق بين الظالم والفاسق

س ٢١ : لكن ذكرتم في الظالم والفاسق أشياء متقاربة أو يمكن أن تلزمن متداخلة وهي أن الظالم يهمّ بغير ما أنزل الله وهو يعلم أن همّ الله أضل للّه يريد أن يتلفى من أحد، فيطبع همما على شخص ما جاء عن الله، والفاسق يهمّ وهو يعلم بهمّ الله، ويعلم أنه هو المكلّم السديـر، لكنه لمصلحته أو هوى في نفسه، أو ليرافق هوى لغيره يهمّ بغير ما أنزل الله فما الفرق بينهما؟

الجواب : الفرق بينهما أن الذي نصفه بأنه ظالم حكم لطلب العداوة على الحكم عليه، وإن لم يكن له فيه مصلحة، ولم ينظر إطلاقا إلى مصلحة المحكوم له، لكن أهم شيء عنده هو الجور والظلم بالنسبة لهذا الحكم عليه، أما الآخر فهو نظر لمصلحة المحكوم عليه، ولهذا لا يفرق في المحكوم عليه بأن يكون فلاناً أو فلاناً، لأنه إنما يريد مصلحة المحكوم له، أو يريد أن يجر إلى نفسه هو منفعة أو ما أشبه ذلك، فهذا هو الفرق بينهما.

* * *

حقيقة الكهانة

س ٢٢ : ما هي السـهانـة؟

الجواب : الكهانة، فعالة، مأخوذة من الكهن، وهو التخرص والتماس الحقيقة بأمور لا أساس لها، وكانت في الجاهلية صنعة لأقوام تتصل بهم الشياطين وتسترق السمع من السماء، وتحديثهم به، ثم يأخذون الكلمة التي نقلت إليهم من السماء بواسطة هؤلاء الشياطين، ويضيفون إليها ما يضيفون من القول الباطل، ثم يحدثون بها الناس، فإذا وقع شيء مطابقا لما قالوا، اغتر بهم الناس، واتخذوهم مرجعا في الحكم بينهم، وفي استنتاج ما يكون في المستقبل.

ولهذا نقول: الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.
والذي يأتي إلى الكاهن ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يأتي إلى الكاهن فيسألها، من غير أن يصدقه، فهذا محرم، وعقوبة فاعله ألا تقبل له صلاة أربعين يوماً. كما ثبت ذلك في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسألها لم تقبل له صلاة أربعين يوماً أو أربعين ليلة» (٢٦).

القسم الثاني: أن يأتي إلى الكاهن فيسألها ويصدقه بما أخبر به، فهذا كفر بالله؛ لأن صدقه في دعوى علم الغيب، وتصديق البشر في دعوى علم الغيب تكذيب لقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ﴾ [النمل: ٦٥]. وتکذيب خبر الله ورسوله كفر، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «من أتى كاهناً فيصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» (٢٧).

القسم الثالث: أن يأتي للكاهن فيسألها، ليبين حاله للناس وأن ما يفعله كهانة، وتمويه وتضليل، فهذا لا يأس به.

ودليل ذلك أن النبي ﷺ أتى ابن صياد فأضمر له النبي ﷺ شيئاً في نفسه، فسأله أي النبي ﷺ ماذا خبأ له، فقال: الدخ، يريد الدخان؛ فقال النبي ﷺ: «اخسأ، فلن تعدو قدرك» (٢٨).

(٢٦) رواه : مسلم ، كتاب : السلام ، باب : تحريم الكهانة وإثبات الكهان ، حديث (٢٢٣٠) ، وأحمد في مستنه (٣٨٠/٥) حديث (٢٣٢٧٠) ، والبيهقي في الكبير (١٣٨/٨) .

(٢٧) رواه : أبو داود ، كتاب : الطب ، باب : في الكاهن ، حديث (٣٩٠٤) بلفظ : «فقد برئ مما» ، والترمذى ، حديث (١٣٥) ، وابن ماجه ، حديث (٦٣٩) ، وأحمد في مستنه (٤٢٩/٢) حديث (٩٥٣٢) ، والحاكم في المستدرك (٤٩/١) حديث (١٥) وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما جميماً من حديث ابن سيرين ولم يخرجه .

(٢٨) رواه : البخارى ، كتاب : الجنائز ، باب : إذا أسلم الصي فمات هل يصلى عليه ، حديث (١٣٥٥) ، ومسلم ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : ذكر ابن صياد ، حديث (٢٩٣١) ، وأبو داود ، حديث (٤٣٢٩) ، والترمذى ، حديث (٢٢٤٩) ، وأحمد في مستنه (١٤٨/٢) حديث (٦٣٦٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٥/١٨٧ - ١٨٨) حديث (٦٧٨٥) .

هذه أحوال من يأتي إلى الكاهن، وهي ثلاثة:

أن يأتي فيسأله بدون أن يصدقه، وبدون أن يقصد امتحانه وبيان حاله، فهذا محرم، وعقوبة فاعله على ألا تقبل صلاته أربعين ليلة.

الثانية: أن يسأله فيصدقه، وهذا كفر بالله يجب على الإنسان أن يتوب منه، ويرجع إلى الله ، وإلا مات على الكفر.

الحالة الثالثة: أن يأتيه، فيسأله ليختنه، وبين حاله للناس، فهذا لا بأس

. به

* * *

حكم مرتدى الكهان

س ٣٣ : صبنا لر عرفنا أحوال الناس الذين يرتدون الشهادة والشهارات؟

الجواب: إن أحوالهم ثلاثة:

الأولى: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله دون أن يصدقه، ولا يقصد بذلك بيان حاله فهذا آثم، وعقوبته ألا تقبل له صلاة أربعين يوما.

والحال الثانية: أن يأتيه فيسأله فيصدقه، وهذا كافر لأنه مكذب لقول الله تعالى: ﴿فَقُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

الحال الثالثة: أن يأتي إليه فيسأله ليختنه، وبين حاله للناس ودجله وأفتراءه، وقلنا: إن هذا لا بأس به. ومن المعلوم أن الشيء الذي يكون مباحا إذا أفضى إلى محظوظ فإنه يكون محظورا، فلو قدر أنه في هذه الحالة الثالثة أتى إليه ليختنه وبين حاله فيكون ذلك سببا في اغترار الناس به، فإنه في هذه الحال لا يفعل ولا يأتي إليه ولو لهذا القصد الصحيح، لأن القاعدة أن ما أفضى إلى محظوظ فهو محظوظ.

* * *

التنجيم وحكمه

س ٣٤ : نريد أن نعرف التنجيم وحكمه؟

الجواب : التنجيم مأمور من النجم، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، بمعنى أن يربط المنجم ما يقع في الأرض أو ما سيقع فيها بالنجوم ؛ بحركاتها وظهورها وغروبها واقترانها وافتراقها وما أشبه ذلك، والتنجيم نوع من السحر وهو محرم، لأنه مبني على أوهام لا حقيقة لها، فلا علاقة لما يحدث في الأرض بما يحدث في السماء، ولهذا لما كان من عقيدة أهل الجاهلية أن الشمس والقمر لا يكسفان إلا موت أحد، أي موت عظيم ؛ فكشفت الشمس في عهد النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه ابنه إبراهيم ، فقال الناس كشفت الشمس موت إبراهيم ، فخطب النبي ﷺ حين صلى للكسوف ، وقال : «إن الشمس والقمر آيات من آيات الله ، لا ينكسفان موت أحد ، ولا حياته» ^(٢٩) فأبطل النبي ﷺ الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، وهو كذلك، وكما أنه - أي التنجيم - بهذا المعنى نوع من السحر، فهو أيضا سبب للأوهام والانفعالات النفسية التي ليس لها حقيقة ولا أصل، فيوقع الإنسان في أوهام وتشاؤمات متاهات لا نهاية لها.

هناك نوع آخر من التنجيم : وهو أن الإنسان يستدل بظهور النجوم على الأوقات، والأزمنة والفصول، فهذا لا يأس به ولا حرج فيه، مثل أن يقول إنه إذا دخل النجم الفلامي فإنه يكون قد دخل موسم الأمطار، أو قد دخل وقت نضوج الشمار أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يأس به ولا حرج فيه.

* * *

(٢٩) رواه : البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : الدعاء في المخسوف ، حدث (١٠٦١) ، ومسلم ، كتاب : الكسوف ، باب : ذكر الدباء بصلة الكسوف : الصلاة جامدة ، حدث (٩١٥) ، وأحمد في مستنه (٤٢٤٩) ، وابن حبان في صحيحه (٧/٦٧) حدث (٢٨٢٧) ، والبيهقي في الكبير (٣٤١/٣) حدث (٦١٦٤) ، والنمسائي في الكبير (١/٥٦٧) حدث (١٨٤٣) .

س ٣٥ : نفهم من ذلك أن هذا يكرر من باب استقراء السنن
الكونية؟

الجواب : نعم هذا كما تقول إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر،
وإذا غربت دخل وقت المغرب، وما أشبه ذلك.

* * *

علاقة التنجيم بالكهانة

س ٣٦ : هل هناك علاقة بين التنجيم والكهانة؟

الجواب : نعم، العلاقة بينهما هو أن الكل مبني على الوهم، والدلل،
وأكل أموال الناس بالباطل وإدخال الهموم والغموم عليهم وما أشبه ذلك.

* * *

أيهما أخطر

س ٣٧ : لكن أيهما أخطر على المسلمين؟

الجواب : هذا يبني على شيوع هذا الأمر بين الناس فقد يكون في بعض
البلاد لا أثر للتنجيم عندهم إطلاقاً، ولا يهتمون به، ولا يصدقون به، ولكن
الكهانة منتشرة عندهم فتكون أخطر. وقد يكون الأمر بالعكس لكن من حيث
واقع الكهانة والتنجيم، فإن الكهانة أخطر وأعظم.

* * *

حقيقة السحر

س ٣٨ : ذكرتم في حديثكم عن التنجيم أنه نوع من السحر فما
هو السحر؟

الجواب : السحر قال العلماء هو عبارة عن كل ما لطف وخفى سببه،
بحيث يكون له تأثير خفي لا يطلع عليه الناس. وهو بهذا المعنى يشمل التنجيم
والكهانة، بل إنه يشمل التأثير بالبيان والفصاحة، كما قال النبي ﷺ: «إن من

البيان لسحرا»^(٣٠) فكل شيء يكون له أثر لكنه ليس شيئاً معلوماً - أي ذلك المؤثر - فإنه نوع من السحر.

* * *

س ٣٩ : ما المقصود باللطافة في قوله السحر كل ما لطف وضفي سببه؟

الجواب: اللطافة معناها الشيء الخفي اللطيف، وضده الشيء الجليل الكبير البين، فمثلاً هذا الساحر يعمل عملاً يستجلب ود المسحور، حتى يتعلق به تعلقاً عظيماً، أو يستجلب نفرته منه، حتى يغضبه بغضاً عظيماً. مع أن هذا الذي سحر وحصلت له المحبة العظيمة أو النفرة العظيمة لا يعرف هذا الشيء ويختفي عليه سببه.

* * *

حكم السحر وتعلميه

س ٤٠ : ما حلم السحر وما حلمه تعلميه؟

الجواب: تعلم السحر محرم، بل هو كفر إن كانت وسيلة الاستعانة بالشياطين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَاهَىٰ الْشَّيْطَانُ عَنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الْشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِسَابِيلِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَخْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَنَّارَيْنِ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَصْرِئُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ أَشْرَكَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. فتعلّم هذا النوع من السحر، وهو الذي يكون بواسطة الاستعانة بالشياطين

(٣٠) رواه : البخاري ، كتاب : الطبع ، باب : إن من البيان سحرا ، حدیث (٥٧٦٧) ، وأبو داود ، حدیث (٥٠٠٧) ، والترمذی ، حدیث (٢٠٢٨) ، وأحمد في مسنده (٥٩/٢) حدیث (٥٢٣٢) ، ومالک في الموطأ (٩٨٦/٢) حدیث (١٧٨٣) ، وابن حبان (١١٢/١٣) حدیث (٥٧٩٥) .

كفر، واستعماله أيضاً كفر وظلم وعدوان على الخلق، ولهذا يقتل الساحر ؛ إما ردة، وإنما حدا، فإن كان سحره على وجه يكفر به، فإنه يقتل قتل ردة وكفر، وإن كان سحره لا يصل إلى درجة الكفر فإنه يقتل حدا، دفعاً لشره وأذاه عن المسلمين.

* * * هل السحر حقيقة؟

س ٤١: هل السحر حقيقة أم أنه تخيل أو تخيّلات على الناس؟

الجواب: السحر حقيقة ولا شك، وهو مؤثر حقيقة، لكن كونه يقلب الشيء أو يحرك الساكن، أو يسكن المتحرك، هذا خيال وليس حقيقة. وانظر إلى قول الله تبارك وتعالى في قصة السحرة في آل فرعون يقول الله : ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُوْهُمْ وَجَاءُوْ سِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

كيف سحروا أعين الناس؟ سحروا أعين الناس حتى صار الناس ينظرون إلى هذه الحال والعصي كأنها ثعابين تتشي، كما قال الله تعالى في سورة طه: ﴿فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا شَعْرٌ﴾ [طه: ٦٦]. فالسحر باعتبار تأثيره في قلب الأشياء، وتحريك الساكن، أو تسكين متحرك هذا ليس له أثر، لكن في كونه يسحر أو يؤثر على المسحور، حتى يرى الساكن متحركاً والمتحرك ساكناً، هذا أثره ظاهر جداً، إذا فله حقيقة، ولهذا يؤثر على بدن المسحور وعقله وحواسه، وربما يهلكه.

* * * علاقة الكهانة بالسحر

س ٤٢: تحدثتم عن السهرة وعرفتم التأهنت، وعرفتم أيضاً السحر. لكن هل هناك علاقة بين السهرة والسهر؟.

الجواب: إن الكاهن يؤثر في الناس بما يدخل به عليهم من الإخبارات عن

الأشياء المستقبلة، وكذلك الساحر يؤثر في عقول الناس وتفكيرهم وأبدانهم، حتى يتوهם المسحور أشياء ليس لها حقيقة.

* * *

هل سحر النبي ﷺ؟

س ٤٢: هاء عن رسول الله ﷺ أنه سحر، فنريد أن تتصدى لنا
عما سحر به النبي ﷺ؟ وأيضاً هل مصول السحر للنبي ﷺ ينافي
مقام النبوة؟.

الجواب: ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ أنه سحر (٣١)،
لكن هذا السحر لم يؤثر عليه من الناحية التشريعية، أو الوحي، إنما غاية ما
هناك، أنه وصل إلى درجة يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله في أهله،
وهذا السحر الذي وضع له، كان من يهودي يقال له «لييد بن الأعصم» وضعه
له، ولكن الله نجاه منه، حتى جاءه الوحي بذلك، وعوذ بالمعوذتين عليه الصلاة
والسلام «قل أعوذ برب الفلق»، و«قل أعوذ برب الناس».

ولا يؤثر هذا السحر على مقام النبوة، لأنه لم يؤثر في تصرف النبي ﷺ
فيما يتعلق بالوحي والعبادات كما أسلفنا. وقد أنكر بعض الناس أن النبي ﷺ
سحر، بحججة أن هذا القول يستلزم تصديق الكافرين، بل تصدق الظالمين الذين
قالوا ﴿إِنْ تَنْبِئُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]، ولكن لا شك أنه لا يستلزم
موافقة هؤلاء الظالمين بما وصفوا به النبي ﷺ؛ لأن أولئك يدعون أن الرسول ﷺ
مسحور بما يتكلم به من الوحي، وأن ما جاء به هذيان كهذيان المسحور، وأما

(٣١) رواه : البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجندوه ، حديث (٣٢٦٨) ، ومسلم ،
كتاب : السلام ، باب : السحر ، حديث (٢١٨٩) ، والنسائي في السنن الكبرى (٣٨٠/٤) ، حديث
(٧٦١٥) ، والإمام أحمد في مسنده (٩٦/٦) ، حديث (٢٤٩٤) ، وابن حبان في صحيحه (٥٤٧/١٤)
حديث (٦٥٨٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٥/٨) ، وأبي يعلى في مسنده (٢٩٠/٨)
حديث (٤٨٨٢) .

السحر الذي وقع للرسول عليه الصلاة والسلام فلم يؤثر عليه في شيء من الوحي، ولا في شيء من العبادات، ولا يجوز لنا أن نكذب بسوء فهمنا من نصوص.

* * *

حقيقة الإلحاد

س ٤٤: ما هو الإلحاد في أسماء الله وصفاته؟

الجواب: الإلحاد في الأصل - أي في اللغة العربية - هو الميل.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِنَّهُ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَفٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. ومنه اللحد في القبر، فإنه سمي لحد ميله إلى جانب منه. ولا يعرف الإلحاد إلا بمعرفة الاستقامة؛ لأنَّه كما قيل: بضدها تبين الأشياء، فالاستقامة في باب أسماء الله وصفاته: أنْ نجري هذه الأسماء والصفات على حقيقتها الظاهرة بالله ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل، كما مر علينا في القاعدة التي يمشي عليها أهل السنة والجماعة في هذا الباب، فإذا عرفناها الاستقامة في هذا الباب فإن خلاف الاستقامة هو الإلحاد، وقد ذكر أهل العلم للإلحاد في أسماء الله تعالى أنواعاً يجمعها أنَّ نقول: هو الميل بها عمما يجب اعتقاده فيها.

فالنوع الأول: أن ينكر شيء منها أو ما دلت عليه من الصفات، مثل أن ينكر اسم الرحمن من أسماء الله كما فعل أهل الجاهلية، أو ثبت الأسماء ولكن ينكر ما تضمنته من الصفات، كما يقول بعض المبتدعة: «إن الله تعالى رحيم بلا رحمة، وسميع بلا سمع، وبصير بلا بصر» وهكذا.

النوع الثاني: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، ووجه كونه إلحاداً أن أسماء الله تعالى توقيقية، فلا يحل لأحد أن يسمى الله تعالى باسم لم يسم به نفسه؛ لأنَّ هذا من القول على الله بلا علم، ومن العدوان على الله أيضاً، ومن

العدوان في حق الله . وذلك كما صنع الفلسفه فسموا الإله بالعلة الفاعلة، وكما صنع النصارى فسموا الله تعالى باسم الأب ونحو ذلك.

النوع الثالث: أن يعتقد أن هذه الأسماء دالة على أوصاف تماثل أو صفات المخلوقين، فيجعلها دالة على التمثيل. ووجه كونه إلحادا: أن من اعتقد بأن أسماء الله دالة على تمثيل الله بخلقه فقد جعل لكلام الله وكلام رسوله ﷺ دالا على الكفر ؛ لأن تمثيل الله بخلقه كفر ؛ لكونه تكذيبا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كُثُرَهُ شَفَعٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشوري: ١١]. ولقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّهَا﴾ [مريم: ٦٥]. قال نعيم بن حماد، والخزاعي - شيخ البخاري - رحمهم الله: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما سمي الله ووصف به نفسه تشبيه».

النوع الرابع: أن يشتق من أسماء الله تعالى أسماء للأصنام، كاشتقاق اللات من الإله، والعزي من العزيز، ومناة من المنان. ووجه كونه إلحادا أن أسماء الله خاصة به، فلا يجوز أن تنقل المعاني الدالة عليها . هذه الأسماء - إلى أحد من المخلوقين، ليعطى من العبادة ما لا يستحقه إلا الله ، هذه أنواع الإلحاد في أسماء الله .

* * *

أنواع الشرك

س ٤٥: إذا ننتقل من معرفة هذه الأنواع إلى معرفة أنواع الشرك؟

الجواب: سبق لنا أن التوحيد يتضمن إثباتا ونفيا، وأن الاقتصار فيه على النفي تعطيل، والاقتصار فيه على الإثبات لا يمنع المشاركة. فلهذا لا بد في التوحيد من نفي وإثبات، فمن لم يثبت الحق لله على هذا الوجه، فقد أشرك به. والشرك نوعان: شرك أكبر مخرج من الملة، وشرك دون ذلك.

فالشرك الأكبر : كل شرك أطلقه الشارع، وهو متضمن لخروج الإنسان من دينه مثل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ، كأن يصلى لغير الله أو يصوم لغير الله أو يذبح لغير الله، وكذلك من الشرك الأكبر أن يدعوا غير الله أو يصوم لغير الله أو يذبح لغير الله، وكذلك من الشرك الأكبر أن يدعوا غير الله مثل أن يدعوا صاحب القبر، أو يدعوا غائباً ليغطيه من أمر لا يقدر عليه إلا الله ، وأنواع الشرك معلومة فيما كتبه أهل العلم.

وأما النوع الثاني وهو الشرك الأصغر : وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق الشارع عليه وصف الشرك ولكنه لا يخرج من الملة، مثل الحلف بغير الله فإن النبي ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» ^(٣٢) فالحلف بغير الله الذي لا يعتقد أن لغير الله تعالى من العظمة ما يماثل عظمته، نقول أنه مشرك شركاً أصغر، سواء كان هذا الحلف به معظمها من البشر أم غير معظم، فلا يجوز الحلف بالنبي ﷺ ولا برئيس أو وزير، ولا يجوز الحلف بالكتبة، ولا يجوز الحلف بجبريل وميكائيل وما أشبه ذلك، لأن هذا شرك لكنه شرك أصغر، لا يخرج من الملة.

ومن أنواع الشرك الأصغر، الرياء اليسير، مثل أن يقوم الإنسان يصلى لله ، ولكنه يزين صلاته لأنه يعلم أن أحداً من الناس يراه، فيزين صلاته من أجل مرأة الناس، فهذا مشرك شركاً أصغر ؛ لأنه فعل العبادة لله لكن أدخل عليها هذا التزيين مرأة للخلق. وكذلك لو أنفق ماله في شيء يتقرب به إلى الله، لكنه أراد أن يمدحه الناس بذلك فإن هذا مشرك شركاً أصغر، وأنواع الشرك الأصغر أيضاً كثيرة معلومة في كتب أهل العلم.

(٣٢) أخرجه الترمذى ، كتاب : النذور والأيمان ، باب : ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، حدث (١٥٣٥) ، وأبو داود ، حدث (٣٢٥١) ، وابن حبان في صحيحه (٤٣٥٨) ، حدث (٢٠٠/١٠) ، والإمام أحمد في مسنده (٦٩/٢) حدث (٥٥٩٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٩/١٠) ، والحاكم في المستدرك (٣٣٠/٤) ، حدث (٧٨١٤) .

تعريف أنواع الشرك

س ٤٦: عرفنا أنواع الشرك لكن هل هناك تعریف محدد للشرك؟

الجواب: نعم، ذكرنا أن الشرك الأصغر هو كل ما أطلق عليه الشارع اسم الشرك، أو وصف الشرك، ولكنه لا يخرج من الملة، وأن الشرك الأكبر هو كل ما أطلق عليه الشارع اسم الشرك أو وصف الشرك وهو مخرج من الملة.

10

هل يسمى ترك العبادة شركا؟

بس ٤٧: ورد فيما رواه مسلم قوله ﷺ: «أَنْ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالشَّرِكِ
وَاللَّفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» (٢٢) هَلْ تَرَكَ الْعِبَادَةَ يَكْرُونَ شَرِكًا؟

الجواب: نعم هو شرك من حيث المعنى العام، لأن تارك الصلاة تهاونا إنما تركها لهواه، فقدم هواه على طاعة الله ، فكان مشركاً بهذا الاعتبار، كما قال الله: ﴿أَفَرَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُمْ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]. فكل من اتبع هواه مقدماً له على طاعة الله ، فإن فعله هذا نوع من الشرك، وإن كان الشرك بالمعنى الأخص لا يشمل الترك.

三

حقيقة دین الإسلام

س ۴۸: ما ہو دینِ اسلام؟

الحوادث: الإسلام بالمعنى العام: هو التعبد لله تعالى بما شرّعه من العبادات

(٣٣) رواه : مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، حديث (٨٢) وأبو داود ، حديث (٤٦٧٨) ، والترمذى ، حديث (٢٦٢٠) ، وقال : حديث حسن صحيح ، رواه ابن ماجه ، حديث (١٠٧٨) ، والنسائي في السنن الكبيرى (١٤٥/١) حديث (٣٣٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/١٦٧) ، حديث (٣٠٣٩٤) ، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/٢٥٥) ، حديث (٤١٢٦) .

التي جاءت بها رسالته، منذ أن تعبد الله تعالى عباده بشرعه عبادة إلى أن تقوم الساعة. فيشمل ما جاء به نوح عليه الصلاة والسلام من الهدى والحق، وما جاء به موسى، وما جاء به عيسى، ويشمل ما جاء به إبراهيم عليه الصلاة والسلام إمام الخفاء، كما ذكر الله تعالى ذلك في آيات كثيرة، تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله .

ولكنه بالمعنى الخاص : يختص بما بعث به النبي ﷺ، لأن ما بعث به النبي نسخ جميع الأديان السابقة، فصار من اتبعه مسلماً، ومن خالفه فليس مسلماً ؛ لأنه لم يستسلم لله، بل استسلم لهواه. فاليهود مسلمون في زمن موسى عليه الصلاة والسلام، وأما بعد أن بعث النبي ﷺ فكفروا به ليسوا مسلمين، ولهذا لا يجوز لأحد أن يعتقد أن دين اليهود والنصارى الذي يدينون به اليوم دين صحيح مقبول عند الله، مساوٍ لدین الإسلام، بل من اعتقاد ذلك فهو كافر خارج عن دین الإسلام، لأن الله يقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسُنَةُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ويقول : ﴿وَمَنْ يَبْتَغُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهذا الإسلام الذي أشار الله إليه هو الإسلام الذي امتن به على محمد ﷺ وأمته، لقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وهذا نص صريح في أن سوى هذه الأمة بعد أن بعث محمد ﷺ ليسوا على الإسلام، وعلى هذا فما يدينون الله به لا يقبل منهم، ولا ينفعهم يوم القيمة، ولا يحل لنا أن نعتبره ديناً قائماً قوياً، ولهذا يخطأ خطأً كبيراً من يصف اليهود والنصارى بأنهم إخوة لنا، أو يقول إن أديانهم اليوم قائمة، لما أسلفناه آنفاً.

وإذا قلنا : إن الإسلام هو التعبد لله بما شرع، شمل ذلك الاستسلام له ظاهراً وباطناً فيشمل الدين كله ؛ عقيدة وعملـاً وقولـاً.

إما إذا قرن الإسلام بالإيمان، فإن الإسلام يكون بمعنى الأعمال الظاهرة، من

نطق اللسان وعمل الجوارح، والإيمان الأعمال الباطنة، من العقيدة وأعمال القلوب. ويدل على هذا التفريق قوله تبارك وتعالى: ﴿قَاتَ الْأَغْرَابُ أَمَّا قُلَّ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]. قوله تعالى في قصة لوط: ﴿فَأَخْرَجَنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٩] فَـا وَجَدْنَا فِيهَا عَبَرَ بَيْتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦].

فإنه فرق هنا بين المؤمنين وبين المسلمين؛ لأن البيت الذي كان في القرية بيت إسلامي في ظاهره، إذ أنه يشمل امرأة لوط التي خانته وهي كافرة، وأما من أخرج منها ونجا فإنهم المؤمنون حقاً، الذين دخل الإيمان في قلوبهم. ويدل لذلك - أي للفرق بين الإيمان والإسلام عند اجتماعهما - حديث عمر بن الخطاب وفيه أن جبريل سأله عن الإسلام والإيمان فقال له النبي ﷺ : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحجج البيت» وقال في الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»^(٣٤) فالحاصل أن الإسلام عند الإطلاق يشمل الدين كله ويدخل فيه الإيمان، وأنه إذا قرن مع الإيمان فسر بالأعمال الظاهرة من أقوال اللسان وأعمال بالجوارح، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة من اعتقادات القلوب وأعمالها.

س ٤٩: أذن هل نفهم من ذلك أن لدينا تعريف للإسلام بالمعنى العام وتعريف له بالمعنى الخاص؟

الجواب: نعم لدينا تعريف للإسلام بالمعنى العام، وتعريف له بالمعنى الخاص، إذا اقترن بالإيمان، وهو ما جاء في حديث الرسول ﷺ وفي الآيتين اللتين ذكرتا آنفاً.

* * *

الطاغوت وأنواعه

س ٥٠ : أيضاً نريد أن نعرف ما هى الطاغوت وما هي استقاراتها؟
الجواب : الطاغوت مشتق من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَاطَقْنَا أَمَّةً حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحقة: ١١]. يعني لما زاد عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني في السفينة، وأحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم أنه أي الطاغوت: «كل ما تجاوز به العبد حدده، من معبد أو متبع أو مطاع».

فالأصنام التي تبعد من دون الله طواغيت، والعلماء - علماء السوء - الذين يدعون إلى الضلال من الطواغيت أيضاً، الذين يدعون إلى البدع، وإلى تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل، أو يزينون لولاة الأمور الخروج عن شريعة الإسلام بنظام يستوردونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي، لأن هؤلاء تجاوزوا حدتهم. فإن حد العالم أن يكون متبعاً لما جاء به النبي ﷺ، لأن العلماء حقيقة هم ورثة الأنبياء، يرثونهم في أمتهم علماً وعملاً وأخلاقاً ودعوة وتعليمًا، فإذا تجاوزوا هذا الحد، وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت، لأنهم تجاوزوا ما يجب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة.

وأما المطاع في قوله ﷺ «أو مطاع»، فيزيد بهم الأمراء الذين يطاعون شرعاً أو قدرًا، فالأمراء يطاعون شرعاً إذا أمروا بما لا يخالف أمر الله ورسوله، فهم بأمر لا يخالف أمر الله الواجب عليهم السمع والطاعة. وطاعتهم لولاة الأمور في هذه الحال، وبهذا القيد طاعة لله ، ولهذا ينبغي أن نلاحظ حين تنفذ ما أمرت به الدولة ما تجنب طاعتها فيه، أن نلاحظ أننا بذلك نتعد إلى الله تعالى ونتقرب إليه حتى يكون تتنفيذنا لهذا الأمر قربة إلى الله ، وإنما ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك لأن الله يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنَ الْمُنْذَرِ﴾ [النساء: ٥٩].

وأما طاعة الأمراء قدرًا فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء في سلطتهم، فإن الناس

يطيعونهم، بقوة السلطان، وإن لم يكن بواعز الإيمان، لأن طاعة ولی الأمر قد تكون بواعز الإيمان، وهذه هي الطاعة النافعة لهم أی لولاة الأمور، والنافعة للناس أيضاً، وقد تكون طاعة ولاة الأمور برادع السلطان، بحيث يكون السلطان قوياً يخشي الناس منه، ويهابونه، لأنه ينكل بمن يخالف أمره، ولهذا نقول إن الناس مع حاكمهم في هذه المسألة ينقسمون إلى أقسام.

فتارة: يقوى الوازع الإيماني والرادرع السلطاني، وهذه أكمل المراتب وأعلاها، وتارة: يضعف الوازع الإيماني والرادرع السلطاني، وهذه أدنى المراتب، وأخطرها على المجتمع ؛ على حكامه وعلى محاكمه، لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني والرادرع السلطاني، صارت الفوضى الفكرية والخلقية والعملية. وتارة: يقوى الوازع الإيماني ويضعف الرادرع السلطاني، وهذه مرتبة وسطى، ينظر فيها إليها أكمل مما إذا قوى الرادرع السلطاني وضعف الوازع الإيماني، فإنه في مظاهر إذا قوى الرادرع السلطاني، يكون أصلح للأمة، لكن الأمة إذا اختفت قوة الإيمان فلا تسأل عن حالها، وسوء عملها ؛ لأن الوازع الإيماني ضعيف، أما إذا قوى الوازع الإيماني وضعف السلطاني فقد يكون المظاهر أدنى من المظاهر في المرتبة السابقة، لكنه فيما بين الإنسان وبين ربه، إذا اختفى الرادرع السلطاني يكون أصلح.

على كل حال هذه مراتب أربع ؛ قوة الإيمان والسلطان، وضعف الإيمان والسلطان، وقوة الإيمان وضعف السلطان، وقوه السلطان وضعف الإيمان.

فالمهم أننا نقول: إنه ينبغي لنا عند تنفيذ أوامر السلطان أن نعتقد أننا بذلك نتقرب به إلى الله ، وإنما قال ابن القيم: «إن الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبع أو مطاع» لأن الأمير أو ولی الأمر الذي يُطاع قد يأمر بما يخالف أمر الله ورسوله، فإذا أمر بما يخالف أمر الله ورسوله، فإنه لا سمع له ولا طاعة، ولا يجوز لنا أن نطيعه في معصية الله ، لأن الله تعالى جعل طاعتكم تابعة لطاعة الله ورسوله كما يفهم من سياق الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطْبِعُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُوا

الرَّسُولُ وَأَوْلَى الْأُمَّةِ مِنْكُمْ ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩]. ولم يقل وأطيعوا أولي الأمر، فدل هذا على أن طاعتهم غير مستقلة، بل هي تابعة لطاعة الله ورسوله. وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الطاعة بالمعروف أو في المعروف، ^(٣٥) أي فيما أقره الشرع، وأما ما أنكره فلا يجوز أن يطاع فيه أي مخلوق، حتى لو كان الوالد أو الوالدة يأمران بمعصية الله فإنه لا يحل لك أن تطعهما؛ لأن طاعة الله مقدمة على كل طاعة، فإذا أطاع الإنسان أميره أو ولی أمره في معصية الله فقد تجاوز به حده».

* * *

عقيدة المسلمين في عيسى - عليه الصلاة والسلام -

س ٥١: نود أن تحدثنا عن عقيدة المسلمين في عيسى بن مريم؟ وما حلّم القول بقتله وصلبه؟

الجواب: عقيدة المسلمين في عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، أنه أحد الرسل الكرام، بل أحد الخمسة الذين هم أولو العزم، وهم محمد ﷺ وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، ذكرهم الله تعالى في موضعين من كتابه، فقال في سورة الأحزاب: **﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّاسِنَ مِثْقَلَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْقَلًا عَلَيْظَا﴾** [الأحزاب: ٧] وقال في سورة الشورى: **﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الَّذِينَ مَا وَصَّيَ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الَّذِينَ وَلَا نَنْفَرُوْ فِيهِ﴾** [الشورى: ١٣].

وأن عيسى عليه الصلاة والسلام بشر منبني آدم مخلوق من أم بلا أب، وأنه عبد الله ورسوله، فهو عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، وأنه ليس له من

(٣٥) رواه : البخاري ، كتاب : المغاري ، باب : سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة ، حديث (٤٣٤٠) ، ومسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريها ، حديث (١٨٤٠) ، وأبي داود ، حديث (٢٦٢٥) ، والنسائي ، حديث (٢٠٥) ، والإمام أحمد في مسنده (١) ، حديث (٦٢٢) ، وابن حبان في صحيحه (٤٢٩/١٠) ، حديث (٤٥٦٧) .

خصائص الربوبية شيء، بل هو كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

وأنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر قومه بأن يتخدوه وأمه إلهين من دون الله، وإنما قال لهم ما أمره الله به: ﴿إِنَّ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. وأنه أي عيسى عليه الصلاة والسلام خلق بكلمة الله ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إِادَمَ حَلْقَمَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُرَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وأنه ليس بينه وبين النبي ﷺ رسول، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَبْتَغِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِنَّكُمْ مُصَدِّقُ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمْهُ، أَخْمَدَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مِّنْ﴾ [الصف: ٦].

ولا يتم إيمان أحد حتى يؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله، وأنه مبراً ومنزه ما وصفه به اليهود، الذين قالوا أنه ابن بغي، وإنه نشاً من زنا والعياذ بالله، وقد برأها الله تعالى من ذلك، كما أنهم أي المسلمين يتبرؤون من طريق النصارى، الذين ضلوا في فهم الحقيقة بالنسبة إلى عيسى بن مریم، حيث اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وقال بعضهم: «إنه ابن الله» وقال بعضهم: «إن الله ثالث ثلاثة»، أما فيما يتعلق بقتله وصلبه، فإن الله قد نفى أن يكون قتل أو صلب نفياً صريحاً قاطعاً، فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَنْلَنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَنْلُوا وَمَا صَلَبُوهُ وَلَدُكُنْ شَيْءٌ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَقُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَنْلُوا يَقِينًا﴾ [١٥٧]  ١٥٨ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيَؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩].

فمن اعتقد أن عيسى بن مریم عليه الصلاة والسلام قتل وصلب فقد كذب القرآن، ومن كذب القرآن فقد كفر، فنحن نؤمن بأن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يقتل ولم يصلب، ولكننا نقول: إن اليهود باهروا بايثام القتل والصلب، حيث زعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مریم رسول الله وهم لم يقتلوا حقيقة، بل

قتلوا من شبه لهم، حيث ألقى الله شبهه على واحد منهم فقتلوه وصلبوه، وقالوا: إنا قتلنا المسيح بن مریم رسول الله، فاليهود باعوها بإثام القتل وإثام الصليب بإقرارهم على أنفسهم، والمسيح عيسى بن مریم برأ الله تعالى من ذلك وحفظه ورفعه عنده إلى السماء، وسوف ينزل في آخر الزمان إلى الأرض، فيحكم بشريعة النبي ﷺ، ثم يموت في الأرض، ويُدفن فيها، ويخرج منها كما يخرج سائر بني آدم، لقول الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا نُخْرِجُهُنَّ﴾ [الأعراف: ٢٥].

* * *

افتراق الأمة

س ٥٦: نريد أن نعرف إلى كم افترقت الأمة الإسلامية بعد نبأها محمد ﷺ؟

الجواب: أخبر النبي ﷺ فيما صح عنه: أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وهذه الفرق كلها في النار إلا واحدة، وهي من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهذه الفرق هي الفرقة الناجية، التي نجت في الدنيا من البدع، وتنجو في الآخرة من النار، وهي الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، التي لا تزال ظاهرة قائمة بأمر الله (٣٦).

وهذه الفرق الثلاث والسبعين، التي واحدة منها على الحق، والباقي على الباطل، حاول بعض الناس أن يعددها، وشَعَّ أهل البدع إلى خمس شعب، وجعل من كل شعبة فرعاً؟ ليصلوا إلى هذا الحد، وإلى هذا العدد الذي عينه

(٣٦) أخرجه ابن ماجه ، كتاب : الفتن ، باب : افتراق الأمم ، حدث (٣٩٩٢) ، وأحمد في مستنه (٣) ، حدث (١٤٥٠١) ، والطبراني في الكبير (٧٠/١٨) حدث (١٢٩) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٢٦٠/٧) وقال : رواه الطبراني ، وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف ، وقد حسن الترمذى له حدثنا ، وبقية رجاله ثقات .

النبي ﷺ، ورأى بعض الناس أن الأولى الكف عن التعداد، لأن هذه الفرق ليست وحدها التي ضلت بل قد ضل أناساً ضلاًّ أكثر مما كانت عليه من قبل، وحدثت بعد أن حضرت هذه الفرق باثنتين وسبعين فرقة، وقالوا: إن هذا العدد لا ينتهي ولا يمكن العلم بانتهاه إلا في آخر الوقت، في آخر الزمان عند قيام الساعة.

فال الأولى أن نحمل ما أجمله النبي ﷺ ونقول: هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ثم نقول: كل من خالف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو داخل في هذه الفرق، وقد يكون الرسول عليه الصلوة والسلام قد أشار إلى أصول لم نعلم منها الآن إلا ما يبلغ العشرة وقد يكون أشار إلى أصول تتضمن فروعاً، كما ذهب إليه بعض الناس فالعلم عند الله .

* * *

خصائص الفرقة الناجية

س ٥٣: زيد أنت نعرف خصائص الفرقة الناجية؟

الجواب: أبرز خصائص الفرقة الناجية هي التمسك بما كان عليه النبي عليه الصلوة والسلام في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملة، هذه الأمور الأربع تجدر الفرقة الناجية بارزة فيها:

ففي العقيدة: تجدها متمسكة بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من التوحيد الخالص في ربوبية الله وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

وفي العبادات: تجدر هذه الفرقة متميزة في تمسكها التام وتطبيقاتها لما كان عليه النبي عليه الصلوة والسلام في العبادات، في أجنسها، وصفاتها، وأقدارها، وأزمنتها، وأمكنتها، وأسبابها، فلا تجد عندهم ابتداعاً في دين الله، بل هم متأدبون غاية التأدب مع الله ورسوله، لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله ؛ في إدخال شيء من العبادات لم يأذن به الله .

تجدهم في الأخلاق: متميّزين عن غيرهم بحسن الأخلاق، بمحبة الخير لل المسلمين، بانشراح الصدر، بطلاقـة الوجه، بحسن المنطق، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق ومحاسنها.

وفي المعاملات تجدهم: يعاملون الناس بالصدق والبيان، والذين أشار إليهمـا النبي ﷺ في قوله: «البيـعـان بالخـيرـ ما لمـ يتـفـرقـاـ، فـإـنـ صـدـقاـ وـبـيـناـ، بـوـرـكـ لـهـماـ فيـ بـيـعـهـماـ، وـإـذـاـ كـذـبـاـ وـكـتـمـاـ، مـحـقـتـ بـرـكـةـ بـيـعـهـماـ»^(٣٧) فـهـذـهـ المـيـزـةـ وـالـعـلـامـةـ لأـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ، لـلـفـرـقـ النـاجـيـةـ، التـيـ كـانـتـ عـلـىـ ماـ كـانـ عـلـيـهـ النـبـيـ ﷺ

* * *

تأثير نقص بعض الخصائص

س ٥٤: لكن هل يلزم توافر أو تناول هذه الفضائل في الأمر الأربعـةـ وهيـ العـقـيدةـ، وـالـعـبـادـةـ، وـالـأـخـلـاقـ، وـالـمـعـاـلـمـاتـ، دونـ نـقـصـ؟ـ وهـلـ إـذـاـ نـقـصـ مـنـهـاـ شـيـءـ، يـضـرـ الإـنـسـانـ بـذـلـكـ مـنـ الـفـرـقـةـ النـاجـيـةـ؟ـ أمـ أنـ النـقـصـ لـاـ يـضـرـهـ مـنـ ذـلـكـ؟ـ

الجواب: النـقـصـ مـنـ هـذـهـ لـاـ يـخـرـجـ الإـنـسـانـ عـنـ كـوـنـهـ مـنـ الـفـرـقـةـ النـاجـيـةـ لـكـنـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ: ﴿وَلـكـلـ دـرـجـتـ مـنـاـ عـكـمـلـوـاـ﴾ [الأنـعـامـ: ١٣٢ـ]. رـبـاـ الإـخـلـالـ فـيـ جـانـبـ التـوـحـيدـ، أوـ جـانـبـ الـبـدـعـ، قدـ يـخـرـجـ الإـنـسـانـ عـنـ هـذـهـ الـفـرـقـةـ النـاجـيـةـ، وـكـذـلـكـ الإـخـلـالـ بـالـإـلـحـاصـ، أـمـاـ فـيـ مـسـأـلـةـ الـأـخـلـاقـ وـالـمـعـاـلـمـاتـ، فـالـإـخـلـالـ بـهـاـ لـاـ يـخـرـجـ الإـنـسـانـ مـنـ هـذـهـ الـفـرـقـةـ النـاجـيـةـ وـإـنـ كـانـ آثـمـاـ عـلـىـ إـخـلـالـهـ بـذـلـكـ.

* * *

(٣٧) رواه : البخاري ، كتاب : البيـعـ ، بـابـ : إـذـاـ بـيـئـ الـبـيـعـ وـلـمـ يـكـتـمـاـ وـنـصـحاـ ، حـدـيـثـ (٢٠٧٩ـ) ، وـمـسـلـمـ ، كـتـابـ : الـبـيـعـ ، بـابـ : الصـدـقـ فـيـ الـبـيـعـ وـالـبـيـانـ ، حـدـيـثـ (١٥٣٢ـ) ، وـالـترـمـذـيـ ، حـدـيـثـ (١٢٤٦ـ) ، وـأـحـمـدـ فـيـ مـسـنـدـهـ (٤٠٢/٣ـ) ، حـدـيـثـ (١٥٣٤٩ـ) ، وـالـدـارـمـيـ فـيـ سـنـتـهـ (٣٢٥/٢ـ) حـدـيـثـ (٢٥٤٧ـ).

س ٥٥ : هل هناك اضافة حول خصائص هذه الفرقة الناجية؟

الجواب : الحقيقة أنه ليس هناك من إضافة، لأن الأصول التي ذكرناها واضحة وكافية، لكن قد تحتاج إلى تفصيل في مسألة الأخلاق، فإن من أهم ما يكون من الأخلاق: اجتماع الكلمة، والاتفاق على الحق الذي أوصانا الله به في قوله: ﴿وَشَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الَّذِينَ مَا وَصَّنَ بِهِ، نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّنَنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وأخبر أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً أن محمداً ﷺ بريء منهم، فقال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْئاً لَّتَ سَتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. فاتفاق الكلمة واتلاف القلوب من أبرز خصائص الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، فهم - أعني الفرقة الناجية - إذا حصل خلاف ناشيء عن اجتهاد في الأمور الاجتهادية، لا يحمل بعضهم على بعض حقداً ولا عداوة ولا بغضاء، بل يعتقدون أنهم إخوة، حتى وإن حصل بينهم هذا الخلاف، حتى إن الواحد منهم ليصل إلى خلف الشخص، يعتقد المأمور أنه ليس على وضوء، ويعتقد الإمام أنه على وضوء، مثال ذلك أن الواحد منهم، يصل إلى خلف شخص أكل لحم إبل، وهذا الإمام يعتقد أنه لا ينقض الوضوء، والمأمور يعتقد أنه ينقض الوضوء، فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة، وإن كان هو لو صلاها بنفسه، لرأي أن صلاته غير صحيحة، كل هذا لأنهم يرون أن الخلاف الناشيء عن اجتهاد فيما يسوغ فيه الاجتهاد ليس في الحقيقة بخلاف، لأن كلاً من المختلفين قد تبع ما يجب عليهما اتباعه من الدليل الذي لا يجوز له العدول عنه، فهم يرون أن أخاهم إذا خالفتهم في عمل ما اتبعا للدليل، هو في الحقيقة قد وافقهم، لأنهم هم يدعون إلى اتباع الدليل أينما كان، فإذا خالفتهم موافقة للدليل عنده، فهو في الحقيقة قد وافقهم، لأنه تمشي على ما يدعون إليه، ويهدفون إليه، من تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولا يخفى على كثير من أهل العلم، ما حصل من الخلاف بين الصحابة في

مثل هذه الأمور، حتى في عهد نبيهم ﷺ ولم يعنف أحداً منهم، فإنه عليه الصلاة والسلام لما رجع من غزوة الأحزاب، وجاءه جبريل، وأشار إليه أن يخرج إلى بني قريظة الذين نقضوا العهد، ندب النبي ﷺ أصحابه فقال: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة»^(٣٨) فخرجو من المدينة إلى بني قريظة، وأرهقتهم صلاة العصر، فمنهم من أخر صلاة العصر حتى وصل إلى بني قريظة بعد خروج الوقت، ولم يصل إلا بعد غروب الشمس، لأن النبي ﷺ قال: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» ومنهم من صلى الصلاة لوقتها، وقال: إن الرسول ﷺ أراد منا المبادرة للخروج، ولم يرد منا أن نؤخر الصلاة عن وقتها، وهؤلاء هم المصيرون، لكن مع ذلك لم يعنف النبي ﷺ واحدة من الطائفتين. ولم يحمل كل واحد على الآخر عداوة أو بغضاء بسبب اختلافهم في فهم هذا النص.

لذلك أرى أن من الواجب على المسلمين الذين يتسبون إلى السنة، أن يكونوا أمة واحدة، وألا يحصل بينهم تحزب، هذا ينتمي إلى طائفة ما، والآخر ينتمي إلى طائفة أخرى، والثالث إلى طائفة ثالثة، وهكذا بحيث يتناحرون فيما بينهم بأسنة الألسن، ويتعادون ويتباغضون، من أجل اختلاف يسوع فيه الاجتهد، ولا حاجة إلى أن أنص على كل طائفة بعينها، ولكن العاقل يفهم ويتبيّن له الأمر، فأرى أنه يجب على أهل السنة والجماعة أن يتحدوا حتى وإن اختلفوا فيما يختلفون فيه مما تقتضيه النصوص حسب أفهمهم، فإن هذا أمر فيه سعة ولله الحمد، والمهم ائتلاف القلوب، واتحاد الكلمة، ولا ريب أن أعداء المسلمين يحبون من المسلمين أن يتفرقوا، سواء كانوا أعداء يصرحون بالعداوة، أو

(٣٨) رواه : البخاري ، كتاب : المغاري ، باب : مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ، حديث (٤١١٩) ، ومسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين ، حديث (١٧٧٠) ، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٣٢٠ - ٣٢١) حديث (١٤٦٢) ، وأبو عوانة في مسنده (٤/ ٢٦٤) حديث (٦٧٢٢) ، بلفظ : «الظهر» ، وكذلك البهقي في الكبير (١١٩/ ١٠) ، وأيضاً السائباني في الكبير (١/ ١٨٢) حديث (٢٠٩) .

أعداء يتظاهرون بالولاية للمسلمين أو للإسلام، وهم ليسوا كذلك، فالواجب أن نتميز بهذه الميزة وهي كوننا من الطائفة الناجية التي تتفق على كلمة واحدة.

* * *

التوسل الصحيح والتوسل الباطل

س ٥٦: نود أن نعرف التوسل الصحيح والتوسل الباطل؟

الجواب: التوسل: مصدر توسل يتولى ؛ إذا اتّخذ وسيلة توصله إلى مقصوده، فأصله: طلب الوصول إلى الغاية المقصودة، وينقسم إلى قسمين:

* **قسم صحيح:** وهو التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصولة للمطلوب.

* **قسم غير صحيح:** وهو التوسل بوسيلة لا توصل إلى المقصود.

فأما الأول - وهو التوسل بالوسيلة الموصولة إلى المقصود: فإنه أنواع:

منها: التوسل بأسماء الله وصفاته، سواءً كان ذلك على سبيل العموم أو على سبيل الخصوص، مثاله على سبيل العموم، ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود في دعاء **الله** عَزَّوَجَلَّ والغم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمْتَكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، ماضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمِيتَ بِهِ نَفْسِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْتَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عَنْدَكَ ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبِيعَ قَلْبِي...»^(٣٩) إلى آخره فهنا توسل بأسماء الله على سبيل العموم، وذلك في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمِيتَ بِهِ نَفْسِكَ**».**

أما الخصوص، فإن يتوسل باسم خاص، لحاجة خاصة، تناسب هذا الاسم، مثل ما جاء في حديث أبي بكر ، حيث طلب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ دعاء يدعوه

(٣٩) رواه : أحمد في مسنده (٣٩١/١) حديث (٣٧١٢) ، وابن حبان في صحيحه (٢٥٣/٣) حديث (٩٧٢) ، والحاكم في المستدرك (٦٩٠/١) حديث (١٨٧٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، وأورده الهيثمي في موارد الظمآن (٥٨٩/١) حديث (٢٣٧٢) ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٠/٦) حديث (٢٩٣١٨) ، وأبو يعلى في مسنده (١٩٨/٩ - ١٩٩) حديث (٥٢٩٧) .

به في صلاته، فقال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم» (٤٠)، فطلب المغفرة والرحمة، وتسل إلى الله تعالى باسمين من أسمائه مناسبين للمطلوب، فقال: «إنك أنت الغفور الرحيم» وهذا النوع من التسل، داخل في قوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ الْأَسْمَاءُ الْمُحَسَّنَةُ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. فإن الدعاء هنا يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

أما التسل إلى الله تعالى بصفاته، فهو أيضا كالتوسل بأسمائه، يكون عاماً وخاصاً، أما العام فأن تقول: اللهم إني أأسلك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا، ثم تذكر مطلوبك، وأما الخاص فأن تتسل إلى الله تعالى بصفة معينة خاصة لمطلوب خاص، مثل ما جاء في الحديث: «اللهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَهْبِطْ لِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوْفِنِي مَا عَلِمْتَ الْوَفَاءَ خَيْرًا لِي» (٤١) فهنا تسل إلى الله تعالى بصفة العلم والقدرة «بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ»... هذا نوع.

النوع الثاني: أن يتسل - أي الإنسان - إلى الله ، بالإيمان به وبرسوله ﷺ يقول: «اللهُمَّ إِنِّي آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، فَاغْفِرْ لِي، أَوْ فَوْقَنِي» أو يقول: «اللهُمَّ يَا إِيمَانِي بِكَ وَبِرَسُولِكَ أَسْأَلُكَ كَذَا وَكَذَا» ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِرَةِ لِيلٍ وَنَهَارٍ لَّا يَنْتَ لَأُولَئِكَ لَأَلْبَثَنِ ﴾[١٩٦] الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ رَيْفَكُرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(٤٠) رواه : البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء في الصلاة ، حديث (٦٣٢٦) ، ومسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : استجواب خفض الصوت بالذكر ، حديث (٢٧٥٠) ، والترمذى ، حديث (٣٥٣١) ، والنمسائى ، حديث (١٣٠٢) ، وابن ماجه ، حديث (٣٨٣٥) ، وأحمد في مسنده (٣/١) حديث (٨) .

(٤١) رواه ، النسائي ، كتاب : السهر ، باب : نوع آخر ، حديث (١٣٠٥) ، وأحمد في مسنده (٤/٢٦٤) ، وابن حبان في صحيحه (٥/٣٠٤ - ٣٠٥) حديث (١٩٧١) ، والحاكم في المستدرك (١/٧٥٠) حديث (١٩٢٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والنمسائى في الكبرى (١/٣٨٧) حديث (١٢٢٨) .

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَنِطِلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ أَنَارٍ ﴿١٤١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلطَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٤٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنَّ إِيمَانَنَا يُرَيْكُمْ فَعَامَنَا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتَنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٤٣﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٠]. فتوسلوا إلى الله تعالى بالإيمان به، أن يغفر لهم الذنوب، ويُكفر عنهم السيئات، ويتوفاهم مع الأبرار.

النوع الثالث: أن يتتوسل إلى الله بالعمل الصالح، ومنه قصة النفر الثلاثة الذي آتوا إلى غار ليبيتوا فيه، فانطبق عليهم الغار، انطبق عليهم بصخرة لا يستطيعون زجرحتها، فتوسل كل منهم إلى الله بعمل صالح فعله ؛ أحدهم توسل إلى الله تعالى ببره لوالديه، والثاني بعفته التامة، والثالث بوفائه لأجيره، قال كل منهم اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة ^(٤٢) ، فهذا توسل إلى الله بالعمل الصالح.

النوع الرابع: أن يتتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله يعني أن الداعي يتتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله وما هو عليه من الحاجة، ومنه قول موسى عليه الصلاة والسلام: «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَرِيرٌ» ^(٤٣) [القصص: ٢٤]. فهو بذلك يتتوسل إلى الله بذكر حاله أن ينزل إليه الخير، ويقرب من ذلك قول زكريا عليه الصلاة والسلام: «رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظُمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ يُدْعَى إِلَيْكَ رَبِّ شَفِيًّا» ^(٤٤) [مريم: ٤].

فهذه أنواع من التوسل كلها جائزة، لأنها أسباب صالحة لحصول المقصود بالتتوسل بها.

* * *

(٤٢) رواه : البخاري ، كتاب : الإجارة ، باب : من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره ، حديث (٢٢٧٢) ، ومسلم ، كتاب : الذكر والدغاء ، باب : قصة أصحاب الغار الثلاثة ، حديث (٢٧٤٣) ، وأحمد في مسنده (١١٦) حديث (٥٩٧٣) ، وابن حبان في صحيحه (١٧٨/٣) حديث (٨٩٧) .

نوع خامس من التوسل

س ٥٧ : هناك أنواع أخرى من التوسل غير أنواع التوسل الأربع التي ذكرت موسماها؟

الجواب : نعم، هناك توسل زائد عن الأربعة السابقة، وهو التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته، فإن الصحابة كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعوا الله لهم بداعء عام وبداعء خاص، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ، أن رجلا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل فادع الله يعيينا، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللهم أغثنا» ثلاث مرات، فما نزل ﷺ من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته، وبقي المطر أسبوعا كاملا، وفي الجمعة الأخرى، جاء ذلك الرجل أو غيره، والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله، غرق المال، وتهدم البناء، فادع الله تعالى أن يمسكها عنا، فرفع النبي ﷺ يده وقال: «اللهم حوالينا لا علينا» ^(٤٣) مما يشير إلى ناحية من السماء إلا انفرجت، حتى خرج الناس يمشون في الشمس.

وهناك عدة وقائع سأله الصحابة النبي ﷺ أن يدعوا الله لهم على وجه الخصوص، ومن ذلك: أن النبي ﷺ لما ذكر أن في أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتون، ولا يتظرون، وعلى ربهم يتوكلون. قال عكاشة بن محسن: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم» ^(٤٤). فهذا أيضاً من التوسل الجائز ؛ أن يطلب الإنسان من شخص أن يدعوا الله تعالى له، إذا كان هذا الشخص مرجو

(٤٣) سبق تخريرجه برقم (١٢).

(٤٤) رواه : البخاري ، كتاب : الرافق ، باب : يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، حديث (٦٥٤١) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طائف من المسلمين الجنة بغير حساب ، حديث (٢١٨) ، وأحمد في مسنده (٤٣٦/٤) ، وابن حبان في صحيحه (٤٤٨/٣) حديث (٦٠٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه .

الإجابة، إلا أن الذي ينبغي على هذا السائل الذي سأله الشخص الذي يدعو له أن يرید بذلك منفعة نفسه ومنفعة أخيه الذي طلب منه الدعاء، حتى لا يتمحض السؤال لنفسه خاصة، لأنك إذا أردت نفع أخيك ونفع نفسك، صار في هذا إحسان له، فإن الإنسان إذا دعاء لأخيه بظاهر الغيب، قال الملك: آمين ولك بمثله^(٤٥)، وكذلك إذا دعا له أخوه، فإنه يكون من المحسنين بهذا الدعاء، والله يحب المحسنين.

* * *

التوسل الباطل وأقسامه

س ٥٨: بعد أن عرفنا التوسل الصحيح وأقسامه، طا به لنا من معرفة التوسل الباطل، وهل له أقسام أيضا؟

الجواب: التوسل الباطل أن يتولى الإنسان إلى الله تعالى بما لم يكن وسيلة، أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة، لأن التوسل بمثل ذلك اللغو والباطل الخالف للعقل والمنقول، ومن ذلك أن يتولى الإنسان إلى الله بدعاة ميت، يطلب من هذا الميت أن يدعوه الله له، فإن هذا ليس وسيلة شرعية صحيحة، بل هو سفه من الإنسان أن يطلب من هذا الميت أن يدعوه الله له، لأن الميت إذا مات انقطع عمله^(٤٦)، ولا يمكن أن يدعوه لأحد، حتى النبي ﷺ لا يمكن أن يدعوه لأحد بعد موته عليه الصلوة والسلام، ولهذا لم يتول الصحابة إلى الله بطلب الدعاء من رسوله ﷺ بعد موته، فإن الناس لما أصابهم الجدب في عهد عمر قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتُسقِّنَا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقِنَا

(٤٥) رواه : مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : فضل الدعاء للMuslimين بظاهر الغيب ، حديث (٢٧٣٢) ، وأبو داود ، حديث (١٥٣٤) ، وابن ماجه ، حديث (٢٨٩٥) ، وأحمد في مسنده (١٩٥/٥) ، حديث (٢١٧٥٥) ، والبيهقي في الكبير (٣٥٣/٣) حديث (٦٢٢٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٦) حديث (٢٩١٥٨) .

(٤٦) يشير إلى الحديث الذي رواه : مسلم ، كتاب : الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، حديث (١٦٣١) ، وأبو داود ، حديث (٢٨٨٠) ، والترمذى ، حديث (١٣٧٦) ، والنمسائى ، حديث (٣٦٥١) ، وأحمد في مسنده (٣٧٢/٢) حديث (٨٨٣١) .

فقام العباس فدعا الله ^(٤٧) ، ولو كان طلب الدعاء من الميت ساعغاً ووسيلة صحيحة، لكان عمر ومن معه من الصحابة يطلبون ذلك من رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن إجابة دعائهما أقرب من إجابة دعاء العباس بن عبد المطلب .

فالهم أن التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من الميت، توسل باطل لا يحل ولا يجوز، ومن التوسل الذي ليس بصحيح أن يتوسل الإنسان بجاه النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا، وذلك أن جاه الرسول عليه الصلاة والسلام ليس مفيداً بالنسبة إليك، لأنه لا يفيد إلا الرسول عليه الصلاة والسلام، أما بالنسبة لك فليس بمفيد لك حتى تتوسل إلى الله تعالى به، والتتوسل كما قلنا اتخاذ الوسيلة الصالحة التي تثمر، فما فائدتك أنت من كون الرسول عليه الصلاة والسلام له جاه عند الله؟ وإذا أردت أن تتوسل إلى الله على وجه صحيح، فقل: اللهم إني أسألك بإيماني برسولك، أو الحبة لرسولك أو ما أشبه ذلك، فإن هذا من الوسيلة الصحيحة النافعة .

* * *

الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية

س ٥٩: زير أنت نعرف الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية؟
الجواب: الشفاعة مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، وهو جعل الوتر شفعاً، مثل أن تجد الواحد اثنين، والثلاثة أربعة وما أشبه ذلك، هذا من حيث اشتقاها في اللغة .

أما معناها فهي التوسط للغير بجلب منفعة أو جلب مضره، يعني أن يقوم الشافع بين المشفوع إليه والمشفوع له واسطة، ليجلب منفعة إلى المشفوع له، أو

(٤٧) رواه : البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : سؤال الناس الإمام الاستنسقاء إذا قحطوا ، حديث (١٠١٠) ، وأبن حبان في صحيحه (٧/١١٠ - ١١١) حديث (٢٨٦١) ، والبيهقي في الكبرى (٣/٣٥٢) حديث (٦٢٢٠) .

يدفع عنه مضره.

والشفاعة نوعان: شفاعة مثبتة وصحيحة، وشفاعة باطلة لا تنفع أصحابها.

أما الشفاعة المثبتة الصحيحة: فهي التي أثبتها الله تعالى في كتابه، وأثبتها رسوله ﷺ، ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص، لأن أبا هريرة قال: يا رسول الله من أسعده الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه» .

وهي الشفاعة لها ثلاثة شروط:

الشرط الأول: رضى الله عن الشافع.

الشرط الثاني: رضى الله عن المشفوع له.

الشرط الثالث: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع.

وهذه الشروط مجموعه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ مَلِكٌ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضِيَّ﴾ [الجم: ٢٦]. ومفصلة في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾ [الأنياء: ٢٨]. فلا بد من هذه الشروط الثلاثة، حتى تتحقق الشفاعة.

وبناء على ذلك نعرف النوع الثاني، وهي الشفاعة الباطلة التي لا تنفع أصحابها، وهي ما يدعوه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله ، فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم، لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله ، والله لا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، فتعلق المشركون بالآلهتهم التي يعبدونها ويقولون لهؤلاء شفاعونا عند الله، تعلق باطل غير نافع، بل هذا لا يزيدهم من الله إلا بعدا.

ثم إن الشفاعة الثابتة النافعة، ذكر العلماء رحمهم الله أنها تنقسم إلى قسمين: عامة و خاصة.

ومعنى العموم: أن الله يأذن لمن شاء من عباده الصالحين، أن يشفعوا لمن أذن لهم بالشفاعة فيهم.

والخاصة: التي تختص بالنبي ﷺ.

وأعظمها: الشفاعة العظمى، التي تقوم يوم القيمة، حين يلتحق الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيطلبون من يشفع لهم إلى الله أن يريحهم من هذا الموقف العظيم، فيذهبون إلى آدم، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، وكلهم لا يشفع، حتى تنتهي إلى النبي ﷺ، فيقوم ويشفع عند الله أن يخلص عباده من هذا الموقف العظيم، فيجيب الله دعاءه ويقبل شفاعته، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به في قوله: ﴿وَمِنَ الْأَئِلَّ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩].

ومن الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فإن أهل الجنة إذا عبروا الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فتمحص قلوبهم بعضهم من بعض، حتى يذهبوا وينقوا، ثم يأذن لهم في دخول الجنة، ولكن لا يدخلونها إلا بعد شفاعة النبي ﷺ إلى الله أن يدخلوا الجنة، فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ وأما الشفاعة العامة له ولغيره من عباد الله الصالحين، فهي أن يشفع في أهل النار من المؤمنين أي من عصاة المؤمنين، الذين لا يستحقون الخلود في النار، يشفع فيهم أن يخرجوا من النار، وهذه الشفاعة ثابتة له ولغيره من النبيين والشهداء والصالحين. والله أعلم.

عقيدة أهل السلف في القرآن الكريم

س ٦٠: نورد أنك نعرف عقيدة أهل السلف في القرآن الكريم؟

الجواب: عقيدة أهل السلف في القرآن الكريم، كعقيدتهم فيسائر صفات الله تعالى وأسمائه، وهي عقيدة مبنية على ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكلنا نعلم أن الله وصف القرآن الكريم بأنه كلامه، وأنه منزل من عنده، فقال جل وعلا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ أَسْتَجَارَكَ فَاجْرُهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَا مَأْتَهُ﴾ [التوبه: ٦]، والمراد بلا ريب بكلام الله هنا: القرآن الكريم، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَفْصُلُ عَلَىٰ بَيْنِ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]. فالقرآن كلام الله لفظاً ومعنى، تكلم به حقيقة، وألقاه إلى جبريل الأمين ثم نزل به جبريل على قلب النبي ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، ويعتقد السلف أن القرآن منزل، نزله الله على محمد ﷺ منجماً في ثلاثة وعشرين سنة، حسب ما تقتضيه حكمه الله.

ثم إن نزوله يكون ابتدائياً ويكون سبيلاً، يعني أن بعضه ينزل بسبب معين اقتضى نزوله، وبعضه ينزل بغير سبب، وبعضه ينزل في حكاية حال مضت للنبي ﷺ وأصحابه، وبعضه ينزل في أحكام شرعية ابتدائية، على حسب ما ذكره أهل العلم في هذا الباب، ثم إن السلف يقولون: إن القرآن من عند الله ابتداء، وإليه يعود في آخر الزمان، هذا هو قول السلف في القرآن الكريم.

ولا يخفى علينا جميعاً أن الله تعالى وصف القرآن الكريم بأوصاف عظيمة؛ وصفه بأنه حكيم، وبأنه كريم، وبأنه عظيم، وبأنه مجيد، وهذه الأوصاف التي وصف الله بها كلامه، تكون لمن تمسك بهذا الكتاب، وعمل به ظاهراً وباطناً، فإن الله تعالى يجعل له من المجد، والعظمة، والحكمة، والعزة، والسلطان، ما لا يكون لمن لم يتمسك بكتاب الله، ولهذا أدعوا جميع المسلمين، حكام ومحكومين، علماء وعامة، أدعوه إلى التمسك بكتاب الله ظاهراً وباطناً، حتى تكون لهم العزة، والسعادة، والمجد، والظهور في مشارق الأرض ومغاربها.

أبرز أحكام التلاوة

س ٦١: نود أن نعرف أبرز أحكام التلاوة؟

الجواب: الذي ينبغي ل التالي القرآن، أن يكون على طهر من الحديثين الأصغر والأكبر، ولا يجوز له أن يقرأ عليه حدث أكبر، فالجنب مثلا لا يقرأ القرآن حتى يغتسل، لأن السنة وردت بالمنع منه في حال الجنابة، أما الحائض فقد اختلف أهل العلم هل يجوز لها أن تقرأ القرآن، اختلوا في ذلك على قولين: فمنهم من قال: إنه يجوز أن تقرأ القرآن، لأنه ليس في معها من القرآن سنة صحيحة صريحة، والأصل براءة الذمة وعدم الإلزام، كما أن الأصل أيضا عدم منع، ويرى بعض أهل العلم أنه لا يجوز لها أن تقرأ القرآن وهي حائض، لأنها من يلزمها الغسل، فهي كالجنب، ولأنه روى عن النبي ﷺ في ذلك أحاديث تدل على المنع.

والذي أرى في هذه المسألة: أنها لا تقرأ القرآن إذا كان غرضها بذلك مجرد التلاوة، أما إذا كانت تريد أن تقرأ القرآن حاجة، تخشى نسيانه مثلا، أو تقرئه أبناءها أو بناتها أو الطالبات إن كانت مدرسة، أو تكون طالبة تريد أن تقرأ لإسماع المدرسة، فإن هذا لا بأس به للحاجة، وكذلك لا بأس أن تقرأ الآيات التي تكون وردا؛ كآية الكرسي، لأن هذا حاجة، فيكون القول الذي أراه أقرب إلى الصواب مبنيا على حاجة المرأة الحائض، إن احتجت للتلاوة فلها أن تقرأ القرآن، وإن لم تتحرج فلا تقرأ القرآن.

كذلك ينبغي لقارئ القرآن، أن يكون مستحضرًا في قلبه ما تدل عليه كلمات القرآن العظيم من المعاني الجليلة، سواءً كانت هذه الآيات تتضمن الأخبار أو القصص أو الأحكام، لأن الله أنزل القرآن لهذه الحكمة ﴿وَكَتَبَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّنْ بَرْوَأً مَا يَتَبَرَّأُونَ وَلَيَتَذَكَّرُ أَفُلُوا الْأَلْبَيْ﴾ [ص: ٢٩].

والإنسان يجد الفرق العظيم إذا تلا القرآن وقلبه غافل، وإذا تلا القرآن وقلبه حاضر يتدارك ما يقول، يجد الفرق العظيم بين هذه الحال والحال الأخرى، ويجد

أنه ينتفع أكثر إذا قرأ القرآن بتدبر وتفكير، فإن ذلك يؤثر في قلبه قوة الإيمان والتصديق، وقوة الانقياد والإذعان للأحكام التي يتضمنها كتاب الله .

وأما ما ينبغي أن تكون التلاوة عليه ؟ فينبغي أن تكون التلاوة تلاوة هادئة، ليس فيها سرعة تسقط بعض الحروف أو تخفي بها الكلمات، بل يقرأ القرآن بتمهل وترسل، ولا بأس بالعجلة أحياناً، بشرط ألا يسقط الحروف أو شيئاً منها، أو يدغم ما لا يجوز إدغامه أو ما شابه ذلك.

* نور أيضاً في بقية حديثنا عن أصول الدين أن نعرف حكم التلاوة لروح الميت؟

الجواب : التلاوة لروح الميت، يعني أن يقرأ القارئ القرآن وهو يريد أن يكون ثوابه لميت من المسلمين، فقد اختلف العلماء في هذه المسألة، فمنهم من يرى أن ذلك غير مشروع، وأن الميت لا ينتفع به، أي لا ينتفع بالقرآن في هذه الحال، ومنهم من يرى أنه ينتفع بذلك، وأنه يجوز أن يقرأ القرآن بنية أنه لفلان أو لفلانة من المسلمين، سواء كان قريباً له أم غير قريب له، وهذا هو الأرجح، لأنه ورد في جنس العبادات جواز صرفها للميت، كما في حديث سعد بن عبادة ، حين تصدق بمحرافه أي بيستانه لأمه^(٤٨) . وكما في قصة الرجل الذي قال للنبي عليه الصلاة والسلام: إن أمي اقتلت نفسها، وأظنها لو تكلمت لتصدقت؛ فأفتأصدق عنها؟ قال: «نعم»^(٤٩) .

وهذه قضايا أعيان، تدل أن صرف جنس العبادات لأحد من المسلمين جائز، وهو كذلك، ولكن أفضل من هذا ؛ أن يدعوا للميت، وأن يجعل الأعمال

(٤٨) رواه : البخاري ، كتاب : الوصايا ، باب : إذا قال أرضي أو بيستاني صدقة لله عن أمي ، حديث (٢٧٥٦) ، وأحمد في مسنده (١/٣٧٠٨) حديث (٣٥٠٨) ، عبد الرزاق في مصنفه (٥٨/٣) .

(٤٩) رواه : البخاري ، كتاب : الوصايا ، باب : ما يستحب لمن توفى فجاءه أن يتصدقوا ، حديث (٢٧٦٠) ، ومسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه ، حديث (١٠٠٤) ، أبو داود ، حديث (٢٨٨١) بلفظ : «المرأة» ، والنمسائي ، حديث (٣٦٤٩) ، وابن ماجه ، حديث (٢٧١٧) .

الصالحة لنفسه، لأن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (٤٠) ولم يقل: أو ولد صالح يتلو له، أو يصلي له، أو يصوم له، أو يتصدق عنه، بل قال: «أو ولد صالح يدعو له»، والسياق في سياق العمل؛ فدل ذلك على أن الأفضل أن يدعوا الإنسان للميت، لا يجعل له شيئاً من الأعمال الصالحة، والإنسان محتاج إلى العمل الصالح، أن يجد ثوابه مدخراً له عند الله.

أما ما يفعل بعض الناس من التلاوة للميت بعد موته بأجرة، مثل أن يحضر قارئاً يقرأ القرآن بأجرة، ليكون ثوابه للميت، فإن هذا بدعة، ولا يصل إلى الميت ثوابه، لأن هذا القارئ إنما قرأ من أجل الدنيا، ومن أتى بعبادة من أجل الدنيا، فإنه لا حظ له منها في الآخرة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَزَّيْنَاهُ نُوقَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنَّكُارُ وَحَكِيرَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَيَنْطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

ولاني بهذه المناسبة، أوجه نصيحة إلى إخواني الذين يعتادون مثل هذا العمل، أن يحفظوا أموالهم لأنفسهم، أو لورثة الميت، وأن يعلموا أن هذا العمل بدعة في ذاته، وأن الميت لا يصل إليه ثوابه، لأن القارئ الذي ليس له نية في قراءته إلا أخذ الأجرة، ليس له ثواب عند الله، وحينئذ يكون أخذ الأموال ولم ينتفع الميت بذلك.

* * *

قراءة الفاتحة لروح النبي ﷺ

س ٦٦ : بالنسبة للذين يوصون أن تقرأ الفاتحة لروح النبي ﷺ أو له عند قبر النبي ﷺ؟

الجواب : هذه الوصية لا يلزم تنفيذها، لأنها وصية بأمر غير مشروع، فالنبي ﷺ لا يشرع لأحد أن يعبد الله ثم يجعل ثواب العبادة للرسول ﷺ، لأن هذا لو كان مشروعًا، لكان أسبق الناس إليه الصحابة، ولأن النبي ﷺ لا يحتاج مثل هذا، فإنه ما من إنسان يعمل عملاً صالحاً، إلا كان للنبي ﷺ مثل أجره، لأنه هو الذي دل عليه، والدال على الخير كفاعله^(٥١) فهذا يكون من العيّث، ومن البدعة التي لم ترد عن السلف الصالح رضي الله عنهم. وكذلك لو قال: تقرأ الفاتحة على قبر النبي ﷺ لي، فإنه لا يلزم الوفاء بهذه الوصية، لأن تخصيص مكان بعبادة معينة لم يرد بها الشرع من البدع كما هو معلوم في البحث عند ذكر المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، وأنه لا تتحقق المتابعة حتى توافق العبادة الشرعية في أمور ستة:

في: سببها، وفي: جنسها، وفي: قدرها، وكيفيتها، وزمانها، ومكانتها.

* * *

(٥١) رواه مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : فضل إعانة الغاري في سبيل الله بمركوب وغيره ، حديث (١٨٩٣) ، والترمذى ، حديث (٢٦٧٠) ، وأبو داود ، حديث (٥١٢٩) ، وأحمد في مسنده (٥/٢٧٢) ، حديث (٢٢٣٩٣) ، وابن حبان في صحيحه (٤/٥٥٤) حديث (١٦٦٨) .

نواقض الوضوء

س ٦٣ : ما هي نواقض الوضوء؟

الجواب : نواقض الوضوء: مفسداته ومبطلاته.

ونذكر منها: الغائط، والبول، والريح، والنوم، وأكل لحم الجزر؛

فأما الغائط والبول والنوم : فقد دلّ عليه حديث صفوان بن عمال ،

قال: أمرنا رسول الله ﷺ: «أن لا ننزع خفافنا إذا كنا سفراً ثلاثة أيام وليليهن إلا من جنابة، ولكن من غائط وبول ونوم» ^(٥٢) وهذا تؤيده الآية الكريمة في الغائط حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنْتُمْ مَرْهُقٌ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَابِطِ أَوْ لَمْسِئْ الْمَسَاءَ فَلَمْ يَحْدُوا مَاءَ فَتَبَيَّمُوا صَعِيدًا طَبَّا فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ﴾ [النساء: ٤٣].

وأما الريح : فلما جاء في حديث عبد الله بن زيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، فيمن أشكل عليه أخرج منه شيء أم لا ، قال النبي ﷺ: «لا ينصرف أو لا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحًا» ^(٥٣) وهذا دليل على أن الريح ناقض الوضوء، فهذه أربعة أشياء: البول، والغائط، والريح، والنوم.

ولكن النوم لا ينقض الوضوء إلا إذا كان عميقاً، بحيث يستغرق النائم فيه، فلا يعلم عن نفسه لو خرج منه شيء، لأن النوم مظنة الحدث، وليس حدثاً في نفسه، فإذا نعش الإنسان في صلاته أو خارج صلاته، ولكنه يعني نفسه لو أحدث لأحسن بذلك، فإنه لا ينتقض وضوءه ولو طال نعشه، ولو كان متكتئاً، أو

(٥٢) رواه : الترمذى ، كتاب : الطهارة ، باب : المسح على الخفين للمسافر والمقيم ، حديث (٩٦) ، وابن ماجه ، حديث (٤٧٨) ، وأحمد في مستنده (٢٣٩/٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (٩٨/١) حديث (١٩٦) ، وابن جيان في صحيحه (١٤٩/٤) حديث (١٣٢٠) .

(٥٣) رواه : البخارى ، كتاب : الوضوء ، باب : من لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن ، حديث (١٣٧) ، ومسلم ، كتاب : الحيض ، باب : الدليل على أن من تيقن الطهارة ثم شك ، حديث (٣٦١) ، وأبو داود ، حديث (١٧٦) ، والترمذى ، حديث (٧٥) ، وأحمد في مستنده (٤٠/٤) ، والدارمى في سننه (١٩٨/١) حديث (٧٢١) .

مستنداً، أو مضطجعاً، لأن المدار ليس على الهيئة، ولكن المدار على الإحساس واليقظة، فإذا كان هذا الناعس يحسّ بنفسه لو أحدث، فإن وضوئه باق لو كان متكتماً، أو مستنداً، أو مضطجعاً، وما أشبه ذلك.

وأما الخامس من نواقص الوضوء: فهو أكل لحم الإبل: لأن النبي ﷺ صَحَّ عنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ: نَتَوَضَّأَ مِنْ لَحْوِ الْإِبْلِ؟ قَالَ: «عَمَّ» وسُئِلَ عَنِ الوضوءِ مِنْ لَحْمِ الْغَنَمِ قَالَ: «إِنْ شَتَتَ»^(٥٤) فَإِجَابَهُ بِنَعَمٍ فِي الْإِبْلِ، وَبِإِنْ شَتَتَ فِي لَحْمِ الْغَنَمِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الوضوءَ مِنْ لَحْمِ الْإِبْلِ لَيْسَ راجِعًا إِلَى مشيَّثِهِ بَلْ هُوَ أَمْرٌ مفروضٌ عَلَيْهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مفروضًا لَكَانَ راجِعًا إِلَى الْمَشِيَّةِ، وَثَبَّتَ عَنْهُ ﷺ: «أَنَّهُ أَمْرٌ بِالوضوءِ مِنْ لَحْمِ الْإِبْلِ»^(٥٥). وَعَلَى هَذَا إِنْدِفَاعُ الْإِنْسَانِ لَحْمَ إِبْلٍ انتَقَضَ وَضَوْءَهُ، سَوَاءَ كَانَ الْأَكْلُ كَثِيرًا أَمْ قَلِيلًا، وَسَوَاءَ كَانَ الْلَّحْمُ نِيَّاً أَمْ مَطْبُوخًا، وَسَوَاءَ كَانَ الْلَّحْمُ مِنَ الْلَّحْمِ الْأَحْمَرِ أَوْ مِنَ الْأَمْعَاءِ، أَوْ مِنَ الْكَرْشِ، أَوْ مِنَ الْكَبْدِ، أَوْ مِنَ الْقَلْبِ، أَوْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَدْنِ، لَأَنَّ الْحَدِيثَ عَامٌ لَمْ يَفْرُّقْ بَيْنَ لَحْمٍ وَآخَرَ، وَالْعُمُومُ فِي لَحْمِ الْإِبْلِ كَالْعُمُومِ فِي لَحْمِ الْخَنَزِيرِ، حِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ﴾ [الْمَائِدَةَ: ٣]. إِنَّ لَحْمَ الْخَنَزِيرِ هَذَا يَشْمَلُ كُلَّ أَجْزَاءَ بَدْنِهِ، وَهَذَا لَحْمُ الْإِبْلِ الَّذِي سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الوضوءِ مِنْهُ، يَشْمَلُ جَمِيعَ أَجْزَاءِ الْبَدْنِ، وَلَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ جَسَدٌ وَاحِدٌ تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهُ، فَيَكُونُ جَزْءٌ مِنْهُ لَهُ حَكْمٌ آخَرُ، بَلْ الْحَسْمُ كُلُّهُ تَتَقَوَّلُ أَجْزَاؤُهُ فِي الْحَكْمِ، وَلَا سِيمَا عَلَى القَوْلِ بِأَنَّ نَقْضَ الوضوءِ بِلَحْمِ الْإِبْلِ عَلَيْهِ

^(٥٤) رواه : مسلم ، كتاب : الحيض ، باب : الوضوء من لحوم الإبل ، حديث (٣٦٠) ، وأحمد في مستنده (٩٢٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢١١)، حديث (٣١)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٦/٣) حديث (١١٢٤)، والنمسائي في الصغرى (٤٣١) حديث (٣٦)، والبيهقي في الكبرى (١٥٨١) حديث (٧١٤).

^(٥٥) رواه : الترمذى ، كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في الوضوء من لحوم الإبل ، حديث (٨١) ، وابن ماجه ، حديث (٤٩٧) ، وأحمد في مستنده (٣٠٣/٤) ، وابن حبان في صحيحه (٤١٠/٣) حديث (١١٢٨) ، والبيهقي في الكبرى (١٥٩١) حديث (٧١٦) .

معلومة لنا، وليس تعبدًا ممحضًا.

وعلى هذا فمن أكل لحم إبل من أي جزء من أجزاء البدن وهو على وضوء، وجب عليه أن يجدد وضوئه. ثم اعلم أن الإنسان إذا كان على وضوء، ثم شك في وجود الناقض، بأن شبك هل خرج منه بول أو ريح، أو شبك في اللحم الذي أكله، هل هو لحم إبل أو لحم غنم، فإنه لا وضوء عليه، لأن النبي ﷺ سئل عن الرجل، يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة فقال: «لا ينصرف حتى يسمع صوتها أو يجد ريحها»^(٥٦) يعني حتى يتيقن بذلك، ويدركه بحواسه إدراكاً معلوماً لا شبهة فيه، ولأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه حتى نعلم زواله، فالالأصل أن الوضوء باق حتى نعلم زواله وانتقاده.

* * *

س ٦٤: ولكن بالنسبة للنوم هل هناك فرق بين نوم الليل أو نوم النهار؟

الجواب: ليس هناك فرق بين نوم الليل ونوم النهار، لأن العلة واحدة وهي زوال الإحساس، وكون الإنسان لا يحس بنفسه لو خرج منه شيء.

* * *

موجبات الغسل

س ٦٥: أيضاً نود أن نعرف موجبات الغسل، وما صفتها؟

الجواب: أما صفة الغسل فعلى وجهين:

صفة واجبة: وهي أن يعمّ بدنه كله بالماء، ومن ذلك المضمضة والاستنشاق، فإذا عمّ بدنه بالماء، على أي وجه كان، فقد ارتفع عنه الحدث الأكبر.

والوجه الثاني . صفة كاملة : وهي أن يغسل كما اغتسل النبي ﷺ، فإذا اغتسل من الجنابة، فإنه يغسل كفّيه، ثم يغسل فرجه، وما تلوّث من الجنابة، ثم يتوضأ وضوءاً كاملاً، على صفة ما ذكرنا في الموضوع، ثم يغسل رأسه بالماء ثلاثة ثرّويّه، ثم يغسل بقية بدنها، هذه صفة الغسل.

أما موجبات الغسل فمنها:

أولاً : إزالة المني بشهوة يقطة أو مناماً، لكنه في المنام يجب عليه الغسل وإن لم يحس بالشهوة، لأن النائم قد يحتلم ولا يحس بنفسه، فإذا خرج منه المني بشهوة، وجب عليه الغسل بكلّ حال.

ثانياً : الجماع فإذا جامع الرجل زوجته وجب عليه الغسل، والجماع بأن يولج الحشمة في فرجها، فإذا أولج الحشمة في فرجها فما زاد فعليه الغسل، لقول النبي ﷺ عن الزرول: «إنما الماء من الماء»^(٥٧) يعني أن الغسل يجب من الإزالة قوله عن الثاني: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها، فقد وجب الغسل وإن لم ينزل»^(٥٨). وهذه المسألة، أعني الجماع بدون إزالة، يخفى حكمها على كثير من الناس، حتى أن بعض الناس تمضي عليه الأسابيع أو الشهور، وهو يجامع زوجته بدون إزالة ولا يغسل جهلاً منه، وهذا أمرٌ له خطورته، فالواجب على الإنسان أن يعلم حدود ما أنزل على رسوله فإن الإنسان إذا جامع زوجته وإن لم ينزل، وجب الغسل عليه وعليها، للحديث الذي أشرنا إليه آنفاً.

ثالثاً : خروج دم الحيض والنفاس، فإن المرأة إذا حاضت ثم طهرت، وجب

(٥٧) رواه : مسلم ، كتاب : الحيض ، باب : إنما الماء من الماء ، حديث (٣٤٣) ، وأبو داود ، حديث (٢١٢) ، والترمذى ، حديث (١١٢) ، والنسائى (١٩٩) ، وأبي ماجه ، حديث (٦٠٧) ، وأحمد في مستنده (٢٩/٣) حديث (١١٢٦١) ، والدارمي في سنته (٢١٢/١) حديث (٧٥٨) .

(٥٨) رواه : البخاري ، كتاب : الغسل ، باب : إذا التقى الحثانيان ، حديث (٢٩١) ، ومسلم ، كتاب : الحيض ، باب : نسخ : «الماء من الماء» ووجوب الغسل بالقاء الحثاني ، حديث (٣٤٨) ، والنسائى ، حديث (١٩١) ، وأبي ماجه ، حديث (٦١٠) ، وأحمد في مستنده (٣٤٧/٢) حديث (٨٥٥٧) ، والدارمي في سنته (٢١٤/١) حديث (٧٦١) .

عليها الغسل، لقول الله تعالى: ﴿فَاعْتِرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا نَقْرُبُهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأُتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢].

ولأمر النبي ﷺ المستحاضة إذا جلست قدر حيضها أن تغسل (٥٩) والنساء مثلها، يجب عليها أن تغسل.

وصفة الغسل من الحيض والنفاس كصفة الغسل من الجنابة، إلا أن بعض أهل العلم استحب في غسل الحائض ؛ أن تغسل بالسدر لأن ذلك أبلغ في نظافتها وتطهيرها.

وذكر بعض العلماء أيضًا من موجبات الغسل: الموت، مستدلين بقول النبي ﷺ للنساء اللاتي كن يغسلن ابنته: «اغسلنها ثلاثة أو خمساً، أو سبعاً، أو أكثر من ذلك إن رأيت ذلك» (٦٠) وقوله ﷺ في الرجل الذي وقصته راحلته بعرفة وهو محرم: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين» (٦١) فقالوا: إن الموت موجب للغسل، ولكن الوجوب هنا يتعلق بالحيي، لأن الميت انقطع تكليفه بمorte. ومنعنى يتعلق بالحيي، أن الحي هو الذي يوجه إليه الأمر بأن يغسل الميت، فعلى الأحياء أن يقوموا بما وجب عليهم من تسهيل موتاهم ؛ لأمر النبي ﷺ بذلك.

* * *

(٥٩) رواه : البخاري ، كتاب : الحيض ، باب : الاستحاضة ، حدیث (٣٠٦) ، ومسلم ، كتاب : الحيض ، باب : المستحاضة وغسلها وصلاتها ، حدیث (٣٣٣) ، وأبو داود ، حدیث (٢٨٢) ، والترمذی ، حدیث (١٢٥) ، والنسائی ، حدیث (٢١٢) ، وابن ماجہ ، حدیث (٦٢١) .

(٦٠) رواه : البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر ، حدیث (١٢٥٣) ، ومسلم ، كتاب : الجنائز ، باب : في غسل الميت ، حدیث (٩٣٩) ، وأبو داود ، حدیث (٣١٤٢) ، والترمذی ، حدیث (٩٩٠) ، والنسائی ، حدیث (١٨٨١) ، وابن ماجہ ، حدیث (١٤٥٩) .

(٦١) رواه : البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : الكفن في ثوبين ، حدیث (١٢٦٥) ، ومسلم ، كتاب : المعجم ، باب : ما يفعل بال柩 إذا مات ، حدیث (١٢٠٦) ، وأبو داود ، حدیث (٣٢٣٨) ، والترمذی ، حدیث (٩٥١) ، والنسائی ، حدیث (١٩٠٤) ، وابن ماجہ ، حدیث (٣٠٨٤) .

حقيقة الطهارة

س ٦٦ : نور أنت تعرف ما هي الطهارة؟

الجواب : الطهارة معناها : النظافة والتزاهة، وهي في الشع على نوعين: طهارة معنوية، وطهارة حسية.

أما الطهارة المعنوية : فهي طهارة القلوب من الشرك. والبدع في عبادة الله، ومن الغل، والحدق، والحسد، والبغضاء، والكرابية وما أشبه ذلك في معاملة عباد الله الذين لا يستحقون هذا.

أما الطهارة الحسية : فهي طهارة البدن، وهي أيضاً نوعان: إزالة وصف يمنع من الصلاة ونحوها مما يشترط له الطهارة، وإزالة الخبرث.

نتكلم أولاً عن الطهارة المعنوية: وهي طهارة القلب من الشرك والبدع، فيما يتعلق بحقوق الله ، وهذا هو أعظم الطهاراتين، ولهذا تبني عليه جميع العبادات، فلا تصح أي عبادة من شخص ملوث قلبه بالشرك، ولا تصح أي بدعة يتقرب بها الإنسان إلى الله ، وهي مما لم يشرعه الله ، قال الله تعالى: ﴿هُوَمَا مَنَعْهُمْ أَنْ تُقْبِلَ مِنْهُمْ نَفْقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبه: ٥٤]. وقال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (٦٢).

وعلى هذا فالمشرك بالله شرّاً أكبر لا تقبل عبادته، وإن صلّى وإن صام وزكي وحج، فمن كان يدعو غير الله أو يعبد غير الله، فإن عبادته لله تعالى غير مقبولة، حتى وإن كان يتبع لله تعالى عبادة يخلص فيها لله، ما دام قد أشرك بالله شرّاً أكبر من جهة أخرى.

ولهذا وصف الله المشركين بأنهم نجس، فقال الله تعالى: ﴿يَكْتَأِبُهَا

(٦٢) رواه البخاري ، كتاب: الصلح ، باب: إذا اصطلحوا على صلح فالصلح مردود، حديث (٢٦٩٧) ، ومسلم ، كتاب : الأقضية ، باب : تقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، حديث (١٧١٨) ، وأبو داود ، حديث (٤٦٠٦) ، وابن ماجه ، حديث (١٤) وأحمد في مسنده (١٨٠/٦) حديث (٢٥٥١١) .

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُتَّرِكُونَ بَحْسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسِيْدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذِهَا [التوبه: ٢٨]. ونفي النبي ﷺ النجاسة عن المؤمن، فقال ﷺ: «إن المؤمن لا ينجس»^(٦٣). وهذا هو الذي ينبغي للمؤمن أن يعتني به عنابة كبيرة؛ ليظهر قلبه منه.

كذلك أيضاً يظهر قلبه من الغل والحقن والحسد والبغضاء والكراء للمؤمنين، لأن هذه كلها صفات ذميمة ليست من خلق المؤمن، فالمؤمن أخو المؤمن، لا يكرهه، ولا يعتدي عليه، ولا يحسده، بل يتمنى الخير لأخيه كما يتمناه لنفسه، حتى أن الرسول ﷺ نفى الإيمان عنمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه، قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٦٤). ونرى كثيراً من الناس، أهل خير، وعبادة، وتقوى، وزهد، ويكترون التردد إلى المساجد، ليعمروها بالقراءة والذكر والصلوة، لكن يكون لديهم حقد على بعض إخوانهم المسلمين، أو حسد لمن أنعم الله عليه بنعمة، وهذا يخل كثيراً فيما يسلكونه من عبادة الله ، فعلى كل منا أن يظهر قلبه من هذه الأذناس بالنسبة لإخوانه المسلمين.

أما الطهارة الحسية: فهي كما قلت نوعان: إزالة وصف يمنع من الصلاة ونحوها مما تشرط له الطهارة، وإزالة خبث.

فاما إزالة الوصف: فهو رفع الحدث الأصغر والأكبر، بغسل الأعضاء الأربع في الحدث الأصغر، وغسل جميع البدن في الحدث الأكبر؛ إما بالماء لمن

(٦٣) رواه : البخاري ، كتاب : الغسل ، باب : عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس ، حدیث (٢٨٣) ، ومسلم ، كتاب : الحيض ، باب : الدليل على أن المسلم لا ينجس ، حدیث (٣٧١) ، وأبو داود ، حدیث (٢٢١) ، والترمذی ، حدیث (١٢١) ، والنمسائی ، حدیث (٢٦٩) ، وابن ماجه ، حدیث (٥٣٤) .
 (٦٤) رواه : البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : من الإيمان أن يحب لأخيه ما يجب لنفسه ، حدیث (١٣) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يجب لنفسه ، حدیث (٤٥) ، والترمذی ، حدیث (٢٥١٥) ، والنمسائی ، حدیث (٥٠١٦) ، وابن ماجه ، حدیث (٦٦) ، وأحمد في مستنه (١٧٦/٣) حدیث (١٢٨٢٤) .

قدر عليه، وإنما بالتييم من لم يقدر على الماء. وفي هذا أنزل الله تعالى قوله:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ إِمَانُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوْهُجُوهُكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنْبًا فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاهَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَایَبِ أَوْ لَنَسْتُمُ الْإِنْسَانَةَ فَلَمْ يَحْدُوا مَاءَ فَتَبَعَّمُوا صَعِيدًا طَيْبًا فَامْسَحُوا بِجُوْهِهِكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتَمَّ نِعْمَتُمُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ شَكُورُونَ﴾ [المائدة: ٦].

أما النوع الثاني فهو الطهارة من الخبر: أي من النجاسة وهي كل عين أوجب الشرع على العباد أن يتزروا منها ويتطهروا منها، كالبول والغائط ونحوهما مما دلت الشريعة على نجاسته، ولهذا قال الفقهاء رحمهم الله: الطهارة إما عن حدث وإنما عن خبث، ويدل لهذا النوع - أعني الطهارة من الخبر - ما رواه أهل السنن، أن الرسول ﷺ صلى بأصحابه ذات يوم فخلع نعليه، فخلع الناس نعالهم، فلما انصرف النبي ﷺ سألهم - أي سأله الصحابة لماذا خلعوا نعالهم - فقالوا: رأيناك خلعت نعلك فخلعنا نعالنا، فقال ﷺ: «إن جبريل أتاني فأخبارني أن فيهما قدرًا» ^(٦٥) يعني أذى، فهذا هو الكلام على لفظ الطهارة.

* * *

الأصل في التطهير

س ٦٧: ما هو الأصل في التطهير؟

الجواب: أما الطهارة من الحدث فالأصل فيها الماء، ولا طهارة إلا بالماء، سواء كان الماء نقياً أم متغيراً بشيء ظاهر، لأن القول الراجح أن الماء إذا تغير

(٦٥) رواه : أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : الصلاة في النعل ، حديث (٦٥٠) ، وأحمد في مسنده (٩٢/٣) حديث (١١٨٩٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢/١٠٧) حديث (١٠١٧) ، وابن حبان في صحيحه (٥٦٠/٥) حديث (٢١٨٥) ، والحاكم في المستدرك (٢٣٥/١) حديث (٤٨٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

بشيء ظاهر وهو باق على اسم الماء، أنه لا تزول طهوريته، بل هو طهور، ظاهر في نفسه مطهراً لغيره.

فإن لم يوجد الماء، أو خيف الضرر باستعماله، فإنه يعدل عنه إلى التيم بضرب الأرض بالكفين، ثم مسح الوجه بهما، ومسح بعضهما ببعض، هذا بالنسبة للطهارة من الحدث.

أما الطهارة من الخبرت، فإن أي مزيل يزيل ذلك الخبرت من ماء أو غيره، تحصل به الطهارة، وذلك لأن الطهارة من الخبرت، يقصد بها إزالة تلك العين الخبيثة بأي مزيل، فإذا زالت هذه العين الخبيثة بماء، أو بنزين، أو غيره من السائلات أو الجامدات على وجه تمام، فإن هذا يكون تطهيراً لها، ولهذا نعرف الفرق بين ما يحصل به التطهير في باب الخبرت، وبين ما يحصل به التطهير في باب الحدث.

* * *

البدل عن الأصل في التطهير

س ٦٨: ما هو البدل عن هذا الأصل الذي هو الماء؟

الجواب: البدل عن هذا الأصل هو التراب، إذا تعذر استعمال الماء لعدمه أو التضرر باستعماله، فإنه يعدل عن ذلك إلى التراب، أي إلى التيم، بأن يضرب الإنسان يديه على الأرض، ثم يمسح بهما وجهه، ويمسح بعضهما ببعض، لكن هذا خاص في الطهارة من الحدث، أما طهارة الخبرت فليس فيها تيم، سواء كانت على البدن، أو على الثوب، أو على البقعة، لأن المقصود من التطهير من الخبرت؛ إزالة هذه العين الخبيثة، وليس التبعد فيها شرطاً، ولهذا لو زالت هذه العين الخبيثة بغير قصد من الإنسان ظهر المحل. فلو نزل المطر على مكان نجس، أو على ثوب نجس، وزالت التجasse بما نزل من المطر، فإن المحل يطهر بذلك، وإن كان الإنسان ليس عنده علم بهذا، بخلاف طهارة الحدث، فإنها عبادة يتقرب الإنسان بها إلى الله ، فلا بد فيها من النية والقصد.

س ٦٩ : يدل على هذا لو كان على الإنسان نهاية، ولا
يستطيع إزالتها، فإنه لا يتيمم عنها؟

الجواب : نعم إذا كان على الإنسان نجاسة وهو لا يستطيع إزالتها فإنه يصل إلى بحسب حاله، لكن يخففها ما أمكن بالحلق وما أشبه ذلك، وإذا كانت مثلا في ثوب يمكنه خلعه ويستر بغيره، وجب عليه أن يخلعه ويستر بغيره.

* * *

صفة الوضوء

س ٧٠ : نود أن نبدأ ببيان صفة الوضوء؟

الجواب : صفة الوضوء الشرعي على وجهين :

الوجه الأول : صفة واجبة لا يصح الوضوء إلا بها، وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿هُنَّا يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قَمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوْا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، فهي غسل الوجه مرة واحدة، ومنه - أي من غسل الوجه - المضمضة والاستنشاق، وغسل اليدين إلى المرافق من أطراف الأصابع إلى المرافق مرة واحدة، ومسح الرأسمرة واحدة، ومنه - أي من الرأس - الأذنان. وغسل الرجلين إلى الكعبين مرة واحدة. هذه هي الصفة الواجبة، التي لابد منها.

أما الوجه الثاني : من صفة الوضوء فهي الصفة المستحبة ونسوقها الآن بعونه الله، فهي أن يسمى الإنسان عند وضوئه، ويغسل كفيه ثلاث مرات، ثم يتمضمض ويستنشق ثلاث مرات بثلاث غرفات، ثم يغسل وجهه ثلاثة، ثم يغسل يديه إلى المرفقين ثلاثة، يبدأ باليمين ثم باليسرى، ثم يسمح رأسه مرة واحدة، يبدأ بقدمه حتى يصل إلى مؤخره، ثم يرجع حتى يصل إلى مقدمه، ثم يمسح أذنيه، فيدخل سباحتيه في صماخيهما، ويمسح بإبهاميه ظاهرهما، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين ثلاثة ثلاثة، يبدأ باليمين ثم باليسرى، ثم يقول بعد ذلك : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده

رسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فإنه إذا فعل ذلك فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيهما شاء. هكذا صح الحديث عن النبي ﷺ قاله عمر ^(٦٦)

* * *

س ٧١: هذه الصفة المستحبة. لكن بالنسبة للأذنين، هل يلزم أخذ ماء خاص لهما مع الرأس؟

الجواب: لا يلزم أخذ ماء جديد للأذنين، بل ولا يستحب، لأن جميع الواصفين لوضوء النبي ﷺ لم يذكروا أنه كان يأخذ ماءً جديداً لأذنيه، فالأفضل أن يمسح أذنيه ببقية البطل الذي بقي بعد مسح رأسه.

* * *

نواقض الوضوء

س ٧٢: نود أن نعرف نواقض الوضوء؟

الجواب: قبل أن نذكر نواقض الوضوء، أحب أن أنبه إلى مسألة تختفي على كثير من الناس، وهي أن بعض الناس يظنون أن الاستنجاء أو الاستجمار من فروض الوضوء، فتجدهم يسألون كثيراً عن الرجل ينقض الوضوء في أول النهار، ثم يؤذن أذان الظهر، وهو لم يتوضأ حين نقض وضوئه أولاً، فيقول: إذا أذن الظهر هل أغسل فرجي مرة ثانية أم لا؟ فنقول: لا تغسل فرجك لأن غسل الفرج إنما هو لتطهيره من النجاسة عند البول أو الغائط، فإذا لم يحصل ذلك بعد التطهير الأول، فإنه لا يُظهر، وحيثند نعرف أنه لا علاقة بين الاستنجاء الذي هو غسل الفرج مما تلوث به من النجاسة وبين الوضوء. وهذه مسألة أحب أن يُتبَّه لها.

(٦٦) رواه : مسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : الذكر المستحب عقب الوضوء ، حديث (٢٣٤) بدون ذكر : «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» ، وكذلك أبو داود ، حديث (١٦٩) ، وأحمد في مسنده (٤/١٤٥).

حكم المسح على الخفين وشروطه

س ٧٣ : نود أن نعرف حكم المسح على الخفين وشروط ذلك؟
الجواب : المسح على الخفين مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ، كما قيل:

ما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيئاً واحتسب
 ورؤياً شفاعةً والخوضُ ومسح خفين وهذي بعضُ

بل دلّ عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسِحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]. على قراءة الحرف، وهي قراءة صحيحة سبعية .

ووجه ذلك: أن قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالحر، معطوف على قوله: ﴿بِرُؤُوسِكُمْ﴾ والعامل في قوله: ﴿بِرُؤُوسِكُمْ﴾ قوله: ﴿وَامْسِحُوا﴾ وعلى هذا فيكون المعنى: ﴿وَامْسِحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾، ومن المعلوم أن المسح مناقض للغسل، فلا يمكن أن نقول: إن الآية دالة على وجوب الغسل الدال عليه قراءة النصب و «أرجلكم»، ووجوب المسح في حال واحدة، بل تنزل الآية على حالين، والسنّة بيّنت هاتين الحالين، فيبيّن أن الغسل يكون للرجلين إذا كانتا مكشوفتين، وأن المسح يكون لهما إذا كانتا مستورتين بالجوارب والخففين، وهذا الاستدلال ظاهر لمن تأمله.

على كل حال ؛ المسح على الخفين وعلى الجوارب - وهي ما يسمى بالشراب - ثابت ثبوتاً لا مجال للشك فيه، ولهذا قال الإمام أحمد: «ليس في قلبي من المسح شيء» يعني ليس عندي فيه شك بوجه من الوجه.

ولكن لا بد من شروط لهذا المسح:

الشرط الأول . أن يلبسهما على طهارة: ودليله: حديث المغيرة بن شعبة ، قال: نمت مع النبي ﷺ في سفر، فتوضاً، فأهويت لأنزع خفيه، فقال: «دعهما

فإني أدخلتهما طاهرتين» ومسح عليهما^(٦٧) . فإن لبسهما على غير طهارة، وجب عليه أن يخلعهما عند الوضوء ليغسل قدميه، لأن النبي ﷺ علل عدم خلعهما عند الوضوء ومسح عليهما، علله بأنه لبسهما على طهارة: «أدخلتهما طاهرتين».

الشرط الثاني : أن يكون ذلك في المدة المحددة شرعاً: وهي يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر^(٦٨) ، وتبتدئ هذه المدة، من أول مرة مسح بعد الحدث إلى آخر المدة، فكل مدة مضت قبل المسح فهي غير محسوبة على الإنسان، حتى لو بقى يومين أو ثلاثة على الطهارة التي لبس فيها الخفين أو الجوارب، فإن هذه المدة لا تختصب، لا يحسب له إلا من ابتداء المسح أول مرة إلى أن تنتهي المدة، وهي يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام للمسافر، كما ذكرنا آنفاً. مثال ذلك: رجل لبس الخفين أو الجوارب حين توقيضاً لصلاة الفجر من يوم الأحد، وبقي على طهارته إلى أن صلى العشاء، ثم نام، ولما استيقظ لصلاة الفجر يوم الاثنين، لأن هذا أول مرة مسح بعد حدثه، وتنتهي بانتهاء المدة التي ذكرناها آنفاً.

الشرط الثالث : أن يكون ذلك في الحدث الأصغر لا في الجنابة: فإن كان في الجنابة فإنه لا مسح، بل يجب عليه أن يخلع الخفين ويغسل جميع بدنه لحديث صفوان بن عسال قال: «أمرنا رسول الله ﷺ إذا كنا سفرًا أن لا نترعرع خفافنا ثلاثة أيام بلياليهن إلا من جنابة، ولكن من غائط وبول ونوم»^(٦٩) وثبت

(٦٧) رواه : البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : إذا أدخل رجليه وهما طاهرتان ، حديث (٢٠٦) ، ومسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : المسح على الخفين ، حديث (٢٧٤) ، وأحمد في مستنه (٢٥١/٤) ، والدارمي في سننه (١٩٤/١) حديث (٧١٣) ، وأبي عوانة في مستنه (١٦٦/١ - ١٧٦) حديث (٤٨٩) ، والبيهقي في الكبرى (٢٨١/٢) حديث (١٤٤٨) .

(٦٨) رواه : مسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : التوقيت في المسح على الخفين ، حديث (٢٧٦) ، والنسياني ، حديث (١٢٨) ، وابن ماجه ، حديث (٥٥٦) ، وأحمد في مستنه (١٠٠/١) حديث (٧٨٠) ، والدارمي في سننه (١٩٥/١) حديث (٧١٤) .

(٦٩) سبق تخريرجه برقم (٥٢) .

في صحيح مسلم من حديث علي أن النبي ﷺ وقت المسح «يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام للمسافر»^(٧٠).

فهذه الشروط الثلاثة لابد منها لجواز المسح على الخفين، وهناك شروط أخرى اختلف فيها أهل العلم، ولكن القاعدة التي تُبنى عليها الأحكام ؛ أن الأصل براءة الذمة من كل ما يقال من شرط أو موجب أو مانع، حتى يقوم عليه الدليل.

* * *

شروط المسح عليه

س ٧٤ : لكن هل هناك شروط تتعلق بالمسح عليه من خف وهرب؟

الجواب : ليس فيه شروط، اللهم إلا أن يكون طاهراً، فإنه إذا كان نجسًا لا يمسح عليه، فلو اتخد الإنسان خفًا من جلد نجس ؛ كجلد الكلاب والسباع، فإنه لا يجوز المسح عليه لأنه نجس، والنرجاسة لا يجوز حملها في الصلاة، وأن النجس لا يزيد مسحه إلا تلويناً.

* * *

حكم المسح على الجوارب «الشفافة»

س ٧٥ : ما حكم المسح على الجوارب أو الغض المهدوف أو الهرب السفاف؟

الجواب : القول الراجح أنه يجوز المسح على ذلك، أي على الجورب المخرق، والجورب الخفيف الذي ثُرى من ورائه البشرة، لأنه ليس من المقصود من المسح على الجورب ونحوه أن يكون ساترًا، فإن الرجل ليست عورة يجب ستّرها، وإنما المقصود الرخصة على المكلف والتسهيل عليه، بحيث لا نلزمه بخلع

هذا الجورب أو الخف عند الوضوء، بل نقول: يكفيك أن تمسح عليه، هذه العلة التي من أجلها شرع المسح على الخفين، وهذه العلة كما ترى يستوي فيها الخف أو الجورب المخرب، والسليم، والخفيف، والثقيل.

* * *

هل موجبات الغسل من نواقض الوضوء

س ٢٦: هل موجبات الفسل تعد من نواقض الوضوء أم لا؟

الجواب: المشهور عند فقهائنا رحمهم الله، أن كل ما أوجب غسلاً أوجب وضوءاً إلا الموت، وبناءً على ذلك فإنه لابد لمن اغتسل من موجبات الغسل أن ينوي الوضوء، فإما أن يتوضأ، وإما أن يكفي الغسل بالنيتين، وذهب شيخ الإسلام رحمه الله إلى أن نية الاغتسال عن الحدث الأكبر تغنى عن نية الوضوء، لأن الله قال: ﴿يَتَأْمِنُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوْا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيکُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَارْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهِرُوْا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ [المائدة: ٦]. إلى آخر الآية، فلم يدخل الله تعالى في حال الجنابة إلا الإطهار يعني التطهر، ولم يذكر الوضوء، ولأن النبي ﷺ قال للرجل حين أعطاه الماء ليغتسل: «خذ هذا فأفرغه على نفسك» ولم يذكر له الوضوء. أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين من حديث طوبل^(٧١).

وما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية أقرب إلى الصواب، وهي أن من عليه حدث أكبر، إذا نوى الحدث الأكبر فإنه يجزئ عن الأصغر. وبناءً على هذا، فإن موجبات الغسل منفردة عن نواقض الوضوء.

* * *

(٧١) رواه البخاري ، كتاب التيمم، حديث (٣٤٤) ، ومسلم حديث (٦٨٢) .

الأحكام المتعلقة بالجناة

س ٧٧: ذكرتكم من مرميَّات الفسل المهنابة، فنريد أن تحدِّتونا عن الأحكام المتعلقة بالمهنابة؟

الجواب: الأحكام المتعلقة بالجناة هي :

أولاً: أن الجنب تحرم عليه الصلاة ؛ فرضها، ونفلتها، حتى صلاة الجنازة.

ثانياً: يحرم عليه الطواف بالبيت.

ثالثاً: يحرم عليه مش المصحف.

رابعاً: يحرم عليه المكث في المسجد إلا بوضوء.

خامساً: يحرم عليه قراءة القرآن حتى يغسل.

هذه هي أحكام خمسة تتعلق بمن عليه جناة.

* * *

تأثير الشك في الطهارة

س ٧٨: أيضاً مما يتعلق بالطهارة الشك فيها؟ فنريد الصريحة عن الشك في الطهارة ومتى يكون مؤثراً؟

الجواب: الشك في الطهارة نوعان:

أحدهما: شك في وجودها بعد التحقق من الحدث.

والثاني: شك في زوالها بعد تحقق الطهارة.

أما الأول: وهو الشك في وجودها بعد تتحقق الحدث ، فإن يشك الإنسان ؛ هل توضأ أم لم يتوضأ، وهو أنه يعتقد أنه أحدث لكن يشك هل توضأ أم لا، ففي هذه الحال نقول: ابن على الأصل، وهو أنك لم تتوضأ ويجب عليك الوضوء. مثال ذلك: رجل شك عند أذان الظهر هل توضأ بعد نقض وضوئه في الصحنى أم لم يتوضأ، يعني أنه نقض الوضوء في الساعة العاشرة مثلاً، ثم عند

إذان الظهر شك، هل توضأ حين نقض وضوئه أم لا، فنقول له: ابن على الأصل، وهو أنك لم تتوضأ ويجب عليك أن تتوضأ.

أما النوع الثاني: وهو الشك في انتفاض الطهارة بعد وجودها، فإننا نقول أيضًا: ابن على الأصل، ولا تعتبر نفسك ناقصاً للوضوء. مثاله: رجل توضأ في الساعة العاشرة، فلما حان وقت الظهر شك؛ هل انتقض وضوئه أم لا، فنقول له: إنك على وضوئك، ولا يلزمك الوضوء حينئذ وذلك لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان عليه، ويشهد لهذا الأصل قول النبي ﷺ فيمن وجد في بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا، قال: «لا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحًا» (٧٢).

وأما الشك في فعل، أو الشك في أجزاء الطهارة، مثل أن يشك الإنسان، هل غسل وجهه في وضوئه أم لا، وهل غسل يديه أم لا، وما أشبه ذلك، فهذا لا يخلو من أحوال أربع:

الحال الأولى: أن يكون مجرد وهم طرأ على قلبه: هل غسل يديه أم لم يغسلهما، وهما ليس له مرجع ولا تساوى عنده الأمران، بل هو مجرد شيء خطر في قلبه، فهذا لا يهتم به، ولا يلتفت إليه.

الحال الثانية: أن يكون كثير الشكوك، كلما توضأ شك، إذا كان الآن يغسل قدميه، شك هل مسح رأسه أم لا، هل مسح أذنيه أم لا، هل غسل يديه أم لا. وهو كثير الشكوك، هذا أيضًا لا يلتفت إلى الشك ولا يهتم به.

أما الحال الثالثة: أن يقع الشك بعد فراغه من الوضوء، فإذا فرغ من وضوئه شك، هل غسل يديه أم لا، أو هل مسح رأسه، أو هل مسح أذنيه، وهذا أيضًا لا يلتفت إليه، إلا إذا تيقن أنه لم يغسل ذلك العضو المشكوك فيه، فيبني عليه يقينه.

هذه ثلاثة حالات لا يلتفت إليها في الشك. الحال الأولى: الوهم. الحال الثانية: أن يكون كثير الشكوك، الحال الثالثة: أن يكون الشك بعد الفراغ من العبادة، أي بعد فراغ الموضوع.

أما الحال الرابعة: فهي أن يكون الشك شكًا حقيقياً، وليس كثير الشكوك، وحصل قبل أن يفرغ من العبادة، ففي هذه الحال يجب عليه أن يبني على اليقين وهو العدم، أي أنه لم يغسل ذلك العضو الذي شك فيه، فيرجع إليه فيغسله وما بعده. مثاله: لو شك وهو يمسح رأسه ؟ هل تمضمض واستنشق أم لا، وهو ليس كثير الشكوك، وهو شك حقيقي ليس وهما، نقول له الآن: ارجع فتمضمض واستنشق، ثم اغسل يديك، ثم امسح رأسك. وإنما أوجبنا عليه غسل اليدين مع أنه قد غسلهما، من أجل الترتيب، لأن الترتيب بين أعضاء الموضوع واجب، كما ذكر الله تعالى ذلك مرتبًا. وقال النبي ﷺ حين أقبل على الصفا: «أبدأ بما بدأ الله به» ^(٧٣) هذا هو حال الشك في الطهارة.

* * *

أنواع النجاسات الحكمية ومفهومها

س ٧٩: زير أنت نعرف ما هي النجاسات الهممية من حيث المضمون والأنواع؟

الجواب: النجاسات الحكمية هي النجاسة الواردة على محل طاهر، فهذه يجب علينا أن نغسلها، وأن ننفظ الخلل الظاهر منها، فيما إذا كان الأمر يتضيى الطهارة، وكيفية تطهيرها، أو تطهير ما أصابته النجاسة تختلف بحسب الموضع، فإذا كانت النجاسة على الأرض، فإنه يكتفى بصب الماء عليها بعد إزالة

(٧٣) رواه : مسلم ، كتاب : الحج ، باب : حجة النبي ﷺ ، حديث (١٢١٨) ، وأبي داود ، حديث (١٩٠٥) ، والترمذى ، حديث (٨٦٢) ، والنمسائى ، حديث (٢٩٦١) ، وأبن ماجه ، حديث (٣٠٧٤) وأحمد في مسنده (٣٢٠/٣) حديث (١٤٤٨٠) ، وأبي داود في الموطأ (٣٧٢/١) حديث (٨٢٩) .

عينها إن كانت ذات مجرم، لأن النبي ﷺ قال للصحابة - حين قال الرجل في طائفة المسجد - أي في جانب منه - قال لهم : «أُرِيقوا على بوله سجلا من الماء»^(٧٤). فإذا كانت النجاسة على الأرض، فإذا كانت ذات مجرم أنزلنا مجرمتها أولاً، ثم صببنا عليها الماء مرة واحدة ويكتفى.

ثانياً: إذا كانت النجاسة على غير الأرض، وهي نجاسة كلب، فإنه لابد من تطهيرها من سبع غسلات، إحداها بالتراب، لقول النبي ﷺ: «إذا ولغ الكلب في إماء أحدكم فيغسله سبعاً إحداهم بالتراب»^(٧٥).

ثالثاً: إذا كانت النجاسة على غير الأرض، وليست نجاسة كلب ؛ فإن الراجح أنها تطهر بزوالها على أي حال كان، سواء زالت بأول غسلة، أو بالغسلة الثانية، أو الثالثة، أو الرابعة، أو الخامسة، المهم متى زالت عين النجاسة فإنها تطهر، لكن إذا كانت النجاسة بول غلام صغير لم يأكل الطعام، فإنه يكتفى أن تغمر الماء الذي يستوعب المخل النجس، وهو ما يعرف عند العلماء بالتضريح، ولا يحتاج لغسل وذلك، لأن نجاسة بول الغلام الصغير الذي لم يأكل الطعام نجاسة مخففة.

* * *

الأحكام المتعلقة بالحيض والنفاس

س ٨٠: نود أن نعرف الأحكام المتعلقة بالحيض والنفاس؟

الجواب: قال أهل العلم: إنه دم طبيعة وجبلة يعتاد الأنثى إذا صلحت للحمل أيام معلومة. وقالوا: إن الله خلقه لغذاء الولد في بطن الأم، ولهذا إذا

(٧٤) رواه : البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : صب الماء على البول في المسجد ، حديث (٢٢٠) ، وأبو داود ، حديث (٣٨٠) ، والترمذني ، حديث (١٤٧) ، وابن ماجه ، حديث (٥٣٠) ، وأحمد في مستنده (٢٣٩/٢) حديث (٧٢٥٤) .

(٧٥) رواه : مسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : حكم ولوغ الكلب ، حديث (٢٨٠) ، وأبو داود ، حديث (٧٣) ، والنسائي ، حديث (٦٧) ، وابن ماجه ، حديث (٣٦٥) ، وأحمد في مستنده (٥٠٨/٢) حديث (١٠٦٠٣) ، والدارمي في سننه (٢٠٤/١) حديث (٧٣٧) .

حملت المرأة، انقطع عنها دم الحيض غالباً. ثم إن هذا الحيض الطبيعي إذا أصاب المرأة تعلق به أحكام كثيرة.

منها: تحريم الصلاة والصيام، لقول النبي ﷺ «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم»^(٧٦) فلا يحل للمرأة أن تصوم ولا أن تصلي وهي حائض، فإن فعلت فهي آثمة، وصومها وصلاتها مردودان عليها.

ثانياً: يحرم عليها الطواف بالبيت، لأن النبي ﷺ قال لعائشة حين حاضت «افعل ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت»^(٧٧)، ولما ذكر له أن صفية بنت حبي قد حاضت، قال: «أحابستنا هي؟» لأنه ظن أنها لم تطف طوف الإفاضة، فقالوا: إنها قد أفاضت فقال: «اخرجو»^(٧٨). ومن هذا الحديث نستفيد أن المرأة إذا طافت الإفاضة وهو طواف الحج، ثم أتتها الحيض بعد ذلك، فإن نسكتها يتم حتى لو حاضت بعد طواف الإفاضة وقبل السعي، فإن نسكتها يتم، لأن السعي يصح من المرأة الحائض.

ونستفيد أيضاً من هذا الحديث أن طواف الإفاضة يسقط عن المرأة الحائض، كما جاء ذلك صريحاً في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن الحائض»^(٧٩).

^(٧٦) رواه : البخاري ، كتاب : الحيض ، باب : ترك الحائض الصوم ، حديث (٣٠٤) ، والبيهقي في الكبير (١/٣٠٨) حدث (١٣٧٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٣/٥٤) حدث (٥٧٤٤) .

^(٧٧) رواه : البخاري ، كتاب : الحيض ، باب : تقضي الحائض المناسب كلها إلا الطواف بالبيت ، حديث (٣٠٥) ، مسلم ، كتاب : الحج ، باب : بيان وجوب الإحرام وأنه يجوز إفاد الحج ، حديث (١٢١١) ، وأبو داود ، حديث (١٧٨٢) ، والتسلاني ، حديث (٢٩٠) ، وابن ماجه ، حديث (٢٩٦٣) ، وأحمد في مسنده (٦/٢١٩) حدث (٢٥٨٨٠) .

^(٧٨) رواه : البخاري ، كتاب : الحج ، باب : الزيارة يوم النحر ، حديث (١٧٣٣) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض ، حديث (١٢١١) ، والترمذى ، حديث (٩٤٣) بلفظ : «فلا إدأ» ، بدل ، «آخر جروا» ، وابن ماجه ، حديث (٣٠٧٢) بلفظ : «فلتفر» ، وأحمد في مسنده (٦/٣٨) ، حديث (٤١٤٧) ، ومالك في الموطأ (١/٤١٢) حدث (٩٢٦) .

^(٧٩) رواه : البخاري ، كتاب : الحج ، باب : طواف الوداع ، حديث (١٧٥٥) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض ، حديث (١٣٢٨) ، والبيهقي في الكبير =

يحرم على الحائض أيضاً : الجماع، فلا يحل للرجل أن يجامع زوجته وهي حائض، لقوله تعالى: ﴿وَسَلَّمُوكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا نَقْرِبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأُتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ أَعْلَم﴾ [البقرة: ٢٢٢]. والآية الكريمة تفيد أنه يحرم على الإنسان أن يطأ زوجته وهي حائض، وأنها إذا طهرت لا يطأها أيضاً حتى تغسل لقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ يعني اغسلن، فإن الإطهار بمعنى الاغتسال، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهِرُوهُنَّ﴾ [المائدة: ٦].

ولكن يجوز للإنسان أن يباشر زوجته وهي حائض، وأن يستمتع منها دون الفرج، وهذا يخفف من حدة الشهوة بالنسبة للإنسان الذي لا يستطيع الصبر عن أهله مدة أيام الحيض، فإنه يمكن من الاستمتاع بها فيما عدا الوطء في الفرج. أما الوطء في الدبر فهو حرام بكل حال، سواء كان أمراته حائضًا أم غير حائض.

ومن الأحكام التي تترتب على الحيض : أن المرأة إذا طهرت في وقت الصلاة، فإنه يجب عليها أن تبادر بالاغتسال لتصلي الصلاة قبل خروج وقتها، فإذا طهرت مثلاً بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس، وجب عليها أن تغسل، حتى تصلي صلاة الفجر في وقتها. وبعض النساء يتهاون في هذا الأمر، فتجدها تطهر في الوقت، ولكن تسوف ولا سيماء في أيام الشتاء، تسوف وتتهاون، حتى يخرج الوقت، وهذا حرام عليها ولا يحل لها، بل الواجب: أن تغسل لتصلي الصلاة في وقتها.

وأوقات الصلوات معلومة لعامة الناس : وهي في الفجر من طلوع الفجر حتى تطلع الشمس، وفي وقت الظهر من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شيء مثله يعني طوله، وفي العصر من هذا الوقت إلى أن تصفر الشمس،

وهذا وقت الاختيار، وإلى أن تغرب وهذا وقت الضرورة، وفي المغرب من غروب الشمس إلى مغرب الشفق الأحمر، وفي العشاء من مغرب الشفق الأحمر إلى منتصف الليل، وما بعد منتصف الليل فهو وقت لا تصلي فيه العشاء، لأن وقتها قد خرج، إلا إذا كان الإنسان قد نام أو نسي، فإن النبي ﷺ يقول: «من نام عن صلاته أو نسيها فليصلها إذا ذكرها» ^(٨٠).

وليعلم أن الأصل في الدم الذي يصيب المرأة إذا كانت في سن الحيض أن يكون حيضاً، حتى يأتي ما يخرجه عن هذا الأصل، والذي يخرجه عن هذا الأصل، أن نعلم أن هذا الدم خرج من عرق وليس دم الطبيعة مثل أن يكون ذلك إثر عملية أجرتها المرأة، أو يكون هذا الشيء لروعة أصابتها، هذه الحال لا تعتبر هذا الدم دم حيض، وكذلك إذا أطبق عليها الدم وكثير حيث استغرق أكثر المدة من الشهر، فإنها في هذا الحال تكون مستحاضة، وترجع إلى عادتها التي كانت عليها قبل حصول هذه الاستحاضة، فتجلس مدة عادتها ثم تغسل وتصلی، ولو كان الدم يجري.

ومما يتعلق بأحكام الحيض والنفس: أنه لا يجوز للرجل أن يطلق المرأة وهي حائض، فإن فعل فهو آثم وعليه أن يردها إلى عصمته، حتى يطلقها وهي ظاهراً لم يجامعها فيه، لأنه ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر عمر ذلك لرسول الله ﷺ فغفظ منه رسول الله ﷺ وقال: «مره فليراجعها ثم ليطلقها ظاهراً أو حاملاً» ^(٨١).

(٨٠) رواه : البخاري ، كتاب : مواقف الصلاة ، باب : من نسي صلاة فليصل إذا ذكر ، حديث (٥٩٧) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ، حديث (٦٨٤) ، وأبي داود ، حديث (٤٤٢) ، والترمذى ، حديث (١٧٨) ، والنمسائى ، حديث (٦١٣) ، وابن ماجه ، حديث (٦٩٦) .

(٨١) رواه : البخاري ، كتاب : الطلاق ، باب : قول الله تعالى : (يا أيها النبي إذا طلقت النساء ...) ، حديث (٥٢٥٢) ، ومسلم ، كتاب : الطلاق ، باب : تحريم طلاق الحائض وغير رضاها ، حديث =

وكم يتعلّق بـأحكام الحيض والنفاس: أن المرأة النفاس إذا ظهرت قبل أربعين يوماً، فإنه يجب عليها أن تغسل وتصلي وتصوم - إذا كان ذلك في رمضان - لأنها لو ظهرت ولو في أثناء الأربعين صار لها حكم الطاهرات، حتى بالنسبة للجماع، فإنه يجوز لزوجها أن يجامعها وإن لم تتم الأربعين، لأنه إذا جازت لها الصلاة جاز الوطء من باب أولى.

وممّا يتعلّق بـأحكام الحيض والنفاس: كما أشرنا إليه سابقاً وجوب الغسل على الحائض والنفساء، إذا ظهرتا من الحيض والنفاس.

وأحكام الحيض والنفاس كثيرة جداً، ونقتصر منها على هذا القدر ولعل فيه كفاية إن شاء الله تعالى.

* * *

المرأة إذا لم ينزل منها دم

س ٨١: بالنسبة للمرأة إذا ظهرت من النفاس أو إذا لم ينزل منها الدم فهل تعتبر نساء؟

الجواب: إذا لم ينزل منها دم في حال النفاس، فإنها ليست نساء، ولا يلزمها شيء، لا يلزمها غسل، ولا يحرم عليها صلاة ولا صيام.

* * *

(١٤٧١)، وأبو داود، حديث (٢١٧٩)، والترمذى، حديث (١١٧٦)، والنمسائى، حديث (٣٣٨٩)، وابن ماجه، حديث (٢٠٢٣).

حكم أخذ حبوب منع الحيض أثناء الحج

س ٨٢: هل يجوز للمرأة أن تأخذ ما يمنع عنها الحيض أثناء مenses حتى تتمكن من أداء الحج، لالصبر على المانعة للحمل أو أي نوع من أنواع ما يتطلب به؟

الجواب: الأصل في هذا الجواز، وأنه يجوز للمرأة أن تأخذ ما يمنع الحيض إذا كان ذلك بإذن زوجها، ولكن بلغني عن بعض الأطباء، أن هذه الحبوب المانعة من نزول الحيض ضارة جداً على المرأة، ضارة للرحم والأعصاب والدم وغير ذلك، حتى قال لي بعضهم: إنه إذا استعملتها امرأة بكر فإنه يكون موجباً للعقم، فتكون هذه المرأة عقيمة، وهذا خطر عظيم، وما قاله بعض الأطباء ليس بعيداً، لأن الدم يعني دم طبيعة، فإذا حاول الإنسان أن يمنعه بهذه العقاقير، فقد حاول مخالفه الطبيعة، ولاشك أن مخالفه الطبيعة مضرة على البدن، لأنه يقتضي أن ينحبس هذا الدم عن وقت خروجه الذي كان من طبيعة المرأة، لهذا أنا أنسح جميع نسائنا في هذه المسألة بأن يدع عن هذه الحبوب، في رمضان، وفي غير رمضان.

لكن في مسألة الحج والعمر، ربما تدعو الحاجة أو الضرورة إلى استعمال هذه الحبوب، وهو استعمال مؤقت، وربما لا تعود المرأة إليه مدى عمرها، فمثل هذا أرجو ألا يكون فيه بأس ولا ضرر.

* * *

إذا ثبت ضرر الحبوب فما حكمها؟

س ٨٣: لكن إذا ثبت ضررها فما حملها؟

الجواب: إذا ثبت ضررها فمعلوم أن كل ما تحقق ضرره، فإنه لا يجوز للإنسان أن يتناوله، لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقد استدل عمرو بن العاص بهذه الآية حين قال له النبي

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: «أَصْلَيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنْبُتُ؟!» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: **«وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يُكْمِنُ رَحِيمًا»** [النساء: ٢٩] فَبِسَمِ النَّبِيِّ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أَوْ ضَحْكٍ، وَأَقْرَهَ عَلَى هَذَا ^(٨٢) . وَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا يَكُونُ فِيهِ ضَرَرٌ عَلَى بَدْنِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَناولَهُ.

* * *

حُكْمُ الصَّلَاةِ وَأَهْمِيَّتُهَا

س ٨٤: نَوْدُ أَنْتَ نَعْرِفُ حَكْمَ الصَّلَاةِ؟ وَأَهْمِيَّتَهَا؟

الجواب: الصَّلَاةُ أَكْدُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، بَلْ هِيَ الرُّكْنُ الثَّانِيُّ بَعْدَ الشَّهَادَتِيْنِ، وَهِيَ أَكْدُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَهِيَ عُمُودُ الإِسْلَامِ، كَمَا ثَبَّتَ ذَلِكُ عَنِ النَّبِيِّ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أَنَّهُ قَالَ: **«وَعُمُودُ الصَّلَاةِ»** ^(٨٣) يَعْنِي الإِسْلَامِ.

وَقَدْ فَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فِي أَعْلَى مَكَانٍ وَصَلَّى إِلَيْهِ الْبَشَرُونَ، وَفِي أَفْضَلِ لَيْلَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وَبِدُونِ وَاسْطَةٍ أَحَدٍ، وَفَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** خَمْسِينَ مَرَّةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ خَفَّفَ عَلَى عَبَادِهِ، حَتَّى صَارَتْ خَمْسَيْنَ بِالْفَعْلِ وَخَمْسَيْنَ فِي الْمِيزَانِ، وَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَهْمِيَّتِهَا، وَمَحْبَّةِ اللَّهِ لَهَا، وَلَهَذَا دَلَّ عَلَى فَرَضِيَّتِهَا: الْكِتَابُ، وَالسُّنْنَةُ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ:

فِي الْكِتَابِ يَقُولُ اللَّهُ: «وَلَا تَهْنُوْ فِي أَبْتِغَائِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَائِمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمًا» [النساء: ١٠٤] **فَإِذَا اطْمَانْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى**

(٨٢) رواه : أبو داود ، كتاب : الطهارة ، باب : إذا خاف الجنب البرد أيقتم ، حديث (٣٣٤) ، وأحمد في مستنه (٢٠٣/٤) ، والحاكم في المستدرك (٢٨٥/١) حديث (٦٢٨) ، والنمسائي في الصغرى (١٨٥/١) حديث (٢٥٣) ، والبيهقي في الكبرى (٢٢٥/١) حديث (١٠١١) .

(٨٣) رواه : الترمذى ، كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء في حرمة الصلاة ، حديث (٢٦٦) ، وأحمد في مستنه (٢٣١/٥) حديث (٢٢٠٦٩) ، والنمسائي في الكبرى (٤٢٨/٦) حديث (١١٣٩٤) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٩ - ٣٣٨/٢) حديث (٤٣٤١) وقال : رواه أحمد والترمذى والنمسائي وابن ماجه ، كلهم من روایة أبي وائل عن معاذ ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

المؤمنين كتاباً مَوْقُوتاً» [النساء: ١٠٣]. معنى كتاباً: أي مكتوباً، أي مفروضاً، وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حينبعثه إلى اليمن: «أعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»^(٨٤)، وأجمع المسلمون على فرضيتها، ولهذا قال العلماء - رحمة الله - إن الإنسان إذا جحد فرض الصلوات الخمس، أو فرض واحدة منها فهو كافر مرتد عن الإسلام، يباح دمه وماليه، إلا أن يتوب إلى الله ، ما لم يكن حديث عهد بالإسلام، لا يعرف عن شعائر الإسلام شيئاً، فإنه يعذر بجهله في هذه الحال، ثم يعرف فإن أصر بعد علمه بوجوبها على إنكار فرضيتها فهو كافر.

إذا فالصلة من أفرض الفرائض في دين الإسلام.

* * *

على من تجب الصلاة؟

س ٨٥: نود أن نعرف على من تجب الصلاة؟

الجواب: تجب على كل مسلم بالغ عاقل، من ذكر أو أنثى.

فالمسلم: ضده الكافر، فإن الكافر لا تجب عليه الصلاة، يعني أن لا يلزم بأدائها حال كفره، ولا بقضائها إذا أسلم، لكنه يعقوب عليها يوم القيمة، كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْهَبَ الَّذِينَ ﴿٢٩﴾ فِي جَنَّتِ يَسَّآءَ لُؤْنٌ ﴿٣٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٣٢﴾ قَاتُلُوا لَئِنْكُمْ مِنَ الْمُصَلَّينَ ﴿٣٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نُظْعَمُ الْمِسْكِينُونَ ﴿٣٤﴾ وَكُنْتُمْ تَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٥﴾ وَكُنْتُمْ تُكَذِّبُ يَوْمَ الْتِينَ﴾ [المدثر: ٤٦-٣٩]. فقولهم: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُصَلَّينَ﴾ يدل على أنهم عوقبوا على ترك الصلاة.

وأما البالغ: فهو الذي حصل له واحدة من علامات البلوغ، وهي ثلاثة بالنسبة للرجل، وأربع بالنسبة للمرأة:

إحداها: تمام خمس عشر سنة.

والثانية: إنزال المني بلذة يقظة كان أم منام.

والثالثة: إنبات العانة، وهي الشعر الخشن حول القبل.

هذه الثلاثة العلامات تك足 للرجال والنساء.

وتزيد المرأة علامة رابعة: وهي الحيض، فإن الحيض من علامات البلوغ.

وأما العاقل: فضده الجنون الذي لا عقل له، ومنه الرجل الكبير أو المرأة الكبيرة إذا بلغ الكبر إلى حد فقد التمييز، فإنه لا تجب عليه الصلاة حينئذ لعدم وجود العقل في حقه.

وأما الحيض والنفاس: فهو مانع من وجوب الصلاة، فإذا وجد الحيض والنفاس فإن الصلاة لا تجب.

* * *

حكم تارك الصلاة

س ٨٦: إذا عرفنا حكم الصلاة وعلى من تجبب نود أن نعرف حكم تارك الصلاة؟

الجواب: حكم تارك الصلاة، أن تارك الصلاة كافر كفراً مخرجاً عن الملة، وذلك بدلالة الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة، والنظر الصحيح.

أما الكتاب: ففي قوله تعالى عن المشركين: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكُورَةَ فَإِخْرَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ آلَائِنِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبه: ١١]

وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة؛ أن الله اشترط لثبت الأخوة بين هؤلاء المشركين وبين المؤمنين ثلاثة شروط: التوبة من الشرك، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

إذا تخلف أحد هذه الثلاثة لم يكونوا إخوة لنا في الدين، ولا تنتفي الأخوة في الدين إلا بالكفر المخرج عن الملة، فإن المعاصي مهما عظمت، إذا لم تصل إلى

حد الكفر لا تخرج عن الأخوة في الدين، ألا ترى إلى قوله تعالى في آية القصاص، فيمن قتل أخاه عمداً قال: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ فَإِنَّمَا
بِالْمَعْرُوفَ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]. فجعل الله تعالى القاتل أخا للمقتول، مع أن قتل المؤمن عمداً من أعظم الكبائر، ثم ألا ترى إلى قوله تعالى:
﴿وَإِنْ طَابَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ
الْآخَرِ فَنَتَلُوا إِلَيْهِ تَبَغِي حَقَّهُ إِنَّ اللَّهَ أَمْرُ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ
وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ
أَخْوَيْكُمْ﴾ [الحجـرات: ٩-١٠]. فجعل الله الطائفة الثالثة المصلحة إخوة للطائفتين
المقتلتين، مع أن قتال المؤمن من أعظم الذنوب، وهذا يدل على أن الأخوة في
الدين لا تنتهي بالمعاصي أبداً إلا ما كان كفراً.

وشرح الآية المذكورة: إنهم إن بقوا على الشرك فكفرهم ظاهر، وإن
آمنوا ولم يصلوا فكفرهم أيضاً ظاهر معلوم من الجملة الشرطية (إن تابوا وأقاموا
الصلاهـ). وإن تابوا من الشرك، وأقاموا الصلاهـ، وآتوا الزكـاةـ، فكفرهم ظاهر
أيضاً، إلا أن مسألة الزكـاةـ فيها خلاف بين أهل العلم، هل يكفر الإنسان إذا
تركـهاـ أو لا يـكـفـرـ؟ وفيه عن أـحـمـدـ رـوـاـيـاتـانـ.

لكن الذي تدل عليه السنة أن تاركـ الزـكـاةـ لا يـكـفـرـ، ويدل لذلك حديث
أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها
حقهاـ، إلا إذا كان يوم القيمةـ، صفحـتـ لهـ صـفـائـحـ منـ نـارـ، وأـحـمـيـ عـلـيـهاـ فـيـ نـارـ
جـهـنـمـ، فـيـكـوـيـ بـهـ جـنـبـهـ وـجـيـبـهـ وـظـهـرـهـ، كـلـمـاـ بـرـدـتـ أـعـيـدـتـ فـيـ يـوـمـ كـانـ مـقـدـارـهـ
خـمـسـيـنـ أـلـفـ سـنـةـ، حـتـىـ يـقـضـيـ بـيـنـ عـبـادـ، ثـمـ يـرـىـ سـبـيلـهـ إـمـاـ إـلـىـ جـنـةـ وـإـمـاـ إـلـىـ
نـارـ» (٨٥)، فإنـ هذاـ الحـدـيـثـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـكـفـرـ بـمـنـعـ الزـكـاةـ إـذـاـ لـوـ كـفـرـ لـمـ يـكـنـ
لـهـ سـبـيلـ إـلـىـ جـنـةـ، وـعـلـىـ هـذـاـ فـتـكـونـ الزـكـاةـ خـارـجـةـ مـنـ هـذـاـ الحـكـمـ بـمـقـضـىـ دـلـالـهـ

(٨٥) رواه : مسلم ، كتاب : الزكـاةـ ، بـابـ : إـثـمـ مـانـعـ الزـكـاةـ ، حـدـيـثـ (٩٨٧) ، والـبـيـهـقـيـ فـيـ الـكـبـرـيـ (٤/١٣٧) حـدـيـثـ (٧٣٢٤) ، والـطـبـرـانـيـ فـيـ الـأـوـسـطـ (٣٨٣/٨) حـدـيـثـ (٨٩٤٥) .

السنة.

أما الدليل من السنة على كفر تارك الصلاة، فقوله ﷺ فيما رواه مسلم من حديث جابر : «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(٨٦).

ووجه الدلالة من الحديث : أنه جعل هناك فاصلاً بين الإيمان والكفر وهو الصلاة، وهو واضح في أنه لا إيمان لمن لم يصل، لأن هذا هو مقتضى الحد، إذ أن الحد يفصل بين المحدودين. وقوله : «بين الرجل وبين الشرك والكفر» ولم يقل بين الرجل وبين الكفر منكراً، والكفر إذا دخلت عليه «ال» كان المراد به الكفر الحقيقي، بخلاف ما إذا كان منكراً، كما في قوله ﷺ : «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنهاية على الميت»^(٨٧) فإن هذا لا يقتضي الخروج من الإسلام لأنه قال: «هما بهم كفر» يعني هاتين الخصلتين.

أما أقوال الصحابة : فقد قال عبد الله بن شقيق - رحمه الله - : «كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»^(٨٨) ، وقد نقل إجماعهم إسحاق بن راهويه - رحمه الله - على أن ترك الصلاة كفر.

وأما في المعنى فنقول : كل إنسان عرف الصلاة وقدرها وعناية الشريعة بها، ثم يدعها بدون عذر، وليس له حجة أمام الله ، فإن ذلك دليل واضح على أنه ليس في قلبه من الإيمان شيء، إذ لو كان في قلبه من الإيمان شيء ما ترك هذه الصلاة العظيمة، التي دلت النصوص على العناية بها وأهميتها، والأشياء تعرف بآثارها، فلو كان في قلبه أدنى مثقال من الإيمان لم يحافظ على ترك هذه الصلاة

(٨٦) سبق تخريرجه برقم (٣٣).

(٨٧) رواه : مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنهاية ، حديث (٦٧) ، وأحمد في مستنه (٤٩٦/٢) حديث (١٤٣٨) ، وأبو عوانة في مستنه (٣٥/١) حديث (٦٤) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١٨٤/٤) حديث (٥٣٥٠) .

(٨٨) رواه الترمذى ، كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء في ترك الصلاة ، حديث (٢٦٢٢) .

مع أهميتها وعظمها.

وبهذا تكون الأدلة السمعية والنظرية دالة على أن تارك الصلاة كافر كفراً مخرجاً عن الملة، وتكون مقتضية للحدن من هذا العمل الشنيع، الذي تهاون به اليوم كثير من الناس. ولكن باب التوبة مفتوح ولله الحمد، كما قال تعالى:

﴿فَلَفَّ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفُ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَّاً إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَّنَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْعَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَائِيًّا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَيْشَيًّا﴾ [مريم: ٥٩-٦٢]

فنسأل الله أن يهدينا وإن حوانا المسلمين للقيام لطاعته على الوجه الذي يرضيه عنا.

* * *

الأحكام المترتبة على ترك الصلاة

س: ٨٧: عرفنا أن الهمم في تارك الصلاة هو الكفر، نريد أن نعرف ما الذي يترب على هنا الهمم على تارك الصلاة؟

الجواب: يترب على ترك الصلاة المؤدي إلى الكفر، يترب عليه ما يترب على أي مرتد آخر بسبب يقتضي الردة، والذي يترب على ذلك أحكام دنيوية، وأحكام أخرى.

فمن الأحكام الدنيوية: أنه لا يحل أن يزوج؛ لأن الكافر لا يحل أن يتزوج بالسلمة، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تُرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ جُنُلٌ لَّهُمْ وَلَا هُمْ بَلَّهُنَّ هُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ومن عقد لشخص على ابنته المسلمة، وهذا الشخص لا يصلي، فإن النكاح باطل، ولا تحل به المرأة لهذا الرجل، ولا يستبيح منها ما يستبيح الرجل من امرأته لأنها محرمة عليه، فإن هداه الله ومنه عليه بالتنبيه فلا بد من إعادة العقد.

الحكم الثاني: سقوط ولادته، فلا يكون ولدًا على بناته وعلى قرياته، فلا يُزوج أحدًا منهم، لأنه لا ولادة لكافر على مسلم.

الحكم الثالث: سقوط حقه من الحضانة، فلا يكون له حق في حضانة أولاده، لأنه لا حضانة لكافر على مسلم، فلن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

الحكم الرابع: تحريم ما ذakah من الحيوان، فذبيحته التي يذبحها حرام، لأن من شروط الذبيحة، أن يكون الذابح مسلماً، أو كتابياً وهو اليهودي والنصراني، والمرتد ليس من هؤلاء، فذبيحته حرام.

الحكم الخامس: أنه لا يحل له دخول مكة وحرمتها، لقوله تعالى: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ بَحْسُنٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَكَذَا﴾ [التوبه: ٢٨] وعليه فلا يحل لأحد أن يُمْكِن من لا يصلي من دخول مكة وحرمتها لهذه الآية التي ذكرناها.

وأما الأحكام الأخروية فمنها: أنه إذا مات لا يغسل، ولا يকفن، ولا يُصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، لأنه ليس منهم، وإنما يخرج به إلى مكان منفرد فيدفن لثلا يتأنى الناس برائحته، أو يتأنى أهله بمشاهدته، ولا يحل لأحد أن يدعوه بالرحمة لمن مات من أقاربه وهو يعلم أنه لا يصلي، لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِيْ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِيْنَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِيْ قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحَّامِ﴾ [التوبه: ١١٣].

ولا يقولن قائل: إن الله قال: ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِيْنَ﴾ وترك الصلاة ليس بمشرك، لأننا نقول: إن ظاهر حديث جابر : «بين الرجل وبين الشرك والكفر

ترك الصلاة»^(٨٩) أي أن ترك الصلاة نوع من الشرك، ثم نقول إن الله تعالى علل ذلك بقوله: «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» وترك الصلاة قد تبين بمقتضى الأدلة، من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأقوال الصحابة، والمعنى الصحيح ؟ تبين لنا أنه من أصحاب الجحيم. فالعلة هي هي، والحكم إذا ثبتت بعلة شمل كل ما تؤثر فيه هذه العلة.

ومن الأحكام الأخروية التي تترتب على ترك الصلاة: أنه إذا كان يوم القيمة حشر مع فرعون، وهامان، وقارون، وأبي بن خلف - أئمة الكفر - والمحشور مع هؤلاء مآلهم وهو النار والعياذ بالله.

* * *

* قد يقول قائل: إن قوله تعالى بأنه يكفر كفراً مضرحاً عن الملة، معارض بقول من قال من أهل العلم: انه كفر دون كفر، وأنه لا يضيق به من الإسلام، ويحمل الأحاديث الواردة في ذلك من تركها هجراً، لا من تركها تحارنا.

والجواب عن ذلك أن نقول: إن المسألة لا شك مسألة خلافية، ولكن الله يقول: «وَمَا أَخْلَقْتُمُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَيَّ اللَّهِ» [الشوري: ١٠]. ويقول: «إِنَّنَّا نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدَوْهُ إِلَيَّ اللَّهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَأَيْمَانِهِ الْآخِرِّ ذَلِكَ حَيْثُ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» [النساء: ٥٩].

وإذا ردتنا هذه المسألة إلى الله ورسوله، تبين لنا أن الحكم مرتب على الترك لا على الجحود، وقد ذكرنا ذلك في سؤال سابق.

ثم إننا نقول: هل أحد من الناس يزعم أنه أعلم من النبي ﷺ في أحكام الله ؟ وهل أحد يدعي أنه أنصح من رسول الله ﷺ للخلق؟ وهل أحد يزعم أنه أفصح من الرسول ﷺ فيما ينطق به؟ وهل أحد يزعم أنه أعلم من النبي ﷺ فيما

يريد؟ كل هذه الأوصاف أو كل هذه الأمور الأربع لا يمكن لأحد أن يدعها، فإذا كان نبينا محمد ﷺ وهو أعلم الخلق بشريعة الله، وأنصح الخلق لعباد الله، وأفصح الخلق فيما ينطلق به، وأعلم الخلق بما يقول: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» ^(٩٠) ، ويقول: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» ^(٩١) فأي بيان أوضح من هذا في أن الحكم معلق بالترك، ثم نقول لمن زعم بأن المراد بتركها جحودها: إنك حرفت النص من وجهين:

الوجه الأول: أنك ألغيت الوصف الذي رُتب عليه الحكم وهو الترك.

الوجه الثاني: أنك جعلت وصفاً يتعلق به الحكم لا يدل عليه اللفظ وهو الجحد، فأين الجحد في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «فمن تركها فقد كفر».

ثم إننا نقول: إذا جحد الإنسان فرض الصلاة، فهو كافر وإن صلى، فهل تقول أنت: إنه إذا جحدها وصلى لم يكن كافراً؟ سيدل: لا، إذا جحدها - أي جحد وجوبها - فهو كافر وإن صلى، فنقول: إذا خالفت الحديث، والحديث يقول: «فمن تركها» وأنت قلت: إن الحديث المراد به من تركها جاحداً بها، والكفر مرتب على زعمك على من تركها جاحداً، لا من جحدها بدون ترك، وأنت لا تقول بهذا، فعلى قولك أن من جحدها بدون ترك يكون مسلماً !! فتبيّن بهذا واتضح أن القول الصواب أن من تركها متهاوناً متکاسلاً فهو كافر، أما من جحدها فهو كافر سواء صلى أم لم يصلّ.

وما أشبه هذه الدعوى - أعني دعوى أن المراد من تركها جحود وجوبها - فيما نقل عن الإمام أحمد . رحمه الله . في قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَفْتَلُ مُؤْمِنًا﴾**

(٩٠) رواه الترمذى ، كتاب : الإبان ، باب : ما جاء في ترك الصلاة ، حديث (٢٦٢١) ، والنسائى ، حديث (٤٦٣) ، وابن ماجه ، حديث (١٠٧٩) ، وأحمد في مسنده (٣٤٦/٥) حديث (٢٢٩٨٧) ، وابن حبان في صحيحه (٣٠٥/٤) حديث (١٤٥٤) ، والحاكم في المستدرك (٤٨/١) حديث (١١) .

(٩١) سبق تخریجه برقم (٣٣) .

مُتَعَمِّدًا فَجَرَأَوْهُ جَهَنَّمُ حَتَّلَهَا فِيهَا وَعَصِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَّهُ وَأَعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا [النساء: ٩٣].

روى عن الإمام أحمد - رحمه الله - أن بعض الناس يقول: إن المراد من قتل مؤمناً مستحلاً لقتله، فتعجب الإمام أحمد من هذا، وقال: إنه إذا استحل قتله، فإنه كافر سواء قتله أم لم يقتلته، والآية علقت الحكم بالقتل، وهذا نظير مسألتنا فيمن ترك الصلاة، ونحن إذا قلنا بـكفر تارك الصلاة، فإننا نبرأ إلى الله ، أن نقول عليه ما لا يدل عليه كلامه، أو كلام رسوله ﷺ ، ونرى أن القول بالتكفير، كالقول بالإيجاب والتحريم، لا يتألف إلا من جهة الشرع، وإن الجرأة على القول بالتكفير، كالجرأة على القول بالإيجاب فيما لم يجب، وبالتحريم فيما لم يحرم، لأن الكل أمره إلى الله تعالى ؛ التحليل والتحريم والإيجاب والبراءة والتكفير وعدم التكثير، وكله أمره إلى الله ، فعلى المرء أن يقول بما يقتضيه كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، ولا يلاحظ أي اعتبار يخالف ذلك.

* * *

شروط الصلاة

س ٨٨: ما هي شروط الصلاة؟ وماذا يتطلب عليها؟

الجواب: شروط الصلاة: ما يتوقف عليه صحة الصلاة، لأن الشرط في اللغة: العلامة، كما قال الله تعالى: **﴿فَهُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْتِيهِمْ بَعْثَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾** [محمد: ١٨]. أي علاماتها. والشرط في الشرع، في اصطلاح أهل الأصول: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده الوجود.

شروط الصلاة عدة أهمها: الوقت ، كما قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾** [النساء: ١٠٣]. ولهذا يسقط كثير من الواجبات مراعاة للوقت، وينبغي بل يجب على الإنسان أن يحافظ على أن تكون الصلاة في وقتها. وأوقات الصلاة، ذكرها الله تعالى مجملة في كتابه،

وذكرها النبي ﷺ مفصلة في سنته.

أما في الكتاب العزيز، فقال الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسِقِ الْيَلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. فقوله تعالى: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي زوالها. وقوله: ﴿إِلَى غَسِقِ الْيَلِ﴾ أي منتصف الليل، لأن أقوى غسق في الليل نصفه، وهذا الوقت من نصف النهار إلى نصف الليل، يشتمل على أوقات أربع صلوات: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء. وهذه الأوقات كلها متتالية. ليس بينها فاصل.

فوقت الظهر: من زوال الشمس إلى أن يصير ظل الشيء كطولة. ووقت العصر: من هذا الوقت إلى اصفار الشمس، الوقت الاختياري، وإلى غروب الشمس: الوقت الاضطراري. ووقت المغرب: من غروب الشمس إلى مغرب الشفق، وهو الحمرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس.

ووقت العشاء: من هذا الوقت إلى منتصف الليل. هذه الأوقات الأربع المتصلة بعضها بعض. وأما من نصف الليل إلى طلوع الفجر، فليس وقتاً لصلاة فريضة.

ووقت صلاة الفجر: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ولهذا فصله الله تعالى عما قبله فقال: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسِقِ الْيَلِ﴾ ثم قال: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، والسنة جاءت مبينة لهذا على ما وصفته آنفًا. فهذه الأوقات التي فرضها الله على عباده، لا يجوز للإنسان أن يقدم الصلاة عن وقتها، ولا يجوز أن يؤخرها عن وقتها، فإن قدمها عن وقتها، ولو بقدر تكبيرية الإحرام لم تصح، لأنه يجب أن تكون الصلاة في نفس الوقت، لأن الوقت ظرف، فلا بد أن يكون المظروف داخله.

ومن آخر الصلاة عن وقتها؛ فإن كان لعذر من نوم أو نسيان أو نحوه، فإنه

يصلحها إذا زال ذلك العذر لقول النبي ﷺ: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلحها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك» ^(٩٢) ثم تلا قول الله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] وإن لم يكن له عذر فإن صلاته لا تصح، ولو صلى ألف مرة، فإذا ترك الإنسان الصلاة فلم يصلحها في وقتها، فإنها لا تنفعه ولا تبرأ بها ذمته فإذا كان تركه إليها لغير عذر، ولو صلحتها آلاف المرات، دليل ذلك: قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ^(٩٣) . ومن ترك الصلاة حتى خرج وقتها لغير عذر، فقد صلحتها على غير أمر الله ورسوله، فتكون مردودة عليه.

لكن من رحمة الله بعباده، أن وسع لهم فيما إذا كان لهم عذر، يشق عليهم أن يصلوا الصلاة في وقتها، رخص لهم في الجمع بين الظهر والعصر، أو بين المغرب والعشاء، فإذا شق على الإنسان أن يصلح كل صلاة في وقتها من الصالحين المجموعتين، فإنه يجوز أن يجمع بينهما ؛ إما جمع تقديم، وإما جمع تأخير، على حسب ما يتيسر له، لقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وثبت في «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ جمع في المدينة بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، من خوف ولا مطر، فسئل ابن عباس عن ذلك - يعني لم صنع الرسول ﷺ هذا - قال: أراد أن لا يحرج أمته ^(٩٤) ففي هذا دليل على أن الإنسان إذا لحقته مشقة في ترك الجمع بين الظهر والعصر أو بين المغرب والعشاء، فإنه يجوز له أن يجمع بينهما. والوقت أهم الشروط، ولهذا كان الوقت شرطاً وسبباً.

(٩٢) سبق تخرجه برقم (٨٠) .

(٩٣) سبق تخرجه برقم (٦٢) .

(٩٤) رواه : مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الجمع بين الصالحين في الحضر ، حديث (٧٠٥) ، وأبو داود ، حديث (١٢١٠) ، وأحمد في مسنده (١/٢٢٣) حديث (١٩٥٣) ، وأبو عوانة في مسنده (٢/٣٥٣ - ٣٥٤) ، والبيهقي في الكبرى (٣/٦٧) حديث (٥٣٣٩) .

من الشروط أيضاً: ستر العورة، لقول الله تعالى: ﴿يَبْنِي مَادَمْ حُذْوَا زِينَتُكَ عَنَّكَ كُلُّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَشَرِبُوا وَلَا تُشْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. وقال النبي ﷺ لخابر بن عبد الله في الثوب قال: «إِنْ كَانَ ضِيقًا فَأَعْتَرْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ وَاسِعًا فَالْتِحْفَ بِهِ»^(٩٥). وقال ﷺ فيما رواه أبو هريرة : «لَا يَصْلِي أَحَدُكُمْ فِي الثوب الْوَاحِدِ لِنَسِيَّةٍ عَلَى عَاتِقِهِ مِنْهُ شَيْءٌ»^(٩٦) وهذا يدل على أنه يجب على الإنسان أن يكون مستتراً في حال الصلاة، وقد نقل ابن عبد البر - رحمه الله - إجماع العلماء على ذلك، وأن من صلى عرياناً مع قدرته على السترة، فإن صلاته لا تصح.

وفي هذا المجال قسم العلماء رحمة الله العورة إلى ثلاثة أقسام: مخففة، ومغلظة، ومتوسطة.

فالمغلظة: عورة المرأة الحرة البالغة، قالوا: إن جميع بدنها عورة في الصلاة، إلا وجهها، واختلفوا في الكفين والقدمين.

والمحففة: عورة الذكر من سبع سنين إلى عشر سنين، فإن عورته الفرجان: القبل والدبر، فلا يجب أن يستر فخذنه، لأنه صغير.

والمتوسطة: ما عدا ذلك، قالوا: فالواجب فيها: ستر ما بين السرة والركبة، فيدخل في ذلك الرجل البالغ عشرًا فيما فوق، ويدخل في ذلك: المرأة التي لم تبلغ، ويدخل في ذلك الأمة المملوكة، ومع هذا فإننا نقول: المشروع في حق كل إنسان، أن يأخذ زينته عند كل صلاة، وأن يلبس اللباس الكامل، لكن

(٩٥) أخرجه البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : إذا كان الثوب ضيقاً ، حديث (٣٦١) ، والإمام أحمد في مسنده (٣٢٨/٣) ، حديث (٣١٠٥) ، وأiben خزيمة في صحيحه (٣٧٧/١) ، حديث (٧٦٧) ، وأiben حبان في صحيحه (٧٩/٦) ، حديث (٢٣٠٥) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/٢٣٨) ، حديث (٣١٠٥) .

(٩٦) أخرجه مسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه ، حديث (٥١٦) ، والنمسائي ، حديث (٧٦٩) ، والدارمي ، حديث (١٣٧١) ، والإمام أحمد في مسنده (٤/٤٦٤) ، حديث (٩٩٨٠) ، والنمسائي في السنن الكبرى (١/٢٧٦) ، حديث (٨٤٤) .

لو فرض أنه كان هناك خرق في ثوبه على ما يكون داخلًا ضمن العورة، فإنه حينئذ يناقش فيه: هل تصح صلاته أو لا تصح؟ ثم إن المرأة إذا كان حولها رجال غير محارم، فإنه يجب عليها أن تستر وجهها ولو في الصلاة، لأن المرأة لا يجوز لها كشف وجهها عند غير محارمها. هذان شرطان من شروط الصلاة.

* * *

توضيح

س ٨٩: قبل أن نخرج من السرط الثاني قلتم اذا كانت فيه حرق ينافس فيه، كيف ينافس فيه؟

الجواب: إذا كان فيه حرق فإنه يناقش فيه، إذ أنه يفرق بين اليسير والكثير، ويفرق بين ما كان على حذاء العورة المغلظة كالفرجين، وما كان متطرقاً، كالذي يكون في طرف الفخذ وما أشبه ذلك، أو يكون في الظهر من فوق الإليتين، أو في البطن من دون السرة وفوق السوأة، المهم أن كل مكان له حظه من تغليظ العورة.

ولعل هذا السؤال أيضًا يجرنا إلى التنبيه على مسألة يفعلها بعض الناس في أيام الصيف، حيث يلبس سراويل قصيرة، ثم يلبس فوقها ثوباً شفافاً يصف البشرة ويصلبلي، فهذا لا تصح صلاته، لأن السراويل القصيرة التي لا تستر ما بين السرة والركبة، إذا لبس فوقها ثوباً خفيفاً يصف البشرة، فإنه لم يكن ساترًا لعورته التي يجب عليه أن يسترها في الصلاة. ومعنى قولنا يصف البشرة: أي يبين من ورائه لون الجلد، هل هو أحمر أو أسود أو بين ذلك، وليس المعنى أن يبيّن حجم الجلد، فإن هذا لا يضر، وإن كان كلما كان أثخن فهو أفضل، لكنه لا يضر، لأنه ليس بشفاف ثُرى من ورائه البشرة.

فمثلاً يوجد ثياب إذا كان تحتها سراويل تعرف الفرق بين حد السروال من بقية الجلد لكن لا يبيّن لك لون الجلد، فهذا تصح الصلاة معه، لكن كما قلنا كلما كان أثخن فهو أفضل.

ومن شروط الصلاة: الطهارة، وهي نوعان: طهارة من الحدث، وطهارة من النجس.

أولاً: الطهارة من الحدث:

والحدث نوعان: حدث أكبر، وهو ما يوجب الغسل، وحدث أصغر، وهو ما يوجب الوضوء. وقد سبق لنا ذكر الغسل والوضوء وأسبابهما، وهي نواقص الوضوء وموجبات الغسل، فلا حاجة إلى إعادة ذلك مرة أخرى.

لكن الذي يهمنا هنا، أن نبين أن الطهارة من الحدث شرط وهو من باب الأوامر التي يطلب فعلها لا التي تحتاج اجتنابها، والقاعدة المعروفة عند أهل العلم، أن ترك المأمور لا يعذر فيه بالنسبيان والجهل، وبناء على ذلك فلو أن أحداً من الناس صلى بغير وضوء ناسياً، فإنه يجب عليه أن يعيد صلاته بعد أن يتوضأ، لأنه أخل بشرط إيجابي مأمور بفعله، وصلاته بغير وضوء ناسياً ليس فيها إثم، لقوله تعالى: ﴿هُرَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. لكنها صلاة غير صحيحة، فلا تبرأ بها الذمة، فيكون مطالبتها بها.

ولَا فرق في هذا، بين أن يكون الإنسان منفراً أو مأموراً، أو إماماً، فكل من صلى بغير وضوء، أو بغير غسل من حدث أكبر ناسياً، فإنه يجب عليه إعادة الصلاة متى ذكر، حتى وإن كان إماماً، إلا أنه إذا كان إماماً، وذكر في أثناء الصلاة، فإنه ينصرف، ويأمر من خلفه أن يتم الصلاة، فيقول لأحدهم: تقدم أتم الصلاة بهم، فإن لم يفعل، أي يعين من يتم الصلاة بهم، قدموا واحداً منهم فأتم، فإن لم يفعلوا أتم كل واحد على نفسه. ولا يلزمهم أن يستأنفوا الصلاة من جديد، ولا أن يعيدوا الصلاة لو لم يعلموا إلا بعد ذلك، لأنهم معذورون حيث إنهم لا يعلمون حال إمامهم، وكذلك لو صلى بغير وضوء جاهلاً، فلو قدم إليه طعام وفيه لحم إبل، وأكل من لحم الإبل، وهو لا يدرى أنه لحم إبل، ثم قام فصلى، ثم علم بعد ذلك فإنه يجب عليه أن يتوضأ ويعيد صلاته، ولا إثم عليه حين صلى، وقد انتقض وضوئه وهو لا يدرى بانتقاده، لقوله تعالى: ﴿هُرَبَّنَا﴾

لَا تُؤَاخِذنَا إِن نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* * *

حكم صلاة الإمام بغير وضوء ناسياً

س ٩٠ : نصب أن نساك إذا لم يعلم الإمام أن وضوءه منقضى
الله بعد انتهاء الصلاة فهل يلزمه إعادة هو والمأمومون أم لا؟

الجواب : حكم ذلك أن الإمام يجب عليه إعادة الصلاة، وأما المؤممون
فلا تجب عليهم إعادة الصلاة، وهم في الأجر قد نالوا أجر الجماعة، لأنهم صلوا
جماعة، فيكتب لهم الأجر، ولا يخفى أيضاً إذا قلنا: إنه صلى بغير وضوء أو
بغير غسل من الجنابة، أنه إذا كان معذوراً لا يتمكن من استعمال الماء، فإنه يتيم
بدلاً عنه، فالتييم عند تuder استعمال الماء يقوم مقام الماء، فإن قدر أن هذا الرجل
لم يجد الماء، وتييم وصلى، فصلاته صحيحة، ولو بقي أشهرًا ليس عنده ماء، أو
لو بقي أشهرًا مريضاً لا يستطيع أن يستعمل الماء، فإن صلاته بالتييم صحيحة،
فالتييم يقوم مقام الماء عند تuder، استعماله، وإذا قلنا: إنه يقوم مقامه عند تuder
استعماله، فإنه إذا تطهر بالتييم، فإنه لا يلزمه إعادة التييم للصلاة الثانية، لأن
التييم مطهر، كما قال الله تعالى في آية المائدة لما ذكر التييم قال: ﴿مَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَنَكُنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلَيُسْتَمِعَنَّ
عَلَيْكُم﴾ [المائدة: ٦]. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «جعلت لي الأرض
مسجدًا وطهورًا» ^(٩٧).

* * *

(٩٧) رواه : البخاري ، كتاب : التييم ، باب : قول الله تعالى : (فلم تجدوا ماء فتيموا) ، حديث (٣٢٥) ، ومسلم ، كتاب : المساجد وموضع الصلاة ، حديث (٥٢٣) ، والترمذى ، حديث (١٥٥٣) (١٥٥٣)
وقال : حديث حسن صحيح . ورواه أبو داود ، حديث (٤٨٩) ، والنسائي ، حديث (٤٣٢) ، وابن
ماجة ، حديث (٥٦٧) ، والدارمي حديث (٢٤٦٧) ، والإمام أحمد في مسنده (١٦١/٥) ، حديث
(٢١٤٧٢) .

حكم ائتمام المتوضى بالمتيم؟

س ٩١ : أيضاً ربما يستفسر : هل يهرز أن يوم متيم متوضى؟

الجواب : نقول نعم يجوز أن يكون المتيم إماماً للمتوضى، لأن كلاً منهما قد صلى بطهارة مأذون فيها.

ثانياً : الطهارة من النجاسة :

أما الشق الثاني : الطهارة من النجاسة ومواضعها ثلاثة:

البدن، والثوب، والبقةع، فلابد أن يتزه الإنسان عن النجاسة في بدنـه، وثوبـه، وبقـعـته.

ودليل ذلك في البدن : أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول» ^(٩٨)

وكذلك أمر النبي ﷺ المرأة الحائض إذا أصاب الحيض ثوبها، أن تغسله ثم تصلي فيه ^(٩٩). ففيه دليل على وجوب تطهير الثوب من النجاسة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أتى بصبي لم يأكل الطعام، فوضعه في حجره فبال عليه، فدعـا بـإـنـاءـ مـاءـ فـأـبـعـهـ إـيـاهـ ^(١٠٠)

(٩٨) رواه : البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : من الكبائر لا يستتر من بوله ، حديث (٢١٦) ، بلفظ : «لا يستتر من بوله» ، ومسلم ، كتاب ، باب : الطهارة ، باب : الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء ، حديث (٢٩٢) ، وأبو داود ، حديث (٢٠) بلفظ «يستره» ، والترمذى ، حديث (٧٠) ، والنمسائى ، حديث (٣١) ، وابن ماجه ، حديث (٣٤٧) ، والدارمى ، حديث (٧٣٩) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٢٥/١) ، حديث (١٩٨٠).

(٩٩) رواه : البخاري ، كتاب : الحيض ، باب : غسل دم الحيض ، حديث (٣٠٧) ، ومسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : نجاسة الدم وكيفية غسله ، حديث (٢٩١) ، وابن ماجه ، حديث (٦٣٠) ، والدارمى ، حديث (١٠٠٨) ، والإمام أحمد في مسنده (٣٥٣/٦) ، حديث (٢٧٠٢٦) ، مالك في الموطأ (٦٠/١) ، حديث (١٣٤).

(١٠٠) آخر جهـةـ البـخـارـيـ ، كـتابـ الـوضـوءـ ، بـابـ بـولـ الصـبـيـانـ ، حـدـيـثـ (٢٢٢) ، وـمـسـلـمـ ، كـتابـ الطـهـارـةـ ، بـابـ حـكـمـ بـولـ الطـفـلـ الرـضـيعـ وـكـيـفـيـةـ غـسـلـهـ ، حـدـيـثـ (٢٨٦) ، وأـبـوـ دـاـدـ ، حـدـيـثـ (٣٧٤) ، والنـمـسـائـىـ حـدـيـثـ (٣٠٣) ، والـتـرـمـذـىـ (٧١) ، وـابـنـ مـاجـهـ (٥٢٣) ، وـالـإـلـمـامـ أـحـمـدـ فيـ مـسـنـدـهـ (٥٣/٦) ، حـدـيـثـ (٢٤٣٠١) ، وـمـالـكـ فـيـ الـموـطـأـ (١) حـدـيـثـ (٦٤٠) ، وـالـدـارـمـىـ ، حـدـيـثـ (٧٤١).

وأما البقعة: ففي حديث أنس أن رجلاً أعرابياً بال في طائفة المسجد - أي في جانب منه - فأمر النبي ﷺ أن يراق على بوله ذنوب من ماء ^(١٠١).

إذاً: فلا بد أن يتتجنب الإنسان النجاسة، في بدنـه، وثوبـه، وبقعتـه التي يصلـي عليها. فإن صلـى وبدنه نجـس، أي قد أصـابـته نجـاسـة لم يغـسلـها، أو ثـوبـه نجـسـ، أو بـقـعـتـه نجـسـةـ، ولـكـنهـ لم يـعـلـمـ بـهـذـهـ النـجـاسـةـ، أو عـلـمـ بـهـاـ ثـمـ نـسـيـ أنـيـغـسـلـهـاـ، حتىـتـمـتـ صـلـاتـهـ، فإـنـ صـلـاتـهـ صـحـيـحةـ، وـلـاـ يـلـزـمـهـ أـنـ يـعـيـدـ. وـدـلـيلـ ذـلـكـ: أـنـ النـبـيـ ﷺ صـلـىـ بـأـصـحـابـهـ ذاتـ يـوـمـ، فـخـلـعـ نـعـلـيـهـ، فـخـلـعـ النـاسـ نـعـالـهـمـ، فـلـمـ اـنـصـرـفـ النـبـيـ سـأـلـهـمـ عـنـ خـلـعـ نـعـالـهـمـ فـقـالـوـاـ: رـأـيـاـكـ خـلـعـتـ نـعـلـيـكـ فـخـلـعـنـاـ نـعـالـنـاـ، فـقـالـ: «إـنـ جـبـرـيـلـ أـتـانـيـ، فـأـخـبـرـنـيـ أـنـ فـيـهـمـ قـدـرـاـ» ^(١٠٢). ولو كانت الصلاة تبطل لاستصحابـ النـجـاسـةـ حالـ الجـهـلـ لـاستـأـنـفـ النـبـيـ ﷺ الصـلـاةـ، فإـنـ الإـنـسـانـ لـوـ ذـكـرـ أـنـ لـمـ يـتـوـضـأـ فـيـ أـثـنـاءـ صـلـاتـهـ، وـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـنـصـرـفـ وـيـتـوـضـأـ، إـذاًـ: اـجـتـنـابـ النـجـاسـةـ فـيـ الـبـدـنـ، وـالـثـوـبـ، وـالـبـقـعـةـ، شـرـطـ لـصـحـةـ الصـلـاةـ، لـكـنـ إـذـاـ لـمـ يـجـتنـبـ الإـنـسـانـ النـجـاسـةـ جـاهـلـاـ أوـ نـاسـيـاـ وـصـلـىـ، فإـنـ صـلـاتـهـ صـحـيـحةـ، سـوـاءـ عـلـمـ بـهـاـ قـبـلـ الصـلـاةـ ثـمـ نـسـيـ أـنـ يـغـسـلـهـاـ، أوـ لـمـ يـعـلـمـ بـهـاـ إـلاـ بـعـدـ الصـلـاةـ.

فـإـنـ قـلـتـ: مـاـ فـرـقـ بـيـنـ هـذـاـ وـبـيـنـ مـاـ إـذـاـ صـلـىـ بـغـيرـ وـضـوـءـ نـاسـيـاـ أوـ جـاهـلـاـ، حيثـ أـمـرـنـاـ مـنـ صـلـىـ بـغـيرـ وـضـوـءـ جـاهـلـاـ أوـ نـاسـيـاـ بـالـإـعـادـةـ، وـلـمـ نـأـمـرـ هـذـاـ الذـيـ صـلـىـ بـالـنـجـاسـةـ نـاسـيـاـ أوـ جـاهـلـاـ بـالـإـعـادـةـ، قـلـنـاـ: فـرـقـ بـيـنـهـمـ أـنـ الـوـضـوـءـ أوـ الـغـسـلـ مـنـ بـابـ فـعـلـ الـمـأـمـورـ، وـأـمـاـ اـجـتـنـابـ النـجـاسـةـ فـهـوـ مـنـ بـابـ تـرـكـ الـمـحـظـورـ، وـفـعـلـ

(١٠١) أخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : صب الماء على البول في المسجد ، حديث (٢٢٠) ، وأبو داود ، حديث (٣٨٠) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٣٩/٢) ، حديث (٧٢٥٤) ومالك في الموطأ (٦٤/١) حديث (١٤٢) ، والنسائي في السنن الكبرى (٧٥/١) ، حديث (٥٤) ، وابن حبان في صحيحه (٤٤٤/٤) ، حديث (١٣٩٩).

(١٠٢) أخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : الصلاة في النعل ، حديث (٦٥٠) ، والإمام أحمد في مسنده (٩٢/٣) ، حديث (١١٨٩٥) ، وابن خزيمة في صحيحه ، (٢/١٠٧) ، حديث (١٠١٧) ، وابن حبان (٥٦٠/٥) ، حديث (٢١٨٥) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٠٤/٢) ، حديث (٣٨٩٤) ، والصغرى (١٣٨/١) ، حديث (١٨٢) ، وأبو يعلى في المسند (٤٠٩/٢) ، حديث (١١٩٤).

المأمور لا يُعذر فيه بالجهل والنسيان، بخلاف ترك المخظور.

ومن شروط الصلاة: استقبال القبلة، لقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ نَرَى تَنَّعِّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤْلِيَنَّكَ قِبَلَةً تَرَضِّنَهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُوا وُجُوهُكُمْ شَطَرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]. فاستقبال القبلة شرط لصحة الصلاة، فمن صلى إلى غير القبلة، فصلاته باطلة غير صحيحة، لا مبرأة لذمته إلا في أحوال أربع:

الحال الأولى: إذا كان عاجزاً عن استقبال القبلة، مثل أن يكون مريضاً، وجهه إلى غير القبلة، ولا يمكن من الانصراف إلى القبلة، فإن صلاته تصح على أي جهة كان، لقول الله تعالى: ﴿فَلَنَقُوا اللَّهُ مَا مَا أَسْتَطَعُمُ﴾ [التغابن: ١٦]. وهذا الرجل لا يستطيع أن يتحول إلى القبلة، لا بنفسه ولا بغيره.

الحال الثانية: إذا كان خائفاً أو كان هارباً واتجاهه إلى غير القبلة، ففي هذه الحال يسقط عنه استقبال القبلة، لقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ خَفْتُمْ فِرَجاً أَوْ رُكَبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]. ومعلوم أن الخائف قد يكون اتجاهه إلى القبلة، وقد يكون اتجاهه إلى غير القبلة، فإذا رخص الله له في الصلاة راجلاً أو راكباً، فمقتضى ذلك أن يرخص له في الاتجاه إلى غير القبلة، إذا كان يخاف على نفسه إذا اتجه إلى القبلة.

الحال الثالثة: إذا كان في سفر وأراد أن يصلى النافلة فإنه يصلى حيث كان اتجاه سيره، ثبت ذلك عن النبي ﷺ أنه كان يصلى في السفر حيث كان وجهه، إلا أنه لا يصلى المكتوبة، ففي النافلة يصلى المسافر حيث كان وجهه، بخلاف الفريضة، فإن الفريضة يجب عليه أن يستقبل القبلة فيها في السفر.

الحال الرابعة: إذا كان قد اشتبهت عليه القبلة، فلا يدرى أي الجهات تكون القبلة، ففي هذه الحال يتحرى بقدر ما يستطيع، ويتجه حيث غالب على ظنه أن تلك الجهة هي القبلة، ولا إعادة عليه لو تبين له فيما بعد أنه صلى إلى غير

القبلة. وقد يقول قائل: إن هذه الحال لا وجه لاستثنائها، لأننا نلزمه أن يصلى إلى الجهة التي يغلب على ظنه أنها قبلة، ولا يضره إذا لم يوفق، لأن هذا ممتهن قدرته واستطاعته، وقد قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿فَلَنَقُوا اللَّهُ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

* * *

بقية شروط الصلاة

س ٩٦: زير أن تستلم معلم بقية شروط الصلاة، وقد ذكرت منها: الوقت، وست العورة، والطهارة، واستقبال القبلة؟

الجواب: قد سبق أن تكلمنا على شرط استقبال القبلة لصحة الصلاة، وذكرنا أنه يستثنى من ذلك أحوال أربع، وأن الحالة الرابعة وهي ما إذا اشتهرت القبلة على الإنسان قد يناقش فيها. وعلى كل حال فإننا نقول: سواء جعلناها مما يُستثنى، أو مما لا يُستثنى، فإن الإنسان فيها يجب عليه أن يتقي الله ما استطاع، وأن يتحرى الصواب فيعمل به. ولكنها هنا مسألة وهي أنه يجب أن نعرف أن استقبال القبلة يكون إما إلى عين القبلة وهي الكعبة وإما إلى جهتها، فإن كان الإنسان قريباً من الكعبة يمكنه مشاهدتها، ففرض أن يستقبل عين الكعبة، لأنها هي الأصل، وأما إذا كان بعيداً، لا يمكنه مشاهدة الكعبة، فإن الواجب عليه أن يستقبل الجهة، وكلما بعد الإنسان عن مكة، كانت الجهة في حقه أوسع، لأن الدائرة كلما تباعدت اتسعت، ولهذا قال النبي ﷺ: «ما بين المشرق والمغرب قبلة» (١٠٣).

هذا بالنسبة لأهل المدينة، وذكر أهل العلم - رحمهم الله - أن الانحراف

(١٠٣) أخرجه الترمذى ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة ، حديث (٣٤٢) ، والنمسائي ، حديث (٢٢٤٣) ، وابن ماجه ، حديث (١٠١١) ، ومالك في الموطا (١٩٦/١) ، حديث (٤٦٠) ، والحاكم في المستدرك (٣٢٣/١) ، حديث (٧٤١) وقال : حديث صحيح على شرط الشیخین ، والبیهقی في السنن الکبری (٩/٢) ، حديث (٢٠٦٢) ، والدارقطنی (٢٧٠/١) .

اليسير في الجهة لا يضر، والجهات معروفة أنها أربع: الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب، فإذا كان الإنسان بعيداً عن الكعبة شرقاً أو غرباً، كانت القبلة حقة فيما بين الشمال والجنوب، وإذا كان عن الكعبة شمالاً أو جنوباً، صارت القبلة في حقه ما بين الشرق والغرب، لأن الواجب استقبال الجهة.

نعم لو فرض أن الإنسان كان شرقاً عن مكة واستقبل الشمال، فإن ذلك لا يصح، لأنه جعل الجهة على يساره، وكذلك لو استقبل الجنوب، فإن ذلك لا يصح، لأنه جعل القبلة عن يمينه، وكذلك لو كان من أهل الشمال واستقبل الغرب، فإن صلاته لا تصح، لأنه جعل القبلة عن يساره، ولو استقبل الشرق، فإن ذلك لا يصح أيضاً لأنه جعل القبلة عن يمينه.

وقد يسر الله لعباده في هذا الوقت وسائل تبين القبلة بدقة وهي مجربة، فينبغي للإنسان أن يصطحب هذه الوسائل معه في السفر، لأنها تدله على القبلة إذا كان في حال لا يتمكن منها من معرفة القبلة. وكذلك ينبغي لمن أراد إنشاء مسجد، أن يتبع ما تقتضيه هذه الوسائل المجربة والتي عرف صوابها.

من شروط الصلاة أيضاً: «النية»، والنية محلها القلب، واشترط النبي إنما يذكر من أجل التعيين أو التخصيص، أما من حيث الإطلاق، فإنه لا يمكن لأحد عاقل مختار، أن يقوم فيتوضأ، ثم يذهب ويصلِّي، لا يمكن أن يفعل ذلك إلا وقد نوى الصلاة، لكن الكلام على التعيين. فالتعيين لابد منه في النية، فينوي الظاهر ظهراً، والعصر عصراً، والمغرب مغرباً، والعشاء عشاء، والفجر فجراً، لا بد من ذلك، ولا تكفي نية الصلاة المطلقة، لأن نية الصلاة المطلقة أعم من نية الصلاة المعينة، والأعم لا يقضي على الأخص، فمن نوى الأعم لم يكن ناوياً للأخص، ومن نوى الأخص لم يكن ناوياً للأعم لدخوله به.

ولهذا نقول: إذا انتقل الإنسان من مطلق إلى معين، أو من معين إلى معين لم يصح ما انتقل إليه، وأما ما انتقل منه فإن كان من مطلق إلى معين تبطل نية الإطلاق، وإن كان من معين إلى معين بطل الأول والثاني، وهذا القول المحمى

أيئه في الأمثلة:

رجل أخذ يصلي ناوياً نفلاً مطلقاً، ثم أراد أن يقلب النية في أثناء الصلاة إلى نفل معين، أراد أن يجعل هذا النفل المطلق إلى راتبة، فهنا نقول: لا ينفع ذلك، لأن الراتبة لابد أن تكون منوية من قبل تكبيرة الإحرام ولا لم تكن راتبة، لأن الجزء الأول الذي خلا من نية الراتبة، صار بغير نية الراتبة، لكن لو كان يصلي راتبة ثم نوحاها نفلاً مطلقاً، وألغى نية التعين صح ذلك، وذلك لأن الصلاة المعينة تتضمن نية التعين ونية الإطلاق، فإذا ألغى نية التعين بقيت نية الإطلاق.

مثال آخر: رجل دخل يصلي بنية العصر، ثم ذكر في أثناء الصلاة، أنه لم يصل الظهر، فحوّل نيته من العصر إلى الظهر، فهنا لا تصح، لا صلاة الظهر، ولا صلاة العصر، أما صلاة العصر فلا تصح، لأنه قطعها، وأما صلاة الظهر فلا تصح، لأنه لم ينوها من أولها. لكن إذا كان جاهلاً، صارت هذه الصلاة في حقه نفلاً، لأنها لما ألغى التعين، بقي الإطلاق.

والخلاصة أني أقول: إن النية المطلقة في العبادات لا أظن أحداً لا ينويها أبداً، إذ ما من شخص يقول: فيفعل إلا وقد نوى، لكن الذي لابد منه هو نية التعين والتخصيص.

كذلك أيضاً مما يدخل في النية: نية الإمامة بعد أن كان منفرداً، أو الائتمام بعد أن كان منفرداً، وهذا فيه خلاف بين العلماء، وال الصحيح أنه لا بأس به، فنية الإمامة بعد أن كان منفرداً ؟ مثل أن يشرع الإنسان في الصلاة وهو منفرد، ثم يأتي رجل آخر يدخل معه، ليصيرا جماعة فلا بأس بذلك، لأن النبي ﷺ قام يصلي من الليل، وكان ابن عباس رضي الله عنهما نائماً، ثم قام ابن عباس فتوضاً ودخل مع النبي ﷺ، وأقره النبي ﷺ^(١٠٤)، والأصل أن ما ثبت

(١٠٤) أخرجه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : إذا لم ينو الإمام أن يؤم ثم جاء القوم ، حديث (٦٩٩) ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، حديث (٧٦٣) =

في التفل ثبت في الفرض إلا بدليل.

فلو شرع الإنسان يصلي وحده، ثم جاء آخر فدخل معه فجعله إماماً له فلابأس، ويكون الأول إماماً والثاني مأموراً، وكذلك بالعكس ؟ لو أن أحداً شرع في الصلاة منفرداً، ثم جاء جماعة، فصلوا جماعة، فانضم إليهم، فقد انتقل من انفراد إلى ائتمام، وهذا أيضاً لا بأس به، لأن الانتقال هنا ليس إبطالاً للنية الأولى، ولكنه انتقال من وصف إلى وصف فلا حرج فيه.

هذه من أهم الشروط التي ينبغي الكلام عليها، وهناك شروط أخرى كالإسلام، والتمييز، والعقل، لكن هذه شروط في كل عبادة.

صفة الصلاة

س ٩٣ : نود أن نعرف صفة الصلاة، بعد أن عرفنا هاتمتها،
وحلّمت تاركها، وشرد طرها ؟

الجواب : إن معرفة الصلاة وغيرها من العبادات من أهم ما يكون، لأن بها يتحقق الشرط الثاني من شروط العبادات وهو متابعة النبي ﷺ، وإنني أحث نفسي وأخواني المسلمين على أن يتلقوا صفة صلاة النبي ﷺ من الكتب المعتبرة، حتى يقيموها كما أقامها النبي ﷺ وها نحن نذكرها، سائلين الله أن يوفقنا للصواب فنقول:

بعد أن يأتي الإنسان بشروط الصلاة التي تسقها ؛ من الطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة وغير ذلك، يكبر، فيقول: الله أكبر، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه، أو إلى فروع أذنيه، ثم يضع يده اليمنى على ذراعه اليسرى، على صدره، ثم يستفتح بما ورد عن النبي ﷺ من الاستفتاح، يستفتح بأي نوع ورد، إما

= والنمسائي ، حديث (٨٠٦) ، وابن ماجه ، حديث (٩٧٣) والإمام أحمد في مسنده (٣٦٠/١) ،
Hadith (٣٣٨٩) ، والطبراني في المعجم الكبير (٦٩/١١) ، حديث (١١٠٧٢) .

بقول: «اللهم باعد بيني وبين خطايدي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نفني من خطايدي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطايدي بالماء والثلج والبرد» ^(١٠٥) .. أو بقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك» ^(١٠٦) ، أو بغيرهما مما ورد عن النبي ﷺ .

ثم يقول: أعود بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ثم يقرأ الفاتحة، ويقف على كل آية منها، فيقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَنْ لِكَ يُوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أَهَدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْقِطَمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ثم يقرأ ما تيسر من القرآن، والأفضل أن يقرأ سورة تامة، تكون في الفجر من طوال المفصل، وفي المغرب من قصاره غالباً، وفي الباقي من أواسطه.

ثم يرفع يديه مكبراً في الركوع فيقول: الله أكبر، ويضع يديه مفرجتي الأصابع على ركبتيه، ويمدّ ظهره مستوياً مع رأسه، لا يرفع رأسه ولا يصوّبه، ويقول: سبحان رب العظيم، يكررها ثلاثة، وهو أدنى الكمال، وإن زاد فلا بأس.

ثم يرفع رأسه قائلاً: سمع الله لمن حمده، ويرفع يديه كذلك، كما رفعهما عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، ثم يقول بعد قيامه: ربنا ولد الحمد،

(١٠٥) أخرجه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : ما يقول بعد التكبير ، حدث (٧٤٤) ، ومسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع ، حدث (٤٧٦) ، والترمذى ، حدث (٣٤٩٥) ، والنسائى ، حدث (٤٠٢) ، وابن ماجه ، حدث (٨٠٥) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٣/٦) ، حدث (٢٤٠٢١) .

(١٠٦) أخرجه مسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : حجة من قال لا يجهر بالبسملة ، حدث (٣٩٩) ، والترمذى ، حدث (٢٤٣) ، والنسائى ، حدث (٨٩٩) ، وأبو داود ، حدث (٧٧٦) ، وابن ماجه ، حدث (٨٠٦) ، والإمام أحمد في مسنده (٣/٥٠) ، حدث (١١٤٩١) .

حمدًا كثيًرا طيبا مبارَّكًا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، ثم يسجد مكبِّراً، ولا يرفع يديه حال السجود، ولا يرفعهما إذا هوى إلى السجود. قال ابن عمر رضي الله عنهم، وكان لا يفعل ذلك - يعني الرفع - في السجود، ويُسجد على ركبتيه، ثم يديه، ثم جبهته وأنفه، يُسجد على أعضاء سبعة ؛ الجبهة والأنف، وهما عضو واحد، والكفين، والركبتين، وأطراف القدمين، ويُحافي عضديه عن جنبيه، ويُرفع ظهره ولا يمده، ويُجعل يديه حذاء وجهه، أو حذاء منكبيه، مضمومتي الأصابع، مبوسطة، ورءوس الأصابع نحو القبلة، فيقول: سبحان ربِّي الأعلى، أدنى الكمال ثلاَث، ويزيد ما شاء، ولكن يغلب في السجود جانب الدعاء، لقول النبي ﷺ : «أَمَا الرُّكُوعُ فَعَظِمُوا فِيهِ الرَّبُّ، وَأَمَا السَّجْدَةُ فَأَكْثَرُوا فِيهِ الدُّعَاءِ» ^(١٠٧) .

ثم يرفع من السجود مكبِّراً، ولا يرفع يديه، ويجلس مفترشًا رجله اليسرى، ناصبًا رجله اليمنى، ويوضع يديه على فخذيه أو على ركبتيه، وتكون اليمنى مضمومة الأصابع الثلاثة ؛ الخنصر، والبنصر، والإبهام، وإن شاء حلق الإبهام مع الوسطى، وأما السبابية فتبقي مفتوحة، ويحرِّكها عند الدعاء، ويقول: رب اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واعافي، وارزقني. وكلما دعا حرك إصبعه نحو السماء، إشارة إلى علو المدعو، أما اليد اليسرى فإنها تبقى على الرجل اليسرى، على الفخذ، أو على طرف الركبة، مبوسطة، مضمومة أصابعها، متوجهًا بها إلى القبلة، ثم يسجد السجدة الثانية كالأولى فيما يقال وما يفعل.

ثم يرفع من السجود إلى القيام مكبِّراً، ولا يرفع يديه عند هذا القيام، لأن

(١٠٧) أخرجه مسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ، حديث (٤٧٩) ، والنمسائي ، حديث (١٠٤٥) ، والإمام أحمد في مستنه (٢١٩/١) ، حديث (١٩٠٠) ، والدارمي ، حديث (١٣٢٦) ، وابن حبان في صحيحه (٢٢٢/٥) ، حديث (١٨٩٦) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٢٣/١) حديث (٢٥٥٩) .

ذلك لم يرد عن النبي ﷺ في حديث صحيح، ثم يقرأ الفاتحة وما تيسر، لكن تكون قراءته دون القراءة في الركعة الأولى، ويصلِّي الركعة الثانية كما صلَّى الركعة الأولى.

ثم يجلس للتشهد، ويجلس للتشهد كجلوسه للدعاء بين السجدين، أي يفترش رجله اليسرى وينصب اليمنى، ويضع يده اليمنى على رجله اليمنى، ويده اليسرى على رجله اليسرى، على صفة ما سبق في الجلوس بين السجدين، ويقرأ التشهد: «التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك يا أباها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين،أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

ثم إن كان في ثانية كالفجر، والتواافق، فإنه يكمل التشهد، فيستمر فيه: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجید، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجید، أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال» ثم إن أحب أطال في الدعاء ما شاء، ثم يسلم عن يمينه: «السلام عليكم ورحمة الله» وعن يساره: «السلام عليكم ورحمة الله».

أما إذا كان في ثلاثة أو رباعية، فإنه بعد أن يقول في التشهد: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» يقوم، فيصلِّي ما بقي من صلاته مقتصراً على قراءة الفاتحة، أما الركوع والسجود، فكما سبق في الركعتين الأولىين، ثم يجلس للتشهد الثاني، وهو التشهد الأخير، لكن يكون جلوسه توركاً. والتورك له ثلاثة صفات: إما أن ينصب رجله اليمنى، ويخرج اليسرى من تحت ساقها، وإما أن يفرش الرجل اليمنى والرجل اليسرى من تحت ساقها، أي من تحت ساق اليمنى، وإما أن يفرش اليمنى ويدخل اليسرى بين ساق اليمنى وفخذها، كل ذلك ورد عن النبي ﷺ، ثم إذا أكمل التشهد سلم عن يمينه وعن

يساره كما سبق.

هذه هي صفة الصلاة الواردة عن النبي ﷺ، فليجتهد الإنسان باتباعها ما استطاع، لأن ذلك أكمل في عبادته، وأقوى في إيمانه، وأشد في اتباعه لرسول الله ﷺ.

* * *

وضع الرجلين أثناء القيام في الصلاة

س ٩٤ : ذكرتم، هنالك الله ضيًّا ، وضع الأيدي في القيام وفي الركوع ، ولذلك نفي السجود ، ولذلك نفي الصلسة بين السجدتين ، للتنا لم نسمع شيئاً عن وضع الرجلين ، ونهن نشاهد الآية كثيرة من الناس يفرج ما بين رجليه ، فيتسع ما بين مناكب المصلين . فما الصحيح في ذلك؟

الجواب : وضع الرجلين في حال القيام طبيعي ، بمعنى لا يدنى بعضهم من بعض ، ولا يبعد بينهما ، كما روى ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ذكره في شرح السنة أنه كان ﷺ لا يبعد بين رجليه ولا يقارب بينهما ،^(١:٨) هذا في حال القيام وفي حال الركوع .

أما في حال الجلوس فقد عرفناه فيما سبق ، وأما في السجود فالأفضل أن يلصق إحدى القدمين بالأخرى ، وألا يفرق بينهما ، كما يدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها ، حين وقعت يدها على قدمي النبي ﷺ منصوبتين وهو ساجد^(١٠٩) ، ومعلوم أن اليدين الواحدة لا تقع على قدمين منصوبتين إلا

(١٠٨) لم أهتد إلى لفظه .

(١٠٩) أخرجه مسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، حدث (٤٨٦) ، والنسائي حديث (١٦٩) ، وأiben ماجه ، حديث (٣٨٤١) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٠١/٦) ، حديث (٢٥٦٩٦) ، وأiben حبان في صحيحه (٢٥٨/٥) ، حديث (١٩٣٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٧/١) ، حدث (٦٠٨) .

وبعضهما قد ضمَّ إلى بعض، وكذلك جاء صريحةً في «صحيح ابن خزيمة» - رحمة الله - أنه يلخص إحدى القدمين بالأخرى في حال السجود^(١٠).

و قبل أن ننتهي من صفة الصلاة نود أن نبين أنه ينبغي للإنسان إذا فرغ من صلاته أن يذكر الله ، بما ورد عن النبي ﷺ ، لأن الله تعالى أمر بذلك في قوله: ﴿فَإِذَا فَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيمًا وَعُوْدًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ٣١٠٣]. ومن ذلك: أن يستغفر الإنسان ثلاث مرات: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، ويقول: اللهم أنت السلام، ومنك السلام تبارك يا ذا الجلال والإكرام^(١١) ، ثم يذكر الله بما ورد عن النبي ﷺ ، ثم يسبح الله ثلاثة وثلاثين، ويكبر ثلاثة وثلاثين^(١٢) ، ويحمد ثلاثة وثلاثين، إن شاء قالها كل واحدة على حدة، وإن شاء قالها جميعاً، أي إن شاء قال سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثة وثلاثين، وإن شاء قال: سبحان الله ثلاثة وثلاثين، ثم الحمد لله: ثلاثة وثلاثين، ثم: الله أكبر ثلاثة وثلاثين، كل ذلك جائز بل وتجوز أيضاً صفة أخرى: أن يسبح عشرة، ويكبر عشرة، ويحمد عشرة. وتجوز صفة رابعة: أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر خمسة وعشرين مرة فتتم مائة.

والمهم أن كل ما ورد عن النبي ﷺ من الأذكار بعد الصلاة فليقله، إما على سبيل البدل، أو على سبيل الجمع، لأن بعض الأذكار يذكر بعضها بدلًا عن

(١٠) لم أهتد إلى لفظه.

(١١) أخرجه مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة ، حدث (٥٩١) ، وأبو داود ، حدث (١٥١٢) ، والترمذى ، حدث (٢٩٨) ، والنمسائى ، حدث (١٣٣٧) ، وابن ماجه ، حدث (٩٢٤) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٧٥/٥) حدث (٢٤١٩) ، والدارمى ، حدث (١٣٤٧) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣٦٢/١) ، حدث (٧٣٦) .

(١٢) أخرجه البخارى ، كتاب : الأذان ، باب : الذكر بعد الصلاة ، حدث (٨٤٣) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة ، حدث (٥٩٥) ، وأبو داود ، حدث (١٥٠٤) ، والترمذى ، حدث (٣٤١٢) ، وقال : حدث حسن . رواه النمسائى ، حدث (١٣٤٩) ، وابن ماجه ، حدث (٩٢٧) .

بعض، وبعض الأذكار يذكر بعضها مع بعض فتكون مجموعة، فليحرص الإنسان على ذلك امثلاً لأمر الله تعالى في قوله: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٨]. واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ.

وإذا كان في المسجد فإن الأفضل أن يجهر بهذا الذكر، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة على عهد النبي ﷺ فيسن للمصلين أن يرفعوا أصواتهم بهذا الذكر اقتداء بالصحابة في عهد رسول الله ﷺ، بل اقتداء بالرسول ﷺ، لأنه كان يرفع صوته بذلك، كما قال ابن عباس ما كنا نعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ إلا بالتكبير^(١١٣)، وقول بعض أهل العلم: إنه يسن الإسرار بهذا الذكر، وإن جهر النبي ﷺ كان للتعليم فيه نظر، فإن الأصل فيما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام، أن يكون مشروعًا في أصله ووصفه، ومن المعلوم أنه لو لم يكن وصفه وهو رفع الصوت به مشروعًا، لكان يكفي ما علمه النبي ﷺ أمته فإنه قد علمهم هذا الذكر بقوله، فلا حاجة في أن يعلمهم برفع الصوت، ثم إنه لو كان المقصود التعليم لكان التعليم يحصل بمرة أو مرتين، ولا يحافظ عليه الرسول ﷺ، كلما سلم رفع صوته بالذكر.

* * *

أركان الصلاة

س ٩٥: حبنا لو عرفنا من فضيلتكم أركان الصلاة؟

الجواب: صفة الصلاة التي ذكرناها آنفاً تشتمل على أركان الصلاة وواجباتها وسننها، وأهل العلم رحمهم الله ذكروا أن ما يقع في هذه الصلاة، أو أن ما يكون من هذه الصفة ينقسم إلى أركان وواجبات وسنن، على اتفاق فيما

(١١٣) رواه: البخاري ، كتاب: الأذان ، باب: الذكر بعد الصلاة ، حديث (٨٤٢) ، ومسلم ، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ، باب: الذكر بعد الصلاة ، حديث (٥٨٣) ، وأبو داود ، حديث (١٠٠٢) ، والنسائي ، حديث (١٣٣٥) ، وأحمد في مسنده (٢٢/١) حديث (١٩٣٣) .

بينهم في بعض الأركان والواجبات، وخلاف فيما بينهم في بعضها، فنذكر مثلاً من الأركان:

الأول: القيام مع القدرة، وهذا ركن في الفرض خاصة، لقوله تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةُ أَوْسَطُهُ وَقُومُوا لِلَّهِ قَدِيرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقول النبي ﷺ لعمران بن الحصين: «صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» .

الثاني: من الأركان تكبيرة الإحرام، لقول النبي ﷺ في صلاته: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبير» ، ولابد أن يقول: (الله أكبر) لا يجزئ أن يقول: الله أجل، أو الله أعظم، وما أشبه ذلك. وينبغي أن يعلم أنه لا يصح أن يقول: (الله أكبر) بمد الهمزة، لأنها تقلب حينئذ استفهاماً، ولا يقول (الله أكبر) بمد الباء، لأنها حينئذ تكون جمعاً للكبر، والكبير هو الطبل، فأكبار كأسباب جمع سبب، وأكبار جمع كبير، هكذا قال أهل العلم، فلا يجوز أن يُكَدَّ الإنسان الباء، لأنها تقلب بلفظها إلى جمع كبير، وأما ما يقوله بعض الناس: (الله وكبير) فيجعل الهمزة واواً، فهذا له مساغ في اللغة العربية، فلا تبطل به الصلاة.

الركن الثالث: قراءة الفاتحة، لقول النبي ﷺ : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» . ولكن إذا كان لا يعرفها، فإنه يلزمها أن يتعلمها، فإن لم يتمكن

(١١٤) رواه : البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب ، حديث (١١١٧) ، أبو داود ، حديث (٩٥٢) ، والترمذى ، حديث (٣٧١) ، وابن ماجه ، حديث (١٢٢٣) ، وأحمد في مستنده (٤٤٢٦/٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (٨٩/٢) حديث (٩٧٩) ، والحاكم في المستدرك (٤٦٠/١) حديث (١١٨٦) وقال : حديث صحيح على شرط الشيوخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ .

(١١٥) رواه : البخاري ، كتاب : الاستئذان ، باب : من رد فقال : عليك السلام ، حديث (٦٢٥١) ، ومسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث (٣٩٧) ، وأبو داود ، حديث (٨٥٦) ، والترمذى ، حديث (٣٠٣) ، والنمسائي ، (٨٨٤) ، وابن ماجه ، (١٠٦٠) .

(١١٦) رواه : البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : وجوب القراءة للإمام والمأمور في الصلوات ، حديث (٧٥٦) ، ومسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث (٣٩٤) ، وأبو

من تعلمها، فرأى ما يقوم مقامها من القرآن إن كان يعلمه، وإنما سبع وحمد الله وهلله.

الركن الرابع: الركوع، لقوله تعالى: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]؛ ولقول النبي ﷺ للرجل الذي أساء في صلاته ولم يصلحها على وجه التمام: «ثم اركع حتى تطمئن راكعا» (١١٧).

الركن الخامس: الرفع من الركوع، لقول النبي ﷺ للمسيء في صلاته: «ثم ارفع حتى تطمئن قائما».

الركن السادس: السجود، لقوله تعالى: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧].

الركن السابع: الجلوس بين السجدين، لقول الرسول ﷺ للمسيء في صلاته: «ثم ارفع حتى تطمئن جالسا».

الركن الثامن: السجود الثاني، لأنه لابد في كل ركعة من سجودين، لقول النبي ﷺ للمسيء في صلاته: «ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا» بعد أن ذكر قوله: «ثم ارفع حتى تطمئن جالسا».

أما الركن التاسع: فهو التشهد الأخير، لقول ابن مسعود: كنا نقوم قبل أن يفرض علينا التشهاد، (١١٨) فدل هذا على أن التشهاد فرض.

الركن العاشر: وهو الصلاة على النبي ﷺ في التشهاد الأخير، هذا المشهور من مذهب الإمام أحمد - رحمه الله.

= داود ، حديث (٨٢٢) ، والترمذى ، حديث (٢٤٧) ، والنسائى ، حديث (٩١٠) ، وابن ماجه ، حديث (٨٣٧) .

(١١٥) سبق تخریجه برقم (١١٥) .

(١١٦) رواه : النسائي ، كتاب : السهو ، باب : إيجاب التشهاد ، حديث (١٢٧٧) ، والبيهقي في الكبرى (٢/ ١٣٨) حديث (٢٦٤٤) ، والدارقطنى في سننه (١/ ٣٥٠) حديث (٤) ، والنسائي في الكبرى (١/ ٣٧٨) حديث (١٢٠٠) .

الركن الحادي عشر: الترتيب بين الأركان ؛ القيام، ثم الركوع، ثم الرفع منه، ثم السجود، ثم الجلوس بين السجدين، ثم السجود، فلو بدأ بالسجود قبل الركوع لم تصح صلاته ؛ لأنَّه أخلَّ بالترتيب.

الثالث عشر: الطمأنينة في الأركان، لقول النبي ﷺ في صلاته: «ثم ارکع حتى تطمئن»، «ثم ارفع حتى تطمئن»، «ثم اسجد حتى تطمئن». والطمأنينة: أن يسكن الإنسان في الركن حتى يرجع كل فقار إلى موضعه. قال العلماء: وهي السكون وإن قل، فمن لم يطمئن في صلاته فلا صلاة له ولو صلى ألف مرة. وبهذا نعرف خطأ ما نشاهد من كثير من المصلين من كونهم لا يطمئنون ولا سيما في القيام بعد الركوع، والجلوس بين السجدين، فإنك تراهم قبل أن يعتمد الإنسان قائماً إذا هو راكع، وقبل أن يعتدل جالساً إذا هو ساجد، وهذا خطأ عظيم، فلو صلى الإنسان على هذا الوصف ألف صلاة لم تقبل منه، لأن النبي ﷺ قال للرجل الذي كان يخلُّ بالطمأنينة، حين جاء فسلم على النبي ﷺ قال له النبي ﷺ: «ارجع فصلْ فإنك لم تصلْ»^(١١٩) ، وهذا يدل على أن من صلى صلاة، أخل فيها بشيء من أركانها أو واجباتها على وجه أعمق، فإنه لا صلاة له، بل ولو كان جاهلاً في مسألة الأركان، فإنه لا صلاة له. والركن الأخير وهو الرابع عشر: التسليم، بأن يقول في منتهي صلاته السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، والصحيح أن التسليمتين كلتاهما ركن، وإنه لا يجوز أن يخل بواحدة منها، لا في الفرض ولا في النفل، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الركن التسليمة الأولى فقط في الفرض والنافلة، وذهب آخرون إلى أن الركن التسليمة الأولى فقط في النافلة دون الفريضة فلا بد فيها من التسليمتين، لكن الأحوط أن يسلم الإنسان التسليمتين كليهما. هذه هي الأركان.

(١١٩) سبق تخرجه برقم (١١٥).

حكم من ترك ركناً من أركان الصلاة

س ٩٦ : ما حكم من ترك ركناً من هذه الأركان؟

الجواب : إذا ترك ركناً من هذه الأركان متعيناً فصلاته باطلة، تبطل بمجرد تركه، أما إذا كان ناسياً فإنه يعود إليه، فلو نسي أن يركع، ثم سجد حين أكمل قراءته، ثم ذكر وهو ساجد أنه لم يركع، فإنه يجب عليه أن يقوم، فيركع ثم يكمل صلاته، ويجب عليه أن يرجع للركن الذي تركه ما لم يصل إلى مكانه من الركعة الثانية، فإن وصل إلى مكانه في الركعة الثانية قامت الركعة الثانية مقام الركعة التي تركها منها.

فلو أنه لم يركع، ثم سجد، وجلس بين السجدين، وسجد الثانية، ثم ذكر، فإنه يجب عليه أن يقوم، فيركع، ثم يستمر فيكمل صلاته، أما لو لم يذكر أنه رکع إلا بعد أن وصل إلى موضع الرکوع من الرکعة التالية، فإن هذه الرکعة الثانية تقوم مقام الرکعة التي ترك رکوعها.

وهكذا لو نسي الإنسان السجدة الثانية، ثم قام من السجدة الأولى، ولما قرأ ذكر أنه لم يسجد السجدة الثانية، ولم يجلس أيضاً بين السجدين فيجب عليه حينئذ أن يرجع ويجلس بين السجدين، ثم يسجد السجدة الثانية ثم يكمل صلاته، بل لو لم يذكر أنه ترك السجدة الثانية والجلوس بين السجدين إلا بعد أن رکع، فإنه يجب عليه أن ينزل، ويجلس، ويُسجد، ثم يستمر في صلاته. أما لو لم يذكر أنه ترك السجدة الثانية من الرکعة الأولى إلا بعد أن جلس بين السجدين في الرکعة الثانية، فإن الرکعة الثانية تقوم مقام الأولى، وتكون هي رکعته الأولى.

وفي كل هذه الأحوال، أو في كل هذه الصور التي ذكرناها، يجب عليه أن يسجد سجود السهو، لما حصل من الزيادة في الصلاة بهذه الأفعال، ويكون سجوده بعد السلام، لأن سجود السهو إذا كان سببه الزيادة فإن محله بعد السلام، كما تدل على ذلك سنة الرسول ﷺ.

إذا شك المصلي في أنه ترك ركناً

س ٩٧: هذا بالنسبة إذا تأكّد لديه أنه ترك ركناً من الأركان،
لتن لو شك في تركه ماذا يفعل؟

الجواب: إذا شك في تركه، فهو لا يخلو من ثلاث حالات؛ إما أن يكون هذا الشك وهما لا حقيقة له، فهذا لا يؤثر عليه، يستمر في صلاته وكأنه لم يحصل له هذا الشك، وإما أن يكون هذا الشك كثيراً معه، كما يوجد في كثير من الموسوين، نسأل الله لنا ولهم العافية، فلا يلتفت إليه أيضاً، بل يستمر في صلاته حتى لو خرج من صلاته وهو يرى أنه مقصراً فيها فليفعل ولا يهمه ذلك، وإنما أن يكون شكه بعد الفراغ من الصلاة، فكذلك أيضاً لا يلتفت إليه ولا يهتم به، ما لم يتيقن أنه ترك. أما إذا كان الشك في أثناء الصلاة، فإن العلماء يقولون: من شك في ترك ركن فتركه، إذا كان الشك في أثناء الصلاة، وكان شكّاً حقيقياً، ليس وهما ولا وسواساً فلو أنه سجد، وفي أثناء سجوده شك هل رکع أو لم يرکع، فنقول له: قم فارکع، لأن الأصل عدم الرکوع، إلا إذا غالب على ظنه أنه رکع، فإن الصحيح إذا غالب على ظنه أنه رکع، فإنه يعتدّ بهذا الظن الغالب، ولكن يسجد للسهو بعد السلام.

وسجود السهو في الحقيقة أمر مهم، ينبغي للإنسان أن يعرفه، ولا سيما الأئمة، وقد كان كثير منهم يجهل ذلك، وهو أمر لا ينبغي من مثلهم، بل الواجب على المؤمن أن يعرف حدود ما أنزل الله على رسوله.

*** * * * ***
مأمور يدخل مع الإمام وينسى كم صلى

س ٩٨: بعض الناس يأتي بعد اقامة الصلاة، ويدخل مع الإمام، وينسى عدد الركعات التي فاتته، ثم يقتدي بمن في جانبه من دخل الصلاة معهم فما حلّ ذلك؟

الجواب: هذا يقع كثيراً كما قلت؛ يدخل اثنان مع الإمام، ثم ينسى

أحدهما كم صلى، أو كم أدرك مع إمامه، فيقتدي بالشخص الذي إلى جنبه، فنقول: لا بأس أن يقتدي بالشخص الذي إلى جنبه، إذا لم يكن عنده ظن يخالفه أو يقين يخالفه، لأن هذا رجوع إلى ما يغلب على ظنه، والرجوع إلى ما يغلب على ظنه في باب العبادات لا بأس به على القول الراجح.

* * * واجبات الصلاة *

س ٩٩: عرفنا صفة الصلاة وأركانها، ونورد أن نعرف ما هي واجبات الصلاة؟

الجواب: واجبات الصلاة: هي الأقوال والأفعال التي إذا تركتها الإنسان عمداً بطلت صلاته، وإن تركتها سهواً فإنه يجبرها بسجود السهو.

فمنها: التكبيرات سوى تكبيرة الإحرام، فإنها من واجبات الصلاة، أما تكبيرة الإحرام فإنه ركنٌ من أركان الصلاة، لا تنعقد الصلاة إلا بها، ويستثنى من هذه التكبيرات: تكبيرة الركوع، إذا أتى المأموم والإمام راكع، فإنه يكبر تكبيرة الإحرام قائماً متصيناً، فإذا أهوى إلى الركوع، فإن التكبير في حقه سنة، هكذا قرره الفقهاء رحمهم الله.

ومن الواجبات: التسبيح في الركوع والسجود، ففي الركوع: سبحان رب العظيم، وفي السجود: سبحان رب الأعلى.

ومن الواجبات أيضاً: التشهد الأول وجلسته.

ومن الواجبات أيضاً: التسميع والتحميد، أي قول سمع الله لمن حمده عند الرفع من الركوع، وقول: ربنا ولد الحمد بعد القيام من الركوع للإمام والمنفرد.

أما المأموم فإنه يقول: ربنا ولد الحمد، حين رفعه من الركوع.

هذه الواجبات إذا تركها الإنسان متعمداً بطلت صلاته، وإن تركها سهواً

فضلاً له صحيحة، ويجب رجها سجود السهو، لحديث عبد الله بن حُمَيْدٍ ، أن النبي ﷺ قال من الركعتين فلم يجلس في صلاة الظهر، فلما قضى الصلاة وانتظر الناس التسلية، سجد سجدين ثم سلم (١٢٠)

* * *

سنن الصلاة

س ١٠٠ : ما دمنا عرفنا واجبات الصلاة، نود أن نعرف أيضًا شيئاً من سنن الصلاة؟

الجواب : إذا عرف الإنسان أركان الصلاة وواجباتها، فكل ما عدتها فهو سنن.

فمن ذلك : الزيادة على الواحدة في تسبيح الركوع والسجود.

ومن ذلك : صفة الجلوس في الصلاة فإنه يجلس مفترشًا في جميع جلسات الصلاة.

والافتراض : إن يجلس على رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى، أي القدم، إلا في الجلسة الثانية في الصلاة ذات الشهدتين، فإنه يجلس متورّكًا. والتورّك : أن ينصب قدمه اليمنى، ويخرج رجله اليسرى من تحت الساق من يمينه.

ومن السنن في الصلاة : أن يرفع الإنسان يديه إلى حذو منكبيه، أو إلى فروع أذنيه عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام من التشهد الأول، والسنن كثيرة يعرفها من تتبع كتب الفقهاء في هذا.

* * *

(١٢٠) رواه : البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : من لم ير التشهد الأول واجباً ، حديث (٨٢٩) ، ومسلم ، كتاب : المساجد وموضع الصلاة ، باب : السهو في الصلاة والسجود له ، حديث (٥٧٠) ، وأبو داود ، حديث (١٠٣٤) ، والنسائي ، حديث (١٢٢٢) ، وابن ماجه ، حديث (١٢٠٦) ، وأحمد في مستنه (٣٤٥/٥) حديث (٢٢٩٦٩) .

سجود السهو موجباته ومواضعه

س ١٠١: أيضًا نود أن نعرف سهود السهو في الصلاة من حيث موجباته ومواضعه؟

الجواب: سجود السهو في الصلاة أسبابه في الجملة ثلاثة: الزيادة، والنقص، والشك.

فالزيادة: مثل أن يزيد الإنسان ركوعاً، أو سجوداً، أو قياماً، أو قعوداً.

والنقص: مثل أن ينقص الإنسان ركناً، أو ينقص واجباً من واجبات الصلاة.

والشك: أن يتردد كم صلى ثلاثة أم أربعاً مثلاً.

أما الزيادة: فإن الإنسان إذا زاد في الصلاة ركوعاً، أو سجوداً، أو قياماً، أو قعوداً متعمداً بطلت صلاته، لأنه إذا زاد متعمداً فقد أتى بالصلاحة على غير الوجه الذي أمر به الله ورسوله، وقد قال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ^(١٢١).

أما إذا زاد ذلك ناسياً، فإن صلاته لا تبطل، ولكنه يسجد للسهو بعد السلام.

ودليل ذلك: حديث أبي هريرة حين سلم النبي ﷺ من ركعتين في إحدى صلاته، إما الظهر وإما العصر، فلما ذكروه، أتى ﷺ بما بقي من صلاته وسلم، ثم سجد سجدين بعد ما سلم ^(١٢٢)، ولحديث ابن مسعود أن النبي ﷺ صلى بهم الظهر خمساً، فلما انصرف قيل له: أزيد في الصلاة؟ قال: وما ذاك؟ قالوا:

(١٢١) سبق تخریجه برقم (٦٢).

(١٢٢) رواه: البخاري ، كتاب: الجمعة ، باب: إذا سلم في ركعتين أو في ثلاث فسجد سجدين ، حديث (١٢٢٧) ، ومسلم ، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ، باب: السهو في الصلاة والسجود له ، حديث (٥٧٣) ، وأبو داود ، حديث (١٠٠٨) ، والترمذى ، حديث (٣٩٩) ، والنسائى ، حديث (١٢٣٠) ، وأبي ماجه ، حديث (١٢١٤) .

صليت خمساً، فشى رجليه، واستقبل القبلة، وسجد سجدين (١٢٣).

أما النص : فإن نقص الإنسان ركتان من أركان الصلاة، فلا يخلو، إما أن يذكره قبل أن يصل إلى موضعه من الركعة الثانية، فحيثئذ يلزم أن يرجع فيأتي بالركن وبما بعده، وإما ألا يذكره حتى يصل إلى موضعه من الركعة الثانية، وحيثئذ تكون الركعة الثانية بدلاً عن الذي تركه منها، فيأتي بدلها، أي بدل الذي تركه منها برکعة، وفي هاتين الحالين يسجد بعد السلام.

مثال ذلك : رجل قام حين سجد السجدة الأولى من الركعة الأولى، ولم يسجد السجدة الثانية، ولما شرع في القراءة ذكر أنه لم يسجد ولم يجلس بين السجدين، فحيثئذ يرجع ويجلس بين السجدين، ثم يسجد، ثم يقوم فيأتي بما بقى من صلاته، ويستحب للسهو بعد السلام.

ومثال من لم يذكره إلا بعد وصوله إلى محله من الركعة الثانية، من قام من السجدة الأولى في الركعة الأولى، ولم يسجد السجدة الثانية، ولم يجلس بينهما وبين الأولى ولكنه لم يذكر إلا حين جلس بين السجدين من الركعة الثانية، ففي هذه الحال تكون الركعة الثانية هي الركعة الأولى، ويزيد ركعة في صلاته، ويسلم ثم يسجد للسهو.

أما نقص الواجب : فإذا نقص واجباً، وانتقل من موضعه إلى الموضع الذي يليه، مثل لو نسي قولـ : «سبحان ربِّي الأعلى» ولم يذكر إلا بعد أن رفع من السجود، فهذا قد ترك واجباً من واجبات الصلاة سهواً، فيمضي في صلاته ويستحب للسهو قبل السلام (١٢٤) ؟ لأن النبي ﷺ لما ترك التشهد الأول مضى في صلاته، ولم يرجع، وسجد للسهو قبل السلام.

(١٢٣) رواه : البخاري . كتاب : الجمعة ، باب : إذا صلى خمساً ، حديث (١٢٢٦) ، ومسلم ، كتاب المساجد وموضع الصلاة ، باب : السهو في الصلاة والسجود له ، حديث (٥٧٢) ، وأبو داود ، حديث (١٠١٩) ، والترمذى ، حديث (٣٩٢) ، والنمسائى ، حديث (١٢٥٤) ، وابن ماجه ، حديث (١٢٠٥) .

(١٢٤) سبق تخریجه برقـ (١٢٠) .

أما الشك : فهو التردد بين الزيادة والنقص ، بأن يتردد المصلحي هل صلى ثلاثة أو أربعاً ، وهذا لا يخلو من حالين ، إما أن يتراجع عنده أحد الطرفين الزيادة أو النقص ، فيبني على ما ترجع عنده ، ويتم عليه ، ويسجد للسهو بعد السلام ، وإما ألا يتراجع عنده أحد الأمرين ، فيبني على اليقين وهو الأقل ، فيتم عليه ، ويسجد للسهو قبل السلام .

مثال ذلك : رجل صلى الظهر ، ثم شك هل هو الآن في الركعة الثالثة أو الرابعة ، وترجع عنده أنها الثالثة ، فيأتي بركعة ، ثم يسلم ، ثم يسجد للسهو .

ومثال ما يستوي فيه الأمران : رجل يصلى الظهر ، فشك هل هذه الركعة الثالثة أو الرابعة ، ولم يتراجع عنده أنها الثالثة أو الرابعة ، فيبني على اليقين وهو الأقل ، فيجعلها الثالثة ، ثم يأتي بركعة ، ويسجد للسهو قبل أن يسلم .

وبهذا تبين أن سجود السهو يكون قبل السلام ، فيما إذا ترك واجباً من الواجبات ، أو إذا شك في عدد الركعات ولم يتراجع عنده أحد الطرفين ، وأنه يكون بعد السلام ، فيما إذا زاد في صلاته ، أو شك وترجع عنده أحد الطرفين .

* * *

حكم السلام بعد سجود السهو

س ١٠٢ : لكن لو كانت سهوة السهو بعد السلام هل يلزم له أيضاً سلام؟

الجواب : إذا كان السجود بعد السلام ، فإنه يجب له السلام ، فيسجد سجدين ثم يسلم .

* * *

س ١٠٣ : هل يذهب له التشهد؟

الجواب : في هذا خلاف بين العلماء ، والراجح أنه لا يجب له التشهد .

* * *

مبطلات الصلاة

س ١٠٤ : نود أن نعرف مبطلات الصلاة ولو على سبيل الإجمال؟

الجواب : مبطلات الصلاة تدور على شيئين، إما ترك ما يجب فيها، أو فعل ما يحرم فيها.

فأما ترك ما يجب : فمثل أن يترك الإنسان ركناً من أركان الصلاة متعمداً، أو شرطاً من شروطها متعمداً، أو واجباً من واجباتها متعمداً. مثال ترك الركن : أن يترك الركوع متعمداً.

ومثال ترك الشرط : أن ينحرف عن القبلة في أثناء الصلاة متعمداً.

ومثال ترك الواجب : أن يترك التشهد الأول متعمداً، فإذا ترك أي واجب من واجبات الصلاة متعمداً فصلاته باطلة، سواء شُمِّي ذلك الواجب شرطاً أم ركناً أم واجباً.

الشيء الثاني مما يدور عليه بطلان الصلاة : **فَقْلُ الْحَرْمَنِ** فيها، لأن يحدث في صلاته، أو يتكلم بكلام الآدميين، أو يضحك، أو ما أشبه ذلك من الأشياء التي هي حرام في أثناء الصلاة، يفعلها متعمداً، فإن صلاته تبطل في هذه الحال.

* * * حكم صلاة الجماعة

س ١٠٥ : تحدثنا عن الصلاة، وصلتها، وشروطها، ولكنكم، والراهبات وأيضاً عن السهر للسهر ونود أن نسأل ونذكر على حكم صلاة الجماعة؟

الجواب : صلاة الجماعة اتفق العلماء على أنها من أجل الطاعات وأوكردتها وأفضلها، وقد أشار الله تعالى إليها في كتابه وأمر بها حتى في صلاة الخوف،

فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنَقْمَدُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلَيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلَيَكُونُوا مِنْ وَرَاءِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصْلِوْا فَلَيَمْصُلُوا مَعَكَ وَلَيَأْخُذُوا حِذَرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]

وفي سنة رسول الله ﷺ من الأحاديث العدد الكبير الدال على وجوب الصلاة مع الجماعة، مثل قوله ﷺ: «لقد همت أن أمر بالصلاحة فقام، ثم أمر رجالاً فيصلّى بالناس، ثم أطلق ب الرجال معهم حزام من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار» ^(١٢٥) وكقوله ﷺ: «من يسمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر» ^(١٢٦) وكقوله ﷺ للرجل الأعمى الذي طلب منه أن يرخص له في الصلاة في بيته: «أتسمع النداء؟» فقال: نعم، قال: «فأجب» ^(١٢٧).

وقال ابن مسعود : لقد رأيتنا وما يختلف عنها - أي صلاة الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق، أو مريض، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف ^(١٢٨).

والنظر الصحيح يقتضي وجوبها، فإن الأمة الإسلامية أمة واحدة،

(١٢٥) رواه : البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : وجوب صلاة الجماعة ، حديث (٦٤٤) ، مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف ، حديث (٦٥١) ، وأبو داود ، حديث (٥٤٨) ، والنسائي ، حديث (٨٤٨) ، وابن ماجه ، حديث (٧٩١) .
 (١٢٦) رواه : الترمذى ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء فيمن يسمع النداء فلا يجب ، حديث (٢١٧) ، بدون ذكر لفظ : إلا من عذر ، وابن ماجه ، حديث (٧٩٣) ، وابن حبان في صحيحه (٤١٥/٥) حديث (٢٠٦٤) ، والحاكم في المستدرك (٣٧٣/١) حديث (٨٩٤) ، والهشمي في موارد الظمان (١) / (١٢٠) حديث (٤٢٦) .

(١٢٧) رواه : مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : يجب إثبات المسجد على من سمع النداء ، حديث (٦٥٣) ، والنسائي ، حديث (٨٥٠) ، وأبي عوانة في مسنده (٣٥٢/١) حديث (١٢٦١) ، والبيهقي في الكبرى (٥٧/٣) حديث (٤٧٢٥) .

(١٢٨) رواه : مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : صلاة الجماعة من سن الهوى ، حديث (٦٥٤) ، وأبو داود ، حديث (٥٥٠) ، والنسائي ، حديث (٨٤٩) ، وابن ماجه ، حديث (٧٧٧) ، وأحمد في مسنده (٤١٤/١) حديث (٣٩٣٦) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣٦٩/٢) حديث (١٤٨٣) .

ولا يتحقق كمال الوحدة إلا بكونها تجتمع على عباداتها، وأجل العبادات وأفضلها وأوكدها: الصلاة، فكان من الواجب على الأمة الإسلامية أن تجتمع على هذه الصلاة.

وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - بعد اتفاقهم على أنها من أوكرد العبادات وأجل الطاعات، اختلفوا: هل هي شرط لصحة الصلاة، أو أن الصلاة تصح بدونها مع الإثم، مع خلافات أخرى، وال الصحيح أنها واجب للصلاه، وليس شرطا في صحتها، لكن من تركها فهو آثم، إلا أن يكون له عذر شرعي، ولليل كونها ليست شرطاً لصحة الصلاة هو أن الرسول ﷺ فضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد ^(١٢٩) ، وتفضيل صلاة الجماعة عن صلاة الفرد يدل على أن في صلاة الفرد فضلاً، وذلك لا يكون إلا إذا كانت صحيحة.

وعلى كل حال فيجب على كل مسلم ذكر بالغ أن يشهد صلاة الجماعة، سواء كان ذلك في السفر أم في الحضر.

علاقة المأمور بiamameh

س ١٠٦: ما دمنا عرفنا حكم صلاة الجماعة، نود أن نعرف علاقة المأمور بiamameh؟

الجواب: أما علاقة المأمور بiamameh، فإنها علاقة متابعة، ولهذا قال النبي ﷺ: «إما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولد الحمد، وإذا صلى قائماً فصلوا قياماً، وإذا صلى قاعداً، فصلوا قعوداً

^(١٢٩) رواه : البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : فضل صلاة الجماعة ، حديث (٦٤٥) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف ، حديث (٦٥٠) ، والنمسائي ، حديث (٨٣٧) ، وأحمد في مسنده (٦٥/٢) حديث (٥٣٣٢) ، ومالك في الموطأ (١٢٩/١) حديث (٢٨٨) ، وابن حبان في صحيحه (٤٠١٥) حديث (٢٠٥٢) .

أجمعين»^(١٣٠) ، ومقام المأمور مع إمامه في هذه الناحية يتتنوع إلى أربع مقامات: متابعة، وموافقة، ومسابقة، وتأخر.

فأما المتابعة: فإن يأتي الإنسان بأفعال الصلاة بعد إمامه مباشرة، إذا ركع، ركع بدون تأخر، وإذا سجد، سجد بدون تأخر، وهكذا في بقية أفعال الصلاة.

وأما الموافقة: فإن يفعل هذه الأفعال مع إمامه، يركع مع رکوعه، ويسجد مع سجوده، ويقوم مع قيامه، ويقععد مع قعوده.

وأما المسابقة: فإن يتقدم إمامه في هذه الأفعال، فيرکع قبله، ويسجد قبله، ويقوم قبله، ويقععد قبله.

وأما التأخر: فإن يتواتي في متابعة الإمام، فإذا رکع الإمام، بقي واقفاً يقرأ، وإذا سجد بقى قائماً يحمد وهكذا.

وكل هذه المقامات مذمومة إلا مقام المتابعة.

فالملاوق لإمامه مخالف لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لَا تَكْبِرُوا حَتَّى يَكْبِرَ الْإِمَامُ وَلَا تَرْكِعُوا حَتَّى يَرْكِعَ»^(١٣١).

والسابق له، واقع في التحذير الشديد الذي حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: «أَمَّا يَخْشِيُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَحْوِلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حَمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهَ صُورَةً حَمَارًا»^(١٣٢).

(١٣٠) رواه : البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامَ لِيُؤْتَمْ بِهِ ، حديث (٦٨٩) ، ومسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : اتَّسَاعَ الْمَأْمُونَ بِالْإِمَامِ ، حديث (٤١١) ، وأبو داود ، حديث (٦٠١) ، والترمذى ، حديث (٣٦١) ، والنمسائى ، حديث (٨٣٢) ، وابن ماجه ، حديث (١٣٣٨) .

(١٣١) سبق تخریجه برقم (١٣٠) .

(١٣٢) رواه : البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : إِثْمٌ مِّنْ رَفْعِ رَأْسِهِ قَبْلَ الْإِمَامِ ، حديث (٦٩١) ، ومسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : تحرِيم سبق الإمام برکوع أو سجود ونحوهما ، حديث (٤٢٧) ، وأبو داود ، حديث (٦٢٣) ، والترمذى ، حديث (٥٨٢) ، والنمسائى (٨٢٨) ، وابن ماجه (٩٦١) .

والمتختلف لم يتحقق المتابعة، لأن قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا كبر الإمام فكبروا، وإذا ركع فاركعوا»^(١٣٣) جملة شرطية تقتضي أن يقع الشروط فور وجود الشرط، وألا يتأخر عنه، فهو منهٌ عنه.

فالمسابقة: حرام، والموافقة: قيل: إنها مكرورة، وقيل: إنها حرام، والتأخير: أقل أحواله الكراهة، أما المتابعة: فهي الأمر الذي أمر به النبي ﷺ.

* * * أشد حالات مخالفـة الإمام

س ١٠٧: لكن أي الحالـات التـالـى أـشـدـ المسابـقةـ، أمـ الموافـقةـ، أمـ التـضـلـفـ عـنـهـ؟

الجواب: المسابقة أشدـهاـ، لأنـهـ وردـ الـوعـيدـ الـذـيـ سـمعـتـ، ولـأـنـ القـولـ الـراجـحـ، أـنـ الإـنـسـانـ إـذـاـ سـبـقـ إـمامـهـ، بـطـلـ صـلـاتـهـ، سـوـاءـ سـبـقـهـ إـلـىـ الرـكـنـ، أـوـ بـالـرـكـنـ، لـأـنـ إـذـاـ سـبـقـ فـعـلـ مـحـرـمـاـ فـيـ الصـلـاـةـ.

والقاعدة الشرعية: إنـ منـ فعلـ فـعـلـ مـحـرـمـاـ فـيـ العـبـادـةـ، فـإـنـ العـبـادـةـ تـبـطـلـ

. به.

* * * صلـاةـ التـطـوـعـ (فضـلـهـ - أـنـوـاعـهـ)

س ١٠٨: نـوـدـ أـنـ تـحـدـرـنـاـ عـنـ صـلـاةـ التـطـوـعـ مـنـ حـبـيـتـ الـفـضـلـ دـائـلـانـوـاعـ؟

الجواب: من رحمة الله تعالى بعباده، أن جعل لكل نوع من أنواع الفريضة تطوعاً يشبهه، فالصلاحة لها تطوع يشبهها من الصلوات، والزكوة لها تطوع يشبهها من الصدقات، والصيام له تطوع يشبهه من الصيام، وكذلك الحج، وهذا من رحمة الله بعباده، ليزدادوا ثواباً وقرباً من الله تعالى، وليرقعوا

الخلل الحاصل في الفرائض فإن التوافل تكمل بها الفرائض يوم القيمة.

فمن التطوع في الصلاة: الرواتب التابعة للصلوات المفروضة، وهي أربع ركعات قبل الظهر بسلامين، وتكون بعد دخول وقت صلاة الظهر، ولا تكون قبل دخول وقت الصلاة، وركعتان بعدها، فهذه ست ركعات، كلها راتبة للظهر، أما العصر فليس له راتبة، أما المغرب فله راتبة ركعتان بعدها، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر، وتحتخص الركعتان قبل الفجر، بأن الأفضل أن يصليهما الإنسان خفيتين، وأن يقرأ فيهما بـ «قل يا أيها الكافرون» في الركعة الأولى، و «قل هو الله أحد» في الركعة الثانية، أو بقوله تعالى: ﴿فُوْلُواْءَ امَّا بِاللَّهِ وَمَا اُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]. في الركعة الأولى، و ﴿فَقُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَتَهُ سَوَاءً﴾ [آل عمران: ٦٤]. في الركعة الثانية، وبأنها - أي راتبة الفجر - تصلى في الحضر والسفر، وبأن فيها فضلاً عظيمًا، قال فيه النبي ﷺ: «رَكَعْتَا الْفَجْرَ خَيْرٌ مِّنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (١٣٤).

ومن التوافل في الصلوات: الوتر، وهو من أوكر التوافل، حتى قال بعض العلماء بوجوبه، وقال فيه الإمام أحمد - رحمه الله - : من ترك الوتر فهو رجل سوء لا ينبغي أن تقبل له شهادة.

وتحتم به صلاة الليل، فمن خاف ألا يقوم من آخر الليل أوتر قبل أن ينام، ومن طمع أن يقوم آخر الليل، فليوتر آخر الليل بعد إنتهاء تطوعه، قال النبي ﷺ: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا» (١٣٥) وأقله ركعة واحدة، وأكثره إحدى عشر

(١٣٤) رواه : مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : استحباب ركعتي سنة الفجر والمحث عليهما ، حديث (٧٢٥) ، والترمذني ، حديث (٤١٦) ، والنمسائي ، حديث (١٧٥٩) ، وأحمد في مستنه (٦/٢٦٥) حديث (٢٦٣٢٩) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢/١٦٠) حديث (١١٠٧) .

(١٣٥) رواه : البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : ليجعل آخر صلاته وترًا ، حديث (٩٩٨) ، ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة الليل مثنى والوتر ركعة ، حديث (٧٥١) ، وأبي داود ، حديث (١٤٢٨) ، والترمذني ، حديث (٤٣٧) ، والنمسائي ، حديث (١٦٨٢) ، وأحمد في مستنه (٢٠/٤٧١) حديث (٤٧١٠) .

ركعة، وأدنى الكمال: ثلاث ركعات، فإن أوتر بثلاث فهو بال الخيار، إن شاء سردها سرداً بتشهد واحد، وإن شاء سلماً من ركعتين، ثم صلی واحدة، وإن أوتر بخمس سردها جمیعاً بتشهد واحد وسلام واحد، وإن أوتر بسبع فكذلك، يسردها جمیعاً بتشهد واحد وسلام واحد، وإن أوتر بتسع فإنه يسردها، ويجلس في الثامنة ويتشهد، ثم يقوم فیأتي بالتسعة ويسلم. فيكون فيها تشهدان وسلام واحد، وإن أوتر بإحدى عشرة ركعة، فإنه يسلم من كل ركعتين ويأتي بالحادية عشرة وحدها.

وإذا نسى الوتر، أو نام عنه، فإنه يقضيه من النهار، لكن مشفوعاً، لا وترة، فإذا كان من عادته أن يوتر بثلاث، صلی أربعاء، وإذا كان من عادته أن يوتر بخمس، صلی ستاً وهكذا. لأنه ثبت في «الصحيح»: «أن رسول الله ﷺ كان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل، صلی بالنهر ثنتي عشرة ركعة» (١٣٦).

* * *

الفرق في الأحكام بين الفرض والنافلة

س ١٠٩: هل هناك فروق بين صلاة الفرض والنافلة؟

الجواب: نعم، هناك فوارق بين صلاتي الفرض والنافلة، من أوضاعها: أن النافلة تصح في السفر على الراحلة، ولو بدون ضرورة، فإذا كان الإنسان في سفر، وأحب أن يتفل وهو على راحلته، سواء كانت الراحلة السيارة، أم طيارة، أم بعيراً، أم غير ذلك، فإنه يصلى النافلة على راحلته متوجهًا حيث يكون وجهه؛ يومئ بالركوع والسجود، لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يفعل ذلك (١٣٧).

(١٣٦) رواه: مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : جامع صلاة الليل ومن نام عنها أو مرض حديث (٧٤٦) ، وأحمد في مسنده (٩٤/٦) حديث (٢٤٦٨٠) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٩٤/٢) حديث (١١٦٩) ، وابن حبان في صحيحه (٢٩٣/٦) حديث (٢٥٥٢) ، والبيهقي في الكبرى (٢٩/٣) حديث (٤٥٨٨) .

(١٣٧) رواه: البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : الوتر في السفر ، حديث (١٠٠٠) ، ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر ، حديث (٧٠٠) ، وابن حبان =

ومن الفروق بين الفريضة والنافلة: أن الإنسان إذا شرع في الفريضة، حرم أن يخرج منها إلا لضرورة قصوى، وأما النافلة فيجوز أن يخرج منها لغرض صحيح، وإن كان بغير غرض فإنه لا يأثم إذا خرج منها ولكن يكره كما ذكر ذلك أهل العلم.

ومن الفروق: أن الفريضة يأثم الإنسان بتركها، وأما النافلة فلا.

ومن الفروق: أن الفريضة يُشرع لها صلاة الجماعة، وأما النافلة فلا تشرع، إلا في صلوات معينة، كالاستقاء، وصلاة الكسوف على القول بأنها سنة، ولا بأس أن يصلحها الإنسان - إلى النافلة - أحياناً جماعة، كما كان النبي ﷺ يصلّي ببعض أصحابه جماعة في بعض الليالي، فقد صلّى معه مرة ابن عباس، ومرة حذيفة، ومرة ابن مسعود

وأما في رمضان، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قام بهم ثلاثة أيام ثم تأخر، خوفاً من أن تفرض على الناس ^(١٣٨). وهذا يدل على أن صلاة الجماعة في قيام رمضان سنة لأن الرسول ﷺ فعلها، ولكن تركها خوفاً من أن تفرض، وهذا مأمون بعد وفاته ﷺ.

* * *

= في صحيحه (٦٥/٦) حديث (٢٢٥)، والدارقطني في سنته (٢١/٢) حديث (٤) .
 رواه : البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : تحريم النبي ﷺ على ... ، حديث (١١٢٩) ،
 ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح ، حديث (٧٦١) ، وأبو داود ، حديث (١٣٧٣) ، والنمسائي ، حديث (١٦٠٤) ، وأحمد في مسنده (٦/٦٩)
 حديث (١) ، ومالك في الموطأ (١١٣/١) حديث (٢٤٨) .

المقصود بالزكاة لغة وشرعًا

س ١١٠ : نود أن نعرف ما المقصود بالزكاة في اللغة، وفي الشريع؟ وما العلاقة بين المفهومين؟.

الجواب : الزكاة في اللغة: الزيادة والنماء، فكل شيء زاد عدداً، أو نما حجمًا فإنه يقال: زكاء. فيقال: زكاء الزرع، إذا نما وطال. وأما في الشرع: فهي قدر واجب شرعاً في أموال مخصوصة لطائفة مخصوصة.

والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، أن الزكاة وإن كان ظاهرها النقص، نقص كمية المال، لكن آثارها زيادة المال؛ زيادة المال بركة، وزيادة المال كمية، فإن الإنسان قد يفتح الله له من أبواب الرزق ما لا يخطر على باله إذا قام بما أوجبه الله عليه في ماله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ءاتَيْتُمْ مِنْ رِبَآ لَيَرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عَنْ دَلَلِ اللَّهِ وَمَا ءاتَيْتُمْ مِنْ رُكْوَنٍ تُرْبِدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضِيقُونَ﴾ [الروم: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُحْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. يخلفه: أي يأتي بخلفه وبدهله.

وقال النبي ﷺ: «ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(١٣٩) وهذا أمر مشاهد، فإن الموفقين لأداء ما يجب عليهم في أموالهم يجدون بركة فيما ينفقونه، وبركة فيما يبقى عندهم، وربما يفتح الله لهم أبواب رزق يشاهدونها رأي العين، بسبب إنفاقهم أموالهم في سبيل الله.

ولهذا كانت الزكاة في الشرع ملائمة للزكاة في اللغة من حيث النماء

(١٣٩) رواه : مسلم ، كتاب : البر والصلة والأدب ، باب : استحباب العفو والتواضع، حديث (٢٥٨٨) والترمذى ، حديث (٢٠٢٩) ، وأحمد (٢٣٥/٢) حديث (٧٢٠٥) ، والدارمي في سننه (٤٨٦/١) حديث (١٦٧٦) ، وأبي خزيمة في صحيحه (٤/٩٧) حديث (٢٤٣٨) ، وأبي حبان في صحيحه (٨/٤٠) حديث (٣٢٤٨) .

والزيادة.

ثم إن في الزكاة زيادة أخرى، وهي زيادة الإيمان في قلب أصحابها، فإن الزكاة من الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة تزيد في إيمان الرجل، لأن مذهب أهل السنة والجماعة أن الأعمال الصالحة من الإيمان، وأن الإيمان يزداد بزيادتها، وينقص بنقصها، وهي أيضاً تزيد الإنسان في خلقه، فإنها بذل وعطاء، والبذل والعطاء يدل على الكرم والسخاء. والكرم والسخاء لا شك أنه خلق فاضل كريم، بل إن له آثاراً بالغة في انتشار الصدر، ونور القلب وراحته، ومن أراد أن يطلع على ذلك فليجرب الإنفاق يجد الآثار الحميدة التي تحصل له بهذا الإنفاق، ولا سيما فيما إذا كان الإنفاق واجباً مؤكداً كالزكوة، فإن الزكوة أحد أركان الإيمان ومبانيه العظام، وهي التي تأتي كثيراً مقرونة بالصلة التي هي عمود الإسلام، وهي في الحقيقة محكٌ ثبّٰن كون الإنسان محبًا لما عند الله ، لأن المال محبوب إلى النفس، وبذل المحبوب لا يمكن أن يكون إلا من أجل محبوب يؤمن به الإنسان وبحصوله، ويكون هذا المحبوب أيضاً أحب مما بذله.

ومصالح الزكوة، وزيادة الإيمان بها، وزيادة الأعمال، وغير ذلك أمر معلوم، يحصل بالتأمل فيه أكثر مما ذكرنا الآن.

* * *

آثار الزكوة على المجتمع والاقتصاد

س ١١١ : ذكرتكم تعريف الزكوة المغربي والشريعي والعلاقة بينهما، تم تحدثتم أيضاً عن الآثار التي تتعكس على الفرد، لكن أيضاً ما ذكرنا عرضاً الآثار التي تتعكس على الفرد، فنريد أن نعرف الآثار التي تتعكس على المجتمع، وعلى الاقتصاد الإسلامي أيضاً؟

الجواب : آثار الزكوة على المجتمع وعلى الاقتصاد الإسلامي ظاهرة أيضاً، فإن فيها من مواساة الفقراء والقيام بمصالح العامة ما هو معلوم ظاهر من مصارف هذه الزكوة، فإن الله سبحانه وتعالى قد قال في مصارف هذه الزكوة: ﴿إِنَّمَا

الصادقُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَمِيلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْفَفَةُ فُلُوْجُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرِيمَينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿التوبه: ٦٠﴾

وهؤلاء الأصناف الثمانية منهم من يأخذها لدفع حاجته، ومنهم من يأخذها حاجة المسلمين إليه، فالقراء والمساكين والغارمين لأنفسهم، هؤلاء يأخذون حاجتهم، وكذلك ابن السبيل والرقاب ومنهم من يأخذ حاجة الناس إليه، كالغaram لإصلاح ذات البين، والعاملين عليها والمجاهدين في سبيل الله.

إذا عرفنا أن توزيع الزكاة على هذه الأصناف يحصل بها دفع الحاجة الخاصة لمن يعطاها، ويحصل بها دفع الحاجة العامة للمسلمين، عرفنا مدى نفعها المجتمع.

وفي الاقتصاد تتوزع الثروات بين الأغنياء والقراء، بحيث يؤخذ من أموال الأغنياء هذا القدر ليصرف إلى القراء، ففيه توزيع للثروة حتى لا يحدث التضخم من جانب والبؤس والفقر من جانب آخر.

وفيها أيضاً من صلاح المجتمع: ائتلاف القلوب فإن القراء إذا رأوا من الأغنياء أنهم يمدونهم بالمال، ويتصدقون عليهم بهذه الزكاة التي لا يجدون فيها منه عليهم لأنها مفروضة عليهم من قبل المال، فإنهم بلا شك يحبون الأغنياء وأيالفونهم ويرجون ما أمرهم الله به من الإنفاق والبذل، بخلاف ما إذا شح الأغنياء بالزكاة وبخلوا بها واستأثروا بالمال، فإن ذلك قد يولد العداوة والضغينة في قلوب القراء، ويشير إلى هذا ختم الآيات الكريمة التي فيها مصارف الزكاة بقوله تعالى: **﴿فَرِيضَةٌ مِّنْ أَنَّ اللَّهَ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾** [التوبه: ٦٠].

* * *

شروط وجوب الزكاة

س ١١٦: هبنا لو عرفنا شروط وهرب الزكاة؟.

الجواب: شروط وجوب الزكاة: الإسلام، والحرمة، وملك النصاب،

واستقراره، ومُضيّ الحول، إلا في العشرات.

فأما الإسلام: فإن الكافر لا تجحب عليه الزكاة، ولا تقبل منه لو دفعها باسم الزكاة، لقول الله تعالى: **﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾** [التوبه: ٥٤]. ولكن ليس معنى قولنا إنها لا تجحب على الكافر ولا تصح منه ولا تُقبل منه، أنه مغفى عنها في الآخرة، بل إنه يعقوب عليها لقوله تعالى: **﴿كُلُّ نَفِيسٍ بِمَا كَبَثَ رَهِينَةً إِلَّا أَصْحَابُ الْيَتَمِ﴾** [٢٩] في جنتٍ يَسَاءُونَ [٤١] عن المُجْرِمِينَ [٤١] مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقَرَ [٤١] قَالُوا تَرَنَا مِنَ الْمُصَلَّيَنَ [٤٣] وَلَمْ نَكُنْ نُطْعَمُ الْمِسْكِينَ [٤٣] وَكُنَّا نَحْوُهُمْ مَعَ الْخَائِصِينَ [٤٤] وَكُنَّا نُكَدِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ [٤٤] حَقَّ أَنَّنَا الْيَقِينُ [٤٧] [المدثر: ٣٨-٤٧]. وهذا يدل على أن الكفار يذبحون على إخلالهم بفروع الإسلام، وهو كذلك.

وأما الحرية: فلأن المملوك لا مال له، إذ أن ماله لسيده، لقول النبي ﷺ : «من باع عبداً له مال، فماله لبائعه إلا أن يشترط المباع» (١٤٠) فهو إذن غير مالك للملك حتى تجحب عليه الزكاة، وإذا قدر أنه - أي العبد - ملك بالتمليك، فإن ملكه في النهاية يعود إلى سيده، لأن سيده له أن يأخذ ما بيده، وعلى هذا ففي ملكه نقص، ليس مستقرًا استقرار أملاك الأحرار.

وأما ملك النصاب: فمعناه أن يكون عند الإنسان مال يبلغ النصاب الذي قدره الشّرع، وهو يختلف باختلاف الأموال، فإذا لم يكن عند الإنسان نصاب فلا زكاة عليه، لأن ماله قليل لا يتحمل الموساة، والنصاب يختلف باختلاف الأموال، ففي المواشي الأنسبة فيها مقدرة ابتداء وانتهاء، وفي غيرها

(١٤٠) رواه : البخاري ، كتاب : المسافة ، باب : الرجل يكون له مبر أو شرب في حائط ، حديث (٢٣٧٩) ، ومسلم ، كتاب : البيوع ، باب : من باع نخلاً عليها ثمر ، حديث (١٥٤٣) ، أبو داود ، حديث (٣٤٣٣) ، والترمذى ، حديث (١٢٤٤) ، والنسائي (٤٦٣٦) ، وابن ماجه (٢٢١١) .

الأنصاب مقدرة فيها ابتداء وما زاد فبحسابه.

وأما مُضيئ الحول: فلأن إيجاب الزكاة في أقل من الحول يستلزم الإجحاف بالأغنياء، وإيجابها فيما فوق الحول يستلزم الضرر في حق الفقراء، فكان من حكمة الشرع أن يقدر لها زمناً معيناً تجب فيه وهو الحول، وفي ربط ذلك بالحول توازن بين حق الأغنياء وحق أهل الزكاة، وعلى هذا فلو مات الإنسان مثلاً أو تلف المال قبل تمام الحول سقطت الزكاة، إلا أنه يستثنى من تمام الحول ثلاثة أشياء: ربح التجارة، ونتائج السائمة، والمعشرات.

أما ربح التجارة: فإن حوله أصله.

وأما نتائج السائمة: فحَوْلُ النتاج حَوْلُ الأمهات.

وأما المعشرات فحولها تحصيلها . أو وقت تحصيلها.

مثال ذلك في الربح: أن يشتري الإنسان سلعة بعشرة آلاف ريال، ثم قبل تمام حول الزكاة بشهر تزيد هذه السلعة أو تربع نصف الثمن الذي اشتراها به، فيجب عليه زكاة رأس مال وزكاة ربح، وإن لم يتم للربح حول، لأنه فزع، والفرع يتبع الأصل.

وأما النتاج: فمثل أن يكون عند الإنسان من البهائم نصاب، ثم في أثناء الحول يتولد هذا النصاب حتى يبلغ نصابين، فيجب عليه الزكاة للنصاب الذي حصل بالنتاج وإن لم يتم عليه الحول، لأن النتاج فرع فيتبع الأصل.

وأما المعشرات: فحولها حيث أخذها مثل الحبوب والثمار، فإن الثمار في النخل مثلاً لا يتم عليه الحول حتى يُجذ، فتجب الزكاة عند جذها، وكذلك الزرع يزرع ويحصد قبل أن يتم عليه الحول، فتجب عليه الزكاة عند حصده، لقول الله تعالى: ﴿وَأَثُوا حَقَّهُمْ يَوْمَ حَسَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٤١].

فهذه الأشياء الثلاثة تستثنى من قولنا إنه يشترط لوجوب الزكاة تمام الحول.

مال الملوك هل يعفى من الزكاة

س ١١٢ : ذكرتم من شروط وحرب الزكاة أن يلزمه المال صرفاً، وتحمّلها عن مال الملك وأنه لا يهبه عليه زكاة ملوك المال مال الله، لئنْ : هل يعفى المال من التزكية أم يدفع المال من المال؟

الجواب : زكاة المال الذي عند المملوك على مالكه لأنه هو مالك المال كما أسلفنا من قول الرسول ﷺ : «من باع عبداً له مال فماله للذي باعه إلا أن يشترط المباع»^(١) . وعلى هذا فتكون الزكاة على مالك المال وليس على المملوك منها شيء، ولا يمكن أن تسقط الزكاة من هذا المال.

* * *

الأصناف التي تجب فيها الزكاة ومقدار كل نوع

س ١١٤ : ما هي الأموال التي تجب فيها الزكاة، ومقدار الزكاة في كل نوع؟

الجواب : الأموال التي تجب فيها الزكاة هي :

أولاً : الذهب والفضة، والزكاة فيها واجبة بالإجماع من حيث الجملة، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَيِّلٍ أَللَّهُ فَبَشِّرُهُم بِعِكَارِ أَلْيَمٍ﴾ [٣٤] يوم يحسم عيشهما في نار جهنم فتكتوى بهما جاههم وجدهم وظهورهم هنذا مَا كنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فذوقوا مَا كنَّتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبه: ٣٤ - ٣٥].

وكتن الذهب والفضة هو ألا يخرج الإنسان ما أوجب الله عليه فيه من زكاة أو غيرها، وإن كان ظاهراً على سطح الأرض، وإذا أخذ الإنسان ما يجب لله فيه من الزكاة وغيرها فهو غير كنز وإن دفن في الأرض، ولقول النبي ﷺ

فيما رواه «مسلم» من حديث أبي هريرة : «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيمة صفحَت له صفائح من نار وأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجيئه وظهره»، كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف^(٤٢) سنة، حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» ، والزكاة في الفضة والذهب واجبة على أي حال كان، سواء كانت دراهم من الفضة ودنانير من الذهب، أو كانت تبيضاً أي قطعاً من الذهب، أو كانت قطعاً من الفضة أو كانت محليناً يستعمل أو لا يستعمل، لعموم الأدلة الواردة في ذلك، ولقول النبي ﷺ في خصوص الحلبي حين أتته امرأة معها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسْكَنَان غليظتان من ذهب، فقال لها رسول الله ﷺ : «أتؤدين زكاة هذا؟» قالت: لا. قال: «أئُسرُوكَ أَنْ يُسْوِرَكَ اللَّهُ بِهِمَا سَوَارَيْنَ عَنْ نَارٍ» فخلعهما وألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ورسوله .

وهذا نصٌ صريح في وجوب الزكوة في الحلبي ولو كان ملبوساً، وإنما وجَّهَ النبي ﷺ الخطاب إلى أم البنت لأنها هي وَلِيَةُ أمرها. وهذه المسألة فيها خلاف بين العلماء - أعني مسألة الحلبي - ولكن الراجح ما قلناه لأن الأحاديث عامة، والأحاديث الخاصة بها جيدة، بل صحة بعضهم، ولا شك أنها تقوم بها الحجة لأنَّه يشهد بعضها لبعض، والأصل وجوب الزكوة في الذهب والفضة حتى يقوم الدليل على التخصيص.

والواجب في الذهب والفضة ربع العشر : أي واحد من أربعين، وطريقة استخراج ذلك أن تقسم ما عندك على أربعين، فما خرج من القسمة فهو الزكوة، فإذا كان عند الإنسان أربعون ألفاً من الفضة، أي أربعون ألف درهم، فليقسم الأربعين على أربعين، يخرج واحد فهو الزكوة.

(٤٢)

(٤٣) سبق تخریجه برقم (٨٥).

رواہ : الترمذی ، کتاب : الزکاة ، باب : ما جاء في زکاة الحلبي ، حدیث (٦٣٧) ، والمسانی ، حدیث (٢٤٧٩) ، والبیهقی في السنن الكبرى (٤/١٤٠) حدیث (٧٢٤٠) ، والدارقطنی في سننه (٢/١١٢) حدیث (٧) .

وكذلك لو كان عنده أربعون ديناراً، أن يقسم الأربعين على أربعين يخرج دينار واحد، فهو الواجب، وعلى هذا فَيُقْسِنَ، قَلَّ المال أو كثُرَ، بشرط أن يبلغ النصاب.

نصاب الذهب خمسة وثمانون جراماً ، وخمسة وثمانون جراماً تساوي عشرة جنيهات سعودية ونصف وزيادة قليلة، يعني خمسة من ثمانية، فإذا كان الذهب تبلغ زنته هذا وجبت فيه الزكاة، وإن كان دون ذلك لم تجب فيه الزكاة. أما الفضة فنصابها مائة وأربعون مثقالاً، وهي أيضاً خمسة وخمسة وتسعون جراماً ، وتساوي بالدرهم - دراهم الفضة السعودية - ستة وخمسين ريالاً، أي ما يزن ستة وخمسين ريالاً من ريال الفضة السعودية، فإذا بلغ عند الإنسان من الفضة ما يزن ذلك، فقد وجبت فيه الزكاة، وما دون هذا لا زكاة فيه.

وليعلم أن القول الراجح من أقوال أهل العلم، أن الذهب لا يُضم إلى الفضة في تكميل النصاب، لأنهما جنسان مختلفان، وهما وإن اتفقا في المنفعة والغرض، فإن ذلك لا يقتضي ضم أحدهما إلى الآخر في تكميل النصاب، لأن الشارع قدّر لكل واحد منهما نصابة معيناً يقتضي ألا تجب الزكاة فيما دونه، ولم يأت عن النبي ﷺ نص بضم أحدهما إلى الآخر، وكما أن البر لا يُضم إلى الشعير في تكميل النصاب مع أن مقصودهما واحد فكذلك الذهب والفضة. وبناء على ذلك: لو كان عند الإنسان نصف نصاب من الذهب، ونصف نصاب من الفضة، لم تجب عليه الزكاة في واحد منهما، لما ذكرنا من أنه لا يُضم الذهب إلى الفضة في تكميل النصاب.

ويتحقق بالذهب والفضة ما يجعل بدلاً عنهما في كونه نقداً يتعاملُ به ؛ كالأوراق النقدية المعروفة بين الناس اليوم، فإذا كان عند الإنسان من هذه الأوراق ما تُساوي قيمته نصابة من الذهب والفضة، فإن الزكاة تجب عليه فيه

لأنها نقود وليس عروض تجارة، إذ أنها هي قيم الأشياء التي تُقدر بها، وهي وسيلة التبادل بين الناس، فكانت كالدنانير والدرهم وليس كعروض التجارة كما زعمه بعضهم، وليثقّل أن الزكاة في الذهب والفضة واجبة وإن كان الإنسان قد اذخرها لنفقاته وحاجاته، فإذا كان عند الإنسان عشرة آلاف درهم، أعدّها لشراء بيت يسكنه، فإن الزكاة واجبة فيها ولو بقيت سنوات، وكذلك لو كان أعدّها ل يتزوج بها فإن الزكاة واجبة فيها ولو بقيت سنة أو أكثر.

المهم أن الزكاة واجبة في عين الذهب والفضة، فتُجب فيهما بكل حال، وما يظنه بعض الناس من أن الدرهم إذا أعددت للنفقة، أو حاجة الزواج ونحوه لا زكاة فيها، فإنه ظن خاطئ، لا أصل له، لا في الكتاب، ولا في السنة، ولا في أقوال أهل العلم، وهذا بخلاف العروض، فإن العروض هي التي يُشترط فيها نية التجارة، أما الذهب والفضة فالزكاة في أعيانهما فتُجب فيهما بكل حال.

هذا أحد الأموال التي تُجب فيها الزكاة، وهو الذهب والفضة.

الثاني: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار؛ لقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَبِيعَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ولقول النبي ﷺ: «فيما سقط السماء العشر، وفيما سُقِي بالنضح نصف العشر» (١٤٤). ولقول النبي ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوقس صدقة» (١٤٥). فتُجب الزكاة في الخارج من الأرض من الحبوب والثمار.

(١٤٤) رواه : البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : العشر فيما يُسقى من السماء وبماء الجاري ، حديث (١٤٨٣) ، وأبي داود ، حديث (١٥٩٦) ، والبرمني ، حديث (٦٤٠) ، والنسائي ، حديث (٢٤٨٨) . وابن ماجه ، حديث (١٨١٦) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣٧/٤) حديث (٢٣٠٨) .

(١٤٥) رواه : البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : ليس فيما دون خمسة أوقس صدقة ، حديث (١٤٨٤) . ومسلم ، كتاب : الزكاة ، حديث (٩٧٩) ، وأبي داود ، حديث (١٥٥٨) ، والترمذني ، حديث (٦٢٦) . والنسائي ، حديث (٢٤٨٧) ، وأحمد في مسنده (٣٠/٣) حديث (١١٢٧١) ، ومالك في الموطأ (٢٤٤/١) حديث (٥٧٧) .

من الحبوب: كالبَرْ والذرة والأرز وغيرها.

من الثمار: كالنخيل والأعناب التي تربت ويحصل منها الزبيب وأما الأعناب التي لا تربت ففيها خلاف بين العلماء، فمنهم من قال: إنه لا زكاة فيها لأنها ملحقة بالفواكه، فهي كالبرتقال والتفاح، ومنهم من قال: إنها يجب فيها زكاة اعتباراً بأصل العنب، لأن أصل العنب أن يُربَّط، فهو شبيه بثمار النخيل، أي شبيه بالتمر، والاحتياط أن يُخرج الإنسان الزكاة منه، وأما ما ليس بحبوب ولا ثمار، يُكال ويدخر، مثل الفواكه على اختلاف أنواعها، والخضروات على اختلاف أنواعها، فإنه لا زكاة فيها ولو كثُرت.

ومقدار الزكاة في الحبوب والثمار العُشر، أي: عشر في المائة، إذا كانت تسقى بلا مؤونة، كالذي يشرب بعروقه، لكون الأرض رطبة، أو الذي يشرب بالطَّلَّ، أو الذي يشرب بالأنهار، أو الذي يشرب بالقنوات التي تُضرِب في الأرض ثم ينبع منها الماء، هذا كلَّه يجب فيه العُشر، لأنه لا مؤونة في استخراج الماء الذي يُسقى به، وأما إذا كان يُسقى بمؤونة، كالذي يُسقى بالسواني أو بالمكائن أو الغرافات أو ما أشبهها، فإن الواجب فيه نصف العُشر، فأسقط الشارع عنه نصف العُشر مراعاة حاليه، ونصف العُشر خمسة في المائة، فإذا قدرنا أن هذه المزرعة أنتجت خمسة آلاف صاع، كان الواجب فيها إذا كان الزرع يُسقى بلا مؤونة خمسمائة صاع، وإذا كان يُسقى بمؤونة كان الواجب مائتين وخمسين صاعاً، وعلى هذا فقيس.

ولكن لا تجب الزكاة في الحبوب والثمار حتى تبلغ نصاباً، والنصاب خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ، فيكون مجموع الآصح ثلاثة مائة صاع بصاع النبي ﷺ، فما دون ذلك فلا زكاة فيه، لقول النبي ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»^(١٤٦). هذان مالان تجب فيهما الزكاة.

(١٤٦) انظر السابق.

زكاة الفواكه والخضروات إذا بيعت

س ١١٥ : بالنسبة للفرائض التي لا زكاة فيها هل إذا باعها الإنسان وجب عليه الزكاة في سائرها؟

الجواب : هذه الفواكه والخضروات لا زكاة فيها، ولكن الإنسان إذا باعها، فإن في ثمنها الزكوة إن بقي حتى تم عليه الحول وكان من النقادين، الذهب والفضة أو ما جرى مجرياً، أما لو باعها بعرض، مثل أن باعها سيارات أو بأقمشة أو بأواني، فإنه لا زكاة فيها أيضاً ما لم ينبو التجارة بما جعله بدلاً، فإن نوى التجارة كانت الزكوة واجبة وجوب زكاة العرض التي ستتكلم عنها إن شاء الله تعالى فيما بعد.

* * *

تابع الأصناف التي تجب فيها الزكوة

ومن الأموال الزكوية التي تجب فيها الزكوة: بهيمة الأنعام؛ وهي الإبل والبقر والغنم، ولكن يشترط لوجوب الزكوة فيها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون معدة للدر والنسل والتسمين، لا للبيع والشراء.
والشرط الثاني: أن تكون سائمة الحول أو أكثره، يعني أن تتغذى على السّؤم - وهو الرعي - الحول أو أكثره.

فإن كانت غير معدة للدر والنسل والتسمين، وإنما هي معدة للاتجار والتكسب، فهي عروض التجارة، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى، وإن كانت معدة للدر والتسمين، ولكنها تُغلَف فإنها لا زكاة فيها، فلو كان عند الفلاح عشرون بيضاء أبقاها للتناسل وللدر وللقنطرة، فإنه لا زكوة عليه في ذلك ما دام يُغلفها أكثر الحول، لحديث مالك بن أنس، فيما كتبه أبو بكر الصديق في فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ وأمر بها قال: «في الغنم في سائرها»^(١٤٧). وفي

(١٤٧) رواه البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : زكاة الغنم ، حديث (١٤٥٤) ، والنمسائي ، حديث =

حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: «في الإبل في سائمتها» (١٤٨). وهذا يدل على أن غير السائمة ليس فيها زكاة وهو كذلك، وأما مقدار الزكاة في البهائم - أي في بهيمة الأنعام - فإنه يختلف، وذلك لأن الأنصبة في بهيمة الأنعام مقدرة ابتداء وانتهاء، ولكل قدر منها واجب خاص به، فمثلاً في الغنم في كل أربعين شاة شاة واحدة، وفي مائة وإحدى وعشرين شاتان، فما بين الأربعين إلى مائة وعشرين ليس فيها إلا شاة واحدة، وفي مائتين وواحدة ثلاثة شياه، فما بين مائة وإحدى وعشرين إلى مائتين ليس فيه إلا شاتان، ثم في كل مائة شاة، ففي مائتين وواحدة ثلاثة شياه، وفي ثلاثمائة وواحدة ثلاثة شياه، وفي أربعمائة أربع شياه، وهلم جرا، ولذلك لا يمكن أن نحدد الواجب في بهيمة الأنعام، وذلك لاختلاف الأنصبة ابتداء وانتهاء، ومرجع ذلك إلى كتب الحديث وأهل الفقه.

أما غير السائمة، كالخيل والحمير والبغال، فهذه لا زكاة فيها ولو كثرت، ولو سامت، إذا لم تكن للتجارة، لقول النبي ﷺ: «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة» (١٤٩).

فلو كان عند الإنسان مائة فرس يُعدُّها للركوب والجهاد وغير ذلك من المصالح، فإنه لا زكاة عليه فيها ولو كانت تساوي دراهم كثيرة، إلا إن كان

= (٢٤٤٧)، وأحمد في مسنده (١١/١) حديث (٧٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٤ - ١٥) حديث (٢٢٦١)، والبيهقي في الكبرى (٤/٨٥) حديث (٣٨٠٧).
 (١٤٨) رواه أبو داود، كتاب : الزكاة ، باب : في زكاة السائمة ، حديث (١٥٧٥) ، والنمسائي ، حديث (٢٤٤٩) ، وأحمد في مسنده (٥/٢) حديث (٢٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/١٨) حديث (٢٢٦٦) ، والحاكم في المستدرك (١/٤٤٨) حديث (٥٥٤) ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(١٤٩) رواه : البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : ليس على المسلم في عبده صدقة ، حديث (١٤٦٤) ، ومسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : لا زكاة على المسلم في عبده وفرسه ، حديث (٩٨٢) ، وأبو داود ، حديث (١٥٩٥) ، والترمذى ، حديث (٦٢٨) ، والنمسائي ، حديث (٢٤٦٧) ، وابن ماجه ، حديث (١٨١٢) .

يَتَّجِرُ فِي الْخَيْلِ، يَبْعَثُ وَيَشْتَرِي، وَيَتَكَبَّسُ، فَعَلَيْهِ فِيهَا زَكَاةُ الْعُرُوضِ. هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَمْوَالٍ تَحْبَلُّ فِيهَا الزَّكَاةُ؛ النَّقْدُ وَهُمَا الْذَّهَبُ وَالْفَضْلَةُ، وَالْخَارِجُ مِنَ الْأَرْضِ، وَالثَّالِثُ بِهِمَةُ الْأَنْعَامِ.

الرابع: عُرُوضُ التَّجَارَةِ، وَعُرُوضُ التَّجَارَةِ هِيَ الْأَمْوَالُ الَّتِي عِنْدَ الْإِنْسَانِ يَرِيدُ بِهَا التَّكَبُّسَ، وَلَا تَخْتَصُ بِنَوْعٍ مَعِينٍ مِنَ الْمَالِ، بَلْ كُلُّ مَا أَرَادَ بِهِ الْإِنْسَانُ التَّكَبُّسَ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ كَانَ مِنَ الْمَالِ فِيهِ الرَّزْكَةُ، سَوَاءً كَانَ الْمَالُ عَقَارًا، أَوْ حَيْوَانًا، أَوْ مُلْوَّكًا مِنَ الْأَدْمِينِ، أَوْ سِيَارَاتٍ، أَوْ أَقْيَشَةً، أَوْ أَوَانِيًّا، أَوْ أَطْيَابًّا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، الْمُهِمُّ كُلُّ مَا أَعْدَهُ الْإِنْسَانُ لِلتَّجَارَةِ وَالتَّكَبُّسُ فِيهِ الرَّزْكَةُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ عُمُومُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ [السَّائِلُونَ] ٢٤ [المعارج: ٢٤-٢٥].

وقول النبي ﷺ في حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين بعثه إلى اليمن: «أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنىائهم فترد على فقراءهم» (١٥٠) فالالأصل في الأموال وجوب الزكاة إلا ما دل عليه الدليل، ولقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (١٥١).

وصاحب العروض إنما نوى قيمة العروض، ليس له حاجة أو غرض في نفس العروض بدليل أنه اشتري السلعة في أول النهار فإذا ربحت في آخر النهار باعها، وليس كالإنسان المقتني للسلع الذي يقيها عنده سواء زادت أم نقصت، فإذاً يكون مراد هذا المالك هو القيمة وهي الذهب والفضة أو ما جرى مجراهما، وقد قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

ولأننا لو قلنا بعدم وجوب الزكاة في العروض لسقطت الزكاة عن كثير من

(١٥٠) سبق تخرجه برقم (١).

(١٥١) رواه: البخاري ، كتاب: الإيمان ، باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسنة ، حديث (٥٤) ، ومسلم ، كتاب: الإمارة ، باب: قوله (إنما الأعمال بالنيات ، حديث (١٩٠٧) ، وأبو داود ، حديث (٢٢٠١) ، والترمذى ، حديث (١٦٤٧) ، والنسائي (٧٥) ، وابن ماجه (٤٢٢٧) .

أموال التجار، لأن غالب أموال التجار التي يتجررون بها إنما هي عروض التجارة. هذه أربعة أنواع من المال تجب فيها الزكاة. واحتلَّ العلماء في العسل، هل تجب فيه الزكاة أو لا تجب؟ فمنهم من قال لا تجب الزكاة فيه، ومنهم من قال إنها تجب، واستدلوا بأثر عمر بن الخطاب ، والمسألة عندي محل توقف، والعلم عند الله.

وبناء على ذلك: فإنه لا زكاة على الإنسان فيما يقتنيه من الأوانى والفرش، والمعدات، والسيارات، والعقارات، وغيرها، حتى وإن أعدّه للإجارة، فلو كان عند الإنسان عقارات كثيرة تساوي قيمتها الملايين، ولكنه لا يتجر بها، أي لا يبيعها ويشتري بدلها للتجارة مثلاً، وإنما أعدّها للاستغلال، فإنه لا زكاة في هذه العقارات ولو كثرت، وإنما الزكاة فيما يحصل منها من أجراة أو نماء، فتجب الزكاة في أجرتها إذا تم عليها الحول من العقد، فإن لم يتم عليها الحول فلا زكاة فيها، لأن هذه الأشياء - ما عدا الأصناف الأربع السابقة - الأصل فيها براءة الذمة حتى يقوم دليل على الوجوب، بل قد دل الدليل على أن الزكاة لا تجب فيها، في قول النبي ﷺ: «ليس على المؤمن في عبده ولا فرسه صدقة»^(١٥٢). فإنه يدل على أن ما اختصه الإنسان لنفسه من الأموال غير الزكوية ليس فيه صدقة، أي ليس فيه زكاة، والأموال التي أعدّها الإنسان للاستغلال من العقارات وغيرها لا شك أن الإنسان قد أرادها لنفسه ولم يردها لغيره، لأنه لا يبيعها بل يستبنيها للاستغلال والنماء.

* * *

تقدير قيمة الأراضي لإخراج زكاتها

س ١١٦ : لَكُنْ بِالنِّسْبَةِ لِلأَرْضِيِّ الَّتِي اشْتَرَاهَا أَصْهَابُهُ، وَكَسَدَتْ فِي أَيْدِيهِمْ نَظِيرًا لِقَلَّةِ قِيمَتِهَا، فَسِمْ يَقْدِرُونَهَا بِتِقْدِيرَاتٍ عَالِيَّةٍ، مَعَ أَنَّهَا لَا تَسَاوِي إِلَّا الْقَلِيلَ فِي السُّوقِ. فَلَيَفِ تُنْزَلَى هَذِهِ الْأَرْضِيَّ؟

الجواب : الأرضي التي اشتراها أهلها للتجارة كما هو الغالب يتظرون بها الزيادة هذه عمروض تجارة، وعروض التجارة تُقْوَم عند حَوْلِ الزَّكَاةِ بما تساوي، ثم يخرج ربع العشر منها، لأن العبرة بقيمتها، وقيمتها بالذهب والفضة، والذهب والفضة زكاتهما ربع العشر، ولا فرق بين أن تكون قيمة هذه الأرضي قيمة ما اشتريت به أولاً، فلو قدرنا أن رجلاً اشتري أرضاً بمائة ألف وكانت عند الحول تساوي مائة ألف، فإنه يجب عليه أن يزكي عن المائتين جميعاً، وإذا كان الأمر بالعكس، اشتراها بمائة ألف وكانت عند تمام الحول تساوي خمسين ألفاً فقط، فإنه لا يجب عليه أن يزكي إلا عن خمسين ألفاً. لأن العبرة بقيمتها عند وجوب الزكاة.

فإن شك الإنسان لا يدرى : هل تزيد قيمتها عما اشتراها به أو تنقص، أو هي هي، فالأفضل عدم الزيادة وعدم النقص، فيقومها بشمنها الذي اشتراها به، فإذا قدرها أن هذه الأرض التي اشتراها بمائة ألف تساوي عند تمام الحول إن طلبت منه مائة وعشرين، وتساوي إن جلبت ثمانين ألفاً، وهو متعدد، نقول: قومها بالذي اشتريتها به، لأن الأصل عدم الزيادة والنقص، ولكن يُشكل على كثير من الناس اليوم أن عندهم أراضي كسدت في أيديهم، ولا تساوي شيئاً، بل إنهم يعرضونها للبيع ولا يجدون من يشتريها، فكيف تتركى هذه الأرضي؟ نقول: إن كان عند الإنسان أموال يمكن أن يزكى منها - من الأموال التي عنده - أدى زكاتها من أمواله التي عنده، وإن لم يكن عنده إلا هذه الأرضي الكاسدة، فإن له أن يأخذ ربع عشرها ويزعها على الفقراء إن كانت في مكان يمكن أن

يتفعل بها الفقير ويغمرها، وإنما فليقيد قيمتها وقت وجوب الزكاة ليخرج زكاتها فيما بعد إذا باعها.

وتكون هذه الأرضي مثل الدين الذي عند شخص فقير لا يستطيع الوفاء، فالزكاة لا تجب عليه إلا إذا قبضها، أي إلا إذا قبض الدين، والصحيح أنه إذا قبض الدين من مدين معسر، فإنه يزكيه سنة واحدة فقط ولو كان قد بقي سنين كثيرة عند الفقير، ويمكن أن يقال في هذه الأرضي التي كسدت ولم يجد من يشتريها، يمكن أن يقال إنه لا يزكيها إلا سنة واحدة، سنة البيع، ولكن الأحوط إذا باعها أن يزكيها لكل ما مضى من السنوات، لأن الفرق بينها وبين الدين أن هذه ملك يده، والدين في ذمة فقير خربت لكونه أعرضاً.

* * *

تركيه الديون التي في ذمم الناس

س ١١٧ : كيف تُركي الديون التي في ذمم الناس؟

الجواب : الديون التي في ذم الناس، سواء كانت ثمن مبيع، أو أجرة، أو قرضًا، أو قيمة متألف، أو أرث جنائية، أو غير ذلك مما يثبت في الذمة، تنقسم إلى قسمين:

الأول : أن تكون مما لا تجب الزكاة في عينيه، كالغروض، بأن يكون عند الإنسان لشخص ما مائة صاع من البر أو أكثر، فهذا الدين لا زكاة فيه، وذلك لأن الزروع - أو الحبوب - لا تجب الزكاة في عينها إلا من زرعها.

وأما الثاني : فهي الديون التي تجب الزكاة في عينها كالذهب والفضة، وهذا فيه الزكاة على الدائن، لأنه صاحبه ويلك أخذته والإبراء منه، فيزكيه كل سنة، إن شاء زكاه مع ماله، وإن شاء قيَّد زكاته وأخرجها إذا قبضه، فإذا كان عند شخص آخر مائة ألف فإنَّ منْ له المائة يزكيها كل عام، أو فإن الزكاة تجب على من هي له كل عام. لكن هو بالخيار، إما أن يخرج زكاتها مع ماله، وإما أن

يُنْتَظِرُ حَتَّى يَقْبِضُهَا ثُمَّ يَزْكِيهَا لَمَاضِيَ، هَذَا إِذَا كَانَ الدِّينُ عَلَى مُوسَرٍ بِأَذْلِلٍ، فَإِنْ كَانَ الدِّينُ عَلَى مُعْسَرٍ، فَإِنَّ الصَّحِيفَ أَنَ الزَّكَاةَ لَا تُجْبَ فِيهِ، لَأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَمْلِكُ الْمَطَالِبَ بِهِ شَرْعًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرْهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَاجِزٌ شَرْعًا عَنْ مَالِهِ، فَلَا تُجْبَ عَلَيْهِ الزَّكَاةَ فِيهِ، لَكِنْ إِذَا قَبَضَهُ فَإِنَّهُ يَزْكِيهِ سَنَةً وَاحِدَةً فَقْطًا وَإِنْ بَقِيَ فِي ذَمَّةِ الْمَدِينِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ، لَأَنَّ قَبْضَهُ إِيَّاهُ يُشَبِّهُ تَحْصِيلَ مَا خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ، يَزْكُّى عَنِ الْحُصُولِ عَلَيْهِ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: لَا يَزْكِيهِ لَمَاضِيَ، وَإِنَّمَا يَسْتَدِئُ بِهِ حَوْلًا مِنْ جَدِيدٍ. وَمَا ذَكَرْنَاهُ أَحْوَطُ وَأَبْرَأُ لِلذَّمَّةِ، أَنْ يَزْكِيهِ سَنَةً وَاحِدَةً لَمَاضِيَ ثُمَّ يَسْتَأْنِفَ بِهِ حَوْلًا، وَالْأَمْرُ فِي هَذَا سَهْلٌ، وَلَيْسَ مِنَ الصَّعِيبِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَؤْدِي رُبْعَ الْعَشْرَ مِنْ دِينِهِ الَّذِي قَبَضَهُ بَعْدَ أَنْ أَيْسَرَ مِنْهُ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ شَكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِتَحْصِيلِهِ.

هَذَا هُوَ الْقَوْلُ فِي زَكَاةِ الْدِيُونِ وَخَلَاصِتِهِ: أَنَّهُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

قَسْمٌ لَا زَكَاةَ فِيهِ، وَهُوَ مَا إِذَا كَانَ الدِّينُ مَا لَا تُجْبَ الزَّكَاةَ فِي عِينِهِ، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ فِي ذَمَّةِ شَخْصٍ لَآخَرَ أَصْوَاعَ مِنَ الْبَرِّ، أَوْ كِيلُوَاتٍ مِنَ السُّكَرِ أَوِ الشَّايِ أَوِ مَا أَشْبَهُ ذَلِكَ فَمَا دَامَ الدِّينُ مَا لَا تُجْبَ الزَّكَاةَ فِي عِينِهِ، فَلَا زَكَاةَ فِيهِ وَلَوْ كَانَ عَنْهُ مِئَاتُ الْأَصْوَاعِ.

الْقَسْمُ الثَّانِي: الْدِينُ الَّذِي تُجْبَ الزَّكَاةَ فِي عِينِهِ، كَالْذَّهَبُ وَالْفَضْلَةُ وَلَكِنَّهُ عَلَى مُعْسَرٍ، فَهُدْنَا لَا زَكَاةَ فِيهِ إِلَّا إِذَا قَبَضَهُ، فَإِنَّهُ يَزْكِيهِ لِسَنَةً وَاحِدَةً ثُمَّ يَسْتَأْنِفَ فِيهِ حَوْلًا، وَقِيلَ أَنَّهُ يَسْتَأْنِفُ فِيهِ حَوْلًا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَكِنْ مَا قَلَنَا أَوْلَى لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّعْلِيلِ.

الْقَسْمُ الثَّالِثُ: مَا تُجْبَ فِيهِ الزَّكَاةَ كُلَّ عَامٍ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي تُجْبَ فِيهِ الزَّكَاةَ فِي عِينِهِ، وَهُوَ عَلَى مُوسَرٍ بِأَذْلِلٍ، فَهُدْنَا فِيهِ الزَّكَاةَ كُلَّ عَامٍ، لَكِنْ إِنْ شَاءَ

صاحب الدين أن يخرج زكاته مع ماله، وإن شاء أخرّها حتى يقابضه من المدين.

*** خرص عروض التجارة

س ١١٨ : هل يجوز خرص عروض التجارة إذا تعذر احتسابها أو شئ على التاجر؟

الجواب : لا يجوز خرصها، لأن الخرص إنما ورد في الشمار والحق به بعض العلماء الزروع، وأما الأموال لا يمكن خرصها، لأنها أنواع متعددة، لكن على الإنسان أن يتحرى ما استطاع، وأن يحتاط لنفسه، فإذا قدر أن هذه البضاعة قيمتها مائة ويحتمل أن يكون مائة وعشرين، فليخرج عن مائة وعشرين إبراءً لذمته.

*** الزكاة في مال الصغير والمجنون

س ١١٩ : هل تجب الزكاة في مال غير المُكْلَفِ، كالصغير والمجنون؟

الجواب : هذا فيه خلاف بين العلماء، فمنهم من قال إن الزكاة في مال الصغير والمجنون غير واجبة نظراً إلى تغليب التكليف بها، ومعلوم أن الصغير والمجنون ليسا من أهل التكليف، فلا تجب الزكاة في مالهما.

ومنهم من قال: بل الزكاة واجبة في مالهما، وهو الصحيح، نظراً لأن الزكاة من حقوق المال، لا ينظر فيها إلى المالك، لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظَهِّرُهُمْ وَنِذْكِرْهُمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوةَكَ سَكْنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ [التوبه: ٣٠]. فقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، فجعل مناط الحكم أو موضع الوجوب: المال.

ولقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «أعلمهم أن الله افترض

عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم»^(١٥٣) وعلى هذا فتجب الزكاة في مال الصبي والمجنون، ويتولى إخراجها وليهما.

مصارف الزكاة

س ١٦٠: نود أن نعرف المصادر التي يحب أن تصرف فيها الزكاة؟

الجواب: المصادر التي يحب أن تصرف فيها الزكاة ثمانية بينها الله تعالى بياناً شافيناً كافيناً، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذلك فريضة، وأنه مبنية على العلم والحكمة، فقال جل ذكره: «إِنَّمَا الْصَّدَقَةُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَنِيمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةِ فِلْوَاهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَئِنَّ سَبِيلًا» [التوبه: ٦٠]، قال الله تعالى بعد فريضة مرت الله وآلل الله عليه حكيم وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَكْيَمٍ [التوبه: ٦٠].

فهؤلاء أصناف أهل الزكاة الذين تُدفع إليهم، وهم ثمانية كالتالي:
الفقراء والمساكين: وهؤلاء يعطون من الزكاة لدفع ضرورتهم و حاجتهم.

والفرق بين الفقراء والمساكين: أن الفقراء أشد حاجة، لا يجد الواحد منهم ما يكفيه وعائلته لنصف سنة، والمساكين أعلى حالاً من الفقراء، لأنهم يجدون نصف الكفاية فأكثر دون كمال الكفاية. هؤلاء يعطون حاجتهم، ولكن كيف نقدر الحاجة؟ قال العلماء: يعطون حاجتهم ما يكفيهم وعائلتهم لمدة سنة. ويحتمل أن يعطون ما يكونون به أغنياء، لكن الذين قدروا ذلك بسنة قالوا: لأن السنة إذا دارت وجبت الزكاة في الأموال، فكما أن الحول هو تقدير الزمن الذي تجب فيه الزكاة، فكذلك ينبغي أن يكون الحول هو تقدير الزمن الذي تدفع فيه

^(١٥٣) سبق تخرجه برقم (١).

حاجة الفقراء والمساكين الذين هم أهل الزكاة. وهذا قول حسن جيد، أي أننا نعطي الفقير والمسكين ما يكفيه وعائلته لمدة عام كامل، سواءً أعطيناها أعياناً من أطعمة وألبسة، أو أعطيناها نقوداً يشتري بها هو ما يناسبه، أو أعطيناها صنعة إذا كان يحسن الصنعة، يعني آلة يصنع بها إذا كان يحسن الصنعة، كخياط ونجار وحداد ونجوه، المهم أن نعطيه ما يكفيه وعائلته لمدة سنة.

الثالث: العاملون عليها: أي الذين لهم ولية عليها من قبيل ولد الأمر، ولهذا قال: ﴿وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا﴾ ولم يقل العاملين فيها، إشارة إلى أن لهم نوع ولية، وهم جبائها من أهلها، وثباتها الذين يقسمونها في أهلها، وكتابها ونحوهم، فهولاء عاملون عليها يعطون من الزكاة. ولكن: كم يعطون؟ فننظر: هم عاملون عليها، فهم مستحقون بوصف العمالة، ومن استحق بوصف أعطي بقدر ذلك الوصف، وعليه فيعطون من الزكاة بقدر عمالتهم فيها، سواء كانوا أغنياء أم فقراء، لأنهم يأخذون الزكاة لعملهم لا حاجتهم، وعلى هذا فيعطون ما يقتضيه العمل من الزكاة، فإن قدر أن العاملين عليها فقراء، فإنهم يعطون بالعمالة ويعطون بالفقر كذلك، فيعطون ما يكفيهم لمدة سنة لفقرهم.

فهولاء يأخذون لعمالتهم أيضاً، لأنهم استحقوا الصدقة أو الزكاة بوصفين العمالة عليها والفقر، فيعطون بكل الوصفين، ولكن إذا أعطيناهم للعمالة، فسيبقون أغنياء بقدر ما أخذوا من العمالة، فنكمل لهم المؤونة لمدة سنة، مثال ذلك: إذا قدرنا أنه يكفيهم لمدة سنة عشرة آلاف ريال، وأننا إذا أعطيناهم لفقرهم أخذوا عشرة آلاف ريال، وأن نصيبيهم من العمالة ألفاً ريال، فعلى هذا نعطيهم ألفي ريال للعمالة، ونعطيهم ثمانية آلاف ريال للفقر، هذا وجه قوله: يعطون كفاياتهم لمدة سنة، لأنهم إذا أخذوا بالعمالة صاروا لا يحتاجون إلا ما زاد على استحقاقهم العمالة لمدة سنة.

الرابع: المؤلفة قلوبهم: وهم الذين يعطون لتأليفهم على الإسلام، إما كافر يرجى إسلامه، وإما مسلم نعطيه لتنمية الإيمان في قلبه، وإنما شريرة نعطيه لدفع

شهر عن المسلمين، أو نحو ذلك من يكون في تأليفه مصلحة للمسلمين، ولكن هل يشترط في ذلك أن يكون سيداً مطاعاً في قومه حتى يكون في تأليفه مصلحة عامة؟ أو يجوز أن نعطي لتأليفه ولو لمصلحة شخصية كرجل دخل في الإسلام حديثاً يحتاج إلى تأليف وقوة إيمانه بإعطائه؟

هذا محل خلاف بين العلماء، والراجح عندي أنه لا بأس أن يعطى لتأليفه على الإسلام بتقوية إيمانه، وإن كان يعطى بصفة شخصية وليس سيداً في قومه لعموم قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْلَفَةُ فُلُوْجُهُم﴾ [التوبه: ٦٠]. ولأنه إذا جاز أن نعطي الفقير حاجته البدنية الجسمية، فإعطاؤنا هذا الضعف الإيمان لتقوية إيمانه من باب أولى، لأن تقوية الإيمان بالنسبة للشخص أهم من غذاء الجسد.

هؤلاء الأربعة يعطون الزكاة على سبيل التمليل ويملكونها ملكاً تاماً، حتى لو زال هذا الوصف منهم في أثناء الحول لم يلزمهم رد الزكاة بل تبقى حلالاً لهم، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ عن استحقاقهم باللام، فقال: ﴿إِنَّمَا الْصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَمِيلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ فُلُوْجُهُم﴾ [التوبه: ٦٠]. فأتي باللام، وفائدة ذلك أن الفقير لو استغنى في أثناء الحول فإنه لا يلزم رده الزكاة، مثل لو أعطيناه عشرة آلاف لفقره وهي تكفيه لمدة سنة، ثم إن الله تعالى أغناه في أثناء الحول باكتساب مال أو موت قريب له يرثه، أو ما أشبه ذلك فإنه لا يلزم رده ما بقي من المال الذي أخذه من الزكاة لأنه ملكه.

أما الخامس من أهل الزكاة: فهم الرقاب لقوله تعالى: ﴿وَوَفِي الرِّقَابِ﴾ [التوبه: ٦٠].

الأول: مكاتب اشتري نفسه من سيده بدرارهم مؤجلة في ذمته، فيعطى ما يُؤْفي به سيده.

والثاني: رقيق مملوك اشتري من الزكاة ليُعْتَق.

والثالث: أسير مسلم أسره الكفار، فيعطي الكفار من الزكاة لفكهـم هذا

الأسير، ومثله أيضاً الاختطاف، فلو احتجَّ المُسلِّمُ أحدُّ من المسلمين أو الكفار فلا بأس أن يُفدي هذا المختطف بشيء من الزكاة، لأن العلة واحدة وهي فكاك المُسلِّم من الأسر، وهذا لم يمكننا أن نرغم المختطف على فكاكه بدون بذل المال، إذا كان المختطف من المسلمين.

والصنف السادس: من أهل الزكاة الغارمون، الغارم هو المدين، وقسم العلماء - رحمهم الله - الغرم إلى قسمين:

الأول: غرم لإصلاح ذات البين، وغرم لسداد الحاجة، أما الغرم لإصلاح ذات البين فمثلاً له بأن يقع بين قبيلتين تشاحن وتشاجر أو حروب، فيأتي رجل من أهل الخير والجاه والشرف والسؤدد ويصلح بين هاتين القبيلتين بدرارهم يتحملها في ذمته، فإننا نعطي هذا الرجل المصلح الدرارم التي تحملها من الزكاة، جزاءً له على هذا العمل الجليل الذي قام به، والذي فيه إزالة الشحناء والعداوة بين المؤمنين وحقن دماء الناس، وهذا يعطى سواءً كان غنياً أم فقيراً، لأننا لسنا نعطيه لسد حاجته، ولكننا نعطيه لما قام به من المصلحة العامة.

أما الثاني فهو الغارم لنفسه، الذي استدان لنفسه باستقراض شيء ليدفعه في حاجته، أو بشراء شيء يحتاجه، يشتريه في ذمته وليس عنده مال، فهذا نوفي دينه من الزكاة بشرط أن يكون فقيراً ولو لم يعلم بذلك، وعليه فهل الأفضل أن نعطي هذا المدين من الزكاة ليوفي دينه؟ أو نذهب نحن إلى دائه ونوفي عنه؟ هذا يختلف؛ فإن كان هذا الرجل المدين حريصاً على وفاء دينه وإبراء ذمته، وهو أمين فيما يعطى لوفاء الدين، فإننا نعطيه هو بنفسه يقضي دينه، لأن هذا أستره عن تَخْبِيلِه أمام الناس الذين يطلبونه.

أما إذا كان المدين رجلاً مبذراً يفسد الأموال ولو أعطيناه مالاً ليقضي دينه ذهب يشتري به أشياء لا ضرورة لها، فإننا لا نعطيه وإنما نذهب نحن إلى دائه ونقول له: ما دينك فلان لك؟ ثم نعطيه هذا الدين أو بعضه، حسب ما يتيسر.

وهل يقضى منها - أي من الزكاة - دين على ميت لم يخلف تركة؟ ذكر ابن عبد البر وأبو عبيد أنه لا يقضى منها دين على الميت بالإجماع، ولكن الواقع أن المسألة فيها خلاف ولكن أكثر العلماء يقولون: إنه لا يقضى منها دين على ميت، وأن الميت انتقل إلى الآخرة ولا يلحقه من الذل والهوان بالدين الذي عليه ما يلحق الأحياء، ولأن النبي ﷺ لم يقض ديون الأموات من الزكاة، بل كان يقضيها عليه الصلاة والسلام من أموال الفيء حين فتح الله عليه، وهذا يدل على أنه لا يصح قضاء دين الميت من الزكاة، ويقال: الميت إن كان قد أخذ أموال الناس يريد أداءها فإن الله تعالى يؤدي عنه بفضله وكرمه، وإن كان أخذها يريد إتلافها فهو الذي جنى على نفسه، ويبقى الدين في ذاته يستوفى يوم القيمة، وعندى أن هذا أقرب من القول بأنه لا يقضى منها الدين على الميت.

وقد يقال: يُفرق بين ما إذا كان الأحياء يحتاجون إلى الزكاة، لفقر أو غرم أو جهاد أو غير ذلك وما إذا كان الأحياء لا يحتاجون إليها، ففي الحال التي يحتاج إليها الأحياء يقدم الأحياء على الأموات، وفي الحال التي لا يحتاج إليها الأحياء لا حرج أن نقضي ديون الأموات الذين ماتوا ولم يخلفوا مالاً، ولعل هذا قول يكون وسطاً بين القولين.

ثم الصنف السابع: في سبيل الله، وسبيل الله هنا المراد الجهاد في سبيل الله لا غير، ولا يصح أن يراد بها جميع سبل الخير، لأنه لو كان المراد بها جميع سبل الخير لم يكن للحصر فائدة في قوله: ﴿إِنَّمَا الْصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبه: ٦٠] الآية. إذ يكون الحصر عديم التأثير، فالمراد بسبيل الله هو الجهاد في سبيل الله، فيعطي المقاتلون في سبيل الله الذين يظهر من حالهم أنهم يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، يعطون من الزكاة ما يحتاجون إليه من النفقات والأسلحة وغير ذلك. ويجوز أن تشتري الأسلحة لهم من الزكاة ليمقاتلوا بها، ولكن لابد أن يكون القتال في سبيل الله.

والقتال في سبيل الله بينه الرسول ﷺ بميزان عدل من قسط حين شئ عن

الرجل يقاتل حميمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل ليرى مكانه، أي ذلك في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (١٥٤) فالرجل المقاتل حميمية لوطنه أو قوميته أو غير ذلك من أنواع الحميميات ليس يقاتل في سبيل الله، فلا يستحق ما يستحقه المقاتل في سبيل الله، لا من الأمور المادية الدنيوية ولا من أمور الآخرة، والرجل الذي يقاتل شجاعة أي أنه يحب القتال لكونه شجاعاً، والمتصف بصفة غالباً يحب أن يقوم بها على أي حال كانت، هو أيضاً ليس يقاتل في سبيل الله، والمقاتل ليرى مكانه، يقاتل رياة وسمعة، ليس من المقاتلين في سبيل الله، وكل من لا يقاتل في سبيل الله فإنه لا يستحق من الزكاة، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبه: ٦٠].

والذي يقاتل في سبيل الله هو الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا. قال أهل العلم: ومن سبيل الله: الرجل الذي يتفرغ لطلب العلم الشرعي، فيعطي ما يحتاج إليه من الزكاة من نفقة؛ من كسوة وطعام وشراب ومسكن وكتب علمية يحتاجها، لأن العلم الشرعي نوع من الجهاد في سبيل الله، بل قال الإمام أحمد رحمة الله: «العلم لا يعدلُه شيءٌ مُنْ صَحَّتْ نِسْتَهُ». فالعلم هو أصل الشرع كله، ولا شرع إلا بعلم، والله أنزل الكتاب ليقوم الناس بالقسط ويتعلموا أحكام شريعته وما يلزم من عقيدة وقول وفعل، أما الجهاد في سبيل الله، فنعم، هو شرف من أشرف الأعمال، بل هو ذروة سلام الإسلام، ولا شك في فضله، لكن العلم له شأنٌ كبير في الإسلام، فدخوله في الجهاد في سبيل الله دخول واضح لا إشكال فيه، فإذا جاءنا رجل أهل للعلم، وقال: أنا إن ذهبت اكتسبت لنفسي وأهلي لم أتمكن من طلب العلم، وإن تفرغت لطلب العلم فإنني أحصل فيه، ولكن لا أجد ما يدفع حاجتي، فإننا نقول له: تفرغ لطلب العلم ونحن نعطيه ما

(١٥٤) رواه : البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، حديث (٢٨١٠) ، ومسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : من قاتل لتكون كلمة الله العليا ، حديث (١٩٠٤) ، وأبو داود ، حديث (٢٥١٧) ، والترمذى ، حديث (١٦٤٦) ، والنمسائى ، حديث (٣١٣٦) ، وابن ماجه ، حديث (٢٧٨٣) .

يدفع به حاجته من الزكاة.

الثامن: بقي من أصناف أهل الزكاة صنف واحد وهو ابن السبيل، وابن السبيل هو المسافر الذي انقطع به السفر ونفذت نفقته، فإنه يعطى من الزكوة ما يوصله إلى بلده وإن كان في بلده غيّراً لأنه محتاج، ولا نقول له في هذه الحال: يلزمك أن تستقرض وتوفي، لأننا في هذه الحال نلزم ذمته ديناً، ولكن إذا أراد هو أن يستقرض ولا يأخذ من الزكوة فالأمر إليه، فإذا وجدنا شخصاً مسافراً من مكة إلى المدينة، وفي أثناء السفر ضاعت نفقته ولم يبق معه شيء، وهو غنيٌ في المدينة، فإننا نعطيه ما يوصله إلى المدينة فقط، لأن هذه هي حاجته، ولا نعطيه أكثر.

وإذا كنا قد عرفنا أصناف أهل الزكوة الذين تُدفع إليهم، فإن ما سوى ذلك من المصالح العامة أو الخاصة لا تدفع فيه الزكوة، وعلى هذا لا تدفع الزكوة في بناء المساجد، ولا في إصلاح الطرق، ولا في بناء المكاتب وشبه ذلك، لأن الله لما ذكر أهل الزكوة قال: ﴿فَرِيضَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكْمٌ﴾ [التوبه: ٦٠]. يعني أن هذا التقسيم جاء فريضة من الله ﴿فَرِيضَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكْمٌ﴾ [التوبه: ٦٠].

ثم نقول: هل هؤلاء المستحقون يجب أن يعطى كل واحد منهم، أي كل صنف، لأن الواو تقتضي الجمع؟ فالجواب أن ذلك لا يجب، لقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقراهم» (١٥٥). فلم يذكر النبي ﷺ إلا صنفًا واحدًا، وهذا يدل على أن الآية بين الله تعالى فيها جهة الاستحقاق، وليس المراد أنه يجب أن تعمم هذه الأصناف.

ولكن إذا قيل: أيها أولى أن يصرف فيه الزكوة؟ قلنا: إن الأولى ما كانت

النهاية إليه أشد، لأن كل هؤلاء استحقوا بوصفه، فمن كان أشد الحاجة وأدعاها فهو أولى، والغالب أن الأشد هم الفقراء والمساكين، ولهذا بدأ الله بهم فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبه: ٦٠].

* * *

حكم صرف الزكاة للأقارب الفقراء

س ١٦١: ما حكم جعل الزكاة في الأقارب المحتاجين؟

الجواب: الزكاة في الأقارب الذين هم من أهلها أولى من أن تكون في غير الأقارب، لأن الصدقة على الأقارب صدقة وصلة، فإذا كان أخوك أو عمك، أو أبوك، أو أمك من أهل الزكاة، فهم أولى بها من غيرهم، لكن إذا كانوا يأخذون الزكاة حاجتهم، وأنت تجب عليك نفقتهم، فإنه لا يجوز أن تعطيهم من الزكاة في هذه الحال، لأنك إذا أعطيتهم من الزكاة رفدتَ مالك، ووقيته بما تعطيه من الزكاة، فإذا قدرنا أن لك أخاً فقيراً وأنت عندك زكاة ونفقته تجب عليك، فإنه لا يجوز أن تعطيه لفقره، لأنك إذا أعطيته لفقره رفدتَ مالك ووقيته بما تعطيه، إذاً لو لم تعطه من الزكاة لوجب الإنفاق عليه، أما لو كان على أخيك هذا دين لا يستطيع وفائه، مثل أن يحصل منه إتلاف شيء أو جنابة على أحد، ويلزمه مال، ففي هذه الحال يجوز أن تقضي دينه من زكاتك، لأنه لا يجب عليك قضاء دينه، وإنما الواجب عليك نفقته.

وقاعدة ذلك: أن الأقارب إذا أعطاهم الإنسان زكاة ماله لدفع حاجتهم وهم من تجب عليهم نفقتهم، فإن ذلك لا يصح، وإن أعطاهم لدفع أمر لا يلزمهم القيام به، فإن ذلك جائز، بل هم أحق بذلك من غيرهم.

فإن قال قائل: ما دليلك على هذا؟ قلنا: الدليل عموم الأدلة، بل عموم آية الصدقة التي أشرنا إليها فيما سبق: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبه: ٦٠].

وانما منعنا إعطاءهم فيما إذا كان إعطاؤهم لدفع حاجتهم التي يجب عليك

دفعها، لأن هذا من باب إسقاط الواجب عن الإنسان بالحيلة، والواجب لا يمكن إسقاطه بالحيل.

* * *

توضيح

س ١٦٦: نزير التمثيل أيضًا لرفع المال للوالد أو الوالدة، فيما لا يهبه على الإنسان؟

الجواب: مثال ذلك: اشتري أبوك سيارة بخمسة آلاف ريال مثلاً، واحتقرت السيارة ولزمه خمسة آلاف ريال، وأنت لا يلزمك أن تدفعها له، لأن هذا ليس من النفقة، فيجوز لك أن تقضي دينه هذا من زكاتك، وكذلك لو لزم أحدها من أقاربك الآخرين من شيء من أجل جنائية أو إتلاف، فإنه يجوز لك أن تدفع زكاتك في قضاء هذا الشيء.

* * *

حكم إسقاط الدين عن الدين واعتبار ذلك من الزكاة

س ١٦٧: هل يهدر إسقاط الدين عن الدين ويكون ذلك من الزكاة؟

الجواب: لا يجوز ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبه: ١٠٣]. فقال تعالى: ﴿خُذْ﴾، والأخذ لابد أن يكون ببذل من المأخذ منه. وقال النبي ﷺ: «أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فתרد...». فلابد من أخذ ورد، والإسقاط لا يوجد فيه ذلك ولأن الإنسان إذا أسقط الدين عن زكاة العين التي في يده، فكانما أخرج الرديء عن الطيب، لأن قيمة الدين في النفس ليست كقيمة العين، لأن العين ملكه وفي يده، والدين في ذمة الآخرين قد يأتي وقد لا يأتي، فصار الدين دون العين، وإذا كان

(١٥٦) سبق تخرجه برقم (١).

دونهما فلا يصح أن يُخرج - أي الدين - زكاة عنها لنقصه، وقد قال الله تعالى:
﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْغِيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِمَا حِذَّيْتُ إِلَّا أَنْ تُعْصِمُوا فِيهِ﴾
[البقرة: ٢٦٧].

ومثال ما سألت عنه: لو كان على الإنسان عشرة آلاف ريال زكاة، وهو يطالب رجلاً فقيراً عشرة آلاف ريال، فذهب إلى الرجل الفقير وقال: قد أسقطت عنك عشرة آلاف ريال وهي زكاتي لهذا العام. قلنا: هذا لا يصح، لأنّه لا يصح إسقاط الدين وجعله عن زكاة عين، لما أشرنا إليه آنفًا. وهذه المسألة يخطئ فيها بعض الناس ويتجاوزها جهلاً منهم، وقد قال شيخ الإسلام - رحمة الله -: إنه لا يجزئ إسقاط الدين عن زكاة العين بلا نزاع.

* * * دفع الزكاة للفقير المدين بشرط أن يردها للدافع

س ١٤٤: هل يجوز دفعها للفقير المدين بشرط أن يردها للدافع؟

الجواب: لا يجوز، يعني لو كان عندك مدين فقير، ودفعت إليه زكاتك فلا بأس، ولا حرج، حتى لو ردّها عليك من بعد فلا حرج، لكن إذا اشترطت عليه ذلك فلا يجوز، لأنك إن فعلت هذا فقد علمنا أنك إنما تريده بهذا العمل أن تستردّ مالك الذي في ذمة الفقير، والزكاة لا يجوز للإنسان أن يجافي الإنسان فيها أحداً لا نفسه ولا غيره.

* * * حكم الزكاة في الإسلام

س ١٤٥: ما حكم الزكاة في الإسلام؟

الجواب: الزكاة في الإسلام أحد أركان الإسلام الخمسة التي بني عليها قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكوة، وصوم رمضان، وحجّ بيت الله

الحرام»^(١٥٧) . وهي فرض بإجماع المسلمين، فمن أنكر وجوبها فقد كفر، إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام، أو ناشئًا في بادية بعيدة من العلم وأهله، فيغدر ولكنه يُقلّم، فإن أصرَّ بعد علمه فقد كفر مرتدًا.

وأما من منعها بخلاً وتهاونًا ففيه خلاف بين أهل العلم؛ فمنهم من قال إنه يكفر، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد. ومنهم من قال إنه لا يكفر، وهذا هو الصحيح، لكنه قد أتى كبيرةً عظيمة، والدليل على أنه لا يكفر حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ ذكر عقوبة مانع زكاة الذهب والفضة ثم قال: «حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار»^(١٥٨) . وإذا كان يمكن أن يرى سبيلاً إلى الجنة فإنه ليس بكافر، لأن الكافر لا يمكن أن يرى سبيلاً له إلى الجنة.

ولكن على مانعها بخلاً وتهاونًا من الإثم العظيم ما ذكره الله في قوله: ﴿وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ سُرٌّ لَهُمْ سَيُطْوَقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ، يَوْمَ الْقِدْمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَنُ عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُنكِحُونَ بِهَا جِهَاهُمْ وَجُحُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

فعلى المرء المسلم أن يشكر الله على نعمته عليه بالمال، وأن يؤدي زكاته، حتى يزيد الله له في ماله بركةً ونماء، والله الموفق.

(١٥٧) رواه : البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : بنى الإسلام على خمس ، حديث (٨) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، حديث (١٦) ، والترمذى ، حديث (٢٦٩٨) ، والنمساني ، حديث (٥٠٠١) ، وأحمد في مستذه (٢٦/٢) حديث (٤٧٩٨) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٩/١) حديث (٣٠٨) .

(١٥٨) سبق تخرجه برقم (٨٥) .

صوم يوم الشك

س ١٦٦ : دفع استبهان في صيام اليوم الأول من رمضان، فبعض الناس صامه والبعض الآخر صام إلى نصف النهار وأفطر عندما رأى الآخرين مفطرين، وعندما تأكد للمسئولين أن هذا اليوم أول أيام رمضان، وأمروا بقضاء هذا اليوم، فهل صيام من أيام صيام هذا اليوم هائز أم يقضي هذا اليوم؟

الجواب : الذي ينبغي، أن تقضي هذا اليوم لأنك صمت على غير أساس، ومن صام على غير أساس فإنه لا يجزئ صومه، فهو صام بدون أن يثبت الهلال، ومن كان كذلك فإنه يجب عليه أن يقضي هذا اليوم عند أكثر أهل العلم، والأمر هين في ذلك ولله الحمد، فما هو إلا يوم واحد. والله الموفق.

* * *

جماع الزوجة يوم الشك

س ١٦٧ : رجل هاجس زوجته في يوم الشك، ولم يعلمه أنه أول يوم من رمضان إلا بعد صدور الفترى بذلك، فماذا عليهما؟

الجواب : ليس عليهما إثم ولا كفارة لأنهما غير عالمين بأن هذا اليوم من الشهر، والأصل بقاء شعبان حتى يتبين دخول شهر رمضان، وعليه فإن من جامع زوجته في الثلاثين من شعبان ثم بعد ذلك تبين أنه من رمضان فإنه لا شيء عليه، أي لا شيء عليه من الكفارة، وأما القضاء فأمره هين. والله الموفق.

* * *

الإطعام بدل الصيام للكبير

س ١٦٨ : فضيلة الشيخ : والستي كانت مريضة بمرض شديد، ودخل رمضان وهي على هذه الحال، فاضطرت لها الطبيب وزهبت بها إلى المستشفى، ولم تجد أي فائدة؛ مع العلم بأنها قد حاولت من العمر مائة وعشرين سنة، ولم تقدر على الصيام، وتوفيت رحمة الله بعد رمضان هذا بثلاثة شهور. فهل على صيام عنها هنا الشرك لله؟ أم على كفارة؟ وهل يجوز من أبنائي أن يصوموا عنها أم لا يجوز إلا أنا أو أحد من أفرادني؟

الجواب : إن والدتك هذه ليست من يجب عليها الصيام، بل من يجب عليها الإطعام، لأن الكبير الذي لا يستطيع الصوم ذكر أهل العلم أنه لا صوم عليه، وإنما يطعم عنه فقط عن كل يوم مسكيناً، وعلى هذا فأطعم عن أمك عن كل يوم من رمضان مسكيناً، فإذا كان رمضان تسعة وعشرين يوماً فأطعم عنها تسعة وعشرين مسكيناً، وإذا كان رمضان ثلاثين يوماً فأطعم عنها ثلاثين مسكيناً وبهذا تبرأ ذمة الوالدة، وتكونون مشكورين على بركم إياها.

ومقدار الإطعام عن كل يوم مذ من الطعام، ولكم أن تجمعوا مساكين بعدد الأيام فتعشوهم أو تغدوهم.

* * *

من لا يمكنه الصوم

س ١٦٩ : رجل أصيب بهاردت مروري وقال له الأطباء بان اللثى والمسالك البولية ضعيفة جداً نتيجة للهاردت، ويأمره الأطباء بشرب الماء بكثرة كبيرة، فهل يجب عليه الصيام؟ مع العلم بأننى حاولت الصيام فحصل لي نزيف فافترطت باسم الأطباء؟

الجواب : الذي تبين من حالك أنه لا يمكنك الصوم، لأنك لما صمت نصف رمضان من السنة الثالثة حصل لك نزيف، ومعنى هذا أنه لابد أن تشرب

الماء بكثرة، وعليه فلا يجب عليك الصيام، وإنما الواجب عليك إطعام مسكين كل يوم، ولا يجزئ دفع الدرهم عن إطعام المسكين، فالآن يجب عليك أن تطعم عن شهرين ونصف.

ولك في الإطعام طريقان:

الأول: أن تصنع طعاماً وتدعوه له ثلاثة فقيرًا عن السنة الأولى، وفي اليوم الثاني عن السنة الثانية، وفي اليوم الثالث تدعوه خمسة عشر منهم عن النصف من السنة الثالثة.

أما الطريق الثاني: فإنك تعطيهم ستة أصوات من الأرض تقسمها على الثلاثين، ومعها اللحم الذي يكفيها من لحم دجاج أو غيره عن الشهر الأول، وستة عن الشهر الثاني، وثلاثة عن نصف الشهر الثالث.

*** العلاج في رمضان

س ١٣٠: أنا سأب أعاني من مرض المَيْمَنِي منذ عدة سنوات وأستعمل عدّلًا لهذا المرض، ولا أقدر أن استغني عنه حتى في نهار رمضان المبارك، لأنني إذا أوقفت العلاج في نهار رمضان أو غيره يحصل لدى مضاعفات شديدة وصعوب على صحتي. فهل عليّ ذنب في هذا؟ وماذا أفعل؟.

الجواب: السائل لم يذكر نوع العلاج الذي يتناوله، فإن كان إبرًا فإنه يستعملها ولا يضره ولا يفطر بذلك، وإن كان العلاج مأكولاً أو مشروبة والمرض الذي معك دائم لا يرجى زواله ففي هذه الحال يكون الحكم حكم الكبير الذي لا يطيق الصوم، فيجب عليك أن تطعم لكل يوم مسكنيناً، ولا صيام عليك، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُوْمُوا اللَّهُ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدَيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٌ﴾ [البقرة: ٢٧]

[١٨٤] . قال: «هو الشیخ الكبير إذا لم يستطع الصوم يطعم عن كل يوم مسکیناً» ومقدار الإطعام صاع لكل خمسة فقراء، وهكذا حتى نهاية أيام الشهر. والله الموفق.

* * *

إفطار المسافر

س ١٢١ : صائم سافر مسافة ثلاثة وسبعين كيلو، وسافر صائماً بجهة أنه سيقيم بتلك المنطقة، ولتكن لم تتوفر له إقامة هناك فرمي في نفس اليوم نفس المسافة، وعند شروعه في الرجوع أفتر، فماذا عليه من القضاء والكفارة؟

الجواب : هذا الرجل ليس له أن يفطر، لأنه لم يسافر سفراً تقصّر فيه الصلاة، وعليه أن يتوب إلى الله من هذا الفعل وأن يقضي يوماً بدلاً من اليوم الذي أفتره، وليس عليه كفارة، لأن الكفارة لا تلزم إلا بالجماع في نهار رمضان من يلزمه الصوم، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع إفطام ستين مسکیناً، وتحب هذه الكفارة على زوجته أيضاً، إلا أن يكون مُكِرِّهاً لها على ذلك وعاجزة هي عن مدافعته، فلا تلزمها الكفارة، ولا تلزم الكفارة إلا في الحال التي لزم فيها الصوم.

أما لو كان مسافراً ومعه زوجته وجامعها في السفر فإن هذا ليس فيه كفارة، لكن إن كان صائماً فسد صومه ووجب عليه قضاوه، وإن كان مفطراً فالأمر ظاهر، ويجب التبيه أنه في غير الجماع لا تجب الكفارة أبداً، لعدم الدليل على ذلك، والأصل براءة الذمة.

* * *

إفطار العامل والمريض

س ١٣٢ : جاء رمضان وأنا في السهر التاسع، ولما وضعت خفت على نفسي وعلى الدهنيين ناظرت، وقد قضيت هذه الأيام، فهل على شيء غير ذلك؟ وهل على شيء لأنني أنظرت؟

الجواب : هذا السؤال يفتح حكمًا آخر وهو أن الحامل والمريض إذا شق عليهما الصيام، ونحافتًا على أنفسهما أو على الولد فإنهما تفطران، ثم إن كان الخوف على أنفسهما أو على أنفسهما مع الولد، فلا شيء عليهما إلا القضاء، وإن كان الخوف على الولد فقط، فإن المشهور من مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - أن عليهما القضاء وعلى من يمون الطفل إطعام مسكين لكل يوم، فتقضيان والإطعام على ممون الطفل كأبيه مثلاً، أما جواب السؤال فإن عليها القضاء وقد قضت، وليس عليها إثم. والحمد لله.

* * *

العادة السرية والجماع في نهار رمضان

س ١٣٣ : ما هي العادة السرية؟ وهل ممارسة مثل هذه العادة حرام أم حلال؟ وإذا كانت حراماً وفعلت في نهار رمضان، هل تبطل الصوم أم لا؟ وهل له كفارة؟ أفيدونا هذالكم الله خيرًا.

الجواب : العادة السرية في عرف الناس هي عبارة عن الاستمناء، أي معالجة الإنسان خروج المني يقطة، سواء كان ذلك بيده، أو بمعافرة فراشه، أو ما أشبه ذلك، وهي حرام؛ لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُرُولُوْجُوْهُمْ حَنِقْطُوْنَ﴾^{٢٩} إلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِيْنَ^{٣٠} فَإِنْ أَبْغَى وَرَأَهُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُوَ الْعَادُوْنَ﴾ [المعارج: ٢٩، ٣٠].

ولقوله ﷺ: «يا معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (١٥٩)، فأرشد النبي ﷺ من لم يستطع الباءة إلى الصوم. ولو كانت العادة السرية جائزة لكان أيسر من الصيام وأسهل عليه، وبها ينال اللذة والمتعة، وبها يخفف عن نفسه من وطأة الشهوة، فلو كانت جائزة لأرشد النبي ﷺ إليها، ولما لم يرشد إليها مع سهولتها ونيل اللذة بها عُلم أنها غير جائزة، وعلى هذا فيجب على الإنسان أن يحفظ نفسه عن هذا الأمر، وأن يستعين بالله فيصبر حتى يغنيه الله من فضله.

وأما من استعملها في نهار رمضان حبي خرج منه النبي فإنه يفطر بذلك، ويكون آتئاً وعليه القضاء سواء كان رجلاً أم امرأة، وأما الكفار فإنها لا تجب إلى على من جامع في نهار رمضان إذا كان الصوم يلزمها، فمن جامع في نهار شهر رمضان، فإنه يلزمها القضاء والكفارة، وامرأتها مثله إن كانت مطاوعة له، سواء حصل إنزال أم لم يحصل. أما إذا كان من لا يلزمها الصوم، كمن جامع وهو وأهله في سفر فإنه لا إثم عليه ولا كفار، لأن المسافر يجوز له الفطر.

* * *

حكم الدم الخارج من الصائم

س ١٣٤ : صاحب الفضيلة: المهمة مفطرة للصائم، فما حكم الدم الذي يخرج من الإنسان، أو يخرج ليهقى في سريره؟ هل يفطر به الصائم، أم لا؟ وجزئكم الله ضيّعاً.

الجواب: الحجامة كما ذكر السائل مفطرة لقول النبي ﷺ: «أفطر الحاجم

(١٥٩) رواه : البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : قول النبي ﷺ: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، حديث (٥٠٦٥) ، ومسلم ، كتاب : النكاح ، باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ، حدث (١٤٠٠) ، وأبو داود ، حديث (٢٠٤٦) ، والترمذى ، حديث (١٠٨١) ، والنسائي ، حديث (٣٢٠٩) وابن ماجه ، حديث (١٨٤٥) .

والمحجوم»^(١٦٠) والفطر بالحجامة من حكمة الشريعة، وذلك أن المحجوم يخرج منه دم كثير يؤثر على بدنـه، ويؤدي به إلى الضعف والانحطاط البالغ الذي قد لا يتحمل معه البقاء إلى غروب الشمس، فكان من الحكمة أن تكون الحجامة مفطرة ومحرمة على الصائم الذي صيامـه فرض، فلا تجوز للصائم الذي صيامـه فرض إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك ؛ فإذا دعت الضرورة إليها احتجـمـ، وقلنا له الآن كـلـ واشرـبـ وتناولـ ما يكونـ فيه قـوـةـ لجسمـكـ.

وأما خروج الدم بغير الحجامة، فإنـ كانـ بـعـنىـ الحـجـامـةـ كـالـفـصـدـ فإـنـهـ يـلـحـقـ بهاـ عـلـىـ القـولـ الرـاجـحـ، وـكـذـلـكـ إـذـاـ أـخـذـ مـنـ الإـنـسـانـ دـمـ كـثـيرـ لـيـحـقـنـ فيـ شـخـصـ آخرـ مـحـتـاجـ إـلـيـهـ إـنـهـ يـكـونـ حـكـمـ حـكـمـ الحـجـامـةـ، إـذـاـ كـانـ الصـومـ وـاجـبـاـ فإـنـهـ لاـ يـجـوزـ أـنـ يـكـنـ الإـنـسـانـ مـنـ إـخـرـاجـ الدـمـ الـكـثـيرـ مـنـ بـدـنـهـ إـلـاـ أـنـ يـكـنـ هـنـاكـ ضـرـورـةـ مـلـحةـ، بـحـيـثـ يـهـلـكـ الـمـرـيـضـ لـوـ لـمـ يـحـقـنـ بـهـ قـبـلـ غـرـوبـ الشـمـسـ، فـحـيـنـتـذـ لـهـ أـنـ يـكـنـ مـنـ أـخـذـ الدـمـ مـنـهـ، وـنـقـولـ لـهـ: الآـنـ أـفـطـرـتـ فـكـلـ واـشـرـبـ حـتـىـ تـعـودـ القـوـةـ إـلـىـ بـدـنـكـ.

أما خروج الدم بغير اختيار كالرعاف والجرح، كالذي يصاب بجرح من زجاجة أو مسمار أو حادث ونحو ذلك، فإنه لا يفطر به، لأنـهـ بـغـيرـ اختيارـهـ، والقاعدة في جميع المفطرات أنها لا تفطر إذا لم تكن عن قصد و اختيارـ، وـعـلـيـهـ فـلـاـ يـفـطـرـ كـالـرـعـافـ وـقـلـعـ السـنـ، وـإـخـرـاجـ الدـمـ مـنـ أـجـلـ الفـحـصـ لـاـ يـفـطـرـ أـيـضـاـ، لأنـهـ دـمـ قـلـيلـ لـاـ يـؤـثـرـ تـأـثـيرـ الحـجـامـةـ.

وبهـنـهـ الـمـنـاسـبـ نـحـرـفـ أـنـ المـفـطـرـاتـ نـوعـاـ:

أـوـلاـ: مـفـطـرـاتـ بـشـيـءـ دـاخـلـ، كـالـأـكـلـ وـالـشـرـبـ.

ثـانـيـاـ: مـفـطـرـاتـ بـشـيـءـ خـارـجـ، كـالـحـجـامـةـ وـالـقـيـءـ.

(١٦٠) رواه : أبو داود ، كتاب : الصوم ، باب : في الصائم يتحجـمـ ، (٢٣٦٧) ، والترمذـي (٧٧٤) ، وأـبـنـ مـاجـهـ (١٦٨٠) ، وأـحـمـدـ (٣٦٤/٢) حـدـيـثـ (٨٧٥٣) ، والـدارـميـ (٢٥/٢) حـدـيـثـ (١٧٣١) ، والـحاـكـمـ فيـ الـمـسـتـدـرـكـ (٥٩٠/١) حـدـيـثـ (١٥٥٨) .

فإذا قاء الإنسان عمداً فإنه يفطر، أما إذا غلبه القيء فلم يتعمده، فإنه لا يفطر بذلك.

* * *

الأكل والشرب ظنًا عدم طلوع الفجر

س ١٢٥ : فضيلة الشيخ : تخص الأكل والشرب، ولم يعلم بطلوع الفجر، ولتكن عرف فيما بعد أنه أكل وشرب في وقت قد تبين فيه الفجر، أفيرونا هل يلزم اعادة اليوم أم لا؟

الجواب : الأكل والشرب من المفترات التي نص الله عليها في القرآن، وأجمعت عليها الأمة، قال الله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرُبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى أَيْلَلٍ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ولكن من أكل أو شرب يظن الليل لم ينته، وأن الفجر لم يطلع، بيد أنه أخذ التحرير، فلا شيء عليه لقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِنَّنَا أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكُنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

ولأن عدي بن حاتم كان يأكل ويشرب، وقد جعل عنده عقالين أحدهما أسود والثاني أبيض، والعقالان هما الحيطان اللذان يعقل بهما البعير، فجعل يأكل ويشرب وينظر إلى هذين العقالين، فلما تبين له أحدهما من الآخر أمسك فأخبر النبي ﷺ بذلك، وبين له ﷺ أن المراد بالحيطين بياض النهار وسود الليل (١٦١)، ولم يأمره ﷺ بالقضاء، لأنه كان جاهلاً بالحكم.

وثبت في صحيح البخاري عن أسماء رضي الله عنها وعن أبيها أنهم

(١٦١) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : قول الله تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرُبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ...) ، حديث (١٩١٦) ، ومسلم بنحوه ، كتاب : الصيام ، باب : بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ، حديث (١٠٩٠) ، وأبو داود ، حديث (٢٣٤٩) ، والترمذى ، (٢٩٧١) ، وأحمد في مسنده (٤) . (٣٧٧)

أفطروا في عهد النبي ﷺ في يوم غيم، ثم طلت الشمس، ولم يأمرهم ﷺ بالقضاء ^(١٦٢)، فدل هذا على أن من أكل في وقت يظن فيه أنه مباح له الأكل فإنه لا حرج عليه، إذا تبين له أنه في النهار، سواء كان ذلك من أول النهار أو من آخره، لأن العلة واحدة، ولكن الفرق بين أول النهار وآخره أن أول النهار يجوز له الأكل مع الشك في طلوع الفجر، لأن الأصل بقاء الليل، وأما في آخر النهار فلا يجوز له الأكل مع الشك في غروب الشمس، لأن الأصل بقاء النهار.

وكذلك أيضاً لا يفطر المرء بالأكل والشرب ناسياً، فلو أكل أو شرب وهو ناسٍ فإنه لا قضاء عليه للآية السابقة، ولقوله ﷺ: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه» ^(١٦٣). والله الموفق.

* * *

مشاهدة التلفزيون للصائم

س ١٣٦: هل تنقص مشاهدة التلفزيون والفيديو في شهر رمضان الصيام؟

الجواب: ما يشاهده الإنسان أو يستمع إليه إن كان من الأمور المباحة فلا بأس به، ولا يخل بالصوم، ومع ذلك لا ينبغي للصائم أن يضي وقته إلا فيما يقربه إلى الله تعالى، من صلاة وقراءة قرآن وذكر، ونحو ذلك.

أما النظر إلى ما يحرم النظر إليه أو الاستماع إلى ما يحرم الاستماع إليه فإنه لاشك يؤثر على الصيام وينقصه، لأن الحكمة من الصيام هي تقوى الله ، كما

(١٦٢) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : إذا أفطر في رمضان ثم طلت الشمس ، حديث (١٩٥٩) ، وأبو داود ، حديث (٢٣٥٩) ، وابن ماجه ، حديث (١٦٧٤) ، وأحمد في مستنه (٣٤٦/٦) حديث (٢٦٩٧٢) ، والبيهقي في الكبير (٤/٢١٧) حديث (٧٨٠١) .

(١٦٣) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً ، حديث (١٩٣٣) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر ، حديث (١١٥٥) ، وابن ماجه ، حديث (١٦٧٣) ، والإمام أحمد في مستنه (٣٩٥/٢) ، حديث (٩١٢٥) ، والدارمي ، حديث (١٧٢٦) ، والنسائي في السنن الكبير (٢٤٤/٢) ، حديث (٣٢٧٥) .

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُم تَنَقَّوْنَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وبين الله الحكمة من فرض الصيام أنها التقوى، وقال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» ^(١٦٤). وعلى هذا فكل معصية يفعلها الصائم فإنها تؤثر على صيامه.

ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من أنهم يصومون عن المأكولات والمشربات والمناكح، ويقعون في معصية الله، تجد الواحد منهم إذا تسحر نام عن صلاة الفجر، ولم يقم إلا بعد طلوع الشمس، ومنهم من ينام عن صلاة العصر، ولا يقوم إلا عند الإفطار، فينقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ومن الناس من يكذب ويغتاب الآخرين، ويغش في البيع ويخدع، ويفعل كثيراً من المحرمات وهو صائم، كل هؤلاء لاشك أن هذا العمل المحرم ينقص من أجور صيامهم، وربما يتعادل الأجر والإثم فيحرمون من أجراً صيامهم.

فنصحيتي لإخواني المسلمين جميعهم أن يحفظوا صيامهم عمداً حرم الله عليهم من القول والفعل، وأن يجعلوا هذا الشهر المبارك مصروفاً إلى طاعة الله ، فإنهم بهذا تحصل لهم تربية عظيمة ؛ بالاعتياد على ترك المحرمات وعلى القيام بالواجبات. والله الموفق.

* * *

^(١٦٤) رواه : البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : قول الله تعالى : (واجتنبوا قول الزور) ، حديث (٦٠٥٧) ، والترمذى ، حديث (٧٠٧) ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو داود ، حديث (٢٢٦٢) ، والنسائي في السنن الكبرى . (٢٣٨/٢) ، حديث (٣٢٤٥) ، والإمام أحمد في مسنده (٤٥٢/٢) ، حديث (٩٨٣٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٢٧٠) ، حديث (٨٠٩٥) .

مسافر مفطر أكره زوجته على الجماع وهي صائمة

س ١٣٧ : سافرت من السعودية الى بيلاروسى، ولما وصلت بيستبي لكت مفطراً وأهلي بصومون، فاذهبت زوجتي على الاتصال بها. فماذا على كلّ مثنا يا صاحب الفضيلة؟

الجواب: من المعلوم لدى عامة المسلمين وخاصتهم أنه لا يجوز الجماع لصائم إذا كان صومه واجباً، وأن الجماع مفطر للصائم، وإذا كان الجماع في نهار رمضان والصائم واجب عليه الصوم، فإنه يلزم مع القضاء كفاره، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع إفطاع ستين مسكيناً، لما ثبت في «الصححين» من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: «ما أهلكك؟» فقال: وقعت على امرأتي في رمضان وأنا صائم، فقال له النبي ﷺ: «هل تجد رقبة؟» فقال: لا، قال: «هل تستطيع صيام شهرين متتابعين؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟» قال: لا، ثم إن النبي ﷺ أتى بتمر فقال: «خذ هذا فتصدق به» فقال الرجل: أعلى أفقري مني؟ فوالله ما بين لابتيها بيت أفقري مني. فضحك النبي ﷺ فقال: «خذه فأطعمه أهلك» (١٦٥).

والمرأة مثل الرجل إذا وافقته على ذلك إذا كانت صائمة في رمضان، فاما إذا أكرهها فإنه لا شيء عليها؛ لأن الإكراه يرفع الحكم عن المكره؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَذِكْنَ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. ولقوله تعالى في الكفر: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ

(١٦٥) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق ، حديث (١٩٣٦) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان ، حديث (١١١١) ، وأبو داود ، حديث (٢٣٩٠) ، والتزمي ، حديث (٧٢٤) ، وقال : حديث حسن صحيح . ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢٤١/٢) ، حديث (٧٢٨٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٤) ، حديث (٧٨٣٨) .

إِيمَنْتِهِ إِلَّا مَنْ أُكْثِرَهُ وَقْبَهُ مُظَمِّنٌ بِالْإِيمَنِ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرَ أَعْلَيَهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [النحل: ٦٠]. فإذا رفع الله حكم الكفر عن المكره فحكم غيره من باب أولى.

وعلى هذا فالرجل الذي قدم من سفره، وأجبر زوجته على الجماع وهي صائمة في نهار رمضان، نقول: لا شيء على زوجته، لأنها مكرهة إذا كانت تستطيع التخلص منه ومدافعته.

وأما بالنسبة له هو فإن أهل العلم اختلفوا في المسافر إذا قدم إلى بلده مفطراً: هل يلزم الإمساك أم لا يلزم الإمساك؟ فعلى قول من يقول يلزم الإمساك تلزمه الكفارة، وعلى القول الثاني: أنه لا يلزم الإمساك - وهو القول الراجح عندي - فإنه لا شيء عليه في هذه الحال، لأن الفطر جائز له.

وقولي في أثناء الجواب: «إذا كان يجب عليه الصوم» احترازاً مما إذا كان الصائم لا يلزم الصوم، مثل لو كان الصائم مسافراً في نهار رمضان فإنه إذا جامع زوجته في حال سفره فلا شيء عليه ولو كان صائماً وإنما عليه قضاء ذلك اليوم فقط. والله الموفق.

* * *

يجب على المرأة الصيام إذا صارت بالغة (إذا حاضت)

س ١٣٨: عندما كانت عمرى أربعة عشر عاماً وبدأت تأتينى العادة الشهرية، ودخلت رمضان فصمت ثم جاءتني العادة فانظرت، ولما ظهرت لم أكل الصيام لصيائى، ولما مر أبي لأمي بعد يوم ايقاظي لسفر سنى، فماذا علىي القضاء أم اللئارة؟

الجواب: إن المرأة إذا أتتها الحيض صارت بالغة، ويجب عليها ما يجب على المرأة الكبيرة البالغة بالسن، حتى لو أتتها الحيض لعشرين سنوات، أو لإحدى عشرة سنة، أو ثلاثة عشرة سنة فإنها تكون بالغة.

يظن بعض العوام أن المرأة لا تبلغ إلا إذا بلغت خمس عشرة سنة وهذا خطأ، ولكن بلوغ المرأة يحصل بأربعة أمور: إما أن يتم لها خمس عشر سنة، وإما أن تخيض فإذا حاضت ولو كانت صغيرة السن فإنه يجب عليها ما على كبيرة السن، وعلى هذا فإن عليك أن تقضي الأيام التي لم تصومها بعد بلوغك بالحيض، وإن أشكل عليك عدد الأيام التي كنت أفترتها، فيإمكانك أن تتحري وتنظري ما يغلب على ظنك من الأيام فقضيها. والله الموفق.



إكمال المرأة الصيام بعد نزول دم الحيض

س ١٣٩ : فضيلة الشيخ : في رمضان الماضي جاءتني العادة الشهرية قبل الإفطار بحوالي دقائق ، ولم أنظر ، بل ألمت اليوم ، وعند انتهاء العادة انقطع الدم في نصف اليوم ، ولكن مفطرة وبعد العصر ألمت الصوم ، وبعد رمضان قضيت الأيام حتى اليوم الذي ما أنظرت فيه ، فهل صومي صحيح؟ ولدي أيام من سنوات مضت أريد قضاها ، لكنني لا أملك المال حتى أتصدق . فهل يجزئ القضاء فقط؟ ومنى يذهب على الفتاة أن تصوم؟ وإذا بلفت ولم تصم لصغر سنها ، هل عليها قضاء؟ وإذا كانت لا تعرف كم من الأيام تركت ، فماذا يذهب عليها؟ .

الجواب : هذا السؤال تضمن فقرات متعددة:-

الأولى : تقول إنها صائمة وإن الدم نزل عليها قبل المغرب بدقيقتين وبقيت صائمة ، وهذا ليس بصحيح أن تبقى صائمة بعد نزول الحيض عليها فإذا نزل الحيض على المرأة ، فإنه يجب عليها أن تفطر يعني أنها تنوي الإفطار ، بل إنها قد أفترت وإن لم تنو ، لكن يجوز لها نية الاستمرار في الصوم ، لأن النبي ﷺ قال

في المرأة: «أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصمّ»^(١٦٦)، وبناءً على ذلك أفطرت فإنه يجب عليك قضاء ذلك اليوم.

الثانية: تقول إنها طهرت قبل غروب الشمس، ومعلوم أنها مفترطة لكنها تقول: إنها صامت، وهذا أيضاً ليس ب صحيح فإن الصيام لا يصح إلا من طلوع الفجر، وعلى ذلك فإن صومك ذلك اليوم بعد تطهرك من الحيض فيه ليس بصحيح، لكن اختلف أهل العلم هل يلزمها الإمساك بدون أن تنوى به صوماً، لأنه ليس بصوم شرعي، فيه خلاف ليس هذا موضع بسطه.

الثالثة: فإنك تسائلين عن أيام مضت لم تصوميها، والجواب أن تأخيرها إلى أن يأتي رمضان التالي إن كان لعذر فلا حرج ولا إثم عليك، وتقضين ولو بعد رمضان، وإن كان لغير عذر فإنك تكونين آثمة، ويجب عليك أن تتوبى إلى الله من هذا الفعل وتصومي ما تركت من أيام، لقول الله تعالى: ﴿فَعِدْهُ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وإذا كان ليس عندك مال تتفقينه فليس عليك شيء.

وأما سؤالك: متى يجب على الفتاة الصوم؟ فنقول: إذا بلغت وبلوغها بأمور أربعة: إما تمام خمس عشرة سنة، وإما بالحيض، وإما بالإنزال، وإما بانبات العانة، فبأي واحدة من هذه الأمور الأربع تكون الفتاة بالغة، ويجب عليها قضاء الصوم الذي حصل بعد بلوغها ولو كانت صغيرة السن، فلو حاضت وليس لها إلا اثنتا عشرة سنة وجب عليها أن تصوم، كما لو كان لها أكثر من خمس عشرة سنة.

وإذا كانت لا تعرف الأيام فيجب عليها أن تتحري هذه الأيام، فإذا قدر أنها تقول: إنها شهراً أو شهر واحد لم يجب عليها إلا شهر واحد، لأن الأصل عدم بلوغها، وإذا كانت تقول إنها ثلاثة أشهر أو شهراً لم يجب عليها إلا شهراً، لأن الأصل عدم البلوغ، أما لو تيقنت البلوغ، ولكن لا تدري هل

أفطرت شهراً واحداً أو شهرين، وجب عليها صيام شهرين، لأن الأصل عدم الصيام، وكذلك لو تيقنت البلوغ ولا تدري هل أفطرت بعد بلوغها شهرين أو ثلاثة فإنها تقضي ثلاثة أشهر.

و هذا الحكم فيمن ترك الصيام جاهلة، أما من تعمدت ترك الصيام عالمة ثم تابت إلى الله فإنها لا تقضي، لأن القضاء لا ينفعها في هذه الحال، ولا يُقبل منها لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ^(١٦٧) ومن تعمدت تأخير العبادة المؤقتة عن وقتها بدون عذر، ثم أتت بها بعد الوقت فقد عملت عملاً ليس عليه أمر الله ورسوله، فيكون مردوداً، لكن عليها أن تائب إلى الله من ذلك وتكثر من الأعمال الصالحة، ومن تاب تاب الله عليه.

* * *

قضاء الصيام لأعوام عدة

س ١٤٠ : امرأة سال نقول : على من الصيام القضاء التسبير ؟
لَا يقل عن ثلاثة أشهر تقريباً فهل هذا لا يقضي إلا بالصوم ؟ أم
هناك لفارة عنه تكون مقبولة عند الله ؟ وإذا كنت لا أعرف مسائلين
لللفارة مثلاً فماذا أفعل ؟ .

الجواب : هذه الأعوام الثلاثة التي تركت الصيام فيها لابد أن نعرف السبب، فإن كنت تركتها متعمدة فإن ذلك ذنب عظيم، ولا ينفعك الآن إذا قضيته، ولكن عليك الآن أن تتوبي إلى الله، وتصليحي العمل، ومن تاب تاب الله عليه.

أما إذا كنت قد تركتها لجهل منك كما يحصل لبعض النساء، حيث يعتقدن أن المرأة لا تصوم إلا إذا بلغت خمسة عشر عاماً، ولو أنها الحيض مبكراً، وهذا خطأ منها، وفي مثل هذه الحال فإنك تقضي الصيام ويقبل منك،

لأنك تركته جاهلة، وتقضينها فوراً لأنه قد مضى عليها سنة، وقضاء رمضان على التراخي حتى يأتي رمضان الثاني، فلا يحل لمن عليه قضاء من رمضان أن يؤخر إلى رمضان آخر، فليتوب إلى الله ولبيادر بقضاء ما عليه. والله الموفق.

* * *

إهمال صوم التي بلغت بالحيض

س ١٤١ : منذ خمسة أعوام أتها العادة الشهرية لأول مرة، ولما حلَّ رمضان صامت عدة أيام متفرقة إلى الفحص فقط، لأنها لا تتصبر على الهراء، وفي عام ثالث وأربعين وalf صامت يومين، وفي عام أربعة وأربعين وalf صامت أحد عشر يوماً؟ أفيدونا في ذلك. وجزاكم الله خيراً.

الجواب : هذا العمل محرم ولا يجوز، وذلك لأن المرأة إذا بلغت وجب عليها ما يجب على الكبيرات، فعليك أن تقضي الأيام التي أفطرتها في العام الماضي والذي قبله، ما دام أن هذا قد حصل لك بعد أن جاءك الحيض، ومع الأسف أن هذه المسألة يكثر السؤال عنها جداً، وهذا من جهل الناس، وعدم حرصهم على التفقه في دينهم.

فالواجب على المسلم من ذكر وأنشى أن يتဖقـه في الدين لقوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : «من يرد الله به خيراً يفقـه في الدين» ^(١٦٨) ، ومعلوم أن من يمشي بلا جادة فيوشك أن يضل ويهلك، وأما من مشي على جادة ونور فإن ذلك هو الحازم الكيس. والله الموفق.

من أفطر لأنشغاله بالبناء والاستعداد للزواج

(١٦٨) رواه : البخاري ، كتاب : العلم ، باب : من يرد الله به خيراً يفقـه في الدين ، حدـيث (٧١) ، ومسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : النهي عن المسألة ، حدـديث (١٠٣٧) ، والترمذـي ، حدـديث (٢٦٤٥) ، وابن ماجـه ، حدـديث (٢٢٠) ، والإمام مالـك في الموطـأ (٩٠٠/٢) ، حدـديث (١٥٩٩) ، والدارمي (٨٥/١) ، حدـديث (٢٢٤) ، وابن حبان في صحيحـه (٢٩١/١) ، حدـديث (٨٩) .

س ١٤٢: عند سفري الى مصر كنت في شهر شعبان الماضي، واتي على رمضان وأنا في البلد، وكانت عندي سفل في المنزل استعداداً لزواجهي بعد عيد الفطر المبارك، فانظرت فيه عشرين يوماً. فما أهل أنيروني هنالك الله خيراً لأنني قلت ههـ؟

الجواب: الحل في ذلك أن عملك هذا وهو الفطر في رمضان عمل محرم، وعليك أن تتوّب إلى الله ، والتوبة لا بد فيها من ندم على ما مضى وعزم على أن لا تعود في المستقبل، فاندم على ما فات واعزم على التوبة مستقبلاً، وأما قضاء الصيام الذي أفترطه متعمداً فقد اختلف أهل العلم في من ترك صيام رمضان متعمداً، فمنهم من قال أنه لا ينفعه القضاء وإنه لو قضى ألف يوم عن اليوم ما نفعه وإنما عليه أن يتوب إلى الله ويستغفره، ومنهم من قال إن عليه مع التوبة والاستغفار القضاء.

والصحيح أنه لا ينفعه القضاء، لأن الله سبحانه إنما ذكر القضاء في حال العذر: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخْرَى﴾ [البقرة: ١٨٤]. وأما غير المعذور فلا ينفعه القضاء، لأن كل عبادة مؤقتة بوقت إذا أخرها الإنسان عن وقتها لا تنفعه ولو قضاها ألف مرة، وعلى هذا فعليك أن تتوّب إلى ربك مما فعلت وتستغفر، فإن صمت قضاء فهو أفضل، لأن إفطارك فيه شيء من الشبهة التي تأولت فيها جواز الفطر.

* * *

المتوفى في رمضان لا يلزمته ما بقي من أيام

س ١٤٣: توفي والدي في شهر رمضان وهو صائم، وبقي عليه خمسة عشر يوماً من شهر رمضان، فهل يجوز أن أصوم عنه الأيام التي بقىت عليه، أم عليه كفارة فما هو الصواب؟

الجواب: ما دام أن والدك قد توفي في أثناء رمضان وهو يصوم إلى أن مات فإن الأيام الباقية لا تلزمه، أما إذا كان قد أفترط في مرضه، ثم بقي به المرض

حتى مات فإنه في هذه الحال لا يلزمكم قضاء، لأن من كان مريضاً فعليه عدة من أيام آخر، فإذا لم يبق حتى يدرك الأيام الآخر فلا شيء عليه، إلا إذا كان أبوك مريضاً لا يرجى برأه فإنه يطعم عن كل يوم مسكتنا. والله الموفق.

* * *

الصوم والعلاج

س ١٤٤ : فضيلة الشيخ : امرأة صارت من رمضان أربعة أيام فقط، ثم انطربت لمجيء الدورة، وللتنة أثناء الدورة ازداد عليها المرض، وبمعنى أصح رجع إليها المرض، حيث كانت قد أصبت قبل شهر رمضان اللسم بالتهاب وحساسية في صدرها، وكانت أعراض المرض كثرة سرقة، لذلك حادت الصيام، وللتنة وجدت نفسها في غاية التعب، فاضطررت لأن تفطر لأخذ الدواء في مواعيده، وحين تحستن قليلاً فضللت الإفطار من أجل أخذ الدواء في مواعيده كي تشفي تماماً يارب الله، وكانت تفطر وللتنة ما كانت تأخذ الدواء اهتماماً أو كسلأً أو نسياناً منها... فهل انتظارها كانت حرماً؟ وهل تقضي الصيام؟ وكيف؟ ثم هل يلزم عليها القضاء نور انتهاء شهر رمضان؟ أم تقضي في أي وقت من السنة إلى ما قبل رمضان التالي؟

الجواب : يقول : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَذَّهُ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. فأنت أفترطت لعدم شرعي وهو المرض والعادة الشهرية، فإذا قضيت الصيام فيما بين رمضان ورمضان الذي يليه فلا حرج عليك لأن الوقت واسع، قالت عائشة رضي الله عنها : «كان يكون على الصيام من رمضان مما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان»^(١٦٩) وهي لا شك تحت النبي ﷺ ويعلم عن أحوالها، وقد أقرت وإقرارها دليل على الجواز.

(١٦٩) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : ما يقضي قضاء رمضان ، حديث (١٩٥٠) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : قضاء رمضان في شعبان ، حديث (١١٤٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٥٢) ، حديث (٧٩٩٩) ، عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٢٤٦) ، حديث (٧٦٧٧) ، والطبراني في =

وعلى ذلك فلك التأثير حتى يشفيك الله ، فإذا شفيت قضيت ، ولو قدر أن المرض استمر بك إلى رمضان القادم فلا حرج عليك ، لأن الأمر والحمد لله مع العذر ، لكن إذا شفيت وجب عليك ألا تؤخره إلى رمضان الثاني . والله الموفق .

* * *

حول نذر الصيام

س ١٤٥ : نذرت صوم شهر هل أصومه أم أطعم مسليناً؟ أرجو أن تردوني.

الجواب : قبل أن أجيب على هذا السؤال ، أكرر ما قلته سابقاً وما أقوله الآن من النهي عن النذر ، لأن النبي ﷺ نهى عنه وقال: «إنه لا يأتي بخير» ^(١٧٠) ، وأن النذر إلزام الإنسان نفسه بما هو في عافية منه ، وأن بعض الناذرين قد لا يوفي بنذرها تكاسلاً وتهاوناً ، وحينئذ يقع في هذه العقوبة العظيمة ، التي قال الله عنها: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَدَهَ اللَّهُ لَيْلَةَ إِذَا نَذَرَنَا مِنْ فَضْلِهِ لَصَدَقَنَّ وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^{١٧١} فلما نذرتهم من فضله ، بخلوا به ، وتولوا وهم معرضون ^(١٧٢) فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ^(١٧٣) [التوبة: ٧٧-٧٥]. فكانت عقوبتهم كما رأيت في الآية: ﴿فَاعْقِبُهُمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(١٧٤) [التوبة: ٧٧].

والإنسان إذا كان يريد التبعد لله فيما كان ذلك بدون نذر . قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ لِئَنْ أَمْرَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ

المعجم الصغير بنحوه (٣٤١/١) ، حديث (٥٦٧) .

(١٧٠) رواه : مسلم ، كتاب : النذر ، باب : النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً ، حديث (١٦٣٩) ، والنسائي ، حديث (٣٨٠/١) ، والإمام أحمد في مسنده (٨٦/٢) ، حديث (٥٥٩٢) ، وأبي عوانة في المسند (٧/٤) ، حديث (٥٨٣٤) .

الله خير بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ [النور: ٥٣].

فالحاصل أن النذر مكروه، وذهب بعض أهل العلم إلى تحريم لنهي النبي ﷺ عنه، ولما فيه من إلزام الإنسان نفسه بما لم يلزم الله به، وأنه قد يتکاسل فيعرض نفسه لهذه العقوبة العظيمة، نسأل الله السلامة والعافية.

وهذا الذي نذر أن يصوم شهر يجب عليه أن يوفي بنذر ما دام قادرًا عليه، فيصومه إما متواطأ إن كان قد شرطه بلفظه أو بنيته، وإن لم يشترط بلفظه ولا بنيته، فإنه يصومه إما متواطأ وإما متفرقًا.

وهنا مسألة أخرى وهي أن بعض الناس يعلق نذرها على حصول محبوب له أو اندفاع مكروه عنه، كأن الله لا يمن عليه بذلك إلا إذا نذر لله شيئاً، وهذا لا ينبغي، بل الله يمن عليك منته بدون أن تشترط عليه شيئاً.

فعليك يا أخي إذا مرض لك مريض أو غاب لك مال أن تسأل الله الشفاء للمريض، وأن تسأله رد الغائب، والله يمن بفضله على من يشاء من عباده، أما أن تشترط هذا الشرط كأن الله لا يشفى مريضك أو لا يرد غائك إلا بشرط فهذا جهل. والله الموفق.

* * *

العزم على صيام الثلاثاء أيام البيض

س ١٤٦ : أرادت أمي أن تصوم ثلاثة أيام من شهر رجب، فصممت أنا أيضًا صيام ثلاثة أيام معها، ونويت ذلك بعد أن أعمل صيام القضاء من شهر رمضان، ولكن صمت أول يوم وتعنت ولم أقدر أن أعمل الصيام، فقلت في نفسي : أحادرك أن تصوم ولو يومًا ثانثًا من أهل الهزاء من الله تعالى، وسؤالني :

* ما جزاء من يصوم من شهر رجب وكم يوم يصومه؟ .
ما حكم نبي في هذا الموضوع وهل يجب على صيامها كلها؟

* وهل يجب عليَّ أن أصومها من كل سنة كما يزعم البعض؟

الجواب : شهر رجب من الأشهر الحرم، قال الله : ﴿إِنَّ عَدَةَ الْشَّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ حُرُومٌ﴾ [التوبه: ٣٦].

وهذه الأربعـة: ذو القعـدة، ذو الحجـة، ومحـرم، ورجـب، ولكن ليس لرجـب عـبـادات خـاصـة تـختص بـهـ، لا صـلاـة ولا صـيـام، ولا عـمـرة، ولا زـيـارـة لـالـمـسـجـد النـبـويـ، ولا غـير ذـلـكـ، إنـماـ هوـ شـهـرـ كـغـيرـهـ منـ الـأـشـهـرـ الحـرـامـ، ولـمـ يـرـدـ فيـ حـدـيـثـ صـحـيـحـ عـنـ النـبـيـ ﷺـ تـخـصـيـصـ يـوـمـ مـنـهـ بـصـوـمـ وـلـاـ لـيـلـةـ بـقـيـامـ.

وعلى هذا فإنـيـ أـنـصـحـكـ وـوـالـدـتـكـ أـلـاـ يـعـودـ كـلـ مـنـكـمـ مـلـشـ هـذـاـ الـأـمـرـ؛ـ وـهـوـ تـخـصـيـصـ أـيـامـ مـنـهـ بـصـيـامـ،ـ أـمـاـ شـعـبـانـ فـكـانـ رـسـولـ اللـهـ ﷺـ يـخـصـهـ بـالـصـيـامـ؛ـ فـكـانـ يـصـوـمـ كـلـهـ أـوـ يـصـوـمـ إـلـاـ قـلـيلـاـ،ـ كـمـاـ ذـكـرـتـ ذـلـكـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ^(١٧١)

وأـمـاـ كـوـنـكـ نـوـيـتـ أـنـ تـصـوـمـ أـيـامـ الـثـلـاثـةـ وـصـمـتـ يـوـمـاـ وـشـقـ عـلـيـكـ الـبـاقـيـ،ـ فـلـاـ حـرـجـ عـلـيـكـ فـيـ هـذـاـ،ـ لـأـنـ مـنـ نـوـيـ عـبـادـةـ إـنـهـاـ لـاـ تـلـزـمـهـ،ـ وـلـوـ صـمـمـ عـلـىـ فـعـلـهـاـ؛ـ سـوـاءـ كـانـتـ تـلـكـ الـعـبـادـةـ مـالـيـةـ أـوـ بـدـنـيـةـ أـوـ مـرـكـبـةـ مـنـهـمـاـ،ـ فـلـوـ أـنـ أـحـدـاـ نـوـيـ أـنـ يـصـلـيـ رـكـعـتـيـنـ ثـمـ لـمـ يـفـعـلـ فـلـاـ حـرـجـ عـلـيـهـ،ـ وـلـوـ أـنـ نـوـيـ أـنـ يـتـصـدـقـ بـشـيءـ ثـمـ لـمـ يـفـعـلـ فـلـاـ حـرـجـ عـلـيـهـ.

ولـوـ نـوـيـ أـنـ يـصـوـمـ يـوـمـاـ ثـمـ بـدـاـ لـهـ أـلـاـ يـفـعـلـ فـلـاـ حـرـجـ عـلـيـهـ،ـ لـأـنـ هـذـاـ مـنـ الـأـمـرـ الـتـيـ يـعـفـىـ عـنـهـاـ،ـ كـمـاـ ثـبـتـ عـنـ النـبـيـ ﷺـ أـنـ اللـهـ قـدـ تـجـاـوزـ عـنـ هـذـهـ الـأـمـةـ مـاـ حـدـثـتـ بـهـ أـنـفـسـهـاـ مـاـ لـمـ تـعـمـلـ أـوـ تـتـكـلـمـ^(١٧٢).

(١٧١) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : صوم شعبان ، حديث (١٩٧٠) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : صيام النبي ﷺ ، حديث (١١٥٦) ، وأبو داود ، حديث (٢٤٣٤) ، والترمذى ، حديث (٧٣٦) ، والنسائى ، حديث (٢١٧٧) ، وابن ماجه ، حديث (١٦٤٩) ، والإمام أحمد (١٠٧/٦) ، حديث (٢٤٨٠١) ، وابن حبان في صحيحه (٤٠٩/٨) ، حديث (٣٦٤٨) .

وأما كون الإنسان إذا عمل عبادة في سنة من السنين يلزمه أن يفعلها في باقي السنين، فهذا ليس بصحيح؛ أي إنه إذا فعل عبادة في شهر من الشهور فإنه لا يلزمها كلما مر عليه هذا الشهر، فلو صام الثلاثاء أيام البيض من رجب أو من جمادى أو من ربيع، فليس بملزم أن يصومها في نفس الشهر أو في الشهر الذي يليه، لأنه لا يلزم الإنسان إلا ما فرضه الله عليه، أو ما أرزم الإنسان به نفسه من نذر.

ولكن ينبغي لمن فعل عبادة أن يستمر عليها، لقوله عليه السلام عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل»^(١٧٣)، كما ثبت عنه عليه السلام أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»^(١٧٤)، فالأعمال كلما داوم عليها الإنسان فإن ذلك أحب إلى الله. والله الموفق.

* * *

صوم يوم السبت

(١٧٢) رواه : البخاري ، كتاب : الطلاق ، باب : الطلاق في الإغلاق والكره والسكنان والجنون ، حديث (٥٢٦٩) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب ، حديث (١٢٧) ، وأبي داود ، حديث (٢٢٠٩) ، والترمذى ، حديث (١١٨٣) ، والإمام أحمد (٢/ ٣٩٣) ، حديث (٩٠٩٧) ، والنسائي في السنن الكبرى (٣٦٠/٣) ، حديث (٥٦٢٦) .

(١٧٣) رواه : البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه ، حديث (١١٥٢) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ، حديث (١١٥٩) ، والنسائي ، حديث (١٧٦٣) ، وابن ماجه ، حديث (١٣٣١) والإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٧٠) ، حديث (٦٥٨٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٣/٢) ، حديث (١١٢٩) .

(١٧٤) رواه : البخاري ، كتاب : الرفاق ، باب : القصد والمداومة على العمل ، حديث (٦٤٦٤) ، ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ، حديث (٧٨٣) ، والنسائي ، حديث (٧٦٢) ، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٧٦) ، حديث (٢٦٣٥) .

س ١٤٧ : قال ﷺ : «لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم ، فان لم يهدكم الا لداء عنب ، او عود شهد ، فليمضفها» ^(١٧٥) رواه الحمسة . وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ : «لَكَنَ الْأَثْرُ مَا يَصُومُ مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمَ السَّبْتِ وَيَوْمَ الْأَحَدِ» ^(١٧٦) ، ولأنه يقول : إنما يوم عيد للمسكين . وإن أردت أن أفرضهم ^(١٧٧) أفرجهم النائي .

أفيروننا عن محنى هذين الحديثين . وجراحكم الله خيراً

الجواب : الحديث الأول وهو صيام يوم السبت ، اختلف العلماء في تصحیحه فمنهم من صححه ، ومنهم من ضعفه ، والذین صاححوه ، قال بعضهم : إنه منسوخ ، وقال بعضهم : إن النهي عن إفراده فقط ، فأما لو صامه هو ويوم الأحد فلا نهي في ذلك ، وعلى هذا فلا يعارض الحديث الثاني ، الذي فيه أن النبي ﷺ كان أكثر ما يصوم هو يوم السبت والأحد .

وعلى كل حال فإن أهل العلم اختلفوا في صوم يوم السبت ، فمنهم من قال : إنه ليس بمكره وأطلق ، ومنهم من فصل فقال : إن أفرد فهو مكره ، وإن جمع مع يوم الأحد الذي بعده ، أو يوم الجمعة الذي قبله فلا كراهة في ذلك ، وهذا هو الأقرب . والله أعلم .

* * *

(١٧٥) رواه الترمذى ، كتاب : الصوم ، باب : ما جاء في صوم يوم السبت ، حديث (٧٤٤) ، وقال : حديث حسن ، وأبو داود ، حديث (٢٤٢١) ، وقال : هذا حديث منسوخ . ورواه ابن ماجه ، حديث (١٧٢٦) ، والإمام أحمد في مسنده (٣٦٨/٦) ، حديث (٢٧١٢٠) ، والدارمي (٣٢/٢) ، حديث (١٧٤٩) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣١٧/٣) ، حديث (٢١٦٤) .

(١٧٦) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٤٦/٢) ، حديث (٢٧٧٦) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣١٨) ، حديث (٢١٦٧) والحاكم في المستدرك (٦٠٢/١) ، حديث (١٥٩٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٣/٤) ، حديث (٨٢٨٠) والطبراني في المعجم الكبير (٢٨٣/٢٣) ، حديث (٦١٦) ، والأوسط (١٥٦/٤) ، حديث (٣٨٥٧) .

صلوة التراويف والصيام

س ١٤٨: ما حكم ترك صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك؟ وهل يصح صوم من تركها؟

الجواب: التراويح من قيام رمضان، وقد قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١٧٧) ، وإنما سميت تراويح لأنهم كانوا في الزمن الأول يطيلون فيها القيام والركوع والسجود، فإذا صلوا أربع ركعات استراحوا قليلاً، ثم استأنفوا وذلك استناداً لحديث عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يصلى أربعاء، فلا تسأل عن حسنها وطولها، ثم يصلى أربعاء فلا تسأل عن حسنها وطولها»^(١٧٨) ، ولهذا سميت هذه الصلوات بالتراويح.

ومن أجل هذه التسمية فهم بعض الناس أنها ليست من قيام رمضان، فصاروا يخلون بها ويتهانون بها، ويتركونها أو ي Mizqونها فيصلون مع مسجد ركعتين ومع مسجد آخر ركعتين، ومع ثالث ركعتين، وهذا من الحرمان.

وهذه التراويح سنة وليس بواجبة، وليس في تركها إثم، لكنها سنة سنها رسول الله ﷺ إذ صلى بأصحابه ثلاثة ليال، ثم تركها وقال: «إني خشيت أن تفرض عليكم»^(١٧٩) فلا ينبغي للمرء أن يخل بصلة التراويح، ولعله أنه إذا

(١٧٧) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان، حديث (٣٧)، ومسلم كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، كتاب: الترغيب في قيام رمضان، حديث (٧٥٩)، وأبو داود (١٣٢١)، والترمذى (٨٠٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح . رواه النسائي (١٦٠٢)، والإمام أحمد (٢٨١/٢)، حديث (٧٧٧٤) والإمام مالك في موظنه حديث (٢٤٩).

(١٧٨) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: كان النبي ﷺ تناهى عنه، حديث (٣٥٦٩)، ومسلم كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، حديث (٧٣٨)، وأبو داود حديث (١٣٤١)، والترمذى، حديث (٤٣٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح . رواه النسائي، حديث (١٦٩٧)، والإمام أحمد في مستنه (٣٦/٦) حديث (٢٤١١٩)، ومالك في الموطأ (١٢٠/١)، حديث (٢٦٣).

(١٧٩) رواه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، حديث (٩٢٤)=

صلاحتها فإنه يحصل على أجر عظيم، حيث قال النبي ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١٨٠) وليرحص على متابعة الإمام حتى يتنهى، فإن «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة»^(١٨١) ومن ترك صلاة التراويف فصيامه صحيح ولا ارتباط بين التراويف والصيام.

* * *

الزكاة في رمضان

س ١٤٩ : هل الزكاة تفضل في رمضان مع أنها ركناً من أركان الإسلام؟

الجواب : الزكاة كغيرها من أعمال الخير تكون في الزمن الفاضل أفضلاً، لكن متى وجبت الزكاة وتم الحول وجب على الإنسان أن يخرجها ولا يؤخرها إلى رمضان فلو كان حول ماله في رجب فإنه لا يؤخرها إلى رمضان بل يؤديها في رجب... ولو كان يتم حولها في محرم فإنه يؤديها في محرم ولا يؤخرها إلى رمضان... أما إذا كان حول الزكاة يتم في رمضان فإنه يخرجها في رمضان.

* * *

حكم التقبيل للصائم

س ١٥٠ : إذا قبَّلَ السابِبُ أو السَّيْفَ زوجته وهو صائم هل يلهقَه بذلك أتم؟

الجواب : لا يلحق الصائم إثمه بتقبيل زوجته ، سواء كان شاباً أم شيخاً لما

= مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الترغيب في قيام رمضان وهو التراويف ، حديث (٧٦١) ، وأبو داود ، حديث (١٣٧٣) ، والنسائي ، حديث (١٦٠٤) ، والإمام أحمد في مسنده (٦/١٧٧) ، حديث (٢٥٤٨٥) ، ومالك في الموطأ (١١٣/١) ، حديث (٢٤٨) .
 (١٨٠) سبق تخرجه حديث (١٧٧) .

(١٨١) رواه الترمذى ، كتاب : الصوم ، باب : ما جاء في قيام شهر رمضان ، حديث (٨٠٦) ، والنسائي حديث (١٦٠٥) ، وابن ماجه ، حديث (١٣٢٧) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣٣٧/٣) حديث (٢٢٠٦) حديث (٢٢٠٦) .
 وابن حبان في صحيحه (٦/٢٨٨) ، حديث (٢٥٤٧) .

في «صحيح مسلم» عن عمر بن أبي سلمة سأله النبي ﷺ: أَيَّقَبُ الصائم؟ فقال النبي ﷺ: «سَلْ هَذِهِ» - يعني أم سلمة - فأخبرته أن النبي كان يصنع ذلك. فقال: يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال النبي ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَتَقَاكُمْ لِللهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ» ^(١٨٢).

* * *

الدم المفسد للصوم

س ١٥١ : ما هو ضابط الدم الخارج من الهمس المفسد للصوم؟ وكيف يفسر الصوم؟

الجواب : الدم المفسد للصوم هو الدم الذي يخرج بالحجامة لقول النبي ﷺ: «أَفَطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ» ^(١٨٣) ، ويقاس على الحجامة ما كان معناها مما يفعله الإنسان باختياره فيخرج منه دم كثير يؤثر على البدن ضعفاً فإنه يفسد الصوم كالحجامة، لأن الشريعة الإسلامية لا تفرق بين الشيئين المتماثلين كما أنها لا تجمع بين الشيئين المفترقين .

أما ما خرج من الإنسان بغیر قصد كالرعاف وكالجرح للبدن من السكين عند تقطيع اللحم أو وطنه على زجاجة أو ما أشبه ذلك فإن ذلك لا يفسد الصوم ولو خرج منه دم كثير، كذلك لو خرج دم يسير لا يؤثر كتأثير الحجامة كالدم الذي يؤخذ للتحليل لا يفسد الصوم أيضاً.

* * *

(١٨٢) رواه : مسلم ، كتاب : الصيام ، باب : بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة ، حديث (١١٠٨) وأiben حبان في صحيحه (٣٠٩/٨) ، حديث (٣٥٣٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٢٣٤/٤) ، حديث (٧٨٩٤) ، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٦١/٢) ، حديث (١٩٢٣) .
 (١٨٣) سبق تخریجه برقم (١٦٠) .

حكم الحجامة للصائم وحكم خروج الدم منه

س ١٥٦ : قوله عليه الصلاة والسلام : «أنظر العاجم ^(١٨٤) والمهموم» هل هو صحيحة ؟ وإذا كان صحيفاً فما تفسيره ؟

الجواب : هذا الحديث صحيح صححه الإمام أحمد، وغيره، ومعناه أن الصائم إذا حجم غيره أفتر و إذا حجمه غيره أفتر، وذلك أن الحجامة فيها حاجم ومحجوم.

فالمحجوم الذي استخرج الدم منه، وال الحاجم الذي استخرج الدم، فإذا كان الصوم واجباً فإنه لا يجوز للصائم أن يتحجّم لأنّه يستلزم الإفطار من صوم واجب عليه إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك بأنّ هاج به الدم وشق عليه، فإنه لا حرج أن يتحجّم حينئذ ويعتبر نفسه مفطراً يقضى هذا اليوم ويأكل ويشرب في بقائه، لأنّ كل من أفتر بعد شرعي يبيح الفطر فإنه يجوز أن يأكل بقية يومه لأنّ هذا اليوم الذي أباح الشارع له الإفطار فيه ليس يوماً يجب عليه إمساكه بمقتضى أدلة الشرع، ثم إنّه بهذه المناسبة أود أن أذكر أن بعض الناس يغالّي في هذا الأمر حتى أن بعضهم يحصل به خدش يسير ويخرج منه الدم ي sisir فيظن أن صومه بطل بهذا ولكن هذا القول ليس بصحيح.

بل نقول: إن خروج الدم إذا خرج بغير فعلك لا يؤثر عليك، سواء كان كثيراً أو قليلاً، فلو فرض أنّ إنساناً رعف أنّه فخرج منه دم كثير فإنه لا يضر أو كان به جرح فانفجر وخرج منه دم كثير فإنه لا يضر، أو أصيب بحادث فخرج منه دم كثير فإنه لا يضر ولا يفطر به، لأنّه خرج بغير اختياره، أما إذا أخرج الدم هو باختياره، فإنّ كان هذا الدم يستلزم ما تستلزم الحجامة من ضعف البدن وأنحطاط القوة فإنه يكون مفطراً إذ أنه لا فرق بينه وبين الحجامة في المعنى وإن

كان الدم يسيئاً لا يتأثر به الجسم فإنه لا يضر ولا يفطر مثل أن يخرج منه الدم من أجل اختباره أو نحوه فإنه لا يضر ولا يفطره به، وعلى كل إنسان أن يكون عارفاً بحدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ؛ ليعبد الله على بصيرة. والله الموفق.

* * *

الموت في رمضان

س ١٥٣: يقول الرسول ﷺ: «إذا هاء رمضان فتحت أبواب الْجَنَّةِ وغلقت أبواب النَّارِ» ^(١٨٥) فهل يعني ذلك أن من يموت في رمضان يدخل الجنّة بغير حساب؟

الجواب: ليس الأمر كذلك، بل يعني هذا أن أبواب الجنّة تُفتح تشييطاً للعاملين ليتسنى لهم الدخول، وتغلق أبواب النار لأجل انكafاف أهل الإيمان عن المعاصي حتى لا يلتجون هذه الأبواب، وليس يعني ذلك أن من مات في رمضان يدخل الجنّة بغير حساب، إنما الذين يدخلون الجنّة بغير حساب هم الذين وصفهم الرسول ﷺ في قوله «هم الذين لا يسترقون ولا يكترون ولا يتظيرون ^(١٨٦) وعلى ربهم يتوكلون» ، مع قيامهم بما يجب عليهم من الأعمال الصالحة.

* * *

^(١٨٥) رواه : مسلم ، كتاب : الصيام ، باب : فضل شهر رمضان ، حديث (١٠٧٩) ، والنسائي ، حديث (٢١٠٠) ، والإمام أحمد في مسنده (٣٥٧/٢) ، حديث (٨٦٦٩) ، والدارمي (٤١/٢) ، حديث (١٧٧٥) بلفظ : «فتحت أبواب السماء» .

^(١٨٦) رواه : البخاري ، كتاب : الطب ، باب : من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ، حديث (٥٧٠٥) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنّة ، حديث (٢١٨) ، والترمذى حديث (٢٤٤٦) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٧١/١) ، حديث (٢٤٤٨) ، وابن حبان في صحيحه (٣٤٠/١٤) ، حديث (٦٤٣٠) .

رؤية الهلال في بلد.. لا تلزم جميع البلاد بأحكامه

س ١٥٤ : يتفاوت ظهور هلال رمضان أو هلال شوال بين الدول الإسلامية... فهل بصوم المسلمين عند رؤيتها في أصدقى هذه الدول؟.

الجواب : مسألة الهلال مختلف فيها بين أهل العلم؛ فمنهم من يرى أنه إذا ثبتت رؤية هلال رمضان في مكان على وجه شرعي فإنه يلزم جميع المسلمين الصوم، وإذا ثبتت رؤية هلال شوال لزم جميع المسلمين الفطر.

وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد - رحمة الله - وعلى هذا فإذا رأى في المملكة العربية السعودية مثلاً وجب على جميع المسلمين في كل الأقطار أن يعملاً بهذه الرؤية صوماً في رمضان وفطراً في شوال.. واستدلوا على ذلك بعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمِّهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وعموم قوله : «إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا» ^(١٨٧).

ومن العلماء من يقول أنه لا يجب الصوم من هلال رمضان ولا الفطر في شوال إلا من رأى الهلال أو كان موافقاً لمن رأه في مطالع الهلال، لأن مطالع الهلال تختلف باتفاق أهل المعرفة... فإذا اختلفت وجب أن يحكم لكل بلد برؤيته والبلاد التي توافق في مطالع الهلال فهي تبعاً له وإنما فلا.

وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله - واستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمِّهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وبقول النبي ﷺ: «إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا» أي بنفس الدليل الذي استدل به من يرى عموم وجوب حكم الهلال، لكن وجه الاستدلال عند «ابن

(١٨٧) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : هل يقال رمضان أو شهر رمضان ، حدث (١٩٠٠) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤيته ، حدث (١٠٨٠) ، والنمسائي ، حدث (٢١٣٨) ، والإمام أحمد في مستنده (٢/ ٢٨٧) ، حدث (٧٨٥١) والدارمي (٢/ ٧٢) ، حدث (١٦٨٦) .

تيمية» في هذه الآية وهذا الحديث مختلف.. إذ أن الحكم قد علق بالشاهد والرأي وهذا يقتضي أن من لم يشهد ومن لم ير لا يلزم الحكم.. وعليه إذا اختلفت المطالع لا تثبت أحكام الهلال بالعميم. وهذا - لا شك - وجه قوي في الاستدلال ويريده النظر والقياس.

* * *

فوائد الصوم الاجتماعية

س ١٥٥ : هل للصوم نائمة اجتماعية؟

الجواب : نعم له فوائد اجتماعية، منها شعور الناس بأنهم أمة واحدة يأكلون في وقت واحد ويصومون في وقت واحد ويشعر الغني بنعمة الله ويعطف على الفقير، ويقلل من مزالق الشيطان لابن آدم، وفيه تقوى الله، وتقوى الله تقوى الأواصر بين أفراد المجتمع.

* * *

ما ينبغي للصائم وما يجب عليه

س ١٥٦ : ماذا ينبغي للصائم وماذا يهرب عليه؟

الجواب : ينبغي للصائم أن يكثر من الطاعات ويجتنب جميع المنهيات. ويجب عليه المحافظة على الواجبات. والبعد عن المحرمات، فيصل إلى الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة، ويترك الكذب والغيبة والغش المعاملات الربوية وكل قول أو فعل محرم، قال النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» ^(١٨٨).

* * *

الإسراف في مائدة الإفطار

س ١٥٧ : الإفراط في إعداد الأطعمة هل يقلل من ثواب الصوم؟ .

الجواب : لا يقلل من ثواب الصيام، والفعل المحرم بعد انتهاء الصوم لا يقلل من ثوابه ولكن ذلك يدخل في قوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الظَّرِيفَن﴾ [الأعراف : ٣١] . فالإسراف نفسه محظور، والاقتصاد نصف المعيشة، وإذا كان لديهم فضل فليتصدقوا به فإنه أفضل .

* * *

حكم الذي يصوم ويتكاسل عن الصلاة

س ١٥٨ : بعض السباب هدأهم الله يتسلون عن الصلاة في رمضان وغيره، ولئنهم يحافظون على صيام رمضان، ويتخلرون العطش والحرق فبماذا تنصهسم؟ وما حكم صيامهم؟ .

الجواب : نصحيتي لهؤلاء أن يفكروا مليتا في أمرهم، وأن يعلموا أن الصلاة أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين وإن من لم يصل وترك الصلاة متهاوناً فإنه على القول الراجح عندي الذي تؤيده دلالة الكتاب والسنة أن يكون كافراً كفراً مخرجاً عن الملة مرتدًا عن الإسلام، فالأمر ليس بالهين لأن من كان كافراً مرتدًا عن الإسلام لا يقبل منه لا صيام ولا صدقة ولا يقبل منه أي عمل، لقوله تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفْقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبه : ٥٤] . وبين الله أن نفقاتهم مع أنها ذات نفع متعد للغير، لا تقبل منهم مع كفرهم، وقال : ﴿وَقَدْمَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان : ٢٣]

وهؤلاء الذين يصومون ولا يصلون لا يقبل صيامهم بل هو مردود عليهم ما دمنا نقول : إنهم كفار كما يدل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ،

فنصيحتي لهم أن يتقووا الله وأن يحافظوا على الصلاة ويقوموا بها في أوقاتها ومع جماعة المسلمين، وأنا ضامن لهم بحول الله أنهم إذا فعلوا ذلك فسوف يجدون في قلوبهم الرغبة الأكيدة - في رمضان وفيما بعد رمضان - على أداء الصلاة في أوقاتها مع جماعة المسلمين، لأن الإنسان إذا أناب إلى ربه وأقبل عليه وتاب إليه توبة نصوحاً فإنه قد يكون بعد التوبة خيراً منه قبلها كما ذكر الله عن آدم عليه الصلاة والسلام أنه بعد حصول ما حصل منه من أكل الشجرة قال الله تعالى: ﴿تَمَّ اجْبَانِهِ رَبِّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢].

* * *

النوم طوال ساعات النهار

س ١٥٩ : النوم طوال ساعات النهار ما حلمه؟ وما حلّمه صيام من ينام؟ وإذا كانت يستيقظ لأداء الفرض ثم ينام، فما حلم ذلك؟
الجواب : هذا السؤال تضمن حالين:

الحالة الأولى : رجل ينام طوال النهار ولا يستيقظ ولا شك أن هذا جان على نفسه وعاصى لله بتركه الصلاة في أوقاتها وإذا كان من أهل الجماعة فقد أضاف إلى ذلك ترك الجماعة أيضاً وهو حرام ومنقص لصومه، وما مثله إلا مثل من يبني قصرًا ويهدمه مصرًا، فعليه أن يتوب إلى الله ، وأن يقوم ويؤدي الصلاة في أوقاتها حسب ما أمر به.

أما الحالة الثانية : وهي حال من يقوم ويصلّي الصلاة المفروضة في وقتها، ومع الجماعة فهذا ليس باثم لكنه فوت على نفسه خيراً كثيراً لأنه ينبغي للصائم أن يستغل بالصلاحة والذكر والدعاء وقراءة القرآن الكريم حتى يجمع في صيامه عبادات شتى، والإنسان إذا عود نفسه الكسل والخمول والراحة صار لا يألف إلا ذلك وصعبت عليه العبادات والأعمال في حال الصيام، فنصيحتي لهذا ألا يستوعب وقت صيامه في نومه، فليحرص على العبادة وقد يسر الله والحمد لله

في وقتنا هذا للصائم ما يزيل عنه مشقة الصوم من المكبات وغيرها مما يهون عليه الصيام.

* * *

إذا شرب الصائم بعد أذان الفجر

س ١٦٠ : اذا شرب الصائم بعد سماعه اذان الفجر فهل يصح صومه؟ .

الجواب : إذا شرب الصائم بعد سماعه أذان الفجر فإن كان المؤذن يؤذن بعد أن تبين له الصبح فإنه لا يجوز للصائم أن يأكل أو يشرب بعده. وإن كان يؤذن قبل أن يتبيّن له الصبح فلا بأس بالأكل والشرب حتى يتبيّن الصبح لقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَنْهَانَ بِتَشْرُهِنَّ وَبَتَقْوَى مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْخَيْطُ الْأَثِيقُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسَوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقول النبي ﷺ: «إِنْ بَلَّا يَؤْذِنُ بِلِيلٍ فَكُلُوا وَاشْرُبُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَذَانَ أَبْنَى أَمْ مَكْتُومَ فَإِنَّهُ لَا يَؤْذِنُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ» ^(١٨٩)

ولهذا ينبغي للمؤذنين أن يتحرروا في أذان الصبح، ولا يؤذنوا حتى يتبيّن لهم الصبح أو يتبيّقنوا طلوعه بالساعات المضبوطة لئلا يغروا الناس فيحرموهم مما أحل الله لهم ويحلوا لهم صلاة الصبح قبل وقتها وفي هذا من الخطير ما فيه.

* * *

(١٨٩) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : قول النبي ﷺ : «لَا يَنْعَنُكُم مِنْ سَحُورِكُمْ أَذَانَ بَلَّا» ، حدیث (١٩١٩) ، ومسلم مختصرًا ، كتاب : الصيام ، باب : بيان أن الدخول في الصوم يحصل بظهور الصبح ، حدیث (١٠٩٢) ، والترمذی ، حدیث (٢٠٣) ، والنمسائی ، حدیث (٦٣٧) ، والإمام أحمد (٩/٢) ، حدیث (٤٥٥١) ، والدارمی (١/٢٨٨) ، حدیث (١١٩٠) .

إذا تمضمض الصائم فدخل إلى حلقه الماء

س ١٦١ : إذا تمضمض الصائم أو استنشق فدخل إلى حلقه ماء دون قصد هل يفسد صومه؟

الجواب : إذا تمضمض الصائم أو استنشق فدخل الماء إلى جوفه لم يفطر، لأنه لم يتعد ذلك لقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدُتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]

* * *

السواك في رمضان

س ١٦٢ : هناك من يتحرز من السواك في رمضان ... خمسة انساد الصوم، هل هذا صحيح؟ وما الرقت المفضل للسواك في رمضان؟.

الجواب : التحرز من السواك في نهار رمضان أو في غيره من الأيام التي يكون الإنسان فيها صائمًا لا وجه له، لأن السواك سنة فهو كما جاء في الحديث الصحيح : «مطهرة للفم مرضاة للرب» ^(١٩٠) ، ومشروع متتأكد عند الوضوء وعند الصلاة، وعند القيام من النوم، وعند دخول أول ما يدخل، في الصيام وفي غيره وليس مفسدًا للصوم إلا إذا كان السواك له طعم وأثر في ريقك فإنك لا تتبع طعمه، وكذلك لو خرج بالتسوك دم من اللثة فإنك لا تتبعه وإذا تحرزت في هذا فإنه لا يؤثر في الصيام شيئاً.

* * *

(١٩٠) رواه النسائي ، كتاب : الطهارة ، باب : الترغيب في السواك ، حديث (٥) ، وابن ماجه ، حديث (٢٨٩) ، والإمام أحمد في مسنده (٣/١) ، حديث (٧) ، والدارمي (١٨٤/١) ، حديث (٦٨٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (١) ، حديث (٧٠/١) ، حديث (١٣٥) .

حكم الحقن في رمضان

س ١٦٣ : هل الإبر والحقن العلاجية في نهار رمضان تؤثر على الصيام؟.

الجواب : الإبر العلاجية قسمان:

أحدهما : ما يقصد به التغذية ويستغني به عن الأكل والشرب لأنها بمعناه تكون مفطرة لأن نصوص الشرع إذا وجد المعنى الذي تشتمل عليه صورة من الصور حكيم على هذه الصورة بحكم ذلك النص.

أما القسم الثاني : وهو الإبر التي لا تغذى أي لا يستغني بها عن الأكل والشرب فهذه لا تفطر، لأنها لا ينالها النص لفظاً ولا معنى فهي ليست أكلًا ولا شربًا ولا معنى الأكل والشرب. والأصل صحة الصيام حتى يثبت ما يفسده بمقتضى الدليل الشرعي.

* * *

حكم استعمال الطيب في نهار رمضان

س ١٦٤ : ما حكم استعمال الصائم للروائح العطرية في نهار رمضان؟.

الجواب : لا بأس أن يستعملها في نهار رمضان وأن يستنشقها إلا البخور لا يستنشقه لأن له جرماً يصل إلى المعدة وهو الدخان.

* * *

الحناء للصائم

س ١٦٥ : هل يجوز وضع الحناء للشعر أثناء الصيام والصلة لأنني سمعت بان الحناء تفطر الصيام؟.

الجواب : هذا لا صحة له، فإن وضع الحناء أثناء الصيام لا يفطر ولا يؤثر على الصائم شيئاً كالكحل وك قطرة الأذن وك قطرة في العين فإن ذلك كله

لا يضر الصائم ولا يفطره.

وأما الحناء أثناء الصلاة فلا أدرى كيف يكون هذا السؤال إذ إن المرأة التي تصلي لا يمكن أن تتحنا، ولعلها تريد أن الحناء هل يمنع صحة الوضوء إذا تحنت المرأة؟ والجواب: أن ذلك لا يمنع صحة الوضوء لأن الحناء ليس له جرم يمنع وصول الماء وإنما هو لون فقط والذي يؤثر على الوضوء هو ما يكون له جسم يمنع وصول الماء، فإنه لابد من إزالتة حتى يصح الوضوء.

* * *

الأكل... نسياناً !

س ١٦٦: ما حَلَّمَ مِنْ أَكْلٍ أَوْ شَرْبٍ نَّاسِيَاً، وَهَلْ يَهْبِطُ عَلَى
مِنْ رَأَهُ يَأْكُلُ أَوْ يَشْرِبُ نَّاسِيَاً أَنْ يَذْكُرَهُ بِصِيَامِهِ؟

الجواب: من أكل أو شرب ناسيًا وهو صائم فإن صيامه صحيح لكن إذا تذكر يجب عليه أن يقلع حتى إذا كانت اللقمة أو الشربة في فمه فإنه يجب عليه أن يلفظها، ودليل تمام صومه قول النبي ﷺ فيما ثبت عنه من حديث أبي هريرة : «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعنه الله وسقاوه»^(١٩١) لأن النسيان لا يؤاخذ به المرء في فعل محظور لقوله تعالى: ﴿هُوَ رَبُّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ شَيَّنَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فقال الله تعالى: «قد فعلت».

أما من رأه فإنه يجب عليه أن يذكره لأن هذا من تغيير المنكر، وقد قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»^(١٩٢). ولا ريب أن أكل الصائم وشربه حال صيامه من المنكر، ولكنه

(١٩١) سبق تخرجه برقم (١٦٣).

(١٩٢) رواه: مسلم ، كتاب: الإيمان ، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، حدث (٤٩) ، وأبو داود ، حدث (١١٤٠) ، والنسائي ، حدث (٥٠٠٩) ، وابن ماجه ، حدث (١٢٧٥) ، والإمام أحمد في مستنه (٢٠/٣) ، حدث (١١١٦٦) ، وابن حبان في صحيحه (٥٤٠/١) ، حدث (٣٠٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٤/٦) ، حدث (١١٢٩٣) .

يعفى عنه حال السيان لعدم المؤاخذة، أما من رأه فإنه لا عذر له في ترك الإنكار عليه.

* * *

الإكثار من الاستحمام

س ١٦٧ : ما حكم الاستحمام في نهار رمضان أنت من مرءة؟ أو الملوس عند ملمس طوال الرقت وهذا الملمس يفرز رطوبة؟

الجواب : إن ذلك جائز وإنه لا بأس به، وقد كان الرسول عليه الصلة والسلام يصب على رأسه الماء من الحر أو من العطش وهو صائم (١٩٣)، وكان ابن عمر رضي الله عنهما ييل ثوبه وهو صائم بالماء لتخفيف شدة الحرارة أو العطش، والرطوبة لا تؤثر لأنها ليست ماء يصل المعدة.

* * *

إذا جامع الصائم زوجته وهي مكرهة

س ١٦٨ : إذا جامع الرجل زوجته في نهار الصوم، وقد أحضر الزوجة على ذلك علماً بأنهما لا يستطيعان الابتعاف ولا الصوم لأنهما يطلب المعونة فهل يلقي الإطعام وما مقداره ونوعه؟

الجواب : إذا أجبر الرجل زوجته على الجماع وهم صائمان فصوم المرأة صحيح وليس عليها كفارة.

أما الرجل فعليه الكفارة للجماع الذي حصل منه إن كان ذلك في نهار رمضان وهي عتق رقبة، فإذا لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإنطعام ستين مسكييناً لحديث أبي هريرة الثابت في «الصحيحين» وعليه

(١٩٣) رواه أبو داود ، كتاب : الصوم ، باب : الصائم يصب عليه الماء من العطش ، حديث (٢٣٦٥) ، والإمام أحمد في مسنده (٤٣٠/٥) ، حديث (٢٣٦٩٩) ، والحاكم في المستدرك (٥٩٧/١) ، حديث (١٥٧٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٤٢/٤) ، حديث (٧٩٣٩) ، والإمام مالك في الموطأ (٢٩٤/١) حديث (٦٥١) .

(١٩٤) القضاء»

* * *

حكم صيام من نام في عمله

س ١٦٩ : موظف يقول : انه نام أثنتين من مرة في الشركة أثناء العمل... ترك العمل هل يفسد صومه؟.

الجواب : صومه لا يفسد لأنه لا علاقة بين ترك العمل وبين الصوم، ولكن يجب على الإنسان الذي تولى عملاً أن يقوم بالعمل الذي وكل إليه لأنه يأخذ على هذا العمل جزاء، وراتبها، ويجب أن يكون عمله على الوجه الذي تبرأ به ذمته كما أنه يتطلب راتبه كاملاً.

* * *

تناول الحبوب

س ١٧٠ : يتعذر بعض النساء أخذ حبوب في رمضان لمنع الدورة الشهرية . الهضم . والرغبة في ذلك حتى لا تقضي فيما بعد ، فهل هنا هائز؟ وهل في ذلك قبرد حتى تعمل بها هؤلاء النساء؟.

الجواب : الذي أراه في هذه المسألة ألا تفعله المرأة وتبقى على ما قدره الله وكتبه على بنات آدم، فإن هذه الدورة الشهرية لله تعالى حكمة في إيجادها، هذه الحكمة تناسب طبيعة المرأة فإذا منعت هذه العادة فإنه لا شك يحدث منها فعل ضار على جسم المرأة، وقد قال النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(١٩٥) ، هذا بقطع النظر عما تسببه هذه الحبوب من أضرار على الرحم كما ذكر ذلك

(١٩٤) سبق تحريرجه برقم (١٦٥) .

(١٩٥) رواه ابن ماجه ، كتاب : الأحكام ، باب : من بنى في حقه ما يضر بجاره ، حدث (٢٣٤٠) ، والإمام أحمد في مسنده (٣١٣/١) ، حدث (٢٨٦٧) ، والإمام مالك في الموطأ (٧٤٥/٢) ، حدث (١٤٢٩) ، والحاكم في المستدرك (٦٦/٢) ، حدث (٢٣٤٥) وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه .

الأطباء، فالذى أرى في هذه المسألة أن النساء لا يستعملن هذه الحبوب، والحمد لله على قدره وعلى حكمته إذا أتتها الحيض تمسك عن الصوم والصلاه، وإذا طهرت تستأنف الصيام والصلاه وإذا انتهى رمضان تقضى ما فاتها من الصوم.

* * *

العامل والمرضع

س ١٧١ : مَاذَا عَلَى الْحَامِلِ أَوِ الْمَرْضِعِ إِذَا أَنْظَرَتَا فِي رَمَضَانَ ؟
وَمَاذَا يَكْفِي أَطْعَامُهُ مِنَ الدَّرْزِ ؟

الجواب : لا يحل للحامل أو المرضع أن تفترط في نهار رمضان إلا للعذر، فإن أفترطت للعذر وجب عليهما قضاء الصوم ؛ لقوله تعالى في المريض: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَذْلَةٌ مِّنْ أَيْكَامِ أُخَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٥].
وهما بمعنى المريض.

وإن كان عذرُهما الخوف على المولود فعليهما مع القضاء إطعام مسكين كل يوم، من البر أو الأرز أو التمر أو غيرهما من قوت الأدميين.

وقال بعض العلماء : ليس عليهم سوى القضاء على كل حال؛ لأنه ليس في إيجاب الإطعام دليل من الكتاب والسنة. والأصل براءة الذمة حتى يقوم الدليل على شغلها، وهذا مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - وهو قوي.

* * *

لَمْ تَقْضِ خَوْفًا عَلَى رَضِيعِهَا

س ١٧٢ : امرأة وضعفت في رمضان ولم تقضى بعد رمضان لخوفها على رضيعها، ثم حملت وأنجبت في رمضان القادم، هل يجوز لها أن توزع نقوشاً بدل الصوم؟.

الجواب : الواجب على المرأة أن تصوم بدل الأيام التي أفترطتها ولو بعد رمضان الثاني لأنها إنما تركت القضاء بين الأول والثاني للعذر، ولا أدرى هل

يشق عليها أن تقضى في زمن الشتاء يوماً بعد يوم، وإن كانت ترضع فإن الله يقويها ولا يؤثر ذلك عليها ولا على لبنها، فلتتحقق ما استطاعت على أن تقضى رمضان الذي مضى قبل أن يأتي رمضان الثاني، فإن لم يحصل لها فلا حرج عليها أن تؤخره إلى رمضان الثاني.

* * *

صوم سائقي الحافلات

س ١٧٣ : هل ينطبق حكم المسافر على سائقي السيارات والهاندلت لعملهم المتواصل خارج المدن في شهر رمضان؟.

الجواب : نعم ينطبق حكم السفر عليهم، فلهم القصر والجمع والفطر، فإذا قال قائل : «متى يصومون وعملهم متواصل؟» قلنا : «يصومون في أيام الشتاء لأنها أيام قصيرة وباردة» أما السائقون داخل المدن فليس لهم حكم المسافر ويجب عليهم الصوم.

* * *

صوم ما عليك من القضاء أو لا

س ١٧٤ : هل يجوز صيام ستة أيام من شوال قبل صيام قضاء رمضان؟ وهل يجوز صيام يوم الاثنين من شهر شوال بنية قضاء رمضان وبنية الحصول على أجر صيام يوم الاثنين؟

الجواب : صيام ستة أيام من شوال لا يحصل ثوابها إلا إذا كان الإنسان قد استكمل صيام شهر رمضان... فمن كان عليه قضاء من رمضان فإنه لا يصوم ستة أيام من شوال إلا بعد قضاء رمضان لأن النبي ﷺ يقول : «من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال...»^(١٩٦)

(١٦٠) رواه : مسلم ، كتاب : الصيام ، باب : استحباب صوم ستة أيام من شوال (١١٦٤) ، وأبو داود (٢٤٣٣) ، والترمذى (٧٥٩) ، وابن ماجه (١٧١٦) ، والإمام أحمد (٤١٧/٥) (٤١٧/٥) ، والدارمى =

وعلی هذا نقول ملن عليه قضاء صم القضاة أولاً، ثم صم ستة أيام من شوال... وإذا اتفق أن يكون صيام هذه الأيام الستة في يوم الاثنين أو الخميس، فإنه يحصل على أجر الاثنين بنية أجر الأيام الستة، وبنية أجر يوم الاثنين أو الخميس لقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى» ^(١٩٧)

* * *

طول الليل والنهار

س ١٧٥: في البلد الاستثنائية وما فوقها شمائلاً يعتذر المسلم سفلة الليل والنهار طولاً وقصراً إذ قد يستمر النهار ٢٢ ساعة والليل ساعتين، وفي فصل آخر العكس كما حصل لأهل السائلين عند ما رأى بهذه البلد في رمضان مساء، ويقول أيضاً بأنه قيل أن الليل في بعض المناطق سنة شهر والنهار مثله؟ فلما يقدر الصيام في مثل هذه البلد؟ وكيف يصوم أهلها المسلمين أو المقيمين فيها للعمل والدراسة؟

الجواب: الإشكال في هذه البلد ليس خاصاً بالصوم بل هو أيضاً شامل الصلاة، ولكن إذا كانت الدولة لها نهار وليل فإنه يجب العمل بمقتضى ذلك سواء طال النهار أو قصر، أما إذا كان ليس فيها ليل ولا نهار كالدوائر القطبية التي يكون فيها النهار ستة أشهر، أو الليل ستة أشهر فهو لاء يقدرون وقت صيامهم ووقت صلاتهم، ولكن على ماذا يقدرون؟.

قال بعض أهل العلم: يقدرون على أوقات مكة؛ لأن مكة هي أم القرى فجميع القرى تؤول إليها، لأن «الأم» هي الشيء الذي يقتدى به كالأمام مثلاً كما قال الشاعر:

على رأسه أم له تقتدي بها

= (٣٤/٢)، حديث (١٧٥٤)، وابن حبان في صحيحه (٣٩٧/٨)، حديث (٣٦٣٤) .
 (١٩٧) - سبق تخرجه ، برقم (١٥١).

وقال آخرون: بل يعتبرون في تلك البلاد الوسط، فيقدرون الليل اثنتي عشرة ساعة ويقدرون النهار اثنتي عشرة ساعة لأن هذا هو الزمن المعتمد في الليل والنهار.

وقال بعض أهل العلم: أنهم يعتبرون أقرب بلاد إليهم يكون لها ليل ونهار منتظم، وهذا القول أرجح، لأن أقرب البلاد إليهم هي أحق ما يتبعون وهي أقرب إلى مناخهم من الناحية الجغرافية، وعلى هذا فلينظرون إلى أقرب البلاد إليهم ليلاً ونهاراً فيقيدون به سواء في الصيام أو في الصلاة.

* * * بلاد يتأخر فيها الغروب

س ١٧٦: نحن في بلاد لا تغرب الشمس فيها إلا الساعة التاسعة والنصف مساء أو العاشرة مساء فمتى نفطر؟.

الجواب: تفطرون إذا غربت الشمس، فما دام لديكم ليل ونهار في ساعة فيجب عليكم الصوم ولو طال النهار.

* * * بركة السحور

س ١٧٧: يقرئ الرسول ﷺ: «تسهروا فإن في السهر بركة» (١٩٨) فما المقصود ببركة السهر؟.

الجواب: بركة السحور المراد بها البركة الشرعية والبركة البدنية، أما البركة الشرعية فمنها امتناع أمر الرسول ﷺ والاقتداء به، وأما البركة البدنية فمنها تغذية البدن وقوته على الصوم.

(١٩٨) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : بركة السحور ، حديث (١٩٢٣) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : فضل السحور وتأكيد استحباته ، حديث (١٠٩٥) ، والترمذى ، حديث (٧٠٨) ، والنمسائى ، حديث (٢١٤٤) ، وابن ماجه ، حديث (١٦٩٢) ، والإمام أحمد في مسنده (٣٧٧/٢) ، حديث (٨٨٨٥) .

الصغير لا يجب عليه الصيام ولكن يؤمر به

س ١٧٨ : طفل الصغير يصر على صيام رمضان رغم أن الصيام يضره لصغر سنّه واعتلال صحته، فهل استخدم معه القسوة ليطرّه؟

الجواب : إذا كان صغيراً لم يبلغ فإنه لا يلزم الصوم، ولكن إذا كان يستطيعه دون مشقة فإنه يؤمر به. وكان الصحابة يصومون أولادهم^(١٩٩) ، حتى أن الصغير منهم يبكي فيعطيونه اللعب يتلهى بها، ولكن إذا ثبت أن هذا يضره فإنه يمنع منه، وإذا كان الله منعنا عن إعطاء الصغار أموالهم خوفاً من الإفساد بها، فإن خوف إضرار الأبدان من باب أولى أن يمنعهم منه، ولكن المنع يكون عن غير طريق القسوة فإنه لا تبغي في معاملة الأولاد عند تربيتهم.

* * *

أفطر على إعلان المذيع

س ١٧٩ : في أحد أيام رمضان أعلنت المذيع في الإذاعة أن آذان المغرب بعد دقيقتين وفي اللحظة نفسها أذن المؤذن الهبي فماهما أولى بالاتباع؟

الجواب : إذا كان المؤذن يؤذن عن مشاهدة الشمس وهو ثقة فإننا نتبع المؤذن لأنه يؤذن عن واقع محسوس وهو مشاهدته غروب الشمس. أما إذا كان يؤذن على ساعة ولا يرى الشمس فالغالب على الظن أن إعلان المذيع هو أقرب للصواب؛ لأن الساعات تختلف واتباع المذيع أولى وأسلم.

* * *

(١٩٩) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : صوم الصبيان ، حديث (١٩٦٠) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : من أكل في عشوراء فليكف بقية يومه ، حديث (١١٣٦) ، وابن حبان في صحيحه (٣٨٥/٨) ، حديث (٣٦٢٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى ، (٤/٢٨٨) ، حديث (٨١٩١) ، والطبراني في المعجم الكبير ، (٢٤٥/٢٧٥) ، حديث (٧٠٠) .

صوم الوصال

س ١٨٠ : ما هو الوصال وهل هو سنة؟

الجواب : صوم الوصال: أن لا يفطر الإنسان في يومين فيواصل الصيام يومين متتالين وقد نهى النبي ﷺ عنه وقال: «من أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر» ^(٢٠٠). والمواصلة للسحر من باب الجائز وليس من باب المشروع، والرسول ﷺ حث على تعجيل الفطر، وقال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» ^(٢٠١) ، لكنه أباح لهم أن يواصلوا إلى السحر فقط، فلما قالوا: يا رسول الله إنك تواصل، فقال: «إني لست كهيتكم» ^(٢٠٢).

* * *

حكم ما يسمى بعشاء الوالدين

س ١٨١ : هناك من يولم في رمضان ويندبح ذبيحة ويقول عنها عشاء الوالدين... ما حلّ بها؟

الجواب : الصدقة للوالدين الأموات جائزة ولا بأس بها، ولكن الدعاء لهما أفضل من الصدقة لهما، لأن هذا هو الذي أرشد إليه النبي ﷺ ووجه إليه في قوله: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه» ^(٢٠٣) ، ولم يقل ولد صالح يتصدق عنه، أو يصلى

(٢٠٠) رواه البخاري بنحوه ، كتاب : الصوم ، باب : الوصال ومن قال ليس في الليل صيام ، حديث (١٩٦٣) ، وأبو داود ، حديث (٢٣٦١) ، وأبو داود ، حديث (٢٣٦١) ، والإمام أحمد في مسنده (٣/٨) ، حديث (١١٠٧٠) ، والدارمي (١٥/٢) ، حديث (١٧٠٥) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٢٨٢) ، حديث (٨١٦٢) .

(٢٠١) رواه : البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : تعجيل الإفطار ، حديث (١٩٥٧) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : فضل السحور وتأكيد استحبابه ، حديث (١٠٩٨) ، والترمذى ، حديث (٦٩٩) ، وابن ماجه ، حديث (١٦٩٨) ، والإمام أحمد في مسنده (٣٣١/٥) ، حديث (٢٢٨٥٦) ، والإمام مالك في الموطأ (١/٢٨٨) ، حديث (٦٣٤) .

(٢٠٢) سبق تخرجه ، برقم (٢٠٠) .

(٢٠٣) رواه : مسلم ، كتاب : الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من التواب بعد وفاته ، حديث (١٦٣١) =

له ولكن مع ذلك لو تصدق عن ميته لأجزاء، لأن النبي ﷺ سُئل عن ذلك فأجازه.

لكن ما يفعله بعض الناس في ليالي رمضان من الذبح والولائم الكثيرة والتي لا يحضرها إلا الأغنياء فإن هذا ليس مشروع وليس من عمل السلف الصالح، فينبغي إلا يفعله الإنسان لأنه في الحقيقة ليس إلا مجرد ولائم يحضرها الناس يجلسون إليها، على أن البعض منهم يتقرب إلى الله تعالى بذبح هذه الذبيحة ويرى أن الذبح أفضل من شراء اللحم، وهذه مسألة خلاف الشرع، لأن الذبائح التي يتقرب بها إلى الله هي الأضحى والهدايا والعقائد، فالتقرب إلى الله بالذبح في رمضان ليس من السنة.

* * *

الاعتكاف وشروطه

س ١٨٦ : هل الاعتكاف في شهر رمضان سنة مؤكدة؟ وما شروطه في غير رمضان؟

الجواب : الاعتكاف في رمضان سنة، فعله النبي ﷺ في حياته واعتكف أزواجه من بعده، وحکى أهل العلم إجماع العلماء على أنه مسنون، ولكن الاعتكاف ينبغي أن يكون على الوجه الذي من أجله شرع وهو أن يلزم الإنسان مسجداً لطاعة الله بحيث يتفرغ من أعمال الدنيا إلى طاعة الله بعيداً عن شؤون دنياه، ويقوم بأنواع الطاعة من صلاة وذكر وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ يعتكف ترقباً للليلة القدر، والمعتكف يبعد عن أعمال الدنيا فلا يبيع ولا يستري ولا يخرج من المسجد ولا يتبع جنازة ولا يعود مريضاً، وأما ما يفعله بعض الناس من كونهم يعتكرون ثم يأتي إليهم الزوار أثناء الليل وأطراف النهار، وقد يخلل ذلك أحاديث محرمة فذلك مناف لمقصود الاعتكاف.

ولكن إذا زاره أحد من أهله وتحدث عنده فذلك لا بأس به فقد ورد عن النبي ﷺ أنه زارتة صافية وهو معتكف فتحدثت عنده ^(٢٠٤). المهم أن يجعل الإنسان اعتكافه تقرباً إلى الله .

* * *

النسك وأنواعه

س ١٨٧ : نرد أن نعرف ما هو النسك وعلى ماذا يدور؟

الجواب : النسك يطلق ثلاثة إطلاقات:

* فتارةً يراد به العبادة عموماً.

(٢٠٤) رواه : البخاري ، كتاب : الاعتكاف ، باب : زيارة المرأة زوجها في اعتكافه ، حديث (٢٠٣٨) ، ومسلم ، كتاب : السلام ، باب : بيان أنه يستحب لمن رأى خالياً بأمرأة وكانت زوجته ، حديث (٢١٢٥) ، وأبو داود ، حديث (٢٤٧٠) ، وابن ماجه ، حديث (١٧٧٩).

* وтارةً يراد به التقرب إلى الله تعالى بالذبح.

* وтارةً يراد به أفعال الحج وأقواله.

فالأول كقولهم: فلان ناسك، أي عابد لله.

والثاني: كقوله تعالى: ﴿فَلْئَمَّا صَلَّيْتِ وَشَكَّيْتِ وَحَمِيَّتِ وَمَعَافِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لَا شَرِيكَ لِلَّهِ وَيَدِلَّكَ أَمْرُتُ وَإِنَّا أَوْلُ الْمُشَاهِدِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ويكن أن يراد بالنسك هنا: التعبد، فيكون من المعنى الأول.

والثالث: كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذَكِيرَةً مَآبَكَهُ كُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]. هذا هو معنى النسك، وهذا الأخير هو الذي يخص شعائر الحج.

والنسك المراد به الحج نوعان: نسك العمرة، ونسك الحج.

أما نسك العمرة: فهو ما اشتمل على هيئتها من الأركان، والواجبات، والمستحبات، بأن يحرم من الميقات، ويطوف بالبيت، ويصعد إلى الصفا والمروة، ويحلق أو يقص.

وأما الحج: فهو أن يحرم من الميقات، أو من مكة إن كان بمكة، ويخرج من منى ثم إلى عرفة، ثم إلى مزدلفة، ثم إلى منى مرة ثانية، ويطوف ويسعى، ويكمel أفعال الحج على ما سئل ذكر إن شاء الله تعالى تفصيلاً.

حكم الحج

س ١٨٤ : هنا هو تعریف الصبح والعمرۃ، فما هو حکم الصبح؟.

الجواب : الحج فرض بإجماع المسلمين . أي : بالكتاب والسنۃ وإجماع المسلمين . وهو أحد أركان الإسلام ، لقوله تعالى : ﴿وَلِلّٰهِ عَلٰى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِ الْكُفَّارِ عَنِ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ٩٧] . وقال النبي ﷺ : «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا» ^(٢٠٥) ، وقال النبي ﷺ : «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكوة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام» ^(٢٠٦) ، فمن أنكر فريضة الحج فهو كافر مرتد عن الإسلام ، إلا أن يكون جاهلاً بذلك ، وهو مما يمكن جهله أو مما يمكن جهله به ، ك الحديث عهد بإسلام ، وناشئ في بادية بعيدة ، لا يعرف من أحكام الإسلام شيئاً ، فهذا يعذر بجهله ، ويعرف ، ويبين له الحكم ، فإن أصر على إنكاره حکم بردته .

وأما من تركه . أي الحج . متهاوناً مع اعترافه بشرعيته ، فهذا لا يكفر ، ولكنه على خطأ عظيم ، وقد قال بعض أهل العلم بکفره .

* * *

(٢٠٥) رواه : مسلم ، كتاب : الحج ، باب : فرض الحج مرة في العمر ، حديث (١٣٣٧) ، والنسائي ، حديث (٢٦١٩) ، وأحمد في مستنته (٥٠٨/٢) حديث (١٠٦١٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٩/٤) حديث (٢٥٠٨) ، وابن حبان في صحيحه (١٨/٩) ، حديث (٣٧٠٤) .

(٢٠٦) سبق تخریجه ، برقم (١٥٧) .

حكم العمرة

س ١٨٥ : ما حكم العمرة؟

الجواب: أما العمرة فقد اختلف العلماء في وجوبها، فمنهم من قال: إنها واجبة، ومنهم من قال: إنها سنةٌ ومنهم من فرق بين المكي وغيره. فقال: واجبة على غير المكي، غير واجبة على المكي.

والراجح عندي: أنها واجبة على المكي وغيره، لكن وجوبها أصغر من وجوب الحج، لأن وجوب الحج فرض مؤكّد، لأن الحج أحد أركان الإسلام بخلاف العمرة.

* * *

وجوب الحج على الفور أم على التراخي؟

س ١٨٦ : دهربت الصبح هل هو على الفور، أم على التراخي؟

الجواب: الصحيح أنه واجب على الفور، وأنه لا يجوز للإنسان الذي استطاع أن يحج بيت الله الحرام أن يؤخره، وهكذا جميع الواجبات الشرعية، إذا لم تقيّد بزمن أو سبب، فإنها واجبة على الفور.

* * *

شروط وجوب الحج والعمرة

س ١٨٧ : نود أن نعرف شروط دهربت الصبح والعمرة؟

الجواب: شروط وجوب الحج والعمرة خمسة، مجموعه في قول الناظم:
الحج والعمرة واجبان بشرط إسلامك يا حديثة

فيشترط للواجب:

أولاً . الإسلام: فغير المسلم لا يجب عليه الحج، بل ولا يصح منه لو

حج ، بل ولا يجوز دخوله مكة ، لقوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبه: ٢٨]. فلا يحل لمن كان كافراً بأي سبب كان كفره، لا يحل له دخول حرم مكة. ولكن يحاسب الكافر على ترك الحج وغيره من فروع الإسلام على القول الراجح من أقوال أهل العلم، لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا أَضَحَّبَ الْيَتَيْنَ ٢٩٦ فِي جَنَّتِ يَسَاءَ لُونَ ٢٩٧ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٢٩٨ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَرَّ ٢٩٩ قَاتُلُوا لَزَانُكُمْ مِنَ الْمُصَلِّيَنَ ٣٠٠ وَلَوْلَكُمْ نُطِعْمُ الْأَسْكِينَ ٣٠١ وَكُنَّا نَخْوُضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ ٣٠٢ وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ ٣٠٣ حَتَّى أَتَنَا الْيَقِينَ﴾ [المذر: ٤٧-٣٩].

الشرط الثاني . العقل : فالجنون لا يجب عليه الحج، ولو كان الإنسان مجنوناً من قبل أن يبلغ حتى مات، فإنه لا يجب عليه الحج ولو كان غبياً.

الثالث . البلوغ : فمن كان دون البلوغ فإن الحج لا يجب عليه، ولكن لو حج، فحججه صحيح، إلا أنه لا يجزئه عن فريضة الإسلام، لقول النبي ﷺ للمرأة التي رفعت إليه صبياً، وقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم، ولك أجر» (٢٠٧)، لكنه لا يجزئه عن فريضة الإسلام، لأنه لم يوجه إليه الأمر بها حتى يجزئه عنه؛ إذ لا يتوجه الأمر إليه إلا بعد بلوغه.

ولهذه المناسبة أحب أن أقول: إنه في مثل المواسم التي يكثر فيها الزحام، ويشق فيها الإحرام على الصغار، ولرعاة إتمام مناسكهم، فالأولى ألا يُحرموا لا بحج، ولا بعمره - أعني هؤلاء الصغار - لأنه يكون فيه مشقة عليهم وعلى أولياء أمورهم، وربما شغلوهم عن إتمام نسكهم، أي ربما شغل الأولاد آباءهم أو أمهاتهم عن إتمام نسكهم، فبقوا في حرج، وما دام الحج لم يجب

(٢٠٧) رواه : مسلم ، كتاب : الحج ، باب : صحة حج الصبي وأجر من حج به ، حديث (١٣٣٦) ، وأبو داود ، حديث (١٧٣٦) ، والترمذى ، حديث (٩٢٤) ، والنمسائى ، حديث (٢٦٤٥) ، وابن ماجه ، حديث (٢٩١٠) ، وأحمد في مستنه (٢٤٤/١) ، حديث (٢١٨٧) ، ومالك في الموطأ (٤٢٢/١) ، حديث (٩٤٣) .

عليهم، فإنهم في سعة من أمرهم.

الرابع . الحرية: فالrique الملوك لا يجب عليه الحج، لأنه ملوك مشغول بسيده، فهو معدور بترك الحج، لا يستطيع السبيل إليه.

الخامس . القدرة على الحج بالمال والبدن: فإن كان الإنسان قادرًا بماله دون بدن، فإنه ينibe من يحج عنه، لحديث ابن عباس رضي الله عنهم: أن امرأة خشومية سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبي أدركه فريضة الله على عباده في الحج، شيئاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، فأفْحِجْ عنه؟. قال: «نعم» (٢٠٨)، وذلك في حجة الوداع، ففي قولها: أدركه فريضة الله على عباده في الحج، وإقرار النبي ﷺ في ذلك، دليل على أن من كان قادرًا بماله دون بدن، فإنه يجب عليه أن يقيم من يحج عنه.

أما إن كان قادرًا ببنده دون ماله، ولا يستطيع الوصول إلى مكة ببنده، فإن الحج لا يجب عليه.

ومن القدرة: أن تجد المرأة محرماً لها، فإن لم تجد محرماً، فإن الحج لا يجب عليها، لكن اختلف العلماء: هل يجب عليها في هذه الحال أن تقىم من يحج عنها أو يعتمر؟. أو لا يجب؟. على قولين لأهل العلم، بناء على أن وجود المحرم هو شرط لوجوب الأداء، أو هو شرط للوجوب من أصله، والمشهور عند الخاتمة - رحمهم الله - أن المحرم شرط للوجوب، وأن المرأة التي لا تجد محرماً ليس عليها حج ولا يلزمها أن تقىم من يحج عنها.

فهذه شروط خمسة لوجوب الحج، أعيدها فأقول: هي الإسلام، والعقل، والبلوغ، والحرية، والاستطاعة، وهذه الشروط تشمل الحج والعمرة معاً.

(٢٠٨) رواه : البخاري ، كتاب : الحج ، باب : الحج عن لا يستطيع الثبوت على الراحلة ، حديث (١٨٥٤) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما ، حديث (١٣٣٤) ، وأبو داود ، حديث (١٨٠٩) ، والترمذى ، حديث (٩٢٨) ، والنمسائى ، حديث (٢٦٤٢) ، وأحمد في مسنده (٣٢٩/١) ، حديث (٣٠٥٠) .

شروط الإجزاء في أداء الحج والعمرة

س ١٨٨ : ما دمنا عرفنا شروط الرجوب للحج والعمرة نود أن نعرف شروط الإجزاء؟.

الجواب : شروط الإجزاء: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية عند بعض أهل العلم. والصواب: أن الحرية ليست شرطاً للإجزاء، وأن الرقيق لو حج فإن حجه يجزئه إذا كان سيده قد أذن له، لأن سقوط الوجوب عن العبد ليس لمعنى فيه، ولكن لوجود مانع، وهو انشغاله بخدمة سيده، فإذا أذن له سيده بذلك، صار الحج واجباً عليه ومجزئاً.

* * *

آداب السفر للحج

س ١٨٩ : حبذا لو أشرتم ولو بياتارات سريعة إلى أبرز آداب السفر إلى الصعيد؟.

الجواب : آداب الحج تنقسم إلى قسمين: آداب واجبة، وآداب مستحبة. فأما الآداب الواجبة: فهي أن يقوم الإنسان بواجبات الحج وأركانه، وأن يتتجنب محظورات الإحرام الخاصة والمحظورات العامة، المتنوعة في الإحرام وفي غير الإحرام، لقوله تعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهَا الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَارًا فِي الْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأما الآداب المستحبة في سفر الحج: فهي أن يقوم الإنسان بكل ما ينبغي له أن يقوم به ؛ من الكرم بالنفس والمال والجاه، وخدمة إخوانه وتحمل أذاهم، والكف عن مساوئهم، والإحسان إليهم، سواء كان ذلك بعد تلبسه بالإحرام، أو قبل تلبسه بالإحرام، لأن هذه آداب عالية فاضلة، تطلب من كل مؤمن في كل زمان ومكان، وكذلك الآداب المستحبة في نفس فعل العبادة كأن يأتي الإنسان بالحج على الوجه الأكمل، فيحرص على تكميله بفعل مستحباته

القولية والفعلية، التي ربما يتمنى لنا الكلام عليها إن شاء الله تعالى في أسئلة أخرى.

* * *

كيف يستعد المسلم للحج والعمرة؟

س ١٩٠ : نود أن نعرف ما ينبغي أن يستعد به المسلم لحجه سواءً كانت قبل السفر أو في أثناء السفر؟

الجواب : الذي ينبغي أن يستعد به المسلم في حجه و عمرته ،أن يتزود بكل ما يمكن أن يحتاج إليه في سفره ، من المال ، والثياب ، والعتاد وغير ذلك ، لأنه ربما يحتاج إليه في نفسه أو يحتاجه أحد من رفقاءه ، وأن يتزود كذلك بالقوى وهي اتخاذ الوقاية من عذاب الله ، بفعل أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ، لقول الله تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرَّازِدِينَ الْقَوَىٰ وَأَنَّقُونَ يَتَأْوِلُ إِلَّا لَبَّىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] . وما أكثر ما نجد من الحاجة في الأسفار ، حيث يحتاج الإنسان إلى أشياء يظنها بسيطة ، أو يظنها هينة ، فلا يستصحبها معه في سفره ، فإذا به يحتاج إليها ، أو يحتاج إليها أحد من رفقاءه ، فليكن الإنسان حازماً شهماً مستعداً لما يتوقع أن يكون وإن كان بعيداً.

* * *

الاستعداد بالقوى

س ١٩١ : لِكُنْ أَلِيسْ هُنَاكَ استعداد معنوي غير الاستعداد المادي؟

الجواب : الاستعداد المعنوي هو ما أشرت إليه من القوى ، فإن القوى استعداد معنوي ، يستعد بها الإنسان في قراره نفسه ، للقاء الله تعالى ولليوم الآخر ، فيحرص على أن يقوم بما أوجب الله عليه ويدع ما حرم الله عليه.

* * *

بيان مواقيت الحج الزمانية

س ١٩٦ : بالنسبة للمواقيت ما هي مواقيت الحج الزمانية؟

الجواب : مواقيت الحج الزمانية تبتدئ بدخول شهر شوال، وتنتهي إما بعشر من ذي الحجة، أي يوم العيد، أو بآخر يوم من شهر ذي الحجة، وهو القول الراجح، لقوله تعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وأشهر جموع، والأصل في الجمع أن يراد به حقيقة، ومعنى هذا الزمن، أن الحج يقع في خلال هذه الأشهر الثلاثة، وليس يُفعل في أي يوم منها، فإن الحج له أيام معلومة، إلا أن نسك الطواف والسعى إذا قلنا بأن شهر ذي الحجة كله وقت للحج، فإنه يجوز للإنسان أن يؤخر طواف الإفاضة وسعى الحج إلى آخر يوم من شهر ذي الحجة، ولا يجوز له أن يؤخرهما عن ذلك، اللهم إلا لعذر، كما لو نفست المرأة قبل طواف الإفاضة، وبقي النفاس عليها حتى خرج ذي الحجة، فهي إذا معدورة في تأخير طواف الإفاضة. هذه هي المواقت الزمانية في الحج.

أما العمرة فليس لها ميقات زمني، تُفعل في أي يوم من أيام السنة، لكنها في رمضان تعدل حجة^(٢٠٩) ، وفي أشهر الحج اعتمرت النبي ﷺ كل عمره، فعمره الحديبية كانت في ذي القعدة، وعمره القضاء كانت في ذي القعدة، وعمره الجعرانة كانت في ذي القعدة، وعمره الحج كانت أيضاً مع الحج في ذي القعدة، وهذا يدل على أن العمرة في أشهر الحج لها مزية وفضل، لاختيار النبي ﷺ هذه الأشهر لها.



(٢٠٩) رواه : البخاري ، كتاب : الحج ، باب : عمرة في رمضان ، حديث (١٧٨٢) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : فضل العمرة في رمضان ، حديث (١٢٥٦) ، وأبو داود ، حديث (١٩٨٨) ، والترمذى ، حديث (٩٣٩) ، وابن ماجه ، حديث (٢٩٩٣) ، وأحمد في مسنده (٢٢٩/١) حديث (٢٠٢٥) ، والدارمي في سننه (٧٣/٢) حديث (١٨٥٩) .

حكم الإحرام بالحج قبل دخول موافقته الزمانية

س ١٩٢ : لَكُنْ مَا حَلَمَ الْإِحْرَامُ بِالْحَجَّ قَبْلَ دُخُولِ هَذِهِ
المواقعات الزمانية؟.

الجواب : اختلف العلماء - رحمهم الله - في الإحرام بالحج قبل دخول أشهر الحج، فمن العلماء من قال إن الحج قبل أشهره ينعقد ويبيقى محرماً بالحج، إلا أنه يكره أن يحرم بالحج قبل دخول أشهره.

ومن العلماء من قال : إن من يحرم بالحج قبل أشهره، فإنه لا ينعقد، ويكون عمرة، أي يتحول إلى عمرة، لأن العمرة كما قال النبي ﷺ: «دخلت في الحج» (٢١٠) وسمها النبي ﷺ الحج الأصغر، كما في حديث عمرو بن حزم المرسل المشهور، الذي تلقاه الناس بالقبول.

* * *

بيان مواعيit الحج المكانية

س ١٩٤ : عَرَفْنَا مواعيit الحج الزمانية، ونريد أن نعرف مواعيit
الحج المكانية؟.

الجواب : المواعيit المكانية خمسة: وهي ذو الحليفة، والجحفة، ويلملم، وقرآن المنازل، وذات عرق.

أما ذو الحليفة: فهي المكان المسمى الآن بأيار علي، وهي قرية من المدينة، وتبعد عن مكة بنحو عشر مراحل، وهي أبعد المواعيit عن مكة، وهي لأهل المدينة، ولمن مر بها من غير أهل المدينة.

وأما الجحفة: فهي قرية قديمة في طريق أهل الشام إلى مكة، وبينها وبين

(٢١٠) رواه : مسلم ، كتاب : الحج ، باب : جواز العمرة في أشهر الحج ، حديث (١٢٤١) ، وأبو داود حدث (١٧٩٠) ، والنسائي ، حديث (٢٨١٥) ، وأحمد في مسنده (٢٣٦/١) ، حديث (٢١١٥) ، والدارمي في سنته (٧٢/٢) حديث (١٨٥٦) .

مكة نحو ثلاثة مراحل، وقد خربت القرية، وصار الناس يحرمون بدلاً منها من رابع.

وأما يَلْمِلَمْ: فهم جبل أو مكان في طريق أهل اليمن إلى مكة، ويسمى اليوم: السعدية، وبينه وبين مكة نحو مرحلتين.

وأما قرن المنازل: فهو جبل في طريق أهل نجد إلى مكة، ويسمى الآن: السيل الكبير، وبينه وبين مكة نحو مرحلتين.

وأما ذات عرق: فهو مكان في طريق أهل العراق إلى مكة، وبينه وبين مكة نحو مرحلتين أيضاً.

فاما الأربعه الأولى: وهي ذو الخليفة، والجحافة، ويلقلم، وقرن المنازل، فقد وقّها النبي ﷺ، وأما ذاتُ عرق، فقد وقّتها النبي ﷺ كما رواه أهل السنن من حديث عائشة رضي الله عنها، وصح عن عمر أنه وقتها لأهل الكوفة والبصرة حين جاءوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن النبي ﷺ وقت لأهل نجد قرنا، وإنها جور عن طريقنا، فقال عمر: انظروا إلى حدودها من طريقكم (٣١١).

وعلى كل حال، فإن ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ فالأمر ظاهر، وإن لم يثبت فإن هذا ثبت بسنة عمر بن الخطاب، وهو أحد الخلفاء الراشدين المهدىين الذين أمرنا باتباعهم، والذي جرت موافقاته لحكم الله في عدة موضع، ومنها هذا إذ صرحت النبي ﷺ أنه وقها، وهو أيضاً مقتضى القياس، فإن الإنسان إذا مر بيقات لزمه الإحرام منه، فإذا حاذاه صار كالمار به، وفي أثر عمر فائدة عظيمة في وقتنا هذا، وهو أن الإنسان إذا كان قدماً إلى مكة بالطائرة يريد الحج أو العمرة، فإنه يلزمـه إذا حاذى بيقات من فوقه أن يحرم منه عند محاذاته، ولا يحل له تأخير الإحرام إلى أن يصل إلى جده كما يفعله كثير من الناس، فإن

(٢١) رواه : البخاري ، كتاب : الحج ، باب : ذات عرق لأهل العراق ، حديث (١٥٣١) ، والبيهقي في الكبير (٢٧٥) حدث (٨٦٩٥) .

المحاذاة لا فرق أن تكون في البر، أو في الجو، أو في البحر، ولهذا يُحرم أهل البوارِ التي تمرُّ من طريق البحر فتحاذِي يلملم أو رابغاً، يحرمون إذا حاذوا هذين الميقاتين.

* * *

حكم الإحرام بالحج قبل المواقت المكانية

س ١٩٥ : ما حكم الإحرام قبل هذه المواقت المكانية؟

الجواب : الإحرام قبل هذه المواقت المكانية مكروه، لأن النبي ﷺ وقَتها، وكون الإنسان يحرم قبل أن يصل إليها فيها شيء من تقدم حدود الله ، ولهذا قال النبي : «لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين إلا رجلٌ كان يصوم صوماً فليصمه» (٢١٢)، وهذا يدل على أنه ينبغي لنا أن نتقيد بما وفَّته الشرع في الحدود الزمانية والمكانية، ولكنه إذا أحرم قبل أن يصل إليها فإن إحرامه ينعقد.

وهنا مسألة أحب أن أنبئها عليها، وهي أن الرسول ﷺ لما وقَّت هذه المواقت قال : «هن لهن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن، من يرید الحج أو العمرة» (٢١٣) فمن كان من أهل نجد فمر بالمدينة فإنه يحرم من «ذو الخليفة».

ومن كان من أهل الشام، ومر بالمدينة، فإنه يحرم من «ذو الخليفة»، ولا يحل له أن يتضرر حتى يصل إلى ميقات الشام الأصلي على القول الراجح من قوله أهل العلم.

* * *

(٢١٢) رواه : مسلم ، كتاب : الصيام ، باب : لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين ، حديث (١٠٨٢) ، والنسائي ، حديث (٢١٧٢) ، وابن حبان في صحيحه ، حديث (٢٦٥٠) ، وأحمد في مستنته (٢/ ٢٣٤) حديث (٧١٩٩) ، (٣٥٨/٨) ، والنسائي في الكبرى (٨٦/٢) حديث (٢٥٠٠) .

(٢١٣) رواه : البخاري ، كتاب : الحج ، باب : مهل من كان دون المواقت ، حديث (١٥٢٩) ، ومسلم كتاب : الحج ، باب : مواقت الحج والعمرة ، حديث (١١٨١) ، وأبو داود ، حديث (١٧٣٧) ، والنسائي ، حديث (٢٦٥٤) ، وأحمد في مستنه (٢٤٩/١) حديث (٢٤٤٠) .

حكم من تجاوز الميقات بدون إحرام

س ١٩٦ : نوّد أن نعرف هلّم من تجاوز الميقات بدون اصرام؟.

الجواب: من تجاوز الميقات بدون إحرام فلا يخلو من حالين: إما أن يكون مریداً للحج أو العمرة، فحيثئذ يلزمه أن يرجع إليه ليحرم منه بما أراد من النسك، الحج أو العمرة، فإن لم يفعل فقد ترك واجبنا من واجبات النسك، وعليه عند أهل العلم فدية، دم يذبحه في مكة، ويوزعه على الفقراء هناك.

وأما إذا تجاوزه وهو لا يريد الحج ولا العمرة، فإنه لا شيء عليه، سواء طالت مدة غيابه عن مكة أم قصرت، وذلك لأننا لو أزلمناه بالإحرام من الميقات في منظوره هذا، لكان الحج يجب عليه أكثر من مرة أو العمرة، وقد ثبت عن النبي ص أن الحج لا يجب في العمر إلا مرة، وأن ما زاد فهو تطوع، وهذا هو القول الراجح من أقوال أهل العلم في من تجاوز الميقات بغير إحرام، أي أنه إذا كان لا يريد الحج ولا العمرة، فليس عليه شيء، ولا يلزمته الإحرام من الميقات.

三

الفرق بين الإحرام كواجب والإحرام كركن

س ١٩٧ : ما الفرق بين الاحرام كواحب ، والاحرام كرکن من
أركان الصبح؟

الجواب: الإحرام كواجب معناه: أن يقع الإحرام من الميقات، والإحرام كركن معناه أن ينوي النسك.

فمثلاً إذا نوى النسك بعد مجاوزة الميقات، بعد وجوب الإحرام منه، فهذا ترك واجباً، وأتى بركن وهو الإحرام، وإذا أحرم من الميقات، فقد أتى بالواجب والركن، لأن الركن هو نية الدخول في النسك، وأما الواجب فهو أن يكون الإحرام من الميقات هذا هو الفرق بينهما.

三

حكم التلفظ بالنية عند الإحرام

س ١٩٨ : لكن نية المخول في النسك، هل هي التي يتلفظ بها في التلبية؟

الجواب : التلبية أن يقول : ليك عمرة إذا كان في عمرة، وليك حجّا إذا كان حجّ. أما النية فلا يجوز التلفظ بها، فلا يقول مثلاً : اللهم إني أريد العمرة، أو أريد الحجّ، فهذا لم يرد عن النبي ﷺ .

* * *

كيفية إحرام القادم إلى مكة جواً

س ١٩٩ : نوّة أيضاً أن تبين لنا كيفية إحرام القادم إلى مكة جواً.

الجواب : إحرام القادم إلى مكة جواً هو كما أسلفنا من قبل، يجب عليه إذا حاذى الميقات أن يحرم، وعلى هذا فيتاهم أولًا بالاغتسال في بيته، ثم يلبس الإحرام قبل أن يصل إلى الميقات، ومن حين أن يصل إلى الميقات ينوي الدخول في النسك، ولا يتأخر لأن الطائرة مؤهاً سريع، فالدقيقة يمكن أن تقطع بها مسافات كثيرة، وهذا أمر يغفل عنه بعض الناس، تجد بعض الناس لا يتاهم، فإذا أعلن موظف الطائرة بأنهم وصلوا الميقات، ذهب يخلع ثيابه ويلبس ثياب الإحرام، وهذا تقصير جداً، على أن الموظفين في الطائرة فيما يبدوا ينبهون الناس قبل أن يصلوا إلى الميقات بربع ساعة أو نحوها، وهذا عمل يشكون عليه، لأنهم إذا نبهوهم قبل هذه المدة، جعلوا لهم فرصة في تغيير ثيابهم وتأهفهم، ولكن في هذه الحال، ينبغي بل يجب على من أراد الإحرام أن يتبعه للوقت فإذا أعلن موظف الطائرة أنه قد بقي ربع ساعة، فلينظر إلى ساعته، حتى إذا مضى هذا الجزء الذي هو ربع الساعة أو قبله بدققتين أو ثلاثة، لبى بما يُرده من النسك.

* * *

صفة الحج

س ٢٠٠ : حبّذا لو بَيَّنْتُمْ لِنَا صَفَةَ الْحَجَّ؟

الجواب : نذكر هنا صفة الحج على سبيل الإجمال والاختصار فنقول : إذا أراد الإنسان الحج أو العمرة ، فتوجه إلى مكة في أشهر الحج ، فإن الأفضل أن يحرم بالعمرة أولاً ليصير ممتنعاً ، فيحرم من المیقات بالعمرة ، وعند الإحرام يغتسل كما يغتسل من الجنابة ، ويتطيب في رأسه ولحيته ، ويلبس ثياب الإحرام ، ويحرم عقب صلاة فريضة ، إن كان وقتها حاضراً ، أو نافلة ينوي بها سنة الوضوء ، لأنه ليس للإحرام نافلة معينة ، إذ لم يرد ذلك عن النبي ﷺ ، ثم يلبى فيقول : لبيك اللهم عمرة ، لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . ولا يزال يلبي حتى يصل إلى مكة .

فإذا شرع في الطواف ، قطع التلبية ، فيبدأ بالحجر الأسود يستلمه ويقبله إن تيسر ، ولا وأشار إليه ، ويقول : بسم الله والله أكبر ، اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاءاً بعهدرك ، واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ ، ثم يجعل البيت عن يساره ويطوف سبعة أشواط ، يتبدئ بالحجر ويختتم به .

وفي هذا الطواف يسن أن يرمل في الثلاثة أشواط الأولى ، بأن يسرع المشي ويقارب الخطى ، وأن يضطبع في جميع الطواف ، بأن يخرج كتفه الأيمن ، ويجعل طرفى الرداء على الكتف الأيسر ، وكلما حاذى الحجر الأسود ، كبر ويقول بينه وبين الركن اليماني : **﴿رَبَّنَا مَائِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** ويقول بقية طوافه ما شاء من ذكر ودعاء .

وليس للطواف دعاء مخصوص لكل شوط ، وعلى هذا فينبغي أن يحذر الإنسان من هذه الكثبيات التي بأيدي كثير من الحاج ، والتي فيها لكل شوط دعاء مخصوص ، فإن هذا لم يرد عن رسول الله ﷺ ، وقد قال النبي ﷺ : « كل

(٢١٤) بدعة ضلاله»

ويجب أن يتبني الطائف إلى أمر يدخل به بعض الناس في وقت الرحام، فتجده يدخل من باب الحجر، ويخرج من الباب الثاني، فلا يطوف بالحجر مع الكعبة، وهذا خطأ، لأن الحجر أكثره من الكعبة، فمن دخل من باب الحجر وخرج من الباب الثاني، لم يكن قد طاف بالبيت، فلن يصح طوافه.

وبعد الطواف يصل إلى ركعتين خلف مقام إبراهيم إن تيسر له، وإن لا ففي أي مكان من المسجد، ثم يخرج إلى الصفا، فإذا دنا منه قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ولا يعيد هذه الآية بعد ذلك، ثم يصعد على الصفا ويستقبل القبلة، ويرفع يديه، ويكبر الله ويحمده، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قادر، لا إله إلا الله وحده، ألم يجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم يدعوا بعد ذلك، ثم يعيد الذكر مرة ثانية، ثم يدعوا، ثم يعيد الذكر مرة ثالثة.

ثم ينزل متوجهًا إلى المروءة، فيمشي إلى العلم الأخضر، أي العمود الأخضر، ويسعى من العمود الأخضر إلى العمود الثاني سعيًا شديدًا، أي يركض ركضًا شديدًا، إن تيسر له ولم يتأنزى أو يؤذ أحدًا، ثم يمشي بعد العلم الثاني إلى المروءة مشيًا عاديًا، فإذا وصل المروءة، صعد عليها واستقبل القبلة، ورفع يديه، وقال مثل الذي قال على الصفا، فهذا شوط.

ثم يرجع إلى الصفا من المروءة، وهذا هو الشوط الثاني، ويقول فيه ويفعل كما قال في الشوط الأول وفعل، فإذا أتم سبعة أشواط، من الصفا للمروءة شوط، ومن المروءة للصفا شوط آخر، إذا أتم سبعة أشواط، فإنه يقصر شعر رأسه، ويكون

(٢١٤) رواه : مسلم ، كتاب : الجمعة ، باب : تخفيف الصلاة والخطبة ، حديث (٨٦٧) ، وأبو داود ، حديث (٤٦٠٧) ، والنسائي ، حديث (١٥٧٨) ، وأبي ماجه ، حديث (٤٢) ، وأحمد في مسنده (٣٢) حديث (١٤٣٧٣) ، والدارمي في سننه (٨٠/١) حديث (٢٠٦) .

(٣١) حديث (١٤٣٧٣) ، والدارمي في سننه (٨٠/١) حديث (٢٠٦) .

التقصير شاملًا لجميع الرأس، بحيث يبدو واضحاً في الرأس، والمرأة تقصر من كل طرف رأسها بقدر أمنة، ثم يحلّ من إحرامه حلاً كاملاً، يتمتع بما أحل الله له من النساء والطيب واللباس وغير ذلك.

فإذا كان يوم الثامن من ذي الحجة أحراً بالحج، فاغتسل، وتطيب، وليس ثياب الإحرام، وخرج من منى فصلٍ بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، خمس صلوات، يصلِي الرباعية ركعتين، وكل صلاة في وقتها، فلا جمع في مني، وإنما هو القصر فقط.

فإذا طلعت الشمس يوم عرفة، سار إلى عرفة، فنزل بها بنمرة إن تيسر له، وإن استمر إلى عرفة فينزل بها، فإذا زالت الشمس، صلى الظهر والعصر قصراً وجمع تقديم، ثم يستغل بعد ذلك بذكر الله، ودعائه، وقراءة القرآن، وغير ذلك مما يقرب إلى الله تعالى، وليحرص على أن يكون آخر ذلك اليوم ملحاً في دعاء الله ، فإنه حرث بالإجابة.

فإذا غربت الشمس، انصرف إلى مزدلفة فصلٍ بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، ثم يبقى هناك حتى يصلِي الفجر، ثم يدعو الله إلى أن يسفر جداً، ثم يدفع بعد ذلك إلى مني، ويجوز للإنسان الذي يشق عليه مزاحمة الناس، أن ينصرف من مزدلفة قبل الفجر، لأن النبي ﷺ رخص له ^(٢١٥).

فإذا وصل إلى مني، بادر فرمي جمرة العقبة الأولى قبل كل شيء بسبعين حصيات، يكبر مع كل حصاة، ثم ينحر هديه، ثم يحلق رأسه، وهو أفضل من التقصير، وإن قصره فلا حرج، والمرأة تقصر من أطرافه بقدر أمنة، وحينئذ يحل التحلل الأول، فيباح له جميع محظورات الإحرام ما عدا النساء.

(٢١٥) رواه : البخاري ، كتاب : الحج ، باب : من قدم ضعفة أهل بليل فيقفون بالمزدلفة ، حدث (١٦٧٦) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن ، حدث (١٢٩٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٧٥) حديث (٢٨٧١) ، وابن حبان في صحيحه (٩/١٧٨) حديث (٣٨٦٧) ، والبيهقي في الكبرى (٥/١٢٣) حديث (٩٢٩٤) .

فينزل بعد أن يتطيب ويلبس ثيابه المعتادة وينزل إلى مكة، فيطوف طاف الإفاضة سبعة أشواط بالبيت، ويصعد بين الصفا والمروة سبعة أشواط. وهذا الطواف والسعى للحج، كما أن الطواف والسعى الذي حصل منه أول ما قدم للعمراء، وبهذا يحل من كل شيء حتى من النساء.

ولنقف هنا لننظر ماذا فعل الحاج يوم العيد؟. فالحاج يوم العيد: رمى جمرة العقبة، ثم نحر هديه، ثم حلق أو قصر ثم طاف، ثم سعى، فهذه خمسة أنساك يفعلها على هذا الترتيب، فإن قدم بعضها على بعض فلا حرج، لأن النبي ﷺ كان يسأل يوم العيد عن التقديم والتأخير، فما سُئل عن شيء قدم ولا آخر يومئذ إلا قال: «افعل ولا حرج» ^(٢١٦) فإذا نزل من مزدلفة إلى مكة، وطاف وسعى، ثم خرج ورمى فلا حرج، ولو رمى ثم حلق قبل أن ينحر، فلا حرج، ولو رمى ثم نزل إلى مكة وسعى قبل أن يطوف فلا حرج، ولو رمى ونحر وحلق ثم نزل إلى مكة وسعى قبل أن يطوف لا حرج، المهم أن تقديم هذه الأنساك الخمسة بعضها على بعض لا بأس به، لأن الرسول ﷺ ما سُئل عن شيء قدم ولا آخر يومئذ إلا قال: «افعل ولا حرج» وهذا من تيسير الله ورحمته بعباده.

ويقى من أفعال الحج بعد ذلك: المبيت في منى ليلة الحادي عشر، وليلة الثاني عشر، وليلة الثالث عشر لمن تأخر، لقول الله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَقْدُورَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣]. فيبيت الحاج بمنى ليلة الحادي عشر، وليلة الثاني عشر، ويجزئ أن يبيت في هاتين الليلتين معظم الليل.

إذا زالت الشمس من اليوم الحادي عشر، رمي الجمرات الثلاث ؛ يبدأ

(٢١٦) رواه : البخاري ، كتاب : العلم ، باب : السؤال والفتيا عند رمي الحمار ، حديث (١٢٤) ، ومسلم ، كتاب : المعجم ، باب : من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي ، حديث (١٣٠٦) ، وأحمد في مستنه (١٥٩/٢) حديث (٦٤٨٤) ، ومالك في الموطأ (٤٢١/١) حديث (٩٤١) ، والدارمي في سننه (٨٩/٢) حديث (١٩٠٧) ، وابن حبان في صحيحه (١٨٩/٩) حديث (٣٨٧٧) .

بالصغرى وهي الأولى التي تعتبر شرقية بالنسبة للجمرات الثلاث فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يكبر مع كل حصاة، ثم يتقدم عن الزحام قليلاً، ثم يتوجه إلى الوسطى فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يكبر مع كل حصاة، ثم يتقدم قليلاً عن الزحام، ويقف مستقبل القبلة، رافعاً يديه، يدعوا الله تعالى دعاء طويلاً، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة، فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يكبر مع كل حصاة، ولا يقف عندها؛ اقتداءً برسول الله ﷺ.

وفي ليلة الثاني عشر، يرمي الجمرات الثلاث كذلك، وفي اليوم الثالث عشر إن تأخر - يرمي الجمرات الثلاث كذلك.

ولا يجوز للإنسان أن يرمي الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر قبل الزوال، لأن النبي ﷺ لم يرم إلا بعد الزوال، وقال: «خذلوا عني مناسككم»^(٢١٧) ، وكان الصحابة يتحينون الزوال، فإذا زالت الشمس رمزاً، ولو كان الرمي قبل الزوال جائزًا لبيته النبي ﷺ لأمته، إما بفعله، أو قوله، أو إقراره، ولما اختار النبي ﷺ وسط النهار للرمي، وهو شدة الحر، دون الرمي في أوله الذي هو أهون على الناس، علم أن الرمي في أول النهار لا يجوز، لأنه لو كان من شرع الله ، لكنه هو الذي يشرع لعباد الله، لأنه الأيسر، والله إنما يشرع لعباده ما هو الأيسر، ولكن يمكنه إذا كان يشق عليه الزحام، أو المضي إلى الجمرات في وسط النهار، أن يؤخر الرمي إلى الليل، فإن الليل وقت للرمي، إذ لا دليل على أن الرمي لا يصح ليلاً، فالنبي ﷺ وقت أول الرمي ولم يوقت آخره، والأصل فيما جاء مطلقاً، أن يبقى على إطلاقه حتى يقوم دليل على تقييده بسبب أو وقت.

(٢١٧) رواه : مسلم ، كتاب : الحج ، باب : استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر، حديث (١٢٩٧) ، وأبو داود ، حديث (١٩٧٠) ، والنسائي ، حديث (٣٠٦٢) ، وأحمد في مسنده (٣٣٧/٣) حديث (١٤٦٥٨) ، وابن حزيمة في صحيحه (٤/٢٧٧) حديث (٢٨٧٧) ، والبيهقي في الكبرى (٥/١٢٥) حديث (٩٣٠) .

ثم ليحذر الحاج من التهاون في رمي الجمرات، فإن من الناس من يتهاون فيها حتى يوكل من يرمي عنه، وهو قادر على الرمي بنفسه، وهذا لا يجوز ولا يجزئ، لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَأَتَمُوا الْحِجَّةَ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. والرمي من أفعال الحج، فلا يجوز الإخلال به، ولأن النبي ﷺ لم يأذن لضعة أهله أن يوكلوا من يرمي عنهم.

بل أذن لهم بالذهاب من مزدلفة في آخر الليل، ليرموا بأنفسهم قبل زحمة الناس، ولأن النبي ﷺ لم يأذن للرعاة الذين يغادرون مني في إبلهم، لم يأذن لهم أن يوكلوا من يرمي عنهم، بل أذن لهم أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً ليرموه في اليوم الثالث، وكل هذا يدل عند الضرورة لا بأس بالتوكيل، كما لو كان الحاج مريضاً أو كبيراً لا يمكنه الوصول إلى الجمرات، أو امرأة حاملاً تخشى على نفسها أو ولدها ففي هذه الحال يجوز التوكيل.

ولولا أنه ورد عن الصحابة أنهم كانوا يرمون عن الصبيان، لقلنا: إن العاجز يسقط عنه الرمي، لأنه واجب عجز عنه، فيسقط عنه لعجزه عنه، ولكن لما ورد جنس التوكيل في الرمي عن الصبيان، فإنه لا مانع من أن يلحق به من يشابههم في تعدد الرمي من قبل نفسه.

المهم أنه يجب علينا أن نُعْظِم شعائر الله، وألا نتهاون بها، وأن نفعل ما يكثنا فعله بأنفسنا لأنَّه عبادة، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الطوافَ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الْجَمَرَاتِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ» ^(٢١٨)

وإذا أتم الحاج، فإنه لا يخرج من مكة إلى بلد़ه، حتى يطوف للوداع، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الناس ينفرون من كل وجه، فقال

(٢١٨) رواه : أبو داود ، كتاب : المناسك ، باب : في الرمل ، حديث (١٨٨٨) ، والترمذى ، حديث (٩٠٢) ، وأحمد في مسنده (٦٤/٦) حديث (٢٤٣٩٦) ، والدارمى في سننه (٧١/٢) حديث (١٨٥٣) وابن خزيمة في صحيحه (٢٧٩/٤) حديث (٢٨٨٢) ، والبيهقي في الكبرى (١٤٥/٥) حديث (٩٤٢٨) .

النبي ﷺ: «لا ينفر أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت»^(٢١٩) إلا إذا كانت المرأة حائضًا أو نُفَسَاء، وقد طافت طواف الإفاضة، فإن طواف الوداع يسقط عنها، لحديث ابن عباس رضي الله عنهم: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خُفِّ عن الحائض»^(٢٢٠)، ولأن النبي ﷺ لما قيل له: إن صافية قد طافت طواف الإفاضة، قال: «فلتنفِرْ إذن»^(٢٢١) وكانت حائضًا.

ويجب أن يكون هذا الطواف آخر شيء، وبه نعرف أن ما يفعله بعض الناس، حين ينزلون إلى مكة، فيطوفون طواف الوداع، ثم يرجعون إلى منى، فيرمون الجمرات، ويسافرون من هناك، هذا خطأ، ولا يجزئهم طواف الوداع، لأن هؤلاء لم يجعلوا آخر عهدهم بالبيت، وإنما جعلوا آخر عهدهم بالجمرات.

* * *

أركان العمرة

س ٢٠١: نود أن نعرف أركان العمرة حيث أنها تسبّب الهمج في التمتع؟

الجواب: يقول العلماء: إن أركان العمرة ثلاثة: الإحرام، والطواف وأرجونها اثنان: أن يكون الإحرام من الميقات، والحلق أو التقصير. وما عدا ذلك فهو سنن.

(٢١٩) رواه مسلم ، كتاب : الحج ، باب : وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض ، حديث (١٣٢٧)، وابن ماجه ، حديث (٣٠٧٠) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٢٢/١) ، حديث (١٩٣٦) ، والدارمي (٩٩/٢) ، حديث (١٩٣٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٣٢٧) ، حديث (٣٠٠٠) ، والطبراني في المعجم الكبير (٤٣/١١) ، حديث (١٠٩٨٦) .
 (٢٢٠) سبق تخرجه برقم (٧٩) .

(٢٢١) رواه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : حجة الوداع ، حديث (٤٤٠١) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض ، حديث (١٢١١) ، وابن ماجه ، حديث (٣٠٧٢) ، وأحمد في مسنده (٣٨/٦) حديث (٢٤١٤٧) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٣٢٨) حديث (٣٠٠٢) ، وابن حبان في صحيحه (٩/٢١٣) حديث (٣٩٠٣) .

أركان الحج

س ٢٠٢ : يبقى أن نعرف أركان الحج؟.

الجواب : أركان الحج، يقول العلماء إنها أربعة: الإحرام، والوقوف بعرفة، والطواف، والسعى.

* * *

حكم الإخلال بشيء من أركان الحج أو العمرة

س ٢٠٣ : ما حكم الإخلال بشيء من هذه الأركان؟.

الجواب : الإخلال بشيء من هذه الأركان لا يتم النكارة إلا به، فمن لم يطوف بالعمرة مثلاً، فإنه يبقى على إحرامه حتى يطوف، ومن لم يسع يبقى على إحرامه حتى يسعى، وكذلك نقول للحاج: من لم يأت بأركانه، فإنه لا يصح حجه، فمن لم يقف بعرفة حتى طلوع الفجر يوم التحر، فقد فاته الحج فلا يصح حجه، لكنه يتحلل بعمرته، فيطوف، ويسعى، ويقصر أو يحلق، وينصرف إلى أهله فإذا كان العام القادم أتى بالحج.

وأما الطواف والسعى إذا فاته في الحج، فإنه يقضيه، لأنه لا آخر لوقته، لكن لا يؤخره عن شهر ذي الحجة إلا من عذر.

* * *

واجبات الحج

س ٢٠٤ : عرفنا فيما مضى واجبات العمرة، لكن ما هي واجبات الحج؟.

الجواب : واجبات الحج: هي أن يكون الإحرام من الميقات، وأن يقف بعرفة إلى الغروب، وأن يبيت بمذلفة، وأن يبيت بمنى ليليتين بعد العيد، وأن يرمي الحمرات، وأن يطوف للوداع.

* * *

حكم الإخلال بشيء من واجبات الحج أو العمرة

س ٢٠٥ : ما حكم الإخلال بشيء من واجبات الحج أو العمرة؟

الجواب : الإخلال بشيء منها إذا كان الإنسان متعمداً، فعليه الإثم والفدية ؛ كما قال أهل العلم، شاء يذبحها ويفرّقها في مكة، وإن كان غير متعمد ؛ فلا إثم عليه، لكن عليه الفدية، يذبحها في مكة، ويوزعها على الفقراء، لأنّه ترك واجباً له بدل، فلما تذر الأصل، تعين البدل، هذا هو قول أهل العلم فيما ترك واجباً، أن عليه فدية، يذبحها في مكة، ويوزعها على الفقراء.

* * *

صفة القران

س ٢٠٦ : تحدثتم عن صفة التمتع أثناء حديثكم عن صفة
الحج، حبذا أيضاً لو تحدثتم عن صفة القراءات؟

الجواب : التمتع كما ذكرنا: أن يأتي بالعمرة مستقلة، ويحل منها، ثم يحرم بالحج في عامه.

أما القرأن فله صورتان :

الصورة الأولى : أن يحرم بالعمرة والحج جميماً من الميقات، فيقول: ليك عمرة وحجأ.

والصورة الثانية : أن يحرم بالعمرة أولاً ثم يدخل الحج عليها قبل الشروع في طوافها.

وهناك صورة ثالثة موضع خلاف بين العلماء : وهي أن يحرم بالحج وحده، ثم يدخل العمرة عليه، قبل أن يفعل شيئاً من أفعال الحج، كالطواف والسعى مثلاً.

والقارن يبقى على إحرامه، فإذا قدم مكة يطوف للقدوم، ويسعى للحج والعمرة، ويبقى على إحرامه إلى أن يتحلل منه يوم العيد، ويلزمته هدي كهدى

المتعمد.

وأما المفرد فيحرم بالحج مفرداً من الميقات، ويبقى على ذلك، فإذا قدم مكة طاف للقدوم، وسعى للحج، ولم يحل إلا يوم العيد، فيكون القارن والمفرد سواء في الأفعال، لكنهما يختلفان في أن القارن يحصل له عمرة وحج، ويلزمه هدي، وأما المفرد فلا يحصل له إلا الحج، ولا يلزمته هدي.

* * *

حكم الاعتمار بعد الحج

س ٤٠٧ : عرفنا صفة الحج، وعرفنا التمتع والإفراد والقارن، وقلت
في الإفراد أن المسلم يأتي بالحج رحمة ولا يأتي بعمره معه، لئننا
نرى كثيراً من الناس إذا انتهى من الإفراد اعتم، فما حكم هذا
العمل؟

الجواب : هذا العمل لا أصل له في السنة، فلم يكن الصحابة مع حرصهم على الخير يأتون بهذه العمرة بعد الحج، وخير الهدي هدي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، وأصحابه الذين هم خير القرون، وإنما جاء ذلك في قضية معينة في قصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، حيث كانت محرومة بعمره، ثم حاضت قبل الوصول إلى مكة، فأمرها النبي ﷺ أن تحرم بالحج، ليكون نسكها قرآن، وقال لها: «طوافك بالبيت وبالصفا والمروءة يسعك لحجك وعمرتك» ، فلما انتهت الحج، ألحَّت على رسول الله ﷺ أن تأتي بعمره بدلاً عن عمرتها التي حولتها إلى قران، فأذن لها، وأمر أخاه عبد الرحمن بن أبي بكر أن يخرج بها من الحرم إلى الحل، فخرج بها إلى التنعيم، وأتت بعمره،^(٤٠٧) فإذا وُجدت

(٤٠٧) إشارة إلى حديث رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب كيف تهل الحائض والنساء ، حديث (١٢١١) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج ، حديث (١٥٥٦) ، وأبو داود ، حديث (١٧٨١) ، والنسائي ، حديث (٢٧٦٤) ، وابن ماجه ، حديث (٣٠٠٠) ، والإمام أحمد في مسنده (١٢٤٦) ، حديث (٢٤٩٧٦) .

صورة كالصورة التي حصلت لعائشة رضي الله عنها، وأبى المرأة إلا أن تأتي بعمرها، فحيثند نقول: لا حرج أن تأتي المرأة بعمرها كما فعلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأمر النبي ﷺ.

ويذلك على أن هذا أمر ليس مشروع، أن عبد الرحمن بن أبي بكر وهو مع أخته لم يحرم بالعمر لا تفقة من عنده، ولا يأذن رسول الله ﷺ، ولو كان هذا من الأمور المشروعة، لكن ﷺ يأتي بالعمرة، لأن ذلك أمر سهل عليه حيث إنه قد خرج مع أخته، والمهم أن ما يفعله بعض الحجاج كما أشرت إليه ليس له أصل من السنة.

نعم لو فرض أن بعض الحجاج يصعب عليه أن يأتي إلى مكة بعد مجئه هذا، وهو قد أتى بحج مفرد، فإنه في هذه الحال في ضرورة إلى أن يأتي بعد الحج بالعمرة، ليؤدي واجب العمرة، فإن العمرة واجبة على القول الراجح من أقوال أهل العلم، وحيثند يخرج إلى التنعيم، أو إلى غيره من الحل، فيحرم منه، ثم يطوف ويسعى ويحلق ويقصر.

* * *

س ٢٠٨: لكن ما الأولى بالنسبة لهذا الهاج الذي يعرف أنه الإتيان إلى مكة يصعب عليه؟.

الجواب: كما قلت لك يأتي بالعمرة بعد الحج لأن هذا ضرورة.

* * *

س ٢٠٩: لكن أليس أن يأتي متنمياً أو قارئاً ليس له من المهر؟.

الجواب: نعم هذا هو الأولى، لكن نحن فرضنا أنه أتى مفرداً.

* * *

حكم الانتقال من نسك لآخر

س ٤١٠: نود أن نعرف حكم الانتقال من نسك إلى نسك آخر؟

الجواب: الانتقال من نسك إلى نسك آخر مر علينا في صفة القرآن؛ أنه من الممكن أن يحرم الإنسان أولاً بالعمرة، ثم يدخل الحج عليها قبل الشروع في طوافها، فيكون انتقل من العمرة إلى الجمع بينها وبين الحج، وكذلك يمكن أن ينتقل من الحج المفرد أو من القرآن، إلى عمرة ليصير ممتنعاً، كما أمر بذلك النبي ﷺ أصحابه، من لم يكن منهم ساق الهدي، حيث أن الرسول ﷺ كان قارئاً وكان قد ساق الهدي، وساقه معه أغنياء الصحابة، فلما طاف وسعى، أمر من لم يسق الهدي أن يجعلها عمرة، فانتقلوا من الحج المفرد أو المقرون بالعمرة إلى أن يجعلوا ذلك عمرة، ولكن هذا مشروط بما إذا تحول من حج أو قران إلى عمرة، ليصير ممتنعاً، أما من تحول من قران أو إفراد إلى عمرة، ليتخلص من الإحرام ويرجع إلى أهله، فإن ذلك لا يجوز.

* * *

حكم التحول من التمتع إلى الإفراد

س ٤١١: هل يجوز أن يتتحول من التمتع إلى الإفراد؟

الجواب: التمتع إلى الإفراد لا يجوز ولا يمكن، وإنما يجوز أن يتتحول من الإفراد إلى التمتع، بمعنى أن يكون محراً بالحج مفرداً، ثم بعد ذلك يتحول إحرامه بالحج إلى عمرة، ليصير ممتنعاً، وكذلك القارن يجوز أن يتحول نيته من القران إلى العمرة، ليصير ممتنعاً، إلا من ساق الهدي في الصورتين فإنه لا يجوز له ذلك، لأن النبي ﷺ أمر أصحابه الذين معه أن يجعلوا إحرامهم بالحج المفرد أو المقرون بالعمرة، أن يجعله عمرة، ليصيروا ممتنعين، إلا من ساق الهدي.

* * *

أحكام وضوابط النيابة في الحج

س ٦٦: نود من فضيلتكم لو تحدثنا أيضًا عن النيابة التلبية
في الحج من حيث الأهمام والضوابط.

الجواب: النيابة في الحج إن كان الإنسان قادرًا، فإنها غير مشروعة.

أما في الفريضة: فإنه لا يجوز أن يستنيب الإنسان أحدًا عنه، يؤدي الحج أو العمرة فريضة، لأن الفريضة تطلب من الإنسان نفسه أن يؤديها بنفسه، فإن كان عاجزًا عن أداء الفريضة، فإما أن يكون عجزه طارئًا يرجى زواله، فهذا يتنتظر حتى يزول عجزه، ثم يؤدي الفريضة بنفسه، مثل أن يكون في أشهر الحج مريضاً مرضًا طارئًا يرجى زواله، وهو لم يؤد الفريضة، فإننا نقول له: انتظر حتى يعافيك الله وحج، إن أمكنك في هذه السنة فذاك، وإنما في السنوات القادمة، أما إذا كان عجزه عن الحج عجزًا لا يرجى زواله، كالكبير، والمريض مرضًا لا يرجى زواله، فإنه يقيم من يحج ويتعمر عنه.

ودليل ذلك: حديث ابن عباس رضي الله عنهم أن امرأة من خثعم سالت النبي ﷺ فقالت: إن أبي أدركته فريضة الله على عباده في الحج شيئاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، فأفأحج عنه؟ قال: «نعم» ^(٢٢٣)، فهذا حكم النيابة في الفرض؛ أنه إذا كان المستنيب قادرًا، فإن ذلك لا يصح. وإن كان عاجزاً لا يرجى زواله، فإن ذلك يصح، وإن كان الإنسان عاجزاً عجزاً طارئاً يرجى زواله، فإنه لا يصح أن يستنيب أحدًا، وليتنظر حتى يعافيه الله، ويؤدي ذلك بنفسه.

أما في النافلة: فإن كان عاجزاً عجزاً لا يرجى زواله، فقد يقول قائل: إنه يصح أن يستنيب من يحج عنه النافلة، قياساً على استنابة من عليه الفريضة، وقد يقول قائل: إنه لا يصح القياس هنا؛ لأن الاستنابة في الفريضة استنابة في أمر واجب لابد منه، بخلاف النافلة، فإن النافلة لا تلزم الإنسان، فيقال: إن قدر

عليها فعلها بنفسه، وإن لم يقدر عليها، فلا يستتب أحداً فيها، أما إذا كان قادراً على أن يؤدي الحج بنفسه، فإنه لا يصح أن يستتب غيره في الحج عنه، على إحدى الروايتين عن الإمام أحمد - رحمة الله - وهي عندي أقرب لأن الحج عبادة يتبع بها الإنسان لربه، فلا يليق أن يقول لأحد: اذهب فتعبد لله عنِّي، بل نقول: أدها أنت بنفسك لأنَّه ليس لديك مانع، حتى تستتب من يؤدي هذه النافلة عنك، هذه الاستنابة في الحج على وجه الكمال بمعنى أنه يصير في كل حج.

* * *

شروط النائب في الحج

س ٤١٢: نود أَنْ نُعْرِفَ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ شُرُوطٌ فِي النَّائِبِ؟

الجواب: النائب يشترط أن يكون قد أدى الفريضة عن نفسه، إن كان قد لزمَه الحج، لأنَّ النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: ليك عن شُبُرْمَة، فقال: «من شُبُرْمَة؟» قال النبي ﷺ، فقال: أخ لي، أو قريب لي، فقال النبي ﷺ: «حججت عن نفسك؟» قال لا، قال: «حج عن نفسك، ثم حج عن شُبُرْمَة» (٢٢٤)، ولأنَّ النبي ﷺ قال: «ابدأ بنفسك» (٢٢٥)، ولأنَّه ليس من النظر الصحيح أن يؤدي الإنسان الحج عن غيره مع وجوبه عليه، قال أهل العلم: ولو حجَّ عن غيره مع وجوب الحج عليه، فإنَّ الحجَّ يقع عن نفسه، أي عن نفس النائب ويرد للمستتب ما أخذَه منه من الدراهم والنفقة.

أما بقية الشروط فمعروفة، وقد تكلمنا عليها من قبل ، مثل الإسلام، والعقل، والتمييز. وهي شروط واجبة في كل عبادة.

(٢٢٤) رواه أبو داود ، كتاب : المناسب ، باب : الرجل يحج عن غيره ، حدث (١٨١١) ، وابن ماجه ، حدث (٢٩٠٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٣٣٧) ، حدث (٨٤٦٧) ، والطبراني في المعجم الكبير (٤٣١٢) ، حدث (١٤٤١٩) ، والأوسط (٢/٧) ، حدث (٢٣٠٠) .

(٢٢٥) رواه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ، حدث (٩٩٧) ، والنسائي ، حدث (٢٥٤٦) ، وابن حبان في صحيحه (٨/١٢٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/١٧٨) ، حدث (٧٥٤٤) .

يأخذ نقوداً ليحج بها وليس في نيته إلا جمع الدرادهم

س ٤١٤ : ما حكم من أخذ نقوداً ليحج عن غيره وليس في نيته إلا جمع الدرادهم؟

الجواب : يقول العلماء: إن الإنسان إذا حج للدنيا لأخذ الدرادهم، فإن هذا حرام عليه، ولا يحل له أن ينوي بعمل الآخرة شيئاً من الدنيا، لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَهَا نُوقِطُ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾^{١٥} ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنَّكَارٌ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَنَطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله -: من حج ليأخذ، فليس له في الآخرة من خلاق. وأما إذا أخذ ليحج، أو ليستعين به على الحج، فإن ذلك لا بأس به ولا حرج عليه، وهنا يجب على الإنسان أن يحذر من أن يأخذ الدرادهم للغرض الأول، فإنه يخشى أن لا يقبل منه وأن لا يجزئ الحج عنم أخذه عنه، وحيثئذ يلزمـه أن يعيد النفقة والدرادهم إلى صاحبها، إذا قلنا بأنـ الحج لم يصح ولم يقع عن المستنيـب، ولكنـ يأخذـ الإنسانـ الدرادـهمـ والنـفـقـةـ ليـحجـ بهاـ عنـ غيرـهـ، ليـستـعينـ بهاـ عـلـىـ الحـجـ، ويـجـعـلـ نـيـتهـ فـيـ ذـلـكـ أـنـ يـقـضـيـ غـرـضـ صـاحـبـهـ وـأـنـ يـتـقـرـبـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ بـمـاـ يـتـعـبـدـ بـهـ فـيـ المـشـاعـرـ، وـعـنـدـ بـيـتـ اللـهـ.

* * *

هل يقع للنائب ثواب في بعض الأعمال إذا حج عن غيره

س ٤١٥ : هل يمكن أن يقع ثواب بعض الأعمال للنائب؟.

الجواب : نعم، لأنـ النـائـبـ لاـ يـلـزـمـهـ إـلـاـ أـنـ يـقـومـ بـالـأـركـانـ وـالـوـاجـبـاتـ، وـكـذـلـكـ الـمـسـتـحـجـاتـ بـالـنـسـكـ، وـأـمـاـ مـاـ يـحـصـلـ مـنـ ذـكـرـ، وـدـعـاءـ، فـمـاـ كـانـ مـتـعلـقاـ بـالـنـسـكـ فـإـنـهـ لـصـاحـبـ النـسـكـ «لـلـمـسـتـنـيـبـ»، وـمـاـ كـانـ خـارـجـاـ عـنـ ذـلـكـ فـإـنـهـ لـصـاحـبـهـ «الـنـائـبـ».

* * *

معنى النيابة الجزئية في الحج

**س ٤٦: حبذا لو حدّثمنا فضيلتكم عن النيابة الجزئية في
الحج؟**

الجواب: النيابة الجزئية في الحج معناها: أن يوكل عنه من يقوم ببعض أفعال الحج، مثل أن يوكل من يطوف عنه، أو يسعي عنه، أو يقف عنه، أو يبيت عنه، أو يرمي عنه، أو ما أشبه ذلك من جزئيات الحج.

والراجح: أنه لا يجوز للإنسان أن يستنيب من يقوم عنه بشيء من أجزاء الحج أو العمرة، سواء كان ذلك فرضاً أم نفلاً، وذلك لأن من خصائص الحج والعمرة، أن الإنسان إذا أحرم بهما صار فرضاً، ولو كان ذلك نفلاً، أي ولو كان الحج أو العمرة نفلاً، لقوله تعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَقْلُومَتُ فَمَنْ وَرَضَ فِيهِنَّ
الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا حِدَالَ فِي الْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وهذه الآية نزلت قبل فرض الحج، أي قبل قوله تعالى: ﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ
جِئْ أَبَيْتَ مِنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وهذا يدل على أن تلبية الإنسان بالحج أو العمرة يجعله فرضاً عليه، وكذلك يدل على أنه فرض إذا شرع فيه لقوله تعالى: ﴿شَرَّ لِيَقْضُوا نَفَثَهُمْ وَلَمْ يُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ
الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. وهذا يدل على أن الشروع في الحج يجعله كالمندور، وبناءً على ذلك فإنه لا يجوز لأحد أن يوكل أحداً في شيء من جزئيات الحج، ولا أعلم في السنة أن الاستنابة في شيء من أجزاء الحج قد وقعت إلا فيما يروي من كون الصحابة يرمون عن الصبيان، ويدل لهذا أن أم سلمة رضي الله عنها لما أرادت الخروج قالت: يا رسول الله، إني أريد الخروج وأجدني شاكية، فقال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» ^(٢٢٦) وهذا يدل على أنه لا يجوز التوكيل

(٢٢٦) رواه البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : إدخال البعير في المسجد للعلة ، حديث (٤٦٤) ، ومسلم كتاب : الحج ، باب : جواز الطواف على بغيره واستلام الحجر ، حديث (١٢٧٦) ، وأبو داود = (١٨٨٢) ، والنسائي (٢٩٢٥) ، والإمام أحمد (٢٩٠/٦) ، حديث (٢٦٥٢٨) ، وابن خزيمة في =

في جزئيات الحج.

* * *

قياس التوكيل في الرمي على غيره من مناسك الحج

س ٢١٧: ذكرتم أن التوكيل في الهبة يكون متلاً في الطرف أو الرمي أو الوقوف أو ما أشبه ذلك، فهل إذا هاج التوكيل في الرمي متلاً يقاس عليه بقيمة أجزاء الحج؟.

الجواب: لا. نحن قلنا: هذا تمثيل على التوكيل في الجزئية، وليس حكماً بأن ذلك مباح، ولهذا قلنا: لا نعلم في الشنة أنه ورد التوكيل في شيء من الجزئيات، أو أن أحداً يقوم عن أحد إلا في الرمي، وقلنا: إن الإنسان إذا تلبس في الحج أو العمرة صار فرضاً عليه يلزمه هو بنفسه، وعلى هذا فلا يجوز التوكيل في أي شيء من أجزاء الحج أو العمرة فرضاً كانت أم نفلاً، إلا في الرمي لوروده في حق الصغار، وكذلك من لم يستطع الرمي بنفسه من الكبار.

* * *

عجز الحاج عن إكمال النسك فماذا يصنع؟

س ٢١٨: إذا عجز عن إكمال النسك فماذا يصنع؟.

الجواب: إذا عجز الحاج عن إتمام النسك، فلا يخلو من حالين:

إما أن يكون عجزه بصدّ عدو، صده عن البيت، كما جرى للنبي ﷺ حين صدّه المشركون عام الحديبية، ففي هذه الحال، يحلق بعد أن ينحر هديه ويحل من إحرامه، لقول الله تعالى: **(فَإِنْ أَخْضِرْتُمْ فَمَا أَسْتَيْسِرَ مِنَ الْمَهْدَىٰ وَلَا تَحْلِمُوا رُؤُسَكُو حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْمَهْدَىٰ مَحْلَمَةً)** [البقرة: ١٩٦]. وأمر النبي ﷺ أصحابه عام الحديبية أن يحلقوا، ولما تأخروا رجاء أن يُسخن الحكم، أو لسبب آخر، غالب عليه الصلاة والسلام في ذلك، حتى أشارت عليه إحدى أمهات المؤمنين، أن يخرج

إليهم فيحلق رأسه، ففعل، وحينئذ تتبع الناس على حلق رؤوسهم والإحلال من إحرامهم، وفي هذه الحال، لا يلزمها أن يقضى ما أحصر عنه، إلا إذا كان لم يؤد الفريضة، فإنه يلزمها أداء الفريضة بالأمر الأول، لا قضاة عما أحصر فيه هذا إذا كان الحصر بعده.

أما إذا كان الحصر بغير عدو، كما لو أحصر بذهب نفقة، أو بمرض امتدّ به، فإنه في هذه الحال يحلّ من إحرامه، بعد أن ينحر هدياً ويحلق. إما قياساً على حصر العدو، وإما إدخالاً له في العموم، وهو قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَخْصَرْتُمْ فَمَا أَسْتَيْسِرَ مِنَ الْهَدَى﴾ [البقرة: ١٩٦]. فإن هذا الإحصار شامل، وكون الإحصار بالعدو هو الذي وقع في عهد النبي ﷺ، لا يمنع أن تتناول الآية غيره.

على كل حال: إذا حصر بغير عدو، من مرض، أو بذهب نفقة، أو ما أشبه ذلك.

فالقول الراجح: أنه يحل بهذا الإحصار، بعد أن ينحر هدياً ويحلق رأسه، ولا يلزم القضاء، أي قضاء ما أحصر فيه، إلا إذا كان واجباً بأصل الشرع، مثل أن يكون لم يؤدّ الفريضة من قبل، فيلزمها فعل الفريضة بالخطاب الأول، أي بالأمر الأول، لا من حيث أنه قضاء، هذا إذا لم يكن اشتراط في ابتداء إحرامه أنه «إن حبسني حابس فمحلي حيث حبسوني»، فإن كان قد اشترط في بداية إحرامه أنه «إن حبسني حابس فمحلي حيث حبسوني» فإنه يحل من إحرامه مجاناً ولا شيء عليه، لقول النبي ﷺ لضباعه بنت الزبير، وقد أرادت الحج وهي شاكية: «حججي واشترطي، إن محلّي حيث حبسوني»^(٢٢٧).

(٢٧٧) رواه البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : الأكفاء في الدين ، حديث (٥٠٨٩) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ، حديث (١٢٠٧) ، والسائل ، حديث (٢٧٦٧) ، وأiben ماجه ، حديث (٢٩٣٨) ، والإمام أحمد في مسنده (١٦٤/٦) ، حديث (٢٥٣٤٧) ، وأiben حبان في صحيحه (٨٦/٩) ، حديث (٣٧٧٣).

حكم من توفي أثناء إحرامه بالنسك

س ٤١٩: هذا بالنسبة إذا عجز الحاج عن أَمْالِ النَّسْكِ، لَكُنْ لِرَوْتَفَتِي الْهَاجُ أَثْنَاءَ تَلْبِسِهِ بِالنَّسْكِ فَمَا الْهَلْمُ؟

الجواب: إذا تُوفِيَ الحاج أثناء تلبسه بالنسك، فإنَّ من أهل العلم من يقول: إذا كان حجه فريضة، فإنه يُقضى عنه ما بقي، ومنهم من يقول: إنه لا يقضي عنه ما بقي، وهذا القول هو الراجح، ودليله حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الرجل الذي وقصته ناقته وهو واقفٌ بعرفة، فقال النبي ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه، ولا تخمرروا رأسه، ولا تحنطوه فإنه يبعث يوم القيمة مُلْبِيًّا» (٤٢٨) ولم يأمر النبي ﷺ أن يقضي أحدٌ عنه ما بقي من نسكه، ولأننا لو قضينا ما بقي من نسكه، لكان هذا النائب الذي قام مقامه يحل من إحرامه، وحينئذ لا يُبعث الرجل يوم القيمة مُلْبِيًّا، لأنَّ نائبه قد حلَّ من الإحرام الذي تلبس به بدلاً عنه، وعلى كل حال: فالقول الراجح بلا شك، أنَّ الإنسان إذا مات أثناء تلبسه بالنسك فإنه لا يقضي عنه، سواء كان ذلك فريضة أم نافلة.

* * *

س ٤٢٠: لَكُنْ هَلْ يَقْتَصِرُ هَذَا الْهَلْمُ عَلَى الرُّوقَتِ الَّذِي يُلْبِيُ فِيهِ؟ يعني قبل رمي جمرة العقبة أم يشمل جميع المهرج؟.

الجواب: يشمل جميع الحج، يعني سواء كان ذلك قبل التحلل الأول، أم بعد التحلل الأول، فإنه لا يقضي عنه ما بقي.

* * *

صفة الاشتراط

س ٤٤١ : ذكرتم الاشتراط اذا عجز الحاج عن الامال النسك، نود ان نعرف حكم الاشتراط وما هي صفتة؟.

الجواب : نذكر أولاً صفة الاشتراط قبل حكمه لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

صفة الاشتراط : أن الإنسان إذا أراد الإحرام يقول : «إن حبسني حابس، فمحللي حيث حبسني» - يعني فإني أحل إذا حبسني حابس، أي منعني مانع من إكمال النسك . وهذا يشمل أي مانع كان، لأن كلمة حابس، نكرة في سياق الشرط، فتعم أي حابس كان، وفائدة هذا الاشتراط، أنه لو حصل له حابس يمنعه من إكمال النسك، فإنه يحلّ من نسكه ولا شيء عليه، وقد اختلف أهل العلم في الاشتراط، سواء كان في حال خوف أو في حال أمن، لما يترتب عليه من الفائدة، والإنسان لا يدرى ما يعرض له، ومنهم من قال: إنه لا يسن إلا عند الخوف، أما إذا كان الإنسان آمناً، فإنه لا يشترط، ومنهم من أنكر الاشتراط مطلقاً.

والصواب : القول الوسط، وهو أنه إذا كان الإنسان خائفاً من عائق يمنعه من إتمام نسكه، سواء كان هذا العائق عاماً أم خاصاً، فإنه يشترط، وإن لم يكن خائفاً فإنه لا يشترط، ولهذا تجتمع الأدلة، فإن النبي ﷺ أحرم ولم يشترط وأرشد ضباعة بنت الزبير رضي الله عنها أن تشرط حيث كانت شاكية، والشاكبي - أي المريض - خائف من عدم إتمام نسكه.

وعلى هذا القول: إذا كان الإنسان خائفاً من طارئ يطرأ، يمنعه من إتمام نسكه، فليشرط أحذنا بإرشاد النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير، وإن لم يكن خائفاً، فالأفضل أن لا يشترط اقتداء برسول الله ﷺ حيث أحرم بدون شرط.

صيغة الشرط

س ٢٢٢: لكن بالنسبة للمسترجع هل يلزم أن يأتي بالصيغة التي وردت عن رسول الله ﷺ أم يسترجع بأي لفظ يعبر به عن نفسه؟

الجواب: لا يلزم أن يأتي بالصيغة الواردة، لأن هذا مما لا يُبعد بلفظه، والشيء الذي لا يُبعد بلفظه يكفي فيه بالمعنى.

* * *

محظورات الإحرام

س ٢٢٣: نود أن نعرف ما هي محظورات الإحرام؟

الجواب: محظورات الإحرام هي الممنوعات بسبب الإحرام، يعني المحرمات التي سببها الإحرام، وذلك أن المحرمات نوعان:

محرمات في حال الإحرام حال الخل، وإليها أشار الله بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا حِدَالٌ فِي الْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. كلمة فسوق عامة تشمل ما كان الفسق فيه بسبب الإحرام وغيره. ومحرمات خاصة سببها الإحرام، إذا تلبس الإنسان بالإحرام فإنها تحرم عليه، وتحل له في حال الخل.

فمن محظورات الإحرام: الجماع وهو أشد المحظورات إثماً وأعظمها أثراً، ودليله قوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا حِدَالٌ فِي الْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. فإن الرفت هو الجماع ومقدماته، وإذا وقع الجماع قبل التحلل الأول في الحج، فإنه يترب عليه أمور خمسة:

الأول: الإثم.

الثاني: فساد النسك.

الثالث: وجوب الاستمرار فيه.

الرابع: وجوب فدية ؛ بدنة يذبحها ويفرقها على الفقراء.

والخامس: وجوب القضاء من العام القادم.

وهذه آثار عظيمة تكفي المؤمن في الانزجار عنه والبعد عنه.

ومن المحظورات أيضاً: المباشرة بشهوة، والتقبيل، والنظر بشهوة، وكل ما كان من مقدمات الجماع، لأن هذه المقدمات تفضي إلى الجماع.

ومن محظورات الإحرام: حلق شعر الرأس، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِمُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَلْعَنَ أَهْدَىٰ مَحْلُومٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وألحق العلماء بحلق الرأس حلق جميع الجسم، وألحقوه به أيضاً تقليم الأظفار وقصها.

ومن محظورات الإحرام: عقد النكاح، لقول النبي ﷺ: «لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب». (٢٢٩).

ومن محظوراته أيضاً: الخطبة، فلا يجوز للإنسان أن يخطب امرأة وهو محرم بحج أو عمرة.

ومن محظورات الإحرام: قتل الصيد، لقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَشْمُمُ حُرُمَةً﴾ [المائدة: ٩٥].

ومن محظوراته أيضاً: الطيب بعد عقد الإحرام، سواء في البدن، أو في الثوب، أو في المأكول أو في المشروب، فلا يحل لحرم استعمال الطيب على أي وجه كان بعد عقد إحرامه، لقول النبي ﷺ في الرجل الذي وقصته ناقته في عرفة فمات: «لا تحيطوه» (٢٣٠)، والحنوط: أطياط يجعل في الميت عند تكريمه. فأما

(٢٢٩) رواه مسلم ، كتاب : النكاح ، باب : تحرير نكاح المحرم وكراهة خطبته ، حديث (١٤٠٩) ، وأبو داود ، حديث (١٨٤١) ، والنسائي ، حديث (٢٨٤٢) ، والإمام أحمد في مستنه (٦٤/١) ، حديث (٤٦٢) ، والإمام مالك في الموطأ (١/٣٤٨) ، حديث (٧٧٢) ، وأبي حيان في صحيحه (٩/٤٣٣) ، حديث (٤١٢٣) .

(٢٣٠) سبق تخریجه برقم (٦٦) .

أثر الطيب الذي تطيب به عند الإحرام، فإنه لا بأس به، ولا تجنب عليه إزالته، لقول عائشة رضي الله عنها: كنْ أطَيْبُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِحْرَامِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْرُمْ ^(٢٣١) ، وقالت: كنْ أَنْظُرْ إِلَيْ وَبِيْصَ الْمَسْكِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢٣٢) . وهو حرم ^(٢٣٢) .

ومن محظورات الإحرام أيضاً: لبس الرجل القميص، والبرنس، والسراويل، والعمائم، والخفاف، هكذا أجاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سُئل: ما يلبس الحرم؟ فقال: «لا يلبس القميص، ولا السراويل، ولا البرانس، ولا العمائم، ولا الخفاف، إلا من لم يجد إزاراً فليلبس السراويل» ^(٢٣٣) ، ومن لم يجد نعليين فليلبس الخفين ^(٢٣٣) ، وما كان يعني هذه المحظورات فهو مثلها، فالكوت والفانيلة، والصدرية، والغطرة، والطاقة، أو المسلح، كلُّ هذه يعني المنصوص عليه، فيكون لها حكم المنصوص عليه.

وأما لبس الساعة، والخاتم، وسماعة الأذن، ونظارة العين، والكمير الذي تكون فيه الفلوس وما أشبهها، فإن ذلك لا يدخل في المنهي عنه، لا بالنص ولا بالمعنى، وعلى هذا فيجوز للمحرم أن يلبس هذه الأشياء.

وليعلم أنَّ كثيراً من العامة، فهموا من قول أهل العلم: إنَّ الحريم لا يلبس

(٢٣١) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : الطيب عند الإحرام ، حدیث (١٥٣٩) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : الطيب للمرحم عند الإحرام ، حدیث (١١٨٩) ، وأبو داود ، حدیث (١٧٤٥) ، والنسائي ، حدیث (٢٦٨٥) ، وابن ماجه حدیث (٢٩٢٦) والإمام أحمد في مسنده (٩٨/٦) ، حدیث (٢٤٧١٦) ، ومالك في الموطأ (٣٢٨/١) ، حدیث (٧١٩) .

(٢٣٢) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : الطيب عند الإحرام وما يلبس إذا أراد ، حدیث (١٥٣٨) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : الطيب عند الإحرام ، حدیث (١١٩٠) ، وأبو داود ، حدیث (١٧٤٦) ، والنسائي ، حدیث (٢٦٩٤) ، وابن ماجه ، حدیث (٢٩٢٨) ، والإمام أحمد (٣٨/٦) ، حدیث (٢٤١٥٣) .

(٢٣٣) رواه البخاري ، كتاب : العلم ، باب : من أجاب السائل بأكثر مما سأله ، حدیث (١٣٤) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : ما يباح للمرحم بحج أو عمرة وما لا يباح ، حدیث (١١٧٧) ، وأبو داود ، حدیث (١٨٢٣) ، والترمذی ، حدیث (٨٣٣) ، والنسائي ، حدیث (٢٦٦٩) ، وابن ماجه ، حدیث (٢٩٢٩) ، والإمام أحمد في مسنده (١١٩/٢) ، حدیث (٦٠٠٣) .

المخيط، أن المراد بالمخيط ما فيه خيطة، ولهذا تجدهم يسألون كثيراً عن لبس الكمر المخيط، وعن لبس الإزار أو الرداء المرقع، وعن لبس النعال المخوذة وما أشبه ذلك، ظناً منهم أن العلماء يريدون بلبس المخيط لبس ما كان فيه خيطة والأمر ليس كذلك، وإنما مراد العلماء بذلك، ما يليس من الثياب المفصلة على الجسم، على العادة المعروفة، وتأمل قول الرسول ﷺ: «لا يلبس القميص ، ولا السراويل...الخ» تبين لك أن الإنسان لو تلفف بالقميص بدون لبس، فإنه لا حرج لا حرج عليه، فلو جعل القميص إزاراً لفه على ما بين سرته وركبته، فإنه لا حرج عليه في ذلك، لأن ذلك لا يُعد لبساً للقميص.

ومن المحرمات في الإحرام: تغطية الرجل رأسه بملابس معتاد، كالطاقية، والعمامة، والغطرة، فأما تغطية الرأس بالشمسية، أو سقف السيارة، أو بثوب يرفعه بيده عن رأسه، فهذا لا بأس به، لأن المحرم تغطية الرأس لا تظليله، وقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث أم حchin رضي الله عنها قالت: رأيت النبي ﷺ راكباً، وأسامي وبلال أحدهما آخذ بخطام ناقته، والثاني رافع ثوبه. أو قالت: ثوبًا يظلل به من الحر، حتى رمى جمرة العقبة، ولا يحرّم على المحرم أن يحمل عفشه على رأسه، لأن ذلك لا يراد للتغطية، وإنما المراد به الحمل.

ومن محظورات الإحرام: أن تتنقب المرأة، أي تضع النقاب على وجهها، لأن النقاب لباس الوجه، وقد نهى رسول الله ﷺ المرأة أن تتنقب وهي محرمة ^(٢٣٤)، فالمشرع للمرأة في حال الإحرام أن تكشف وجهها، إلا إذا كان حولها رجال غير محارم لها، فإنه يعجب عليها أن تستر الوجه وفي هذه الحال: لا بأس أن يلافق الساتر بشرتها، ولا حرج عليها في ذلك.

(٢٣٤) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : ما ينهي من الطيب للمحرم والمرمة ، حديث (١٨٣٨) ، والترمذني ، حديث (٨٣٣) ، وأبو داود ، حديث (١٨٢٣) ، والنسائي ، حديث (٢٦٧٣) ، والإمام أحمد في مسنده (١١٩/٢) ، حديث (٦٠٠٣) ، والإمام مالك في الموطأ (٣٣٨/١) ، حديث (٧١٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٧/٥) ، حديث (٨٨٢٦) .

ومن محظورات الإحرام: لبس القفازين، وهم جواوب اليدين، وهذا يشمل الرجل والمرأة، فلا تلبس المرأة القفازين في حال الإحرام، وكذلك الرجل لا يلبس القفازين، لأنهما لباس، فهما كالخلفين بالنسبة للرجل.

* * *

حكم وضع شيء ملاصق لرأس المحرم

س ٢٤٤: قلت أنه لا يست المحرم رأسه أو لا يضع على رأسه ملاصق كالغطنة والطانية هل يسمى ذلك أيضا وضع قطعة ورق أو كرتون أو بطانية على رأسه؟.

الجواب: نعم يشمل هذا، ولهذا إذا احتاج إلى تظليل رأسه، فليرفع هذا عن رأسه قليلاً حتى لا يباشره.

* * *

الفرق بين النقاب والبرقع

س ٢٤٥: ما الفرق بين النقاب والبرقع؟. وهل يجوز للمرأة المحرم أن تلبس البرقع؟.

الجواب: البرقع أخص من النقاب، لأن النقاب خمار معتاد، يتدارى من خمار رأسها، ويُفتح لعيتها، أما البرقع فإنه قد فُصل للوجه خاصة وغالباً يكون فيه التجميل والتقوش ما لا يكون في النقاب، ولذلك فلا يجوز لبس المحرمة البرقع لأنها إذا مُنعت من النقاب، فالبرقع من باب أولى.

* * *

كيفية ستر وجه المحرمة أمام الرجال

س ٢٤٦: قلت بوجوب ستر المحرمة وجهها إذا حضر الرجال، فهل تستر وجهها بالنقاب أم بنسى، آخر؟.

الجواب: تستر بشيء ليس بنقاب ولا برقع، تغطيه تغطية كاملة.

* * *

حكم من تلبس ببعض محظورات الإحرام

س ٢٦٧ : فصلته في الهماء لمحظور من محظورات الإحرام، وذكرت أنه يتربى عليه خمسة أمور، لكن بقية المحظورات ما ذكرت لنا حلماً من تلبس بشيء منها؟.

الجواب : نذكر ذلك إن شاء الله.

أما الصيد : فقد بين الله ما يتربى عليه، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَآتُوهُ حُرُمَةً وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمَ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذِيَا يَلْبِغُ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَدُوقَ وَبَالْ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْقَصُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]. فإذا كان هذا الصيد مما له مثل من النعم، أي من الإبل أو البقر أو الغنم، فإنه يذبح مثله في مكة، ويتصدق به على الفقراء، أو يجعل بدل المثل إطعاماً يشتري ويوزع على الفقراء، أو يصوم عن إطعام كل مسكين يوم، هذا إذا كان له مثل، أما إذا كان لم يكن له مثل، فإن العلماء يقولون: يخير بين الإطعام والصوم، فَيَقُولُ الصَّيْدُ بِدِرَاهِمٍ، وَيُطْعَمُ بِمَا يَقْبَلُ هَذِهِ الدِّرَاهِمُ الْفَقَرَاءُ فِي مَكَّةَ، أَوْ يَصُومُ عَنْ إِطْعَامِ كُلِّ مَسْكِينٍ يَوْمًا، هَذَا فِي الصَّيْدِ.

أما في حلق الرأس : فقد بين الله أن الواجب فدية من صيام أو صدقة أو نسك ، وبين رسول الله ﷺ أن الصيام ثلاثة أيام، وأن الصدقة إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، وأن النسك شاة يذبحها، وهذه الشاة يوزعها على الفقراء، وحلق الرأس حرام إلا من تأذى بالشعر، كما ستعرض له إن شاء الله تعالى.

محظورات الإحرام «تتمة»

س ٤٤٨ : نود من فضيلتكم أن تكملوا الحديث عن محظورات الإحرام، وما الذي يهرب على من ارتكب مهظوراً من هذه المحظورات؟.

الجواب : ذكرنا فيما سبق ما يجب في فعل محظورات الإحرام، فذكرنا جزاء الصيد، وذكرنا ما يجب في الجماع أيضاً، وذكرنا ما يجب بحلق الرأس، وأنه فدية من صيام أو صدقة أو نسك. والصيام بينه النبي ﷺ بأنه صيام ثلاثة أيام، والصدقة بأنها إطعام ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، والنسك ذبح شاة، وهذه الشاة توزع على الفقراء، ولا يؤكل منها شيء، لأنها وجبت جبراً للنسك، حيث انتهك الإنسان ما حرم عليه فيه.

وهذه الفدية تسمى عند أهل العلم فدية الأذى، لأن الله تعالى ذكرها في ذلك حيث قال: ﴿فَنَّ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ يَهْرُبُ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ شُكُرٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

قال أهل العلم: وهي واجبة - أعني فدية الأذى - في كل محظور من محظورات الإحرام، ما عدا الجماع قبل التحلل الأول في الحج، وجزاء الصيد، لأن في الأول بدنة، وفي الثاني المثل، أو ما يقوم مقامه، فكل المحظورات عندهم ما عدا ما ذكرنا، كل المحظورات التي فيها فدية فديتها فدية الأذى، فدخل في ذلك: لبس القميص، والسراويل، والبرانس، وتغطية الرأس للرجل، وتغطية الوجه للمرأة، والطيب، وال المباشرة، وما أشبه ذلك. هكذا قال أهل العلم في هذه المحظورات.

حكم من ارتكب محظوراً من المحظورات جاهلاً

س ٢٢٩: ما حكم من ارتكب محظوراً من هذه المحظورات ناسياً أو ماهراً؟

الجواب: نقول: محظورات الإحرام تنقسم إلى أقسام:

منها: ما لا فدية فيه أصلاً، ومثل له العلماء بعقد النكاح، والخطبة - خطبة النكاح - قالوا: إن هذا ليس فيه فدية.
ومنها: ما فديته فدية الأذى.

ومنها: ما فديته بدنة.

ومنها: ما فديته الجذع. وكل شيء فيه فدية، فإن فاعله لا يخلو من ثلاثة حالات: إما أن يفعله عالماً ذاكراً مختاراً، وفي هذه الحال يترتب عليه الإثم، وما يجب فيه من الفدية، وإما أن يفعله متعمداً عالماً مختاراً، لكن لغيره، فهذا ليس عليه إثم، ولكنه عليه الفدية، مثل أن يحلق رأسه لأذى أو شبهه متعمداً عالماً ذاكراً، فإنه يجب عليه الفدية، ولا إثم عليه، لأنه معدور، وإنما أن يفعل هذه المحظورات ناسياً، أو جاهلاً، أو مكرهاً، فهذا ليس عليه شيء، لا إثم ولا فدية أبداً
كان المحظور، لعموم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَسِيَّاً أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله: ﴿وَتَسَعَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. وقوله تعالى في جزاء الصيد: ﴿وَمَن قَنَلَ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَنَلَ مِنَ النَّعْمَ﴾ [المائدة: ٩٥]. فإذا اشترطت العمدة في جزاء الصيد، مع أن قتل الصيد إتلاف، فما عدah من باب أولى.

وعلى هذا فنقول: إذا فعل أحد شيئاً من هذه المحظورات، ناسياً أو جاهلاً، أو مكرهاً، فليس عليه شيء، لا إثم، ولا فدية، ولا يفسد نسكة، ولا يتعلق به شيئاً أصلاً ولو كان المحظور جماعاً.

حكم استبدال المحرم لباس الإحرام

س ٢٣٠ : ما حكم استبدال المحرم لباس الإحرام؟ .

الجواب : تبديل المحرم لباس الإحرام بثوب يجوز لبسه في الإحرام لا بأس به، سواء فعله حاجة، أو لضرورة، أو لغير حاجة أو ضرورة.

فأما فعله للضرورة : فمثل أن يتتجس ثوب الإحرام وليس عنده ماء يغسله به، فهنا يُضطر إلى تبديله بثوب ظاهر، لأنه لا يمكن أن تصح منه صلاته إلا بشاب طاهرة.

ومثال الحاجة : أن يتسرع ثوب الإحرام، فيحتاج إلى غسل، فله أن يخلعه، ويلبس ثوباً آخر مما يجوز لبسه في الإحرام.

ومثال ما لا حاجة لخلعه ولا ضرورة : أن يغير لباس الإحرام بدون أي سبب، فله ذلك ولا حرج عليه، إذا غيره بما يجوز لبسه.

* * *

حكم الاغتسال للمحرم

س ٢٣١ : الترفه ممنوع منه المحرم لتنقية الأظافر وغيرها، لكن هل يهرب المحرم أن يغتسل من أهل النظافة؟ .

الجواب : المحرم يجوز له أن يغتسل من أجل النظافة، لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه اغتسل وهو محرم ^(٢٣٥) ، ويجوز للمحرم أن يغير ثياب الإحرام إلى ثياب أنظف منها أو أجدّ، ويجوز له أيضاً أن يتصرف باستعمال المكيفات، أو بغيرها من أسباب الراحة.

وأما قول بعض أهل العلم : إنه لا يجوز له أن يقلم أظفاره، وقادسوه على

(٢٣٥) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : الاغتسال للمحرم ، حدث (١٨٤٠) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : جواز غسل المحرم بدنه ورأسه ، حدث (١٢٥٠) ، وأبو داود ، حدث (١٨٤٠) ، والنسائي حدث (٢٦٦٥) ، وأبي ماجه ، حدث (٢٩٣٤) ، والإمام أحمد في مسنده (٤٢١/٥) ، حدث (٢٣٦٢٥) ، والإمام مالك في الموطأ (٣٢٣/١) ، حدث (٧٠٣) .

حلق شعر الرأس بجامع الترفة، فهذا أمر يُنظر فيه وليس محل إجماع من أهل العلم.

* * *

حكم إتلاف نبات وشجر مكة

س ٤٣٦ : بالنسبة للمحرم والنبات الذي ينبع في ملة المكرمة في المحرم، ما حكم تلع هذا النبات والتعرض له بشيء من الإتلاف؟

الجواب: النبات والشجر، لا علاقة للإحرام بهما، لأن تحريمه لا يتعلق بالإحرام، وإنما يتعلق بالمكان، أي بالحرم، فما كان داخل أميال الحرم، فإنه لا يجوز قطعه، ولا حشنه، لأن النبي ﷺ قال في مكة: «إنه يختلي خلاها ولا يُعْضَدْ شوّكها» (٤٣٦)، فقطع شجرها وحشيشها، حرام على المحرم وغيره، وأما ما كان خارج الحرم، فإنه حلال للمحرم وغير المحرم، وعلى هذا فيجوز للحجاج أن يقطعوا الشجر في عرفة، ولا حرج عليهم في ذلك، ولا يجوز لهم أن يقطعوا الشجر أو الحشيش في مزدلفة وفي منى، لأن مزدلفة ومنى داخل الحرم.

ويجوز للحجاج أن يضعوا البساط على الأرض، ولو كان فيها أعشاب، إذا لم يقصد بذلك إتلاف الحشيش الذي تحته، لأن تلفه حينئذ حصل بغیر قصد، فهو كما لو مشى الإنسان في طريقه وأصاب حماماً أو شيئاً من الصيد بغیر قصد منه، فإنه ليس عليه فيه شيء.

* * *

(٤٣٦) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : لا ينفر صيد الحرم ، حديث (١٨٣٣) بلفظ : «ولا يُعْضَدْ شجرها» ، ومسلم بنحوه ، كتاب : الحج ، باب : تحريم مكة وصيدها خلاها وشجرها ولقطتها ، حديث (١٣٥٣) ، والنسائي بنحوه ، حديث (٢٨٧٤) ، والإمام أحمد بلفظه (٣١٨/١) ، حديث (٢٩٢٣) .

زمان ومكان الإحرام بالحج

س ٢٢٢ : اذا جاء الحاج الى البيت وطاف وتحمل من العمرة ودخلت في ملة، فمتى يحرم بالحج؟ ومن اين يحرم؟.

الجواب : يُحرِّم الإنسان بالحج يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، من مكانه الذي هو نازل فيه، ويُحرِّم ضحى، ويدهب إلى مئى فيصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، كما أسلفنا ذلك في بيان صفة الحج.

* * *

لا يلزم الطواف أو الإحرام من البيت يوم التروية

س ٢٣٤ : لكن هل يلزم المحرم في يوم التروية أن يطوف بالبيت، أو يحرم من البيت؟.

الجواب : لا يلزمه أن يطوف بالبيت، ولا أن يحرم من البيت، ولا يسن له ذلك أيضاً، لأن الصحابة الذين حلوا من عمرتهم مع النبي ﷺ أحرموا من مكانهم، ولم يأمرهم النبي ﷺ أن يذهبوا إلى البيت فيحرموا منه، أو أن يطوفوا قبل إحرامهم.

* * *

حكم من أدرك الوقوف بعرفة متأخراً

س ٢٥ : عرفنا في صفة الحج أن الحاج يرجع من منى في اليوم التاسع من ذي القعدة ضحى، لكن لو لم يدرك الوقوف بعرفة إلا متأخراً فما الحكم؟.

الجواب : عرفنا أن الإنسان في اليوم الثامن يخرج إلى منى، ويبقى بها إلى صباح اليوم التاسع، ثم يذهب إلى عرفة، فلو أن الحاج لم ينزل في منى اليوم الثامن، وذهب إلى عرفة رأساً، فهل يصح حججه؟.

والجواب على ذلك : نعم يصح حجه، بدليل حديث عروة بن المضرس أنه سأله النبي ﷺ حيث صلى معه صلاة الفجر في مزدلفة، سأله فقال: «يا رسول الله، إني أتعجب نفسي، وأكره راحلتي، فلم أدع جبلاً إلا وقفت عنده» فقال النبي ﷺ: «من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً، فقد تم حجه وقضى نفثه» (٢٣٧)، وهذا يدل على أنه لا يجب أن يبقى الحاج في مني في اليوم الثامن وليلة التاسع، وأنه لو ذهب إلى عرفة رأساً لكان حجه صحيحًا، لكن الأفضل أن يبقى في مني، من ضحى اليوم الثامن إلى أن تطلع الشمس من اليوم التاسع.

وأما سؤالكم الذي سألكم عنه، وهو حكم من ذهب إلى عرفة متأخراً، فنقول: إذا ذهب إلى عرفة متأخراً، ولكنه أدرك الوقوف بها قبل أن يطلع الفجر يوم العيد، فحجه صحيح ولا شيء عليه، فوقت الوقوف بعرفة ينتهي بطلوع فجر يوم العيد.

* * *

بداية الوقوف بمزدلفة ونهايته

س ٢٢٦: نوّرْتَ أَنْتَ نُورْتَ مَنْ يَبْرُدُ الرِّقْفَ بِمَزْدَلْفَةَ، وَمَنْ يَنْتَهِي دَمَاهُ أَيْضًا؟.

الجواب : الوقوف بمزدلفة الذي يعبر عنه أهل العلم بالمبيت بمزدلفة، يبدأ من انتهاء الوقوف بعرفة، ولا يصح قبله، ولو أن حاجاً وصل إلى مزدلفة في أثناء الليل، قبل أن يقف بعرفة، فوقف في مزدلفة ثم إلى عرفة ووقف بها ثم نزل من عرفة إلى مني، فإن وقوفه بمزدلفة غير معتبر، لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا

(٢٣٧) رواه الترمذى ، كتاب : الحج ، باب : ما جاء فىمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج ، حديث (٨٩١) ، والنسائى ، حديث (٣٠٤١) ، وأبو داود بنحوه ، حديث (١٩٥٠) ، والإمام أحمد فى مسنده (١٥/٤) ، وابن حبان فى صحيحه (١٦١/٩) ، حديث (٣٨٥٠) ، والحاكم فى المستدرك (٦٣٥/١) ، حديث (١٧٠٢) .

أَفَضَّلُمْ مِنْ عَرَفَتِ فَآذَكُرُوا اللَّهُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴿١٩٨﴾ [البقرة: ١٩٨]. فجعل محل الذكر عند المشعر الحرام، أو وقت الذكر عند المشعر الحرام، بعد الإفاضة من عرفة، فيبتدىء المكث في مزدلفة من انتهاء الوقوف بعرفة، ويستمر إلى أن يصل إلى الإنسان الفجر، ويقف قليلاً إلى أن يُسفر جداً، ثم ينصرف إلى مني.

ولكنه يجوز لمن كان ضعيفاً لا يستطيع مراحمة الناس في الرمي، أن يدفع من مزدلفة في آخر الليل ^(٢٣٨) ، لأن النبي ﷺ أذن للضعف من أهله أن يدفعوا في آخر الليل، وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، ترقب غروب القمر، فإذا غرب دفعت ^(٢٣٩) ، وهذا أحسن من التحديد بنصف الليل، لأنه هو الوارد عن النبي ﷺ، وهو الموفق للقواعد، وذلك أنه لا يجعل حكم الكل للنصف، وإنما يجعل حكم الكل للأكثر والأغلب، وبهذا نعرف أن قول من قال من أهل العلم: إنه يكفي أن يبقى في مزدلفة بمقدار صلاة المغرب والعشاء، ولو قبل منتصف الليل، قول مرجوح، وأن الصواب الاقتداء برسول الله ﷺ فيما فعله، وفيما أذن فيه.

* * *

متى ينتهي الوقوف بمزدلفة؟.

س ٤٣٧: متى ينتهي الوقوف بمزدلفة بهيئه ان الصاع لو أتى
لد يعتبر واقفا بها؟.

الجواب: ظاهر حديث عروة بن المضرس الذي قال فيه الرسول ﷺ: «من

(٢٣٨) سبق تخرجه ، برقم (٢١٥).

(٢٣٩) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : من قدم ضعفة أهله بليل فيقفون بالمزدلفة ، حديث (١٦٧٩) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : استحباب تقديم دفع الضعف من النساء وغيرهن ، حديث (١٢٩١) ، والإمام أحمد في مسنده ، ٣٥١/٦ ، حديث (٢٧٠١١) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٠/٤) ، حديث (٢٨٨٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٣/٥) ، حديث (٩٣٥١).

شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع»^(٤٠) أن الإنسان لو جاء مزدلفة بعد طلوع الفجر، وأدرك صلاة بغلس في الوقت الذي صلاتها فيه رسول الله ﷺ فإنه يجزئه، ومعرفه عند الفقهاء - رحمهم الله - أنه لا بد أن يدرك جزءاً من الليل، بحيث يأتي إلى مزدلفة قبل طلوع الفجر.

* * *

حكم المبيت بمنى يوم النحر

س ٢٢٨ : ذكرتم أن من الأعمال التي يقرم بها الحاج يوم النحر المبيت بمنى، لكن ما هي هذا المبيت؟

الجواب : المبيت بمنى ذكرناه فيما سبق من واجبات الحج، وأن المعروف عند أهل العلم، أن من ترك واجباً من واجبات الحج فعليه فدية ذبح شاة، ثُدْبَح في مكة وتوزع على فقرائها.

* * *

حد المبيت في منى

س ٢٣٩ : زر بعضًا من الناس يتهادون في المبيت بمنى، فيقللون من البقاء فيها، وبين هبرون خارجها معظم الوقت، ولا يأتون إليها إلا ساعات محدودة، فما هو المقدار اللآفي للبقاء في منى أو المبيت في منى؟

الجواب : المشروع للحجاج أن يبقى في منى طول الوقت، هكذا سنة الرسول ﷺ والإنسان لم يتغرب عن وطنه، ولم يتجمش المشاق إلا لأداء هذه العبادة العظيمة على وفق ما جاء عن رسول الله، لم يأت من بلده إلى هذا المكان ليترفه، ويسلك ما هو أيسر، مع مخالفته لهدي النبي ﷺ، فالمشروع في حق الحاج أن يبقى في منى ليلاً ونهاراً، ولكن مقتضى كلام الفقهاء، أن الواجب أن

يحقى في منى معظم الليل، في الليلة الحادية عشر والثانية عشر، وأما بقية الليل والنهرار جميعه فليس بواجب عندهم أن يكث في منى، ولكن ينبغي للإنسان أن يتقيّد بما جاءت به السنة، وأن يحقى في منى ليلاً ونهاراً، والمسألة ما هي إلا يومان فقط، بالإضافة إلى يوم العيد، بل يوم ونصف، وزيادة يسيرة مع يوم العيد.

* * *

الآداب التي ينبغي مراعاتها في منى

س ٤٠ : ما هي الآداب التي ينبغي أن يتصل بها الحاج أبناء بقائه في منى يوم العادي عشر، والثاني عشر، والتالى عشر لمن أراد أن يتاضر؟

الجواب: ينبغي للحاج أن يتهز هذه الفرصة في التعرف على أحوال المسلمين، والالتقاء بهم، وإسداء النصح إليهم، وإرشادهم، وبيان الحق المبني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى ينصرف المسلمون من حجتهم، وهم قد أدوا هذه العبادة، ونهلوا من العلم الشرعي المبني على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وإذا كان لا يحسن لغة من يخاطب، فإنه يجعل بينه وبينهم ترجمانًا، يكون أميناً عارفاً باللغتين، المترجم منها وإليها، عارفاً بموضع الكلام الذي يتكلم فيه، حتى يترجم عن بصيرة، وفي ثقة وأمانة.

وينبغي كذلك في هذه الأيام، أن يكون حريصاً على التحليل بمحاسن الأخلاق والأعمال ؟ من إعانت المستعين، وإغاثة الملهوف، ودلالة الضائع، وغير ذلك مما هو إحسان إلى الخلق، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ويقول جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ﴾ [التحل: ٩٠]. ولا سيما في هذه الأماكن المفضلة، فإن أهل العلم يقولون: إن الحسنات تتضاعف في الزمان والمكان الفاضل.

* * *

يسمعون إلى الملاهي ويغتابون الناس في منى

س ٤٤١: بعض الناس يقضي هذه الأيام في منى أما بالاستماع إلى الملاهي أو بالتفله بالحديث في أغراض الناس، مما حلم هذا العمل؟.

الجواب: هذا العمل محرم في حال الحج وغير الحج، فإن الأغاني المصحوبة بالآلات العزف، من الموسيقى والعود والرباب وشبها محرمة في كل زمان وفي كل مكان، لما ثبت في «صحيح البخاري» من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحرام والحرير، والخمر، والمعازف» ^(٤١) ، قال العلماء: «والمعازف: آلات اللهو».

ولا يستثنى منها إلا الدفوف في المناسبات التي أذن الشارع باستعمالها فيها، وكذلك التفكه بأغراض الناس، والسخرية بهم ونحو ذلك، مما يحدث في موسم الحج وغيره، وهو حرام، سواء كان في موسم الحج أو في غير موسم الحج، سواء كان في مكة أم في غير مكة، لقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تُلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَاهِرُوا بِالْأَلْقَبِ إِنَّ الْأَنْمَاءَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(٤٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُمْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَا وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَقْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحُبُّ أَهْدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ» ^(٤٣) [الحجرات: ١١-١٢].

* * *

(٤١) رواه البخاري ، كتاب: الأشربة ، باب: ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ، وابن حبان في صحيحه (١٥/١٥) ، حديث (٦٧٥٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٢١/١٠) .

الحكمة من رمي الجمار

س ٢٤٦ : في أيام التشريق ترمي الهمار الثلاث في يومين أو ثلاثة أيام، فما الحكمة من رمي هذه الهمار؟

الجواب : الحكمة من رمي هذه الجمار، بينها رسول الله ﷺ في قوله: «إِنَّمَا جعل الطواف بِالْبَيْتِ، وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الْجَمَارِ، لِإِقْامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٢٤٢) وفي رمي الجمار أيضاً تحقيق لعبادة الله ، فإن الإنسان يرمي هذه الجمار، وهو لا يعرف حكمه بينة في رميها، وإنما يفعل ذلك تعبداً لله وذكراً له، وكذلك يرمي هذه الجمرات اتباعاً لرسول الله ﷺ، فإنه رماها وقال: «لتأخذوا عني مناسككم»^(٢٤٣)

* * *

صفة رمي الجمار

س ٢٤٣ : أيضاً بالنسبة للهمار، نردد أن تذكروا لنا صفة رمي الهمار؟.

الجواب : الذي ينبغي للحاج إذا ذهب إلى رمي جمرة العقبة ، أن يكون مليئاً، فإذا شرع في الرمي قطع التلبية، هذا في رمي جمرة العقبة يوم العيد، أما في رمي الجمرات الثلاث، فينبغي أن يذهب بسکينة وخصوص وخشوع لله ، وإن كبار في مسيره فحسن، لأن أيام التشريق، أيام أكل وشرب وذكر الله ، ومن ذكر الله تعالى التكبير، فإذا ذهب مكبراً فهو حسن، لأن التكبير هنا مطلق، ولكنه لا يعتقد أنه مشروع من أجل الذهاب إلى الرمي، إنما يعتقد أنه مشروع مطلقاً، أما ذهابه بخشوع وتعظيم لله فهذا أمر مطلوب، ولهذا يكبر الإنسان الله عند

(٢٤٢) سبق تخرجه برقم (٢١٨).

(٢٤٣) رواه مسلم كتاب : الحج ، باب : استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً ، حدث (١٢٩٧) وأبو داود ، حدث (١٩٧٠) ، والإمام أحمد في مستنته (٣٣٧١٣) ، حدث (١٤٦٥٨) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٧٧) ، حدث (٢٨٧٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٠/٥) ، حدث (٩٣٣٥).

رمي كل حصاة.

الدعاء عند رمي الجمار

س ٤٤ : لكن هل هناك أدعية عند رمي الهمرات؟.

الجواب : نعم ذكرنا أنه إذا رمى الجمرة الأولى، استقبل القبلة، ورفع يديه، وقام يدعوا دعاء طويلاً، وكذلك بعد رمي الجمرة الوسطى، وأما بعد رمي جمرة العقبة فلا يقف.

س ٤٥ : وهل هناك دعاء مخصوص؟.

الجواب : ليس هناك دعاء مخصوص فيما أعلم.

* * *

لا تلزم الطهارة عند رمي الجمار

س ٤٦ : هل تلزم الطهارة لرمي الهمار؟.

الجواب : لا، الطهارة لا تلزم في أي منسك من مناسك الحج، إلا الطواف بالبيت، فإنه لا يجوز للحائض أن تطوف بالبيت، لقول النبي ﷺ لعائشة: «افعل ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت» (٤٤)

* * *

حكم غسل حصى الجمار

س ٤٧ : ما حكم غسل حصى الهمار؟.

الجواب : لا يُغسل، بل إذا غسله الإنسان على سبيل التبعد لله، كان هذا بدعة، لأن النبي ﷺ لم يفعله.

* * *

حكم من نسي شيئاً من أشواط الطواف أو السعي

س ٤٨: نوّة أنت تعرف حكم من نسي شيئاً من أشواط الطواف
أو السعي؟.

الجواب: إذا نسي الإنسان شيئاً من أشواط الطواف أو السعي، فإن ذكر قريئاً أتم ما بقي عليه، فلو طاف ستة أشواط بالبيت، ثم انصرف إلى مقام إبراهيم ليصلّي، وفي أثناء انسراه ذكر أنه لم يطف إلا ستة أشواط، فإنه يرجع من الحجر الأسود، ليأتي بالشوط السابع، ولا حرج عليه.

أما إذا لم يذكر إلا بعد مدة طويلة فإن كان الطواف طواف نسك، وجب عليه إعادة الطواف من جديد، لأن طوافه الأول لم يصح، لكونه ناقصاً، ولا يمكن بناء ما تركه على ما سبق لطول الفصل بينهما، فيستأنف الطواف من جديد، وهكذا نقول في السعي: إنه إذا نسي شوطاً من السعي، فإن ذكر قريئاً أتى بالشوط الذي نسيه، وإن طال الفصل استأنفه من جديد.

هذا إذا قلنا: إن الموالة في السعي شرط، أما إذا قلنا إنها ليست بشرط كما هو قول بعض أهل العلم، فإنه يأتي بما نسي ولو طال الفصل. ولكن الأحوط أن يبدأ بالسعي من جديد إذا أطال الفصل، لأن ظهور كون الموالة شرطاً أبلغ من عدم كونها شرطاً.

* * *

ماذا يفعل إذا أقيمت الصلاة وهو في الطواف أو السعي

س ٤٩: إذا أقيمت الصلاة وهو في الطواف أو السعي فماذا يفعل؟.

الجواب: إذا أقيمت الصلاة وهو في الطواف أو في السعي، فإنه يدخل في الجماعة، وإذا انتهت الصلاة أتم الشوط من حيث وقف، ولا يلزمه أن يأتي به من أول شوط، فإذا قدر أنه أقيمت الصلاة وهو في منتصف الشوط الثالث من

السعى، فليقف مكانه ويصلّي، ثم إذا سلم الإمام أتم السعى من مكانه، وإن لم يكن حوله أحد يصلّي معه في المسعى، فإنه يتقدّم، ويصلّي حيث يجد من يصافه، فإذا سلم من الصلاة، خرج من المسعى، وأتم من المكان الذي قطعه منه، ولا يلزمه أن يعيد الشوط من ابتدائه. وهكذا نقول في الطواف؛ لو أقيمت الصلاة وأنت بحذاء الحجّر من الناحية الشمالية مثلاً، فإنك تصلي في مكانك، فإذا انتهت الصلاة، فأتم الشوط من المكان الذي وقفت فيه، ولا حاجة إلى أن تعيد الشوط من الحجر الأسود.

* * *

س ٤٥٠: لكن هل يلزمه قطع الطواف أو السعى للصلاة أو يجوز له؟.

الجواب: إن كانت الصلاة فريضة، يجب عليه أن يقطع الطواف أو السعى ليصلّي، لأن صلاة الجماعة واجبة، وقد رُخص للإنسان أن يقطع سعيه من أجلها، فيكون خروجه من السعى أو الطواف خروجاً مباحاً، ودخوله مع الجماعة دخولاً واجباً، فيجب عليه أن يدخل مع الجماعة، أما إذا كانت الصلاة نافلة كما لو كانت في قيام الليل في التراویح في رمضان، فالمعروف أنه لا يقطع السعى أو الطواف من أجل ذلك، لكن الأفضل أن يتحرى، فيجعل الطواف بعد القيام أو قبله، وكذلك السعى، لعله يفوته فضيلة قيام الليل مع الجماعة.

* * *

س ٤٥١: إذا أذنت للصلاة وهو يسعى بين الصفا والمروءة، وهو على غير طهارة، وهذا هائز؟ فهل يخرج خارج الصرم ليتوضاً، ويرجع ويصلّي مع الناس، ويَكمل سعيه أم يبتداه من جديد؟.

الجواب: نعم لابد أن يخرج إلى الميضاة ويتوضأ ويصلّي مع الجماعة، وفي هذه الحال؛ إن كان الفصل طويلاً استأنف السعى وإن كان قصيراً لم يستأنف، فإذا قدر أن الميضاة قريبة من المسعى، ولم يستوعب وقتاً، وأنه من حيث جاء

أقيمت الصلاة، فهذا زمن قليل، فليتم السعي، وأما إذا كان الزمن طويلاً، كأن تكون الميضة بعيدة بحيث يكون الفاصل بين أجزاء السعي فاصلاً طويلاً، فإنه يبدأ السعي من أوله.

* * *

حكم التمسح بجدران الكعبة وكسوتها

س ٢٥٦ : في أئم الطراف يشاهد بعض الناس يتمسحون بهار الكعبة، وبكسورها، وبالمقام والهجر، فما حكم ذلك العمل؟

الجواب : هذا العمل يفعله الناس، يريدون به التقرب إلى الله والبعد له، وكل عمل تريده به التقرب إلى الله والبعد له، وليس له أصل في الشرع فإنه بدعة، خذل منه النبي ﷺ فقال: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلاله»^(٢٤٠) ، ولم يرُد عن النبي ﷺ أنه مسح سوى الركن اليماني والحجر الأسود، وعليه فإذا مسح الإنسان أي ركن من أركان الكعبة أو جهة من جهاتها، غير الركن اليماني والحجر الأسود، فإنه يعتبر مبتدعًا، ولما رأى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معاوية ابن أبي سفيان يمسح الركين الشماليين، نهاده، فقال له معاوية : ليس شيء من البيت مهجوراً، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشَوَّهَ حَسَنَةً﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقد رأيت النبي ﷺ يمسح الركين اليمانيين، يعني الركن اليماني والحجر والأسود، فرجع معاوية إلى قول ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشَوَّهَ حَسَنَةً﴾ ومن باب أولى في البدعة، ما يفعله بعض الناس من التمسح بمقام إبراهيم، فإن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ أنه تمسح في أي جهة من جهات المقام، وكذلك ما يفعله بعض الناس من التمسح بزمزم، والتمسح

(٢٤٥) رواه مسلم بنحوه ، كتاب : الجمعة ، باب : تخفيف الصلاة والخطبة ، حديث (٨٦٧) ، والنسائي بنحوه ، حديث (١٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً، ورواه أبو داود ، حديث (٤٦٠٧) ، وابن ماجه ، حديث (٤٢) ، والإمام أحمد في مسنده (١٢٦/٤) ، وابن حبان في صحيحه (١٧٩/١) ، والدارمي (٥٧/١) ، حديث (٩٥) من حديث العرباض بن سارية ..

بأعمدة الرواق، وكل ذلك مما لم يرد عن النبي ﷺ فكله بدعة، وكل بدعة ضلالة.

* * *

س ٤٥٣: لَكُنْ أَيْضًا مَا حَلَّمَ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِاسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَيَرْعُونَ طَوْبَارًا؟

الجواب: هؤلاء أيضًا عملهم لا أصل له في الشنة، وهو بدعة ينبغي بل يجب على طالب العلم أن يبين لهم هذا، وأنه ليس من هدي النبي ﷺ، أما الالتزام بين الحجر الأسود وبين الكعبة، فهذا قد ورد عن الصحابة فعله، ولا بأس به، لكن مع المراحمة والضيق كما يشاهد اليوم، لا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يتآذى به أو يؤذى به غيره، في أمر ليس من الواجبات.

* * *

صفة الالتزام

س ٤٥٤: لَكُنْ مَا صَفَةُ هَذَا الْالْتِزَامِ بَيْنَ الْعَمَرِ الْأَسْوَدِ وَالْبَيْتِ؟

الجواب: الالتزام وقوف في هذا المكان وإلصاق، يلتصق الإنسان يديه وذراعيه وخده على هذا الجدار.

* * *

خصائص ماء زمزم

س ٤٥٥: ذَكَرْتُمْ أَنَّهُ لَا يَهْرُزُ التَّمْسِعُ بِزَمْزَمَ أَوْ بَسَّيْ، مَنْهَا، لَكُنْ مَا هُنْ خَصَائِصُ ماء زمزم؟

الجواب: من خصائص ماء زمزم أن النبي ﷺ قال: «ماء زمزم لما شرب له» (٢٤٦)، وأن الإنسان إذا شربه لعطش روى، وإذا شربه لجوع شبع، وهذا من

خصائصه.

حكم التبرك بآثار مكة والكعبة

س ٥٦: هل من خصائص ملة أو اللعنة التبرك باصحابها أو آثارها؟

الجواب: ليس من خصائص مكة أن يتبرك الإنسان بأشجارها وأحجارها، بل من خصائص مكة ألا تعهد، ولا يُحش حشيشها، لنهي النبي ﷺ عن ذلك، إلا الإذخر، فإن النبي ﷺ استثناه ^(٢٤٧)، لأنه يكون للبيوت، وقيون الحدادين، وكذلك اللحد في القبر فإنه تسد به شقوق البناء، وعلى هذا فنقول: إن حجارة الحرم أو مكة ليس فيها شيء يتبرك به، وبالتمسح به، أو بنقله إلى البلاد، أو ما أشبه ذلك.

* * *

حكم إطلاق اسم جبل الرحمة على الجبل الذي في عرفة

س ٥٧: أبضاً يطلق على هبل عرفة: هبل الرحمة، فما حكم هذه التسمية؟ وهل لها أصل؟

الجواب: هذه التسمية لا أعلم لها أصلاً من السنة، أي أن الجبل الذي في عرفة، الذي وقف عنده النبي ﷺ يسمى جبل الرحمة، وإذا لم يكن له أصل من السنة فإنه لا ينبغي أن يطلق عليه ذلك، والذين أطلقوا عليه هذا الاسم لعلهم لاحظوا أن هذا الموقف موقف عظيم، تتبع فيه مغفرة الله ورحمته للواقفين في عرفة فسموه بهذا الاسم، والأولى ألا يسمى بهذا الاسم، وليرقال: جبل عرفة، أو الجبل الذي وقف عنده النبي ﷺ أو ما أشبه ذلك.

= في مسنده (٣٥٧/٣)، حديث (١٤٨٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤٨/٥)، حديث (٩٤٤٢) والحاكم في المستدرك (١٦٤٦/١)، حديث (١٧٣٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٥٩/١)، حديث (٨٤٩).

(٢٤٧) سبق تخرجه برقم (٢٣٦).

حكم زيارة هذا الجبل والصلاحة عليه

س ٢٥٨ : يلتزم بعض المهاجع زيارة هذا الجبل قبل الصبح أو بعده ويصلون في أعماله، فما حكم زيارة هذا الجبل وما حكم الصلاة فيه؟

الجواب : حكمه كما يعلم من القاعدة الشرعية، بأن كل من تعبد الله تعالى بما لم يشرعه الله فهو مبتدع، فيعلم من هذا أن قصد هذا الجبل للصلاحة عليه أو عنده والتمسح به، وما أشبه ذلك مما يفعله بعض العامة بدعة، ينكر على فاعلها، ويقال له: لا خصيصة لهذا الجبل إلا أن يسن أن يقف الإنسان يوم عرفة عند الصخرات، كما وقف النبي ﷺ، مع أن النبي ﷺ وقف هناك عند الصخرات، وقال: «وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف» ^(٢٤٨) ، وبناء على ذلك فلا ينبغي أيضاً أن يشق الإنسان على نفسه في يوم عرفة، ليذهب إلى ذلك الجبل، فربما يضيع عن قومه، ويتعب بالحر والعطش، ويكون لهذا آثماً، حيث شقّ على نفسه في أمر لم يوجهه الله عليه.

* * *

حكم استقبال الجبل واستدبار الكعبة

س ٢٥٩ : أيضاً بخصوص هذا الجبل، لثير من الناس في يوم عرفة، يستقبلون الجبل ويستدبرون اللعبه، فما حكم هذا العمل؟ وما حكم رفع الراية والدعاء به؟

الجواب : المشروع للواقفين بعرفة، حيث ينشغلون بالدعاء والذكر، أن يتوجهوا إلى القبلة، سواء كان الجبل خلفهم أو بين أيديهم، وليس استقبال الجبل مقصوداً لذاته، وإنما استقبله النبي ﷺ لأنه كان بينه وبين القبلة، إذ أن موقف

(٢٤٨) رواه مسلم ، كتاب : الحج ، باب : ما جاء أن عرفة كلها موقف ، حديث (١٢١٨) ، وأبو داود ، حديث (١٩٣٦) ، وأحمد في مسنده (٣٢٠/٣) حديث (١٤٤٨٠) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٥٤) حديث (٢٨١٥) ، والبيهقي في الكبرى (١١٥/٥) حديث (٩٢٤١) .

الرسول ﷺ كان شرقي عند الصخرات، فكان استقبال النبي ﷺ لهذا الجبل غير مقصود، وعلى هذا فإذا كان الجبل خلفك إذا استقبلت القبلة فاستقبل القبلة - ولا يضرك أن يكون الجبل خلفك، وفي هذا المقام - أي مقام الدعاء في عرفة - ينبغي للإنسان أن يرفع يديه، وأن يبالغ في التضرع إلى الله ، لأن النبي ﷺ كان يدعو وهو رافع يديه، حتى إن خطام ناقته لما سقط، أخذه ﷺ بيده وهو رافع اليد الأخرى، وهذا يدل على استحباب رفع اليدين في هذا الموضع، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله حيٌّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صيفاً» (٢٤٩) .

* * *

أخطاء تقع في مناسك الحج يجب الحذر منها
أخطاء تقع في الإحرام

س ٦٠ : هناك مواقف يقفها المهاجر وأمر يفعلونها في الصبح، وهذه المواقف والآمور يهدى فيها أخطاء، ولعله من الترتيب أن نبدأ في الإحرام وما يقع فيه من أخطاء، إذا كان هناك أخطاء ترتكبها في ذلك؟.

الجواب : قبل أن أجيب على هذا السؤال، أحب أن أبين أن كل عادة لابد لقبولها من شرطين:

الشرط الأول : الإخلاص لله ، بأن يقصد الإنسان بعبادته التعبد لله تعالى وابتغاء ثوابه ومرضاته، فإن هذه هي الحال التي كان عليها رسول الله ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿لِمُحَمَّدٍ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْرَأَهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَةً يَبْرُئُهُمْ﴾

(٢٤٩) رواه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : الدعاء ، حدث (١٤٨٨) ، والترمذى ، حدث (٣٥٥٦) ، وابن ماجه ، حديث (٣٨٦٥) ، وابن حبان في صحيحه (١٦٠/٣) حدث (٨٧٦) ، والبيهقي في الكبير (٢١١/٢) حدث (٢٩٦٥) .

تَرِنُّهُمْ رُكُعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ قَضَاءً مِنَ اللَّهِ وَرَضْوَانًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَيْتَاهَ وَجْهَ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرَّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْمَسْنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٣﴾ جَنَّتُ عَدِنَ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَمَّاَبِيهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَدَرِيَّتِهِمْ وَالْمَلِيَّكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٤﴾ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَعَمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حَنَّفَاءَ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْذُرُوا أَلَزْكَوْنَةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَّمَةِ ﴿٥﴾ [البينة: ٥].

ولقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالَ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لَكُلُّ امْرَئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَ هَجَرَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ هَجَرَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَ هَجَرَهُ إِلَى دُنْيَا يَصِيبُهَا أَوْ امْرَأَ يَتَرَوَّجُهَا فَهُوَ هَجَرَهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» ^(٢٥٠).

ولقوله ﷺ في الحديث القديسي عن الله تعالى أنه قال: «أَنَا أَغْنِي الشَّرَكَاءَ عَنِ الشَّرَكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكَهُ وَشَرَكَهُ» ^(٢٥١) ، ولقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إِنَّكَ لَنْ تَنْفَقْ نَفْقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا» ^(٢٥٢) . والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً كلها تفيد أن أساس العمل الإخلاص لله .

الشرط الثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ وهي أيضاً شرط لصحة العمل،

(٢٥٠) سبق تخرجه برقم (١٥١).

(٢٥١) رواه مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : من أشرك في عمله غير الله ، حديث (٢٩٨٥) ، وابن ماجه ، حديث (٤٢٠٢) ، وأحمد في مسنده (٣٠١/٢) حديث (٧٩٨٦) بلفظ : «أَنَا خَيْرُ الشَّرَكَاءِ» ، بدل : «أَغْنَيَ الشَّرَكَاءِ» ، ولفظ : «فَأَنَا بِرَئِيْهِ مِنْهُ» ، بدل : «تَرَكَهُ وَشَرَكَهُ» . وكذلك ابن حزيمة في صحيحه (٦٧/٢) حديث (٩٣٨) ، وابن حبان في صحيحه (١٢٠/٢) حديث (٣٩٥) .

(٢٥٢) رواه البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالْحَسِبَةِ ، حديث (٥٦) ، ومسلم ، كتاب : الوصية ، باب : الوصية بالثلث ، حديث (١٦٢٨) ، وأحمد في مسنده (١٧٦/١) حديث (١٥٢٤) ، وابن حبان في صحيحه (٤٢٤٩) حديث (٦١-٦٠/١٠) ، وأبو عوانة في مسنده (٤٨٣/٣) حديث (٥٧٧٧) ، والبيهقي في الكبrij (٢٦٨/٦) حديث (١٢٣٤٥) .

لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْبِغِيَ الْسُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْبِونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يَعِيشُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولقوله تعالى: ﴿وَمَا ءاَنَّكُمُ الرَّسُولُ فَحَذَّرُوهُ وَمَا نَهَنَّكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا﴾ [الحشر: ٧]. ولقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢٥٣)، وفي لفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، ولقوله («إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلاله»^(٢٥٤)، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً أيضاً.

وبناء على ذلك فإن كل من تعبد لله تعالى عبادة غير مخلص فيها فإنها باطلة لفقد الإخلاص منها، وكل من تعبد لله تعالى بشيء يقصد به التعبد ولم يرد به الشرع، فإن ذلك مردود عليه لعدم المتابعة لرسول الله ﷺ. وبناء على هذه القاعدة العظيمة؛ أنه من شرط العبادة أن تكون خالصة لله موافقة لشريعته، وهي التي اتبع فيها رسول الله ﷺ، فإن هناك أخطاء يفعلها بعض المسلمين في عبادتهم، وما دمنا نتحدث في موضوع الحج، وما دام السؤال الذي ورد منكم يطلب به بيان الأخطاء في الإحرام، فإني أود أن أبين شيئاً منها.

فمن ذلك:

ترك الإحرام من الميقات: فإن بعض الحجاج ولا سيما القادمون بطريق الجو، يدعون الإحرام من الميقات حتى ينزلوا إلى جدة، مع أنهم يمرون به من فوق، وقد وقَّت النبي ﷺ المواقت لأهلها، وقال: «هُنَّ أَهْلَهُنَّ وَلَنْ أَتِيَ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ»^(٢٥٥)، وثبت في «صحيحة البخاري» عن عمر بن الخطاب ، أنه

(٢٥٣) سبق تخریجه برقم (٦٢).

(٢٥٤) سبق تخریجه برقم (٢١٤).

(٢٥٥) سبق تخریجه برقم (٢١٣).

لما شكا إليه أهل العراق أن «قرن المنازل» التي وقّتها رسول الله ﷺ لأهل نجد جوز عن طريقهم، أي بعيدة ومائلة عن الطريقة، قال عليهما السلام: انظروا إلى حذوها من طريقكم .^(٢٥٦)

وهذا يدل على أن محاذاة الميقات كالمروء به، والذي يأتي محاذاة الميقات من فوق بالطائرة كالماء به، فعليه أن يحرم إذا حاذى الميقات، ولا يجوز له أن يتعدى الميقات لينزل في مسافة ويحرم منها.

والطريق لتصحيح هذا الخطأ أن يغتسل الإنسان في بيته أو في المطار، ويتأهب في الطائرة بلباس ثوب الإحرام وخلع ثيابه المعتادة، فإذا حاذى الميقات أحـرـم منهـ، فـلـبـيـ بـماـ يـرـيدـ أـنـ يـحـرـمـ بـهـ مـنـ عـمـرـةـ أـوـ حـجـجـ، وـلـاـ يـحـلـ لـهـ أـنـ يـؤـخـرـ ذـلـكـ إـلـىـ جـدـةـ، فـإـنـ فـعـلـ فـقـدـ أـخـطـأـ، وـعـلـيـهـ عـنـدـ جـمـهـورـ أـهـلـ الـعـلـمـ فـدـيـةـ يـذـبـحـهـاـ فـيـ مـكـةـ، وـيـوـزـعـهـاـ عـلـىـ الـفـقـرـاءـ، لـأـنـ تـرـكـ وـاجـبـاـ مـنـ الـوـاجـبـاتـ.

الأمر الثاني: مما يخطئ فيه بعض الناس: أن بعض الناس يعتقد أنه لابد أن يحرم بالنعلين، وأنه إذا لم يكن النعلان عليه حين الإحرام، فإنه لا يجوز له لبسهما، وهذا خطأ، فإن الإحرام في النعلين ليس بواجب ولا شرط، فالإحرام ينعقد بدون أن يكون عليه النعلان، ولا يمنع إذا أحـرـمـ مـنـ غـيرـ نـعـلـيـنـ، أـنـ يـلـبـسـهـمـاـ فـيـمـاـ بـعـدـ، فـلـهـ أـنـ يـلـبـسـ النـعـلـيـنـ فـيـمـاـ بـعـدـ وـإـنـ كـانـ لـمـ يـحـرـمـ بـهـمـاـ، وـلـاـ حـرـجـ عـلـيـهـ فـيـ ذـلـكـ.

الثالث: أن بعض الناس يظن أنه لابد أن يحرم بثياب الإحرام، وتبقى عليه إلى أن يحل من إحرامه، وأنه لا يحل به تبديل هذه الثياب، وهذا خطأ فإن الإنسان المحرم يجوز له أن يغير ثياب الإحرام لسبب أو لغير سبب، إذا غيرها إلى شيء يجوز لبسه في الإحرام.

ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء، فكل من أحـرـمـ بشـيـءـ مـنـ ثـيـابـ

الإحرام وأراد أن يغيره فله ذلك، لكن أحياناً يجب عليه تغييره كما لو تنجس بنجاسة لا يمكن غسله إلا بخلعه، وأحياناً يكون تغييره أحسن إذا تلوث تلوثاً كثيراً بغير بجاسة، فينبغي أن يغيره إلى ثوب نظيف أو إلى ثوب إحرام نظيف، وتارة يكون الأمر واسعاً، إن شاء غير وإن شاء بدل، المهم أن هذا الاعتقاد غير صحيح، وهو أن يعتقد الحاج أنه إذا أحرم بثوب لا يجوز له خلعه حتى يحلّ من إحرامه.

الرابع : أن بعض الناس يضطבעون بالإحرام من حين الإحرام، أي من حين عقد النية، والاضطبعان أن يخرج الإنسان كفه الأيمن و يجعل طرف الرداء على كفه الأيسر، فنرى كثيراً من الحجاج - إن لم يكن أكثر الحجاج - يضطبعون من حين أن يحرموا إلى أن يُحلوا وهذا خطأ، لأن الاضطبعان إنما يكون في طواف القدوم فقط، ولا يكون في السعي ولا فيما قبل الطواف.

هذه من الأخطاء التي يخطئ فيها بعض الحجاج، وتلافي هذا كله أن يدعوا هذه الأخطاء، وأن يصححوا المسار على حسب ما جاء عن النبي ﷺ.

هناك أيضاً خطأ زائد على ما قلت، وهو اعتقاد بعضهم أنه يجب أن يصلى ركعتين عند الإحرام، وهذا خطأ أيضاً، فإنه لا يجب أن يصلى الإنسان ركعتين عند الإحرام، بل القول الراجح الذي ذهب إليه أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أنه لا يُسن للإحرام صلاة خاصة، لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، فإذا اغتسل الإنسان ولبس ثياب الإحرام أحرم بدون صلاة، إلا إذا كان وقت صلاة مثل أن تكون صلاة الفريضة قد حان وقتها أو قرب وقتها، وهو يريد أن يكث في الميلات حتى يصلى، فهنا الأفضل أن يكون إحرامه بعد الصلاة، أما أن يتعمد صلاة معينة في الإحرام، فإن القول الراجح أنه ليس للإحرام صلاة تخصه، هذا ما يحضرني الآن مما يخطئ فيه الناس عند الإحرام.

أخطاء تقع في الإحرام بالحج يوم التروية

س ٦٦١: بالنسبة للإحرام يوم التروية، هل هناك أخطاء يرتكبها الحجاج؟ وما علاجها؟.

الجواب: نعم، هناك أخطاء في الإحرام في الحج يوم التروية، فمنها ما سبق ذكره من الأخطاء عند الإحرام بالعمرة، وهو أن بعض الناس يعتقد ووجب الركعتين للإحرام، وأنه لابد أن تكون ثياب الإحرام جديدة، وأنه لابد أن يحرم بالنعلين، وأنه يضطرب بالرداء من حين إحرامه إلى أن يحلّ.

ومن الأخطاء في إحرام الحج: أن بعض الناس يعتقد أنه يجب أن يحرم من المسجد الحرام، فتجده يتكلف ويدهب إلى المسجد الحرام ليحرم منه، وهذا ظن خطأ، فإن الإحرام من المسجد الحرام لا يجب، بل السنة أن يحرم بالحج من مكانه الذي هو نازل فيه، لأن الصحابة الذين حلوا من إحرام العمرة بأمر النبي ﷺ ثم أحرموا بالحج يوم التروية، لم يأتوا إلى المسجد الحرام ليحرموا منه، بل أحرم كل إنسان منهم من موضعه، وهذا في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فيكون هذا هو السنة، فالسنة للمحرم بالحج أن يكون إحرامه من المكان الذي هو نازل فيه، سواء كان في مكة أو في منى، كما يفعله بعض الناس الآن حيث يتقدمون إلى منى من أجل حماية الأمكنة لهم.

ومن الأخطاء أيضاً: أن بعض الحجاج يظن أنه لا يصح أن يحرم بشياب الإحرام التي أحرم بها في عمرته إلا أن يغسلها، وهذا ظن خطأ أيضاً، لأن ثياب الإحرام لا يشترط أن تكون جديدة أو نظيفة، صحيح أنه كلما كانت أنظف فهو أولى، وأما أنه لا يصح الإحرام بها لأنه أحرم بها في العمرة، فإن هذا ظن ليس بصواب، هذا ما يحضرني الآن بالنسبة للأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الإحرام بالحج.

أخطاء تقع في التلبية

س ٦٦ : إذا انتقلنا من الإحرام، فهل هناك أخطاء تقع من المهاجر بعد الإحرام؟ وما هي؟.

الجواب : هناك أخطاء في الواقع تكون بعد الميقات، أو بعد الإحرام من الميقات إلى الوصول إلى المسجد الحرام، وذلك في التلبية، فإن المشروع في التلبية أن يرفع الإنسان صوته بها، لأن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل فأمرني أن أمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال»^(٢٥٧) ، يعني بالتلبية، ونرى أفواج الحجاج تمر بأعداد ضخمة لا نسمع أحداً يلبي، فلا يكون للحج مظهر في ذكر الله ، بل إنه تمر بك الأفواج وكأنهم لا ينطقون، والمشروع للرجال أن يرفعوا أصواتهم بقدر ما يستطيعون من غير مشقة في التلبية، لأن الصحابة كانوا يفعلون هكذا في عهد النبي ﷺ ، امثالاً لأمر النبي ﷺ بذلك كما أشرنا إليه آنفاً.

وخطأ آخر في التلبية : أن بعض الحجاج يلبيون بصوت جماعي، فيتقدم واحد منهم أو يكون في الوسط أو في الخلف ويلبي ثم يتبعونه بصوت واحد، وهذا لم يرد عن الصحابة ، بل قال أنس بن مالك: كنا مع النبي ﷺ - يعني في حجة الوداع - فمنا المكبر، ومنا المهلل، ومنا الملبّي، وهذا هو المشروع للمسلمين، أن يلبي كل واحد بنفسه، وألا يكون له تعلق بغيره.

* * *

(٢٥٧) رواه أبو داود ، كتاب : المناسك ، باب : كيف التلبية ، حديث (١٨١٤) ، والترمذى ، حديث (٨٢٩) ، والنسائى بنحرة ، حديث (٢٧٥٣) ، وابن ماجه ، حديث (٢٩٢٢) ، وأحمد في مستنه (٤/٥٥) ، ومالك في الموطأ (٣٣٤/١) ، حديث (٧٣٦) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/١٧٣) حديث (٢٦٢٥).

أخطاء تقع عند دخول الحرم

س ٦٦: بقى علينا أن نعرف أثابكم الله . الأخطاء التي تأتي
عند دخول الصرم؟.

الجواب: من الأخطاء التي تكون من بعض الحجاج عند دخول المسجد
الحرام:

أولاً: أن بعض الناس يظنّ أنه لابد أن يدخل الحاج أو المعتمر من باب
معين في المسجد الحرام، فيرى بعض الناس مثلاً أنه لابد أن يدخل إذا كان معتمراً
من الباب الذي يسمى «باب العمرة»، وأن هذا أمر لابد منه أو أمر مشروع،
ويرى آخرون أنه لابد أن يدخل من «باب السلام»، وأن الدخول من غيره يكون
إثماً أو مكروهاً، وهذا لا أصل له، فللحجاج والمعتمر أن يدخل من أي باب كان،
وإذا دخل المسجد فليقدم رجله اليمنى وليقل ما ورد في الدخول لسائر المساجد،
فيسلم على النبي ﷺ ويقول: «اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك»
ثانياً: أن بعض الناس يتندع أدعية معينة عند دخول المسجد ورؤيه البيت،
يتندع أدعية لم ترد عن النبي ﷺ فيدعوا الله بها، وهذا من البدع، فإن التعبد لله
تعالى بقول أو فعل أو اعتقاد لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه بدعة وضلاله،
حضر منه رسول الله ﷺ .

ثالثاً: يخطئ بعض الناس - حتى من غير الحجاج - حيث إنهم يعتقدون أن
تحية المسجد الحرام الطواف، يعني أن يسْرُّ لكل من دخل المسجد الحرام أن
يطوف اعتماداً على قول بعض الفقهاء في أن سنة المسجد الحرام الطواف،
والواقع أن الأمر ليس كذلك، فالمسجد الحرام كغيره من المساجد التي قال فيها
رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلِي
^(٢٥٨) ركعتين» ، ولكن إذا دخلت المسجد الحرام للطواف سواء كان الطواف

^(٢٥٨) رواه البخاري بنحوه ، كتاب : الصلاة ، باب : إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين ، =

طواف نسك كطوف العمرة والحج، أو كان طواف تطوع كالاطوفة في غير النسك، فإنك يجزئك أن تطوف وإن لم تصل ركعتين، هذا هو معنى قولنا إن المسجد الحرام تحتيه الطواف، وعلى هذا فإذا دخلت بغير نية الطواف ولكن لانتظار الصلاة أو لحضور مجلس علم أو ما أشبه ذلك، فإن المسجد الحرام كغيره، يُسْنَ في أن تصلي ركعتين قبل أن تجلس لأمر النبي ﷺ بذلك. هذا الذي يحضرني الآن فيما يخطئ فيه الناس عند دخول المسجد الحرام.

* * *

أخطاء تقع في الطواف

س ٦٤ : إذا دخل الصالح أو المعتمر أو غيرهما الهرم وأراد أن يطرف، لدَّنك أنه يقع هناك بعض الأخطاء، صيناً لو بيشرم هذه الأخطاء التي تقع في الطرف؟.

الجواب : في الطواف أيضاً أخطاء كثيرة، تقع من بعض الحجاج أو غير الحجاج:-

فمنها: النطق بالنية عند إرادة الطواف: تجد الحاج يقف مستقبلاً للحجر إذا أراد الطواف فيقول: اللهم إني نويت أطوف سبع أشواط للعمرمة، أو اللهم إني نويت أن أطوف سبعة أشواط للحج، أو اللهم إني نويت أن أطوف سبعة أشواط تقرباً إليك.

والتلفظ بالنسبة ببدعة، لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولم يأمر أمته به، وكل من تعبد لله بأمر لم يتبعده به رسول الله ﷺ ولم يأمر أمته به، فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه، فالتلفظ بالنسبة عند الطواف خطأ وبدعة، وكما أنه خطأ من ناحية

= حديث (٤٤٤)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحية المسجد بركعتين،
حديث (٧١٤)، والترمذى، حديث (٣١٦)، والنسائي، حديث (٧٣٠)، وأبي ماجة، حديث
(١٠١٢)، وأحمد في مسنده (٢٩٥/٥) حديث (٢٢٥٧٦)، ومالك في الموطأ (١٦٢/١) حديث
(٣٨٦).

الشرع فهو خطأً من ناحية العقل، فما الداعي إلى أن تتلفظ بالنية مع أن النية بينك وبين ربك، والله تعالى عالم بما في الصدور وعالم بأنك سوف تطوف هذا الطواف، وإذا كان الله تعالى عالماً بذلك فلا حاجة أن تُظهر هذا لعبد الله، فإن قلت: أنا أقوله بلسانني ليطابق ما في قلبي، قلنا: العبادات لا تثبت بالأقوسية، والنبي ﷺ قد طاف قبلك ولم يتكلم بالنية عند طوافه، والصحابة قد طافوا قبلك ولم يتكلموا بالنية عند طوافهم، ولا عند غيره من العبادات، فهذا خطأ.

الخطأ الثاني: أن بعض الطائفين يزاحم مزاحمة شديدة عند استلام الحجر والركن اليماني، مزاحمة يتاذى بها ويؤذى غيره، مزاحمة قد تكون مع امرأة، وربما ينزعغه من الشيطان نزع فتححصل في قلبه شهوة عندما يزاحم هذه المرأة في هذا المقام الضنك، والإنسان بشر قد تستولي عليه النفس الأمارة بالسوء، فيقع في هذا الأمر المنكر تحت بيت الله ، وهذا أمر يكثُر ويعظم باعتبار مكانه كما أنه فتنة في أي مكان كان.

والمزاحمة الشديدة عند استلام الحجر أو الركن اليماني ليست بمشروعة، بل إن تيسّر لك بهدوء فذلك المطلوب، وإن لم تيسّر فإنه تشير إلى الحجر الأسود، أما الركن اليماني فلم يرد عن النبي ﷺ أنه أشار إليه، ولا يمكن قياسه على الحجر الأسود، لأن الحجر الأسود أعظم منه، والحجر الأسود ثبت عن النبي ﷺ أنه أشار إليه .^(٢٥٩)

والمزاحمة كما أنها غير مشروعة في هذه الحال، وكما أنه يخشى من الفتنة فيما إذا كان الزحام مع امرأة، فهي أيضاً تحدث تشويشاً في القلب والتفكير، لأن الإنسان لابد عند المزاحمة من أن يسمع كلاماً يكرهه، فتجده يشعر بامتعاض وغضب على نفسه إذا فارق هذا المحل.

(٢٥٩) رواه الدارمي (٦٥/٢) حديث (١٨٤٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢١٦/٤) حديث (٢٧٢٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٠/٣) حديث (١٣١٣٧).

والذي ينبغي للطائف أن يكون دائمًا في هدوء وطمأنينة، ومن أجل أن يستحضر ما هو متلبس به من طاعة الله، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا جَعَلَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمِيَ الْجَمَارِ لِإِقْامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٢٦٠).

الخطأ الثالث مما يقع في الطواف: أن بعض الناس يظنون أن الطواف لا يصح بدون تقبيل الحجر، وأن تقبيل الحجر شرط لصحة الطواف، ولصحة الحج أيضًا أو العمرة، وهذا ظن خطأ، وتقبيل الحجر سنة وليس سنة مستقلة أيضًا، بل هي سنة للطائف، ولا أعلم أن تقبيل الحجر يُستثنى في غير الطواف، وعلى هذا فإذا كان تقبيل الحجر سنة وليس بواجب ولا بشرط، فإن من لم يقبل الحجر لا نقول إن طوافه غير صحيح أو إن طوافه ناقص نقصاً يائماً به، بل طوافه صحيح، بل نقول: إنه إذا كان هناك مزاحمة شديدة، فإن الإشارة أفضل من الاستلام، لأنه هو العمل الذي فعله الرسول عليه الصلاة والسلام عند الرحام، ولأن الإنسان يتقي به أذى يكون منه لغيره، أو يكون من غيره له، لو سألنا سائل وقال: إن المطاف مزدحم فما ترون؟ هل الأفضل أن أزاحم فأسلم الحجر وأقبله، أم الأفضل أن أشير إليه؟ قلنا: الأفضل أن تشير إليه، لأن السنة هكذا جاءت عن رسول الله ﷺ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

الرابع من الأخطاء التي يفعلها بعض الطائفين: تقبيل الركن اليماني، وتقبيل الركن اليماني لم يثبت عن رسول الله ﷺ، والعادة إذا لم تثبت عن رسول الله ﷺ فهي بدعة، وليس بقربة، وعلى هذا فلا يشرع للإنسان أن يقبل الركن اليماني، لأن ذلك لم يثبت عن رسول الله ﷺ وإنما ورد فيه حديث ضعيف لا تقوم به الحجة^(٢٦١).

(٢٦٠) سبق تخرجه برقم (٢١٨).

(٢٦١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/٢١٧) حديث (٢٧٢٧)، والحاكم في المستدرك (١/٦٢٦)، حديث (٢٩٠/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والدارقطني في سننه (٢٦٧٥).

وكذلك أيضاً نجد بعض الناس عندما يمسح الحجر الأسود أو الركن اليماني يمسحه بيده اليسرى كالمتهاون به، وهذا خطأ فإن اليد اليمنى أشرف من اليد اليسرى، واليد اليسرى لا تقدّم إلا للأذى، كالاستنجاء بها والاستجمار بها، والامتحاط بها وما أشبه ذلك، وأما مواضع التقبيل والاحترام، فإنه يكون لليد اليمنى.

الخامس من الأخطاء التي يرتكبها بعض الطائفين: أنهم يظنون أن استلام الحجر والركن اليماني للتبرك لا للتبعد، فيتمسحون به تبركاً وهذا بلا شك خلاف ما فُصّد به، فإن المقصود بالتمسح بالحجر الأسود أو بمسحه وتقبيله تعظيم الله ، ولهذا كان النبي ﷺ إذا استلم الحجر قال: «الله أكبر» إشارة إلى أن المقصود بهذا تعظيم الله، وليس المقصود التبرك بمسح هذا الحجر، قال أمير المؤمنين عمر: «والله إني لا لأعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» ^(٢٦٢). هذا الظن الخاطئ من بعض الناس، وهو أنهم يظنون أن المقصود بمسح الركن اليماني والحجر الأسود التبرك أدى ببعضهم إلى أن يأتي بابنه الصغير فيمسح الركن أو الحجر بيده، ثم يمسح ابنه الصغير أو طفليه بيده التي مسح بها الحجر أو الركن اليماني، وهذا من الاعتقاد الفاسد الذي يجب أن ينهى عنه، وأن يُبيّن أن مثل هذه الأحجار لا تضر ولا تنفع، وأن المقصود بمسحها تعظيم الله وإقامة ذكره، والاقداء برسوله ﷺ ونتقل من هذا ، إلى خطأ يقع أيضاً في المدينة المنورة عند حجرة قبر النبي ﷺ حيث كان بعض العامة يتمسحون بالسباك الذي على الحجرة، ويمسحون

=Hadith (٢٤٢) وأبو علی في مسنده (٤٧٢/٤) Hadith (٢٦٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٢١٥/١) Hadith (٢٣٨).

^(٢٦٢) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : ما ذكر في الحجر الأسود ، Hadith (١٥٩٧) ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ، Hadith (١٢٧٠) ، وأبو داود ، Hadith (١٨٧٣) ، والنمسائي ، Hadith (٢٩٣٧) ، وابن ماجه ، Hadith (٢٩٤٣) ، وأحمد في مسنده (٤٦/١) Hadith (٣٢٥) وابن حبان في صحيحه (١٣١/٩) Hadith (٣٨٢٢) .

بأيديهم وجوههم ورؤوسهم وصدورهم، اعتقاداً منهم أن في هذا بركة، وكل هذه الأمور وأمثالها مما لا شرعة فيه، بل هو بدعة ولا ينفع صاحبه بشيء، لكن إن كان صاحبه جاهلاً ولم يطرأ على باله أنه من البدع، فيرجح أن يُعْفَى عنه، وإن كان عالماً أو متهاوناً لم يسأل عن دينه، فإنه يكون آثماً فالناس في هذه الأمور التي يفعلونها: إما جاهل جهلاً مطبقاً لا يطّرأ بباله أن هذا محظى، فهذا يرجح أن لا يكون عليه شيء، وإما عالم متعمد ليضيّب ويُضلّ الناس، فهذا آثم بلا شك وعليه إثم من اتبّعه واقتدى به، وإما رجل جاهل متهاون في سؤال أهل العلم، فيخشى أن يكون آثماً بتغريمه وعدم سؤاله.

* * *

أخطاء تقع في الطواف «تتمة»

س ٦٥: كنا نتصدى عن الأخطاء التي تقع من المهاجع في
الطرف وأخذنا طرفاً منها، فهل لنا أن نسمع البقية؟

الجواب: هناك أخطاء أخرى يفعلها بعض الحاجاج في الطواف غير التي سبق أن ذكرنا منها: الرمل في جميع الأشواط، مع أن المشروع أن يكون الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى فقط، لأن النبي ﷺ إنما رمل هو وأصحابه في الأشواط الثلاثة الأولى فقط، وأما الأربعة الباقية فيمشي على ما هو عليه، على عادته، وكذلك الرمل لا يكون إلا للرجال، وفي الطواف أول ما يقدم إلى مكة، سواء كان ذلك طواف قدوم أو طواف عمرة.

ومن الأخطاء أيضاً: أن بعض الناس يخص كل شوط بدعاء معين، وهذا من البدع التي لم ترد عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فلم يكن النبي ﷺ يخص كل شوط بدعاء، ولا أصحابه أيضاً، وغاية ما في ذلك أنه ﷺ كان يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود **«رَبَّنَا مَائِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي**
الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ أَثَارِهِ» [البقرة: ٢٠١].

وقال ﷺ: «إنما جعل الطوافُ بالبيتِ، وبالصفا والمروءة، ورمي الجمار، لإقامة

(٢٦٣) ذكر الله .

وتزداد هذه البدع خطأً، إذا حمل الطائف كتيباً فيه لكل شوط دعاء، وهو يقرأ هذا الكتيب، ولا يدري ماذا يقول؛ إما لكونه جاهلاً باللغة العربية، ولا يدري ما المعنى، وإما لكونه عريضاً ينطق باللغة العربية ولكنه لا يدري ما يقول، حتى إننا نسمع بعضهم يدعوا بأدعية هي في الواقع محرفة تحريفاً بيئاً، من ذلك أننا سمعنا من يقول: اللهم أغنني «بجلالك» عن حرامك، والصواب: بحلالك عن حرامك.

ومن ذلك: أننا نشاهد بعض الناس يقرأ هذا الكتيب، فإذا انتهى دعاء الشوط، وقف ولم يدع في بقية شوطه، وإذا كان المطاف خفيفاً وانتهى الشوط قبل انتهاء الدعاء، قطع الدعاء.

ودواؤ ذلك أن نُبَيِّن للحجاج، بأن الإنسان في الطواف يدعو بما شاء وبما أحب، ويدرك الله تعالى بما شاء، فإذا نُبَيِّنَ للناس هذا زال الإشكال.

ومن الأخطاء أيضاً، وهو خطأً عظيم جداً؛ أن بعض الناس يدخل في الطواف من باب الحجر، أي الحجَّر الذي على شمال الكعبة، يدخل من باب الحجر، ويخرج من الباب الثاني في أيام الرحام، يرى أن هذا أقرب وأسهل، وهذا خطأً عظيم، لأن الذي يفعل ذلك لا يعتبر طائفاً بالبيت، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيَطْوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. والنبي ﷺ طاف بالبيت من وراء الحجر، فإذا طاف الإنسان من داخل الحجر، فإنه لا يعتبر طائفاً بالبيت، فلا يصح طوافه، وهذا مسألة خطيرة، لا سيما إذا كان الطواف ركناً، كطواف العمرة وطواف الإفاضة.

ودواؤ ذلك أن نُبَيِّن للحجاج أنه لا يصح الطواف إلا بجميع البيت، ومنه الحجر، وبهذه المناسبة أود أن أبين أن كثيراً من الناس يطلقون على هذا الحجر

اسم (حجر إسماعيل) والحقيقة أن إسماعيل لا يعلم به، وأنه ليس حجرًا له، وإنما هذا الحجر حصل حين قُصِّرَت النفقـة على قريش، حين أرادوا بناء الكعبة، فلم تكـف النفقـة لبناء الكعبـة على قواعد إبراهيم، فَخَطَّمُوا منها هذا الجانب، وحـجـزـوه بهذا الجدار، وسـئـيـ حـطـيـمـا وجـحـرـا، وإلا فـلـيـس لإـسـمـاعـيل فـيـه أـيـ عـلـمـ أو أـيـ عـمـلـ.

ومن الأخطاء أيضـاً: أن بعض الناس لا يلتزم بجعل الكعبـة عن يسارـه، فتجـدـه يطـوفـ معـه نـسـاؤـه ويـكـونـ قدـ وـضـعـ يـدـهـ معـ يـدـ زـمـيلـهـ لـحـمـاـيـةـ النـسـاءـ، فـتـجـدـهـ يـطـوفـ وـالـكـعـبـةـ خـلـفـ ظـهـرـهـ، وـزـمـيلـهـ الـآـخـرـ يـطـوفـ وـالـكـعـبـةـ بـيـنـ يـدـيهـ وـهـذـاـ خـطـأـ عـظـيـمـ أـيـضـاـ، لأنـ أـهـلـ الـعـلـمـ يـقـولـونـ: مـنـ شـرـطـ صـحـةـ الطـوـافـ أـنـ يـجـعـلـ الكـعـبـةـ عنـ يـسـارـهـ، فـإـذـاـ جـعـلـهاـ خـلـفـ ظـهـرـهـ أـوـ جـعـلـهاـ أـمـامـهـ، أـوـ جـعـلـهاـ يـمـينـهـ وـعـكـسـ الطـوـافـ، فـكـلـ هـذـاـ طـوـافـ لـيـصـحـ، وـالـوـاجـبـ عـلـىـ الإـنـسـانـ أـنـ يـعـتـنـيـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ، وـأـنـ يـحـرـصـ عـلـىـ أـنـ تـكـوـنـ الكـعـبـةـ عـنـ يـسـارـهـ فـيـ جـمـيعـ طـوـافـهـ.

ومن الناس من يـتـكـيـفـ فـيـ طـوـافـ حـالـ الزـحامـ، فـيـجـعـلـ الكـعـبـةـ خـلـفـ ظـهـرـهـ أـوـ أـمـامـهـ لـبـضـعـ خـطـوـاتـ مـنـ أـجـلـ الزـحامـ، وـهـذـاـ خـطـأـ، فالـوـاجـبـ عـلـىـ الـمـرـءـ أـنـ يـحـتـاطـ لـدـيـنـهـ، وـأـنـ يـعـرـفـ حدـودـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ الـعـبـادـةـ قـبـلـ أـنـ يـتـبـئـسـ بـهـاـ، حـتـىـ يـعـدـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـىـ بـصـيرـةـ، وـإـنـكـ لـتـعـجـبـ أـنـ الرـجـلـ إـذـاـ أـرـادـ أـنـ يـسـافـرـ إـلـىـ بـلـدـ يـجـهـلـ طـرـيقـهـ، فـإـنـهـ لـاـ يـسـافـرـ إـلـيـهاـ حـتـىـ يـسـأـلـ وـيـبـحـثـ عـنـ هـذـاـ طـرـيقـ، وـعـنـ الـطـرـيقـ السـهـلـ، لـيـصـلـ إـلـيـهاـ بـرـاحـةـ وـطـمـانـيـةـ، وـبـدـونـ ضـيـاعـ أـوـ ضـلـالـ، أـمـاـ فـيـ أـمـورـ الـدـيـنـ، فـإـنـ كـثـيـرـاـ مـنـ النـاسـ مـعـ أـلـفـيـنـ يـتـبـلـبـسـ بـالـعـبـادـةـ وـهـوـ لـاـ يـدـرـيـ حدـودـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـهـاـ، وـهـذـاـ مـنـ الـقـصـورـ، بـلـ مـنـ التـقـصـيرـ، نـسـأـلـ اللهـ لـنـاـ وـلـإـخـوـانـاـ الـمـسـلـمـينـ الـهـدـاـيـةـ، وـأـنـ يـجـعـلـنـاـ مـنـ يـعـلـمـونـ حدـودـ ماـ أـنـزلـ اللهـ عـلـىـ رـسـوـلـهـ.

ومن الأخطاء في الطـوـافـ أـيـضـاـ: أنـ بـعـضـ الطـائـفـينـ يـسـتـلـمـ جـمـيعـ أـركـانـ الكـعـبـةـ الـأـرـبـعـةـ؛ـ الـحـجـرـ الـأـسـوـدـ، وـالـرـكـنـ الـيـمـانـيـ، وـالـرـكـنـ الشـامـيـ، وـالـرـكـنـ الـعـرـاقـيـ، يـزـعـمـونـ أـنـهـمـ بـذـلـكـ يـعـظـمـونـ بـيـتـ اللهـ ، بـلـ مـنـ النـاسـ مـنـ يـتـعـلـقـ بـأـسـtarـ

الكعبة من جميع الجوانب، وهذا أيضاً من الخطأ، وذلك لأن المشروع استلام الحجر الأسود وتقبيله إن أمكن، وإلا فالإشارة إليه.

أما الركن اليماني، فالمشروع استلامه بدون تقبيل إن تيسّر، فإن لم يتيسر، فلا يشير إليه أيضاً، لأنه لم يرد عن النبي ﷺ، أما استلام الركن العراقي، وهو أول ركن يمر بعد الحجر الأسود، والشامي وهو الركن الذي يليه، فهذا من البدع، وقد أنكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما استلام جميع الأركان، وقال له: لقد رأيت رسول الله ﷺ يستلم الركين اليمانيين، وقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فقال معاوية : صدقت. ورجع إلى قول ابن عباس، بعد أن كان ﷺ يستلم الأركان الأربع، ويقول: ليس شيء من البيت مهجوراً .

ومن الأخطاء في الطواف: رفع الصوت بالدعاء: فإن بعض الطائفين يرفع صوته بالدعاء رفعاً مزعجاً، يذهب الخشوع، ويُسقط هيبة البيت، ويُشوّش على الطائفين، والتشويش على الناس في عباداتهم أمرٌ منكر، فقد خرج النبي ﷺ على أصحابه ذات ليلة وهم يقرؤون ويجهرون بالقراءة في صلاتهم، فأخبرهم عليه الصلاة والسلام بأن كل مصل ينادي ربه، ونهاهم أن يجهرون ببعضهم على بعض في القراءة وقال: «لا يؤذين بعضاً بعضاً» ^(٢٦٤).

ولكن بعض الناس - نسأل الله لنا ولهم الهدى - في المطاف يدعون ويرفون أصواتهم بالدعاء، وهذا كما أن فيه المذورات التي ذكرناها، وهي إذاب الخشوع، وسقوط هيبة البيت، والتشويش على الطائفين، فهو مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿أَذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٦٤]

(٢٦٤) رواه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ، حدث (١٣٣٢) ، وأحمد في مسنده (٩٤/٣) حديث (١١٩١٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٩٠/٢) حديث (١١٦٢) ، والحاكم في المستدرك (٤٥٤/١) حديث (١١٦٩) وقال : حديث صحيح على شرط الشيفيين ولم يخرجاه ، والبيهقي في الكبير (١١/٣) حديث (٤٤٧٩) .

[٥٥]

هذه الأخطاء التي سقناها في الطواف نرجو الله أن يهدى إخواننا المسلمين لإصلاحها، حتى يكون طوافهم موافقاً لما جاء عن رسول الله ﷺ، فإن خير الهدى هدى محمد ﷺ وليس الدين يؤخذ بالعاطفة والميول، ولكنه يؤخذ بالتلقي عن رسول الله ﷺ.

ومن الأخطاء العظيمة في الطواف: أن بعض الناس يبتدئ من عند باب الكعبة، لا يبتدئ من الحجر الأسود، والذي يبتدئ من عند باب الكعبة ويتم طوافه على هذا الأساس، لا يعتبر متاماً للطواف، لأن الله يقول ﴿وَلَيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. وقد بدأ النبي ﷺ من الحجر الأسود، وقال: «لأنخذوا عني مناسككم» ^(٢٦٥).

وإذا ابتدأ من عند الباب أو من دون محاذاة الحجر الأسود ولو بقليل، فإن هذا الشوط الأول الذي ابتدأه يكون لاغياً، لأنه لم يتم، وعليه أن يأتي بدلله إن ذكر قريباً، وإنما فليعد الطواف من أوله، والحكومة السعودية - وفقها الله - قد وضعت خططاً بيئية ينطلق من حذاء قلب الحجر الأسود إلى آخر المطاف، ليكون علامة على ابتداء الطواف، والناس من بعد وجود هذا الخط صار خطؤهم من هذه الناحية قليلاً، لكنه يوجد من بعض الجهال، وعلى كل حال فعلى المرء أن يتتبّع لهذا الخطأ، لثلا يقع في خطر عظيم من عدم تمام طوافه.

س ٢٦٦: **بعض المماجع اذا جاء الى هنا الفط الشيء وضع علامته على ابتداء الطراف وقف طويلاً وظهر على اخوانه ان يستمردوا في الطواف.** نما حكم الوقوف على هذا الفط والدعاء الطويل؟

الجواب: الوقوف عند هذا الخط لا يحتمل وقوفاً طويلاً، بل يستقبل

الإنسان الحجر ويشير إليه ويكتير ويتشي، وليس هذا موقفاً يطال فيه الوقوف، لكنني أرى بعض الناس يقفون ويقولون: نويت أن أطوف لله سبعة أشواط، طواف العمرة، أو تطوعاً، أو ما أشبه ذلك، وهذا يرجع إلى الخطأ في النية، وقد نبهنا عليه، وأن التكلم بالنية في العبادات بدعة، لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ، وأنت تعمل العبادة لله ، وهو عالم بنيتك فلا يحتاج إلى أن تجهر بها.

* * *

أخطاء تقع في ركعتي الطواف

س ٢٦٧ : سألنا عن الأخطاء التي تقع من بعض المهاجر في الإحرام ودخول الهرم والطروان، وبقي علينا ركعتا الطواف، هل هناك أخطاء في هاتين الركعتين يقع فيها المهاجر ينبغي التنبيه عليها؟.

الجواب : بقي علينا أخطاء يقع فيها الحجاج في ركعتي الطواف وفي غيرها أيضاً، فنبدأ بالأخطاء في ركعتي الطواف، فمن الأخطاء، أن بعض الناس يظنون أن هاتين الركعتين لابد أن تكونا خلف المقام، وقرباً منه أيضاً، ولهذا تجدهم يزاحمون زحاماً شديداً، يؤذون الطائفين، وهم ليس لهم حق في هذا المكان، لأن الطائفين أحق به منهم، ما دام المطاف مزدحماً، لأن الطائفين ليس لهم مكان سوى هذا، وأما المصلون للركعتين بعد الطواف فلهم مكان آخر، المهم أننا نجد بعض الناس - نسأل الله لنا ولهم الهدى - يتحلقون خلف المقام، ويشغلون مكاناً كبيراً واسعاً من أجل رجل واحد أو امرأة واحدة تصلي خلف المقام، ويحصل في ذلك من قطع الطواف للطائفين واخذ حامهم، لأنهم يأتون من مكان واسع، ثم يضيق بهم المكان هنا من أجل هذه الحلقة التي تحلق بها هؤلاء، فيحصل بذلك ضنك وضيق، وربما يحصل مضاربة ومشاجمة، وهذا كلُّه إيتاء لعباد الله وتجحُّر لمكان غيرهم به أولى، وهذا الفعل لا يشك عاقل عرف مصادر

الشريعة ومواردها أنه محرم، وأنه لا يجوز، لما فيه من إيذاء المسلمين، وتعریض طواف الطائفين للفساد أحياناً، لأن الطائفين أحياناً باشتباکهم مع هؤلاء، يجعلون البيت إما خلفهم وإما أمامهم، مما يخل بشرط من شروط الطواف، فالخطأ هنا أن بعض الناس يعتقد أنه لابد أن تكون الركعتان خلف المقام وقريباً منه، والأمر ليس كما ظن هؤلاء، فالرکعتان تجزيان في كل مكان من المسجد، ويمكن للإنسان أن يجعل المقام بينه وبين البيت، أي بينه وبين الكعبة ولو كان بعيداً منه، ويكون بذلك قد حقق السنة، من غير إيذاء للطائفين ولا لغيرهم.

ومن الأخطاء في هاتين الركعتين: أن بعض الناس يطولهما، يطيل القراءة فيها، ويطيل الرکوع، والسجود، والقيام والقعود، وهذا مخالف للسنة، فإن النبي ﷺ كان يخفف هاتين الركعتين، ويقرأ في الأولى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَفَّرُونَ﴾ . وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ . وينصرف من حين أن يُسلم، تشعراً للأمة، ولئلا يُحجز المكان عنمن هو أحق به منه، فإن هذا المكان إنما يكون للذين يصلون خلفه بعد الطواف، أو للطائفين إن ازدحم المطاف، ولهذا يخطئ بعض الناس الذين يطيلون الركعتين خلف المقام، لخلفتهم السنة، للتضييق على إخوانهم من الطائفين إذا كان الطواف مزدحماً، ولا احتجاز المكان الذي غيرهم أولى به، من أتموا طوافهم ويريدون أن يصلوا ركعتين خلف المقام.

ومن الأخطاء أيضاً في هاتين الركعتين: أن بعض الناس إذا أتمهما جعل يدعوه، يرفع يديه ويدعوه دعاء طويلاً، والدعاء، بعد الركعتين هنا ليس بمشروع، لأن رسول الله ﷺ لم يفعله، ولا أرشد أمته إليه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ فلا ينبغي للإنسان أن يبقى بعد الركعتين يدعوه، لأن ذلك خلاف السنة، ولأنه يؤذى الطائفين إذا كان الطواف مزدحماً، ولأنه يحجز مكاناً غيره أولى به من أتموا الطواف وأرادوا أن يصلوا في هذا المكان.

ومن البدع أيضاً: هذا ما يفعله بعض الناس حيث يقوم عند مقام إبراهيم،

ويبدوا دعاء طويلاً يسمى دعاء المقام، وهذا الدعاء لا أصل له أبداً في سنة الرسول ﷺ فهو من البدع التي ينهى عنها، وفيه مع كونه بدعة - وكل بدعة ضلالة : أن بعض الناس يمسك كتاباً فيه هذا الدعاء، ويبدأ يدعوه به بصوت مرتفع ويومن علىه من خلفه وهذا بدعة إلى بدعة، وفيه أيضاً تشویش على المسلمين حول المقام، والتشویش على المسلمين سبق أن رسول الله ﷺ نهى عنه، وكل هذه الأخطاء التي ذكرناها في الركعتين وبعدهما، تصويفهما أن الإنسان يتمشى في ذلك على هدى رسول الله ﷺ فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ فإذا تمشينا عليه زالت عننا هذه الأخطاء كلها.

* * *

حكم الدعاء بعد النافلة ومسح الوجه

س ٦٦٨ : ذكرتم من الأخطاء في ركعتي الطراف أن يدعوا للناس بعد الركعتين، وهناك أيضاً من يدعوا طويلاً ثم يمسح وجهه، فهل هذا خاص برکعتين الطراف، أو يعم جميع السنن التي يصلحها للناس؟.

الجواب : في سؤالك هذا مسألتان:

المسألة الأولى : مسح الوجه باليدين بعد الدعاء.

والمسألة الثانية : الدعاء بعد النافلة.

أما الأول وهو مسح الوجه باليدين بعد الدعاء، فإنه وردت فيه أحاديث ضعيفة اختلف فيها أهل العلم، فذهب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن هذه الأحاديث لا تقوم بها حجة، لأنها ضعيفة مخالفة لظاهر ما روى عن النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما، فإنه روى عن رسول الله ﷺ الدعاء بأحاديث صحيحة، وأنه رفع يديه في ذلك، ولم يذكر أنه مسح بهما وجهه، وهذا يدل على أنه لم يفعله، لأنه لو فعله لتواترت الدواعي على نقله ونقل، ومن

رأى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقال: إن مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء بدعة، ومن العلماء من يرى أن هذه الأحاديث الضعيفة بمجموعها ترتقي إلى درجة الحسن لغيره، أي إلى درجة الحديث الحسن لغيره، ولأن الطرق الضعيفة إذا كثرت على وجمع ينجر بعضها ببعض، صارت من قسم الحسن لغيره، ومن هؤلاء: ابن حجر العسقلاني في «بلغ المaram».

والذي يظهر لي أن الأولى عدم المسح، أي مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء، لأنه وإن قلنا إن هذا الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن لغيره، فإنه يبقى متنه شاداً، لأنه مخالف للظاهر من الأحاديث الصحيحة التي وردت بكثرة، أن النبي ﷺ كان يرفع يديه في الدعاء، ولم يرد أنه مسح بهما وجهه، وعلى كل حال: فلا أتجاسر على القول بأن ذلك بدعة، ولكنني أرى أن الأفضل أن لا يمسح، ومن مسح فلا ينكر عليه. هذا بالنسبة للفقرة الأولى من سؤالك.

أما بالنسبة للثانية: وهي الدعاء بعد النافلة، فإن الدعاء بعد النافلة إن اتخذه الإنسان سنة راتبه، بحيث يعتقد أن يُشرع كلما سلم من نافلة أن يدعوه، فهذا أخشى أن يكون بدعة، لأن ذلك لم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام، فما أكثر ما صلى رسول الله ﷺ النفل، ولم يرد عنه أنه ﷺ كان يدعوه بعده، ولو كان هذا من المشروع لسنة النبي ﷺ لأمته، إما بقوله أو بفعله أو بإقراره، ثم إنه ينبغي أن يعلم، أن الإنسان ما دام في صلاته فإنه ينادي ربه، فكيف يليق بالإنسان أن يدع في الحال التي ينادي فيها ربها، ثم يأخذ في التضرع بعد اصرافه من صلاته وانقطاع مناجاته لله في صلاته، فكان الأولى والأجدر بالإنسان أن يجعل الدعاء قبل السلام ما دام في الحال التي ينادي فيها ربها، وهذا المعنى أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو معنى حسن جيد، فإذا أردت أيها الأخ المسلم أن تدعوا الله فاجعل دعاءك قبل السلام، لأن هذا هو الذي أرشد إليه النبي ﷺ في قوله في حديث عبد الله بن مسعود حين ذكر

التشهد قال: «ثم يتخير من الدعاء ما شاء»^(٢٦٦) ، وأنه أليق بحال الإنسان ما أسلفنا من كونه في حال صلاته ينادي ربه.

* * *

أخطاء تقع في الطريق إلى المسعى وفي المسعى

س ٦٩: وصلنا في أسئلتنا عن الأخطاء التي تقع في المعنى إلى الأخطاء التي تقع في ركعات الطراف وما يترتب عليها أيضًا من دعاء وإطالة وما إلى ذلك، الآن نريد أن نعرف الأخطاء التي يرتكبها بعض المهاجر أو يقعون فيها في المسعى، وفي الأدعية التي تقال فيه؟.

الجواب: أما بالنسبة للأخطاء التي يرتكبها بعض المهاجر في المسعى فيحضرني منها الأخطاء التالية:

الأول . النطق بالنية: فإن بعض المهاجر إذا أقبل على الصفا قال: إني نويت أن أسعى سبعة أشواط لله تعالى، ويعين النسك الذي يسعى فيه، يقول ذلك أحياناً إذا أقبل على الصفا، وأحياناً إذا صعد على الصفا، وقد سبق أن النطق بالنية من البدع، لأن الرسول ﷺ لم ينطق بالنية لا سراً ولا جهراً، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُشْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال النبي ﷺ: «إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها»^(٢٦٧).

وهذا الخطأ يتلافى بأن يقتصر الإنسان على ما في قلبه من النية، وهو إنما

(٢٦٦) رواه البخاري بنحوه ، كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء في الصلاة ، حديث (٦٣٢٨) ، ومسلم بنحوه ، كتاب : الصلاة ، باب : التشهد في الصلاة ، حديث (٤٠٢) ، والنسائي ، حديث (١٢٩٨) ، وأحمد في مسنده (٤١٣/١) حديث (٣٩٢٠) ، وأبي حسان في صحيحه (٢٨٤/٥) حديث (١٩٥٥) ، وأبو يعلى في مسنده (٦٨/٩) حديث (٥١٣٥) .

(٢٦٧) سبق تخرجه برقم (٢١٤) .

ينوي لله ، والله تعالى عليم بذات الصدور.

الخطأ الثاني : أن بعض الناس إذا صعد على الصفا واستقبل القبلة، جعل يرفع يديه ويشير بهما كما يفعل ذلك في تكبيرات الصلاة، صلاة الجنائز أو عند تكبيرات الإحرام والركوع والرفع منه، أو القيام من التشهد الأول، يرفع هكذا إلى حذو المنكبين ويشير، وهذا خطأ، فإن الوارد عن النبي ﷺ في ذلك أنه رفع يديه وجعل يدعوا، وهذا يدل على أن رفع اليدين هنا رفع دعاء، وليس رفعاً كرفع التكبير، عليه فينبغي للإنسان إذا صعد الصفا أن يتوجه إلى القبلة، ويرفع يديه للدعاء، ويأتي بالذكر الوارد عن النبي ﷺ في هذا المقام، ويدعوا كما ورد عن رسول الله ﷺ .

الخطأ الثالث : أن بعض الحجاج يمشي بين الصفا والمروءة مشياً واحداً مشيه المعتاد، ولا يلتفت إلى السعي الشديد بين العلمين الأخضرین، وهذا خلاف السنة، فإن رسول الله ﷺ كان يسعى سعياً شديداً في هذا المكان، أعني في المكان الذي بين العلمين الأخضرین، وهو ما إلى الصفا أقرب منه إلى المروءة، فالمشروع للإنسان إذا وصل إلى العلم الأخضر الأول الذي يلي الصفا أن يسعى سعياً شديداً بقدر ما يتحمله، بشرط ألا يتأنى ولا يؤذى أحداً بذلك، وهذا إنما يكون حينما يكون المسعى حقيقياً، فيسعى بين هذين العلمين ثم يمشي إلى المروءة مشيه المعتاد، هذه هي السنة.

الخطأ الرابع : على العكس من ذلك، فإن بعض الناس إذا كان يسعى تجده يرمي في جميع السعي، من الصفا إلى المروءة، ومن المروءة إلى الصفا، فيحصل في ذلك مفسدتان أو أكثر.

المفسدة الأولى : مخالفة السنة.

والمفسدة الثانية : الإشراق على نفسه، فإن بعض الناس يجد مشقة شديدة في هذا العمل، لكنه يتحمل بناء على اعتقاده أن ذلك هو السنة، فتجده

يرمل من الصفا إلى المروءة، ومن المروءة إلى الصفا، وهكذا حتى ينهي سعيه، ومن الناس من يفعل ذلك لا تحريراً للخير ولكن حباً للعجلة وإنها للسعى بسرعة، وهذا شرٌّ ما قبله، لأن هذا ينبع عن تبرم الإنسان بالعبادة، وملله منها، وحبه الفرار منها، والذي ينبغي للمسلم أن يكون قلبه مطمئناً، وصدره منشراً بالعبادة، يجب أن يتأنى فيها على الوجه المشروع الذي جاءت به سنة رسول الله ﷺ، أما أن يفعلها وكأنه يريد الفرار منها، فهذا دليلاً على نقص إيمانه، وعدم اطمئنانه بالعبادة.

والمفيدة الثالثة: من الرمل في جميع أشواط السعي: أنه يؤذى الساعين، فأحياناً يصطدم بهم ويؤذيهم، وأحياناً يكون مضيقاً عليهم ومزاحماً لهم فيتأذون بذلك، فنصيحتي لإخواني المسلمين في هذا المقام أن يتأسوا برسول الله ﷺ فإن هديه خير الهدي، وأن يمشوا في جميع الأشواط إلا فيما بين العلمين، فإنهم يسعون سعيًا شديداً كما ورد عن النبي ﷺ، ما لم يتأنوا بذلك أو يؤذوا غيرهم.

الخطأ الخامس: أن بعض الناس يتلو قوله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ﴾** [البقرة: ١٥٨]. في كل شوط، كلما أقبل على الصفا وكلما أقبل على المروءة، وهذا خلاف السنة، فإن السنة الواردة عن رسول الله ﷺ في تلاوة هذه الآية أنه تلاها حين دنا من الصفا بعد أن أتم الطواف وركعتي الطواف وخرج إلى المسعي فلما دنا من الصفا قرأ: **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ﴾**، «أبدأ بما بدأ الله به» (٢٦٨) إشارة منه ﷺ إلى أنه إنما جاء ليُسْعِي، لأن هذا من شعائر الله ، وأنه إنما بدأ من الصفا، لأن الله تعالى بدأ به، فتكون تلاوة هذه الآية مشروعة عند ابتداء السعي، إذا دنا من الصفا، وليس مشروعة كلما دنا من الصفا في كل شوط، ولا كلما دنا من المروءة، وإذا لم تكن مشروعة فلا ينبغي للإنسان أن يأتي بها إلا في الموضع الذي أتى بما فيه رسول الله ﷺ.

الخطأ السادس: أن بعض الذين يسعون بخصوص كل شوط بدعاء معين، وقد سبق أن هذا من البدع، وأن النبي ﷺ لم يكن يخص كل شوط بدعاء معين، لا في الطواف ولا في السعي أيضاً، وإذا كان هذا من البدع فإن رسول الله ﷺ قال: «كل بدعة ضلاله» (٢٦٩) وعليه فاللائق بالمؤمن أن يدع هذه الأدعية، وأن يستغله بالدعاء الذي يرغبه ويريده، يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، ويدرك الله، ويقرأ القرآن، وما أشبه ذلك من الأقوال المقربة إلى الله ، فإن رسول الله ﷺ قال: «إنما جعل الطواف بالبيت، وبالصفا والمروءة، ورمي الجمار، لإقامة ذكر الله» (٢٧٠) .

الخطأ السابع: الدعاء من كتاب لا يعرف معناه، فإن كثيراً من الكتب التي بأيدي الناس لا يُعرف معناها بالنسبة لحامليها، وكأنهم يقرؤونها بعيداً لله تعالى بتلاوة ألفاظها، لأنهم لا يعرفون المعنى، ولا سيئماً إذا كانوا غير عالمين باللغة العربية، وهذا من الخطأ أن تدعوا الله بدعاء لا تعرف معناه.

والمشروع لك أن تدعوا الله بدعاء تعرف معناه، وترجو حصوله من الله ، وعليه فالدعاء بما تريده أنت، بالصيغة التي تريدها ولا تخالف الشرع، أفضل بكثير من الدعاء بهذه الأدعية التي لا تَعْرِفُ معناها، وكيف يمكن لشخص أن يسأل الله تعالى شيئاً وهو لا يدرى ماذا يسائله؟ وهل هذا إلا من إضاعة الوقت والجهل، ولو شئت لقلت: إن هذا من سوء الأدب مع الله ، أن تدعوا الله بأمر لا تدرى ما تريده منه.

الخطأ الثامن: البداعة بالمروءة، فإن بعض الناس يبدأ بالمروءة جهلاً منه، يظن أن الأمر سواء فيما إذا بدأ من الصفا أو بدأ من المروءة، أو يسوقه تيار الخارجين من المسجد، حتى تكون المروءة أقرب إليه من الصفا، فيبدأ بالمروءة جهلاً منه، وإذا بدأ

(٢٦٩) سبق تخریجه برقم (٢١٤) .

(٢٧٠) سبق تخریجه برقم (٢١٨) .

الساعي بالمروة فإنه يلغى الشوط الأول، فلو فرضنا أنه بدأ بالمروة، فاتم سبعة أشواط، فإنه لا يصح منها إلا ستة، لأن الشوط الأول يكون لاغيًّا، وقد أشار النبي ﷺ إلى وجوب البداءة بالصفا حيث قال: «أبدأ بما بدأ الله به» (٢٧١).

الخطأ التاسع: أن بعض الناس يعتبر الشوط الواحد من الصفا إلى الصفا، يظن أنه لابد من إتمام دورة كاملة، كما يكون في الطواف من الحجر إلى الحجر، فيبدأ بالصفا وينتهي إلى المروة ويجعل هذا نصف الشوط لا كُلَّه، فإذا رجع من المروة إلى الصفا، اعتبر هذا شوطًا واحدًا، وعلى هذا فيكون سعيه أربعة عشر شوطًا، وهذا أيضًا خطأً عظيم وضلال بين، فإن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، لكنه ابتدأ بالصفا واختتم بالمروة، وجعل الذهاب من الصفا إلى المروة شوطًا، والرجوع من المروة إلى الصفا شوطًا آخر، وهذا الذي يقع من بعض العجاج إنما يكون جهلاً منهم بالسنة، وتغريضاً منهم في عدم التعلم، وقد أشرنا مرارًا إلى أنه ينبغي - بل يجب - على المسلم إذا أراد أن يفعل عبادة، أن يتعلم حدود ما أنزل الله فيها قبل أن يفعلها، وهذا التعلم من فروض الأعيان، لأنه لا يستقيم دين المرء إلا به، أعني تعلُّم حدود ما أنزل الله في عبادة يريد الإنسان أن يفعلها، هو من فرض الأعيان، فيجب عليه أن يتعلم حدود ما أنزل الله في هذه العبادة ؛ ليعبد الله تعالى في بصيرة.

الخطأ العاشر: السعي في غير نسك، يعني أن بعض الناس يتبعَّد لله تعالى بالسعى بين الصفا والمروة في غير نسك، أي في غير حجٍّ ولا عمرة، يظنُّ أن التطوع بالسعى مشروع، كالتطوع بالطواف، وهذا أيضًا خطأً، والذي يدلنا على هذا أنك تجد بعض الناس في زمن العمرة - أي في غير زمن الحج - يسعى بين الصفا والمروة بدون أن يكون عليه ثياب الإحرام، مما يدلُّ على أنه مُحلٌّ، فإذا سأله: لماذا تفعل ذلك؟ قال: لأنني أتعبد لله بالسعى كما أتبعد بالطواف، وهذا

جهل مرَّكَب، جهل مرَّكَب لأنَّه صار جاهلاً بحكم الله وجاهلاً بحاله، حيث يظنُّ أنه عالم وليس هو عالم، أما إذا كان السعي في زمن الحج بعد الوقوف بعرفة، فيمكن أن يسعى الإنسان وعليه ثيابه المعتادة، لأنَّه يتحلل برمي جمرة العقبة يوم العيد وبالخلق أو التقصير، ثم يلبس ثيابه ويأتي إلى مكة ليطوف ويسعى بثيابه المعتادة.

على كل حال أقول: إن بعض الناس يعبد لله تعالى بالسعى من غير حج ولا عمرة، وهذا لا أصل له، بل هو بدعة، ولا يقع في الغالب إلا من شخص جاهل لكنه يعتبر من الأخطاء في السعي.

الخطوأ الحادي عشر: التهاون بالسعى على العربية بدون عذر، فإن بعض الناس يتهاون بذلك ويسمى على العربية بدون عذر، مع أنَّ كثيرًا من أهل العلم قالوا: إن السعي راكبًا لا يصح إلا لعذر، وهذه المسألة مسألة خلاف بين أهل العلم، أي هل يشترط في السعي أن يكون الساعي ماشياً - إلا من عذر - أو لا يشترط؟. ولكن الإنسان ينبغي له أن يحتاط لدينه، وأن يسعى ماشياً ما دام قادرًا، فإن عجز فلا يكلف الله نفسها إلا وسعها، قد قال النبي ﷺ لأم سلمة حين قالت: إني أريد أن أطوف وأجدني شاكية: قال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» ^(٢٧٢)، فأذن لها بالركوب في الطواف لأنها مريضة، وهكذا نقول في السعي، إن الإنسان إذا كان لا يستطيع أو يشق عليه مشقة تتعبه، فلا حرج عليه أن يسعى على العربية، هذا ما يحضرني من الأخطاء في السعي.

* * *

صعود المرأة الصفا ومزاحمتها الرجال

س ٤٧٠ : من المعلوم أن الصفا ضيق والمروءة أضيق منه، ومع ذلك نرى النساء يصعدن إلى الصفا والمروءة ديناصمن الرجال، فهل من السنة صعود المرأة على الصفا؟.

الجواب : المعروف عند الفقهاء أنه لا يُستحب للمرأة أن تصعد الصفا والمروءة وإنما تقف عند أصولهما، ثم تحرف لتتأتي ببقية الأشواط، لكن لعل هؤلاء النساء اللاتي يشاهدن صاعدات على الصفا والمروءة يكُنَّ مع محارمهن، ولا يتسرى لهن مفارقة المحارم، لأنهن يخشين من الضياع، وإن الأولى بالمرأة ألا تراهم الرجال في أمر ليس مطلوبًا منها.

* * *

صفة السعي بين العلمين الأخضرین

س ٤٧١ : أيضًا ذكرتم من الأخطاء ترك السعي الشديد بين العلمين الأخضرين، وذكرتم أنها أقرب إلى الصفا، وذكرتم أن السعي يكون في التهاب من الصفا إلى المروءة، فهل بلزمه أيضًا السعي الشديد في العودة بين العلمين الأخضرين من المروءة إلى الصفا؟.

الجواب : نعم، السعي الشديد ليس بلازم، لكن الأفضل أن يسعى سعيًا شديداً بين العلمين، في ذهابه من الصفا إلى المروءة، وفي رجوعه من المروءة إلى الصفا، لأن كل مرة من هذه شوط، والسعى بين العلمين مشروع في كل الأشواط.

* * *

هل يقول الساعي: «أبدأ بما بدأ الله به»

س ٤٧٦: ذكرتم من الأخطاء أن بعض الناس يدعوا أو يتلو الآية: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ...} عند الصعود إلى الصفا أو المروة كل سرط، وقلتم : إن الرسول ﷺ تملأ أول الآية {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِ اللَّهِ} . «أبدأ بما بدأ الله به» فهل يقول مثل الرسول ﷺ : «أبدأ بما بدأ الله به ، أو يلملأ الآية؟».

الجواب : الوارد عن النبي عليه الصلاة والسلام في حديث جابر قوله - أَيْ جابر - فلما دنا من الصفا قرأ: **هُنَّا الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِ اللَّهِ**. فيحتمل أنه قرأ الآية كلها، ويحتمل أنه قرأ هذا الجزء منها، فإن كمل الآية فلا حرج عليه. وأما قوله: «أبدأ بما بدأ الله به» فيقولها الإنسان أيضاً، اقتداء برسول الله ﷺ وإشعاراً لنفسه أنه فعل ذلك طاعة لله ، حيث ذكر الله أنهم من شعائر الله وبدأ بالصفا.

* * * واجب المطوفين تجاه الحجاج

س ٤٧٧: ذكرتم من الأخطاء التي تقع في السعي الدعاء من خلاص كتاب، فهل ينطبق هذا أيضاً على الذين يطوفون بالناس ويسعون بهم، ويقولون أدعية ويرددها الناس خلفهم؟

الجواب : نعم، هو ينطبق على هؤلاء، لأن هؤلاء أيضاً كانوا قد حفظوا هذه الأدعية من هذا الكتاب، ولعلك لو ناقشت بعضهم - أَيْ بعض هؤلاء المطوفين - لو ناقشه عن معاني ما يقول لم يكن عنده من ذلك خبر، ولكن مع ذلك قد يكون الذين خلفه لا يعلمون اللغة العربية ولا يعرفون معنى ما يقول، وإنما يرددونه تقليداً لصوته فقط، وهذا من الخلل الذي يكون من المطوفين، ولو أن المطوفين أمسكوا الحجاج الذين يطوفونهم، وعلموهم تعليماً عند كل طواف وعند كل سعي، فيقولون لهم مثلاً: أتتم الآن ستطوفون فقولوا كذا وافعلوا كذا

وادعوا بما شئتم، ونحن معكم نرشدكم إن ضللتم، فهذا أطيب، وهو أحسن من أن يرفعوا أصواتهم بتلقينهم الدعاء الذي لا يعرفون معناه، والذي قد يكون فيه تشويش على الطائفين.

وهم إذا قالوا: نحن أمامكم وأنتم افعلوا كذا، أشيروا مثلاً إلى الحجر، أو استلموه إذا تيسّر لكم، أو ما أشبه ذلك، وقولوا كذا، وكبروا عند محاذاة الحجر الأسود، وقولوا بينه وبين الركن اليماني: ﴿رَبَّنَا إِنَّاٰ لِكَ حَسَنَةٌ وَّفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَّقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] إلى غير ذلك من التوجيهات لكان ذلك أفعى للحاج وأخشى، أما أن يؤتى بالحاج وكأنه يبغاء يقلد بالقول والفعل هذا الطواف، ولا يدرى عن شيء أبداً، وربما لو قيل له بعد ذلك: طف، ما استطاع أن يطوف ولا يعرف الطواف، لأنّه كان يمشي ويردد وراء هذا المطوف. فهذا هو الذي أرى أنه أفعى للمطوفين وأنفع للطائفين أيضاً.

* * *

أخطاء تقع في الحلق والتقصير

س ٢٧٤: بالنسبة للتقصير والهلق بعد السعي لعمره، أو الإحلال من الصبح في مني، هل هناك أخطاء؟

الجواب: نعم، في الحلق أو التقصير في العمرة يحصل أخطاء: منها: أن بعض الناس يحلق بعض رأسه حلقاً تاماً بالموس، ويبيقى البقية، وقد شاهدت ذلك بعيني، فقد شاهدت رجلاً يسعى بين الصفا والمروة، وقد حلق نصف رأسه تماماً وأبقى بقية شعره، وهو شعر كثيف أيضاً بين، فأمسكت به وقلت له: لماذا صنعت هذا؟ فقال: صنعت هذا؛ لأنني أريد أن اعتمر مرتين، فحلقت نصفه للعمرمة الأولى، وأبقيت نصفه لعمرتي هذه. وهذا جهل وضلال لم يقل به أحد من أهل العلم.

ومن الخطأ أيضاً: أن بعض الناس إذا أراد أن يتحلل من العمرة، قصر

شعرات قليلة من رأسه، ومن جهة واحدة، وهذا خلاف ظاهر الآية الكريمة، فإن الله تعالى يقول: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقْصِرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. فلا بد أن يكون للتقصير أثر بين على الرأس، ومن المعلوم أن قص شرة أو شرتين أو ثلاثة شعرات لا يؤثر، ولا يظهر على المعتمر إنه قصر، فيكون مخالفًا لظاهر الآية الكريمة.

ودواء هذين الخطأين أن يحلق الرأس إذا أراد حلقه، وأن يقصر من جميع الرأس إذا أراد تقصيره ولا يقتصر على شرة أو شرتين.

ومن الناس من يخطئ في الحلق أو التقصير خطأ ثالثاً، وذلك أنه إذا فرغ من السعي ولم يجد حلاقاً يحلق عنده أو يقصر، ذهب إلى بيته، فتحلل ولبس ثيابه، ثم حلق أو قصر بعد ذلك، وهذا خطأ عظيم، لأن الإنسان لا يحل من العمرة إلا بالحلق أو التقصير، لقول النبي ﷺ حين أمر أصحابه في حجة الوداع، أمر من لم يتسق الهدي أن يجعلها عمرة، قال: «فليقصر ثم ليحلل»^(٢٧٣) وهذا يدل على أنه لا جل إلا بعد التقصير.

وعلى هذا، فإذا فرغ الحاج من السعي ولم يجد حلاقاً أو أحداً يقصر رأسه، فليبيق على إحرامه حتى يحلق أو يقصر، ولا يحل له أن يتحلل قبل ذلك، فلو قدر أن شخصاً فعل هذا جاهلاً بأن تحلل قبل أن يحلق أو يقصر، ظناً منه أن ذلك جائز، فإنه لا حرج عليه لجهله، ولكن يجب عليه حين يعلم أن يخلع ثيابه ويلبس الإحرام، لأنه لا يجوز التمادي في الخل مع علمه بأنه لم يحل، ثم إذا حلق أو قصر تحلل.

هذا ما يحضرني الآن من الأخطاء في الحلق والتقصير.

* * *

(٢٧٣) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت ، حديث (١٦٥١) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : وجوب الدم على المتمتع ، حديث (١٢٢٧) ، وأبو داود ، حديث (١٨٠٥) ، والنسائي ، حديث (٢٧٣٢) ، وأحمد في مسنده (١٣٩/٢) حديث (٦٤٧) .

أخطاء تقع في مني

س ٢٧٥ : نور أيضًا أن نعرف الأخطاء التي تكون في مني وفي المبيت فيه؟.

الجواب : من الأخطاء التي تكون في الذهاب إلى مني ما سبق ذكره من الخطأ في التلبية، حيث إن بعض الناس لا يجهرون بالتلبية مع مشروعية الجهر بها، فتمر بك أفواج الحجاج، ولا تكاد تسمع واحدًا يلبي، وهذا خلاف السنة، وخلاف ما أمر به النبي ﷺ أصحابه، فالسنة للإنسان في التلبية أن يجهر بها وأن يرفع صوته بذلك، ما لم يشّق عليه، وليعلم أنه لا يسمعه شيءٌ من حجر أو مدر، إلا شهد له يوم القيمة عند الله ، ومن ذلك أيضًا، أن بعض الحجاج يذهب رأسًا إلى عرفة ولا يبيت في مني، وهذا وإن كان جائزًا . لأن المبيت في مني ليس بواجب . لكن الأفضل للإنسان أن يتبع الشَّيْءَ التي جاءت عن رسول الله ﷺ، بحيث ينزل في مني من ضحى اليوم الثامن، إلى أن تطلع الشمس من اليوم التاسع، فإن رسول الله ﷺ فعل ذلك وقال: «لتأخذوا عني مناسككم»^(٢٧٤) .

لكنه لو تقدم إلى عرفة ولم يبيت في مني في ليلة التاسع فلا حرج عليه، لحديث عروة بن المضرّس أنه أتى إلى النبي ﷺ في صلاة الفجر يوم العيد في مزدلفة وقال: يا رسول الله، أكللت راحلتي وأتعبت نفسي، فلم أر جبلا إلا وقفته عنده - يعني: فهل لي من حج - فقال النبي ﷺ: «من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً، فقد تم حجه وقضى ثقته»^(٢٧٥) ، ولم يذكر النبي ﷺ المبيت بمني ليلة التاسع، وهذا يدل على أنه ليس بواجب.

ومن الأخطاء فيبقاء الناس في مني في اليوم الثامن، أن بعض الناس يقصّر ويجمع في مني، فيجمع الظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء، وهذا خلاف

(٢٧٤) سبق تخرّيجه برقم (٢١٧) .

(٢٧٥) سبق تخرّيجه برقم (٢٣٧) .

السنة، فإن المشروع للناس في منى أن يقتصروا الصلاة بدون جمع، هكذا جاءت السنة عن رسول الله ﷺ، وإن كان الجمع جائزًا لأنّه في سفر، والمسافر يجوز له الجمع حالاً وسائراً، لكن الأفضل لمن كان حالاً ونازلاً من المسافرين، الأفضل ألا يجمع إلا لسبب، ولا سبب يقتضي الجمع في منى، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يجمع في منى، ولكن يقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين، فيصلي الظهر ركعتين في وقتها، والعصر ركعتين في وقتها، والمغرب ثلاثة في وقتها، والعشاء ركعتين في وقتها، والفجر في وقتها.

هذا ما يحضرني الآن فيما يكون في الأخطاء في الذهاب إلى منى والمكث فيها في اليوم الثامن.

* * *

أخطاء تقع في الذهاب إلى عرفة وفي عرفة

س ٢٧٦ : بالنسبة للأخطاء التي يمكن أن يقع فيها بعض المهاجِّر في الفرج إلى عرفة والوقوف بها؟

الجواب: من الأخطاء في الذهاب إلى عرفة: أن الحجاج يمرون بك ولا تسمعهم يلُّون، فلا يجهرون بالتلبية في مسيرهم من منى إلى عرفة.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة في يوم العيد (٢٧٦).

ومن الأخطاء العظيمة الخطيرة في الوقوف بعرفة: أن بعض الحجاج ينزلون قبل أن يصلوا إلى عرفة، ويقيعون في منزلهم حتى ترول الشمس، ويكتثون هناك إلى أن تغرب الشمس، ثم ينطلقون منه إلى مزدلفة، وهؤلاء الذين وقفوا هذا

(٢٧٦) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : التلبية والتکبير غدا النحر حتى يرمى ، حديث (١٦٨٧) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : استحباب إدامة الحاج التلبية ، حديث (١٢٨١) ، وأبو داود ، حديث (١٨١٥) ، والنسائي ، حديث (٣٠٧٩) ، وابن ماجه ، حديث (٣٠٣٩) ، وأحمد في مستنه (٢١٢/١) حديث (١٨١٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٧٩) حديث (٢٨٨١) .

الموقف ليس لهم حج، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «الحج عرفة»^(٢٧٧) فمن لم يقف بعرفة في المكان الذي هو منها، وفي الزمان الذي غيرَ للوقوف بها فإن حجة لا يصح للحدث الذي أشرنا إليه.

وهذا أمر خطير والحكومة . وفتها الله . قد جعلت علامات واضحة لحدود عرفة لا تخفي إلا على رجل مفرط متهاون، فالواجب على كل حاج أن يتقدّم الحدود التي بها يعلم أنه وقف في عرفة لا خارجها.

ومن الأخطاء في الوقوف بعرفة: أن بعض الناس إذا استغلوا بالدعاء في آخر النهار، تجدهم يتوجهون إلى الجبل الذي وقف عنده رسول الله ﷺ مع أن القبلة تكون خلف ظهورهم أو عن أيديهم أو عن شمائهم، وهذا أيضاً جهل وخطأ، فإن المشروع في الدعاء يوم عرفة أن يكون الإنسان مستقبل القبلة، سواء كان الجبل أمامه أو خلفه، أو عن يمينه أو عن شماله، وإنما استقبل النبي ﷺ الجبل لأن موقفه كان خلف الجبل، فكان ﷺ مستقبل القبلة، وإذا كان الجبل بينه وبين القبلة وبالضرورة سيكون مستقبلاً له.

ومن الأخطاء التي يرتكبها الحجاج في يوم عرفة: أن بعضهم يظن أنه لابد أن يذهب الإنسان إلى موقف الرسول ﷺ الذي عند الجبل ليقف هناك، فتجدهم يتوجهون المصاعب، ويركبون المشاق، حتى يصلوا إلى ذلك المكان، وربما يكونوا مشاة جاهلين بالطرق فيعطشون ويجهوعون إذا لم يجدوا ماء وطعاماً، ويضطُّلونَ ويتهونون في الأرض، ويحصل عليهم ضرر عظيم بسبب هذا الظن الخاطئ.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «وقفت هاهنا ، وعرفة كلُّها

(٢٧٧) رواه الترمذى ، كتاب : الحج ، باب : ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج ، حديث (٨٨٩) ، والنسائى ، حديث (٣٠٤٤) ، وأبي ماجه ، حديث (٣٠١٥) ، وأحمد في مسنده (٣٠٩/٤) ، وأبي حزمية في صحيحه (٢٥٧/٤) حديث (٢٨٢٢) ، والحاكم في المستدرك (٦٣٥/١) حديث (١٧٠٣) .

موقف»^(٢٧٨) ، وكأنه يشير إلى أنه ينبغي للإنسان أن لا يتكلف ليقف في موقف النبي ﷺ ، بل يفعل ما تيسر له، فإن عرفة كلها موقف.

ومن الأخطاء أيضاً حال الوقوف بعرفة: أن بعض الناس يعتقدون أن الأشجار في عرفة كالأشجار في مني ومزدلفة، أي أنه لا يجوز للإنسان أن يقطع منها ورقة أو غصناً أو ما أشبه ذلك، لأنهم يظنون أن قطع الشجر له تعلق بالإحرام كالصيد، وهذا ظن خطأ، فإن قطع الشجر لا علاقة له بالإحرام، وإنما علاقته بالمكان، فما كان داخل حدود الحرم أي داخل الأميال من الأشجار فهو محترم، لا يعهد ولا يقطع منه ورق ولا أغصان، وما كان خارجاً عن حدود الحرم فإنه لا بأس بقطعه ولو كان الإنسان محرماً، وعلى هذا فقطع الأشجار فعرفة لا بأس به، ونعني بالأشجار هنا الأشجار التي حصلت بغير فعل الحكومة، وأما الأشجار التي حصلت بفعل الحكومة، فإنه لا يجوز قطعها لا لأنها محترمة احترام الشجر في داخل الحرم، ولكن لأن اعتداء على حق الحكومة وعلى حق الحاج أيضاً، لأن الحكومة - وفقها الله - غرست أشجاراً في عرفة، لتلطيف الجو، وليستظل بها الناس من حر الشمس، فالاعتداء عليها اعتداء على حق الحكومة وعلى حق المسلمين عموماً.

* * *

أخطاء تقع في الوقوف بعرفة «تحمة»

س ٤٧٧: هل هناك أخطاء أيضاً في عرفة يفعلها الحجاج غير ما ذكرت؟

الجواب: نعم، هناك أخطاء أخرى في الوقوف بعرفة غير ما ذكرنا: منها: أن بعض الحجاج يعتقدون أن للجبال الذي وقف عنده النبي ﷺ قدسيّة خاصة، ولهذا يذهبون إليه، ويصعدونه ويتبركون بأحجاره وترابه،

ويعلقون على أشجاره قصاصات الخرق، وغير ذلك مما هو معروف، وهذا من البدع، فإنه لا يشرع صعود الجبل ولا الصلاة فيه، ولا أن تعلق قصاصات الخرق على أشجاره، لأن ذلك كله لم يرد عن النبي ﷺ بل فيه شيء من رائحة الوثنية، فإن النبي ﷺ مر على شجرة للمشركين ينوطون بها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواع كما لهم ذات أنواع، فقال النبي ﷺ «والله أكبر، إنها السنن، لتركين سنن من كان قبلكم، قلتم والذي نفسي بيده كما قال بني إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة» ^(٢٧٩).

وهذا الجبل ليس له قدسيّة خاصة، بل هو كغيره من الروابي التي في عرفة، والسهول التي فيها، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام وقف هناك، فكان المشروع أن يقف الإنسان في موقف الرسول عليه الصلاة والسلام إن تيسّر له، وإلا فليس بواجب، ولا ينبغي أن يتكلف الإنسان الذهاب إليه لما سبق.

ومن الأخطاء في الوقوف بعرفة أيضاً: أن بعض الناس يظن أنه لابد أن يصلى الإنسان الظهر والعصر مع الإمام في المسجد، ولهذا تجدهم يذهبون إلى ذلك المكان من أماكن بعيدة ليكونوا مع الإمام في المسجد، فيحصل عليهم المشقة والأذى والتيه مما يجعل الحج في حُقُّهم حرجاً وضيقاً، ويضيق بعضهم على بعض، ويؤدي بعضهم بعضاً، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول في الوقوف: «وقفت هاهنا وعرفة كلُّها موقف» ^(٢٨٠)، وكذلك أيضاً قال: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» ^(٢٨١) فإذا صلى الإنسان في خيمته صلاة يطمئن فيها بدون أذى عليه ولا منه، وبدون مشقة تلحق الحج بالأمور المحرجة، فإن ذلك

(٢٧٩) رواه الترمذى ، كتاب : الفتن ، باب : ما جاء : لتركين سنن من كان قبلكم ، حديث (٢١٨٠) ، وأحمد في مسنده (٢١٨٥) ، حديث (٢١٩٤٧) ، وابن حبان في صحيحه (٩٤١٥) حديث (٦٧٠٢) والناساني في الكبير (١١٨٥) حديث (٣٤٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٧٩٧) حديث (٣٧٣٧٥) .

(٢٨٠) سبق تخرجه برقم (٢٤٨) .

(٢٨١) سبق تخرجه برقم (٩٧) .

خizz وأولى.

ومن الأخطاء التي يرتكبها الناس في الوقوف بعرفة: أن بعضهم يتسلل من عرفة قبل أن تغرب الشمس، فيندفع منها إلى المزدلفة، وهذا خطأ عظيم، وفيه مشابهة للمشركين الذين كانوا يدفعون من عرفة قبل غروب الشمس، ومخالفة الرسول ﷺ الذي لم يدفع من عرفة إلا بعد أن غابت الشمس وذهب الصفرة قليلاً، كما جاء في حديث جابر (٢٨٢) وعلى هذا فإنه يجب على المرء أن يقى في عرفة داخل حدودها حتى تغرب الشمس، لأن هذا الوقوف مؤقت بغروب الشمس، فكما أنه لا يجوز للصائم أن يفطر قبل غروب الشمس، فلا يجوز للواقف بعرفة أن ينصرف منها قبل أن تغرب الشمس.

ومن الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الوقوف بعرفة: إضاعة الوقت في غير فائدة، فتجد الناس من أول النهار إلى آخر جزء منه وهم في أحاديث قد تكون بريئة سالمة من الغيبة والقدح في أعراض الناس، وقد تكون غير بريئة لكونهم يخوضون في أعراض الناس ويأكلون لحومهم، فإن كان الثاني فقد وقعوا في محدثرين:

أحدهما: أكل لحوم الناس وغيتهم، وهذا خلل حتى في الإحرام، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والثاني: إضاعة الوقت.

أما إن كان الحديث بريئاً لا يشتمل على محرم، فيه إضاعة الوقت، لكن لا حرج على الإنسان أن يشغل وقته بالأحاديث البريئة فيما قبل الزوال، وأما بعد الزوال وصلاة الظهر والعصر فإن الأولى أن يشتغل بالدعاء والذكر وقراءة القرآن، وكذلك الأحاديث النافعة لأخوانه إذا ملّ من القراءة والذكر، فيتحدث إليهم

(٢٨٢) سبق تخرجه برقم (٢٣٧).

أحاديث نافعة، في بحث من العلوم الشرعية أو نحو ذلك مما يدخل السرور عليهم، ويفتح لهم باب الأمل والرجاء لرحمة الله ، ولكن ليتهز الفرصة في آخر ساعات النهار، فيشتغل بالدعاء ويتجه إلى الله متضرغاً إليه، مخبئاً منيماً طامعاً في فضله راجياً لرحمته، ويلجأ في الدعاء، ويكثر من الدعاء الوارد في القرآن وفي السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، فإن هذا خير الأدعية، فإن الدعاء في هذه الساعة حريٌّ بالإجابة.

* * *

أخطاء تقع في الطريق إلى مزدلفة وفي مزدلفة

س ٢٧٨ : بعد أن عرفنا أهم الأخطاء التي تقع من المهاجر في عرفة نود أن نعرف أيضاً إذا كانت هناك أخطاء يقع فيها بعض المهاجر في الطريق إلى المزدلفة وهي المزدلفة نفسها؟.

الجواب: تقع أخطاء في الانصراف إلى المزدلفة، منها ما يكون في ابتداء الانصراف، وهو ما أشرنا إليه سابقاً من انصراف بعض الحجاج من عرفة قبل غروب الشمس، ومنها أنه في دفعهم من عرفة إلى المزدلفة تحدث المضائقات بعضهم البعض، والإسراع الشديد حتى يؤدي ذلك أحياناً إلى تصادم السيارات، وقد دفع النبي ﷺ من عرفة بسكنينة^(٢٨٣) وكان عليه الصلوة والسلام دفع وقد شتق لناقته القصواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب موضع رحله، وهو يقول بيده الكريمة: «أيها الناس: السكينة السكينة» ولكته ﷺ مع ذلك إذا أتى فجوة أسرع، وإذا أتى جللاً من الجبال، أرخي لناقته الزمام حتى تصعد ، فكان عليه الصلوة والسلام يراعي الأحوال في مسيره هذا، ولكن إذا دار الأمر بين كون الإسراع أفضل أو الثاني فالثاني أفضل.

ومن الأخطاء في مزدلفة والدفع إليها: أن بعض الناس ينزلون قبل أن

(٢٨٣) انظر حديث (١٦٧١) من صحيح البخاري ، كتاب الحج، باب أمر النبي ﷺ بالسكنينة .

يصلوا إلى مزدلفة، ولا سيما المشاة منهم، يُعيّن لهم المشي ويتعهّم، فينزلون قبل أن يصلوا إلى مزدلفة، ويبقون هنالك حتى يصلوا الفجر ثم ينصرفوا منه إلى منى، ومن فعل هذا فإنه قد فاته المبيت في المزدلفة، وهذا أمر خطير جدًا، لأن المبيت بمزدلفة ركن من أركان الحج عند بعض أهل العلم، وواجب من واجباته عن جمهور أهل العلم، وسنة في قول بعضهم، ولكن الصواب أنه واجب من واجبات الحج، وأنه يجب على الإنسان أن يبيت في مزدلفة، وألا ينصرف إلا في الوقت الذي أجاز الشارع له فيه الانصراف كما سيأتي إن شاء الله تعالى، المهم: أن بعض الناس ينزلون قبل أن يصل إلى المزدلفة.

ومن الأخطاء أيضًا: أن بعض الناس يصل إلى المغرب والعشاء في الطريق على العادة، قبل أن يصل إلى مزدلفة، وهذا خلاف السنة، فإن النبي ﷺ لما نزل في أثناء الطريق وبالتوهّ، قال له أسامة بن زيد وكان رديفه: الصلاة يا رسول الله، قال: «الصلاحة أمامك»^(٢٨٤)، وبقي عليه الصلاة والسلام ولم يصل إلا حين وصل إلى مزدلفة، وكان قد وصلها بعد دخول وقت العشاء فصلّى فيها المغرب والعشاء جمع تأخير.

* * *

أخطاء تقع في مزدلفة «تتمة»

س ٦٧٩: هناك أخطاء أخرى غير ما ذكرتكم في الطريق إلى مزدلفة والمبيت بها؟.

الجواب: نعم، هناك أخطاء منها عكس ما ذكرناه في الذين يصلون المغرب والعشاء قبل الوصول إلى مزدلفة، فإن بعض الناس لا يصل إلى المغرب

(٢٨٤) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : الجمع بين الصلاتين بالمزدلفة ، حديث (١٦٧٢) ، ومسلم كتاب : الحج ، باب : الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ، حديث (١٢٨٠) وأبو داود ، حديث (١٩٢١) ، والنسائي ، حديث (٦٠٩) ، وابن ماجه ، حديث (٣٠١٩) ، وأحمد في مسنده (١٩٩/٥) حديث (٢١٧٩٠) ، وأبي داود في الموطأ (٤٠٠/١) حديث (٨٩٩) والدارمي في سننه (٨٠/٢) حديث (١٨٨١) .

والعشاء حتى يصل إلى مزدلفة ولو خرج وقت صلاة العشاء، وهذا لا يجوز وهو حرام من كبائر الذنوب، لأن تأخير الصلاة عن وقتها محرم بمقتضى دلالة الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. وبين النبي ﷺ هذا الوقت وحدوده، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]. ﴿وَمَنْ يَنْعَدَ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فإذا خشي الإنسان خروج وقت العشاء قبل أن يصل إلى مزدلفة، فإن الواجب عليه أن يصل إلى مزدلفة، يصلى على حسب حاله، إن كان مائياً وقف وصلى الصلاة بقيامها وركوعها وسجودها، وإن كان راكباً ولم يتمكن من النزول، فإنه يصلى ولو على ظهر سيارته لقوله تعالى: ﴿فَاقْرُبُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وإن كان عدم تمكنه من النزول في هذه الحال أمراً بعيداً، لأنه بإمكان كل إنسان أن ينزل ويقف على جانب الخط من اليمين أو اليسار و يصلى.

وعلى كل حال فإنه لا يجوز لأحد أن يؤخر صلاة المغرب والعشاء حتى يخرج وقت العشاء، بحجة أنه يريد أن يطبق السنة فلا يصلى إلا في مزدلفة، فإن تأخيره هذا مخالف للسنة، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أخر، لكنه صلى الصلاة في وقتها.

ومن الأخطاء أيضاً في الوقوف بمزدلفة: أن بعض الحجاج يصلون الفجر قبل وقته، فتسمع بعضهم يؤذن قبل الوقت بساعة أو بأكثر أو بأقل، المهم أنهم يؤذنون قبل الفجر و يصلون وينصرفون، وهذا خطأ عظيم، فإن الصلاة قبل وقتها غير مقبولة، بل محرمة، لأنها اعتداء على حدود الله ، فإن الصلاة موقتاً بوقت حدد الشرع أوله وأخره، فلا يجوز لأحد أن يتقدم بالصلاحة قبل دخول وقتها، فيجب على الحاج أن يتتبه لهذه المسألة، وأن لا يصلى الفجر إلا بعد أن يتيقن أو يغلب على ظنه دخول وقت الفجر، صحيح أنه ينبغي المبادرة بصلاة

الفجر ليلة المزدلفة، لأن الرسول ﷺ بادر بها، ولكن لا يعني ذلك - أو لا يقتضي ذلك - أن تصلي قبل الوقت، فليحذر الحاج من هذا العمل.

ومن الخطأ في الوقوف بمزدلفة: أن بعض الحاج يدفعون منها قبل أن يكتشوا فيها أدنى مكث، فتجده يئر بها مروراً ويستمر ولا يقف، ويقول إن المرور كاف، وهذا خطأ عظيم، فإن المرور غير كاف، بل السنة تدل على أن الحاج يبقى في مزدلفة حتى يصل إلى الفجر ثم يقف عند المشعر الحرام يدعوا الله تعالى حتى يُسفر جداً، ثم ينصرف إلى مني، ورخص النبي عليه الصلاة والسلام للضعف من أهله أن يدفعوا من مزدلفة بليل^(٢٨٥) ، وكانت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - ترقب غروب القمر فإذا غاب القمر دفعت من مزدلفة إلى مني .

وهذا ينبغي أن يكون هو الحد الفاصل لأنه فعل صحابي، والنبي عليه الصلاة والسلام أذن للضعف من أهله أن يدفعوا بليل، ولم يُبيّن في هذا الحديث حد هذا الليل، ولكن فعل الصحابي قد يكون مبيّناً له ومفسراً له، وعليه فالذي ينبغي أن يحدد الدفع للضعف ونحوهم من يشق عليهم مزاحمة الناس، ينبغي أن يقيّد بذلك، أي بغروب القمر، وغروب القمر في الليلة العاشرة يكون قطعاً بعد منتصف الليل، يكون بعضه ثلثي الليل تقريباً.

وهذا ما يحضرني الآن من الأخطاء التي تقع في المبيت بمزدلفة.

* * *

(٢٨٥) سبق تخرجه برقم (٢١٥) .

(٢٨٦) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : من قدم ضعفة أهله بليل فيقرون بالمزدلفة ، حديث (١٦٧٧٩) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : استحباب تقديم الضعف من النساء وغيرهن ، حديث (١٢٩١) ، وأحمد في مسنده (٣٤٧/٦) حديث (٢٦٩٨٦) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٨٠) حديث (٢٨٨٤) ، والبيهقي في الكبير (٥/١٣٣) حديث (٩٣٥١) .

أخطاء تقع عند الرمي

س ٢٧٩: نود لو حدّثمنا عن الأخطاء التي يرتكبها بعض المهاجر في الرمي؟

الجواب: من المعلوم أن الحاج يوم العيد يقدم إلى مني من مزدلفة، وأول ما يبدأ به أن يرمي جمرة العقبة، والرمي يكون بسبع حصيات متعاقبات، يكبر مع كل حصاة، كما فعل النبي ﷺ، ويئن رسول الله ﷺ الحكم من رمي الحمار في قوله: «إِنَّمَا جَعَلَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمَيَ الْجَمَارِ؛ لِإِقْامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ» (٢٨٧)، هذه هي الحكم من مشروعية رمي الجمرات، والخطأ الذي يرتكبه بعض الناس في رمي الجمرات يكون من وجوه متعددة:

فمن ذلك: أن بعض الناس يظنون أنه لا يصح الرمي إلا إذا كانت الحصى من مزدلفة، ولهذا تجدهم يتبعون كثيراً في لقط الحصى من مزدلفة، قبل أن يذهبوا إلى مني، وهذا ظن خاطئ، فالحصى يؤخذ من أي مكان، من مزدلفة، مني، من أي مكان كان يؤخذ، المقصود أن يكون حصى.

ولم يرد عن النبي ﷺ أنه التقط الحصى من مزدلفة حتى نقول: إنه من السنة، إذن فليس من السنة، ولا من الواجب أن يلتقط الإنسان الحصى من مزدلفة، لأن السنة إما قول الرسول عليه الصلاة والسلام أو فعله أو إقراره، وكل هذا لم يكن في لقط الحصى من مزدلفة.

ومن الخطأ أيضاً: أن بعض الناس إذا لقط الحصى غسله، إما احتياطاً لخوف أن يكون أحد قد بال عليه، وإما تنظيفاً لهذا الحصى؛ لظنه أن كونه نظيفاً أفضل، وعلى كل حال فغسل حصى الجمرات بدعة، لأن الرسول ﷺ لم يفعله، والبعد بشيء لم يفعله الرسول ﷺ بدعة، وإذا فعله الإنسان من غير تبعد كان سفهًا وضياعاً للوقت.

ومن الأخطاء أيضاً: أن بعض الناس يظنون أن هذه الجمرات شياطين، وأنهم يرمون شياطين، فتجد الواحد منهم يأتي بعنف شديد وحقن وغيظ، منفعلاً انفعالاً عظيماً، كأن الشيطان أمامه، ثم يرم هذه الجمرات، ويحدث من ذلك مفاسد.

أولاً: أن هذا ظن خاطئ، فإنما نرمي هذه الجمرات إقامةً لذكر الله تعالى، واتباعاً لرسول الله ﷺ وتحقيقاً للتبعد، فإن الإنسان إذا عمل طاعة وهو لا يدرى فائتها، إنما يفعلها تبعداً لله، كان هذا أدلة على كمال ذله وخضوعه لله.

ثانياً: ما يترتب على هذا الظن، أن الإنسان يأتي بانفعال شديد وغيظ وحقن وقوة واندفاع، فتجده يؤذى الناس إيداءً عظيماً، حتى كأن الناس أمامه حشرات لا يالي لهم، ولا يسأل عن ضعيفهم، وإنما يتقدم كأنه جمل هائج.

ثالثاً: ما يترتب على هذه العقيدة الفاسدة: أن الإنسان لا يستحضر أنه يعبد الله أو يتبعده لهذا الرمي، ولذلك يعدل عن الذكر المشروع إلى قول غير مشروع، فتجده يقول حين يرمي: اللهم غضبي على الشيطان ورضا للرحمي. مع أن هذا ليس بمشرع عند رمي الجمرة، بل المشروع أن يكبر كما فعل النبي ﷺ.

رابعاً: أنه بناءً على هذه العقيدة الفاسدة تجده يأخذ أحجاراً كبيرة يرمي بها، بناءً على ظنه أنه كلما كان الحجر أكبر كان أشدّ أثراً وانتقاماً من الشيطان. وتجده أيضاً يرمي بالتعال والخشب وما أشبه ذلك مما لا يشرع الرمي به، ولقد شاهدت رجلاً قبل بناء الجسور على الجمرات جالساً على زبرة الحصى التي يرمي بها في وسط الحوض وامرأة معه يضربان العمود بأحذيتهما، بحقن وشدة، وحصى الرامين تصيبهما، ومع ذلك فكأنهما يريان أن هذا في سبيل الله، وأنهما يصبران على هذا الأذى وعلى هذه الإصابة ابتغاء وجه الله.

إذن: إذا قلنا أن هذا الاعتقاد اعتقاداً فاسداً، مما الذي نعتقد في رمي الجمرات؟ نعتقد في رمي الجمرات أننا نرمي الجمرات تعظيماً لله ، وتبعداً له

وابياعاً لسنة رسول الله ﷺ.

* * *

أخطاء تقع عند الرمي «تتمة»

س ٢٨٠ : ذكرت شيئاً من الأخطاء التي تقع عند الرمي منها :
الظن بات الحصى لابد أن تلتقط من مزدلفة ، وأيضاً غسل
الحصى وأنه خلاف السنة ، والظن بات الهمرات شياطين ، والرمي
بالصماد التسبير ، والرمي بالأشذى والفضب وما شابها ، فهل هنا
أخطاء أخرى تقع من بعض الصماد في الرمي ينبغي التنبيه عليها
والاستفادة في تجنبها؟ .

الجواب : نعم ، هناك أخطاء في الرمي يرتكبها بعض الناس ، منها ما سبق ،
ومنها أن بعض الناس لا يتحقق من رمي الحمرة من حيث ترمي ، فإن جمرة
العقبة - كما هو معلوم في الأعوام السابقة - كان لها جدار من الخلف ، والناس
يأتون إليه من نحو هذا الجدار ، فإذا شاهدوا الجدار رموا ، ومعلوم أن الرمي لابد
أن تقع فيه الحصى في الحوض ، فيرمونها من الناحية الشرقية من ناحية الجدار ،
ولا يقع الحصى في الحوض ، لحيلولة الجدار بينهم وبين الحوض ، ومن رمي هكذا
فإن رمي لا يصح ، لأن من شرط الرمي أن تقع الحصاة في الحوض ، وإذا وقعت
الحصاة في الحوض ، فقد برئت بها الذمة ، سواء بقيت في الحوض أو تدحرجت
منه .

ومن الأخطاء أيضاً في الرمي : أن بعض الناس يظن أنه لابد أن تصيب
الحصاة الشاحض أي العمود ، وهذا ظن خطأ ، فإنه لا يشترط لصحة الرمي أن
تصيب الحصاة هذا العمود ، فإن هذا العمود إنما جعل علامه على المرمى الذي
تقع فيه الحصى ، فإذا وقعت الحصاة في المرمى أجزاء سواء أصابت العمود أم لم
تصبه .

ومع الأخطاء العظيمة الناجحة أيضاً : أن بعض الناس يتهاون في الرمي ،

فيوكل من يرمي عنه مع قدرته عليه، وهذا خطأ عظيم، وذلك لأن رمي الحمرات من شعائر الحج ومتناصكه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاتَّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وهذا يشمل إتمام الحج بجميع أجزائه، فجميع أجزاء الحج يجب على الإنسان أن يقوم بها بنفسه، وألا يوكل فيها أحداً.

يقول بعض الناس: إن الزحام شديد، وإنه يشق علىي.

فنقول له: إذا كان الزحام شديداً أول ما يقدم النافذ إلى مني من مزدلفة، فإنه لا يكون شديداً في آخر النهار، ولا يكون شديداً في الليل، وإذا فاتك الرمي في النهار فارم في الليل، لأن الليل وقت للرمي، وإن كان النهار أفضل لكن كون الإنسان يأتي بالرمي في الليل بطمانينة وهدوء وخشوع أفضل من كونه يأتي به في النهار وهو ينزع الموت من الزحام والضيق والشدة، وربما يرمي ولا تقع الحصاة في الرمي، المهم أن من احتج بالزحام نقول له: إن الله قد وسّع الأمر، فلك أن ترمي في الليل.

يقول بعض الناس: إن المرأة عورة ولا يمكنها أن تراحم الرجال في الرمي.

نقول له: إن المرأة ليست عورة، إنما العورة أن تكشف المرأة ما لا يحل لها كشفه أمام الرجال الأجانب، وأما شخصية المرأة فليست بعورة، وإلا لقلنا: إن المرأة لا يجوز لها أن تخرج من بيتها أبداً، وهذا خلاف دلالة الكتاب والسنة، وخلاف ما أجمع عليه المسلمون، صحيح أن المرأة ضعيفة، وأن المرأة مراده للرجل، وأن المرأة محظى الفتنة، ولكن إذا كانت تخشى من الرمي مع الناس، فلتؤخر الرمي إلى الليل، ولهذا لم يرخص النبي ﷺ للضعفة من أهله - كسودة بنت زمعة وأشباهها - لم يرخص لهم أن يدعوا الرمي ويوكلوها من يرمي عنهم، مع دعاء الحاجة إلى ذلك - لو كان في الأمور الجائزه - بل أذن لهم أن يدفعوا من مزدلفة في آخر الليل، ليرموا قبل حطمة الناس وهذا أكبر دليل على أن المرأة لا توكل لكونها امرأة.

نعم لو فرض أن الإنسان عاجز ولا يمكنه الرمي بنفسه، لا في النهار ولا في الليل، فهنا يتوجّه القول بجواز التوكيل، لأنّه عاجز، وقد ورد عن الصحابة أنّهم كانوا يرمون عن صبيانهم، لعجز الصبيان عن الرمي، ولو لا ورود هذا النص وهو رمي الصحابة عن صغارهم، لو لا هذا لقلنا: إن من عجز عن الرمي بنفسه فإنه يسقط عنه، إما إلى بدل وهو الفدية، وإما إلى غير البدل، وذلك لأن العجز عن الواجبات يسقطها، ولا يقوم غير المكلف بما يلزم المكلف فيه عند العجز، ولهذا من عجز عن أن يصلّي قائماً مثلاً، لا نقول له: وكل من يصلّي عنك قائماً.

على كل حال: التهاون في هذا الأمر - أعني التوكيل في رمي الجمرات إلا من عذر لا يتمكّن فيه الحاج من الرمي - أمر خطأ كبير، لأنّه تهاون في العبادة، وتخاذل عن القيام بالواجب.

ومن الأخطاء أيضاً في الرمي: أن بعض الناس يظنّون أن الرمي بحصاة من غير مزدلفة لا يجزئ، حتى إن بعضهم إذا أخذ الحصى من مزدلفة ثم ضاع منه أو ضاع منه بعضه وبقي ما لا يكفي ذهب يطلب أحداً معه حصى من مزدلفة ليسلّفه إياه، فتجده يقول: أفرضني حصاة من فضلك، وهذا خطأ وجهل، فإنه كما أسلفنا يجوز الرمي بكل حصاة من أي موضع كانت، حتى لو فرض أن الرجل وقف يرمي الجمرات وسقطت الجمرات من يده فله أن يأخذ من الأرض من تحت قدمه، سواء حصاه التي سقطت منه أم غيرها، ولا حرج عليه في ذلك فيأخذ من الأرض التي تحته وهو يرمي ويرمي بها حتى وإن كان قريباً للحوض، لأنّه لا دليل على أنّ الإنسان إذا رمى بحصاة رُمي بها، فقد تكون هذه الحصاة سقطت من شخص آخر وقف في هذا المكان، وقد تكون حصاة رمي بها شخص من بعيد ولم تقع في الحوض، المهم أنك لا تتيقن، ثم على فرض أنك تيقنت أن هذه قد رُمي بها وتدرجت من الحوض وخرجت منه، فإنه ليس هناك دليل على أن الحصى الذي رُمي به لا يجزئ الرمي به.

ومن الخطأ في رمي الجمرات: أن بعض الناس يعكس الترتيب فيها في

اليومين الحادي عشر والثاني عشر، فيبدأ بجمرة العقبة، ثم بالجمرة الوسطى، ثم بالجمرة الصغرى الأولى، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ فإن النبي ﷺ رماها مرتبة، وقال: «لتأخذوا عني مناسككم»^(٢٨٨)، فيبدأ بالأولى، ثم بالوسطى، ثم بجمرة العقبة، فإن رماها مُنكسَّة، وأمكنه أن يتدارك ذلك فليتداركه.

فإذا رمى العقبة ثم الوسطى ثم الأولى، فإننا نقول: ارجع فارم الوسطى ثم العقبة، وذلك لأن الوسطى والعقبة وقعا في غير موضعهما، لأن موضعهما تأخرهما عن الأولى، ففي هذه الحالة نقول: اذهب فارم الوسطى ثم العقبة.

ولو أنه رمى الأولى ثم جمرة العقبة ثم الوسطى، قلنا له: ارجع فارم جمرة العقبة لأنك رميتها في غير موضعها فعليك أن تعيدها بعد الجمرة الوسطى، هذا إذاً أمكن أن يتلافى هذا الأمر، بأن كان في أيام التشريق، وسَهَّلَ عليه تلافيه، أما لو قُدر أنه انقضت أيام الحج، فإنه لا حرج عليه في هذه الحال، لأنه ترك الترتيب جاهلاً، فسقط عنه بجهله، والرمي للجمرات الثلاث قد حصل، غاية ما فيه اختلاف الترتيب، واختلاف الترتيب عند الجهل لا يضر، لكن متى أمكن تلافيه بأن علم بذلك في وقته فإنه يعيده.

ومن الخطأ أيضاً في رمي الجمرات في أيام التشريق: أن بعض الناس رميها قبل الزوال، وهذا خطأ كبير، لأن رميها قبل الزوال رمي لها قبل دخول وقتها فلا يصح، لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢٨٩) وقد ثبت أن النبي ﷺ لم يرمها إلا بعد زوال الشمس، وإنما رماها بعد الزوال وقبل صلاة الظهر، مما يدل على أنه - عليه الصلاة والسلام - كان يترقب الزوال ارتقاً تماماً، فبادر من حيث أن زالت الشمس قبل أن يصل إلى الظهر،

(٢٨٨) سبق تخريرجه برقم (٢١٧).

(٢٨٩) سبق تخريرجه برقم (٦٢).

ولقول عبد الله بن عمر - رضي الله عنهم - : «كنا نتحين، فإذا زالت الشمس رمينا» (٢٩٠) ؛ ولأنه أيسر للأمة، والله إنما يشرع لعباده ما كان أيسر، فلو كان مما يتبعده به لله - أعني الرمي قبل الزوال - لشرعه الله لعباده، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فلما لم يشرع قبل الزوال علِم أن ما قبل الزوال ليس وقتاً للرمي، ولا فرق في ذلك بين اليوم الثاني عشر والحادي عشر والثالث عشر، كلها سواء، كلها لم يرم فيها النبي ﷺ إلا بعد زوال الشمس.

فليحذر المؤمن من التهاون في أمور دينه، وليتق الله تعالى ربّه، فإنه من اتقى ربّه جعل له مخرجاً، ومن اتقى ربّه جعل له من أمره يسراً ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمُ﴾ [الأفال: ٢٩].

وينبغي للإنسان - ونحن نتكلّم عن وقت الرمي - أن يرمي كل يوم في يومه، فيرمي اليوم الحادي عشر في اليوم الحادي عشر، والثاني عشر في اليوم الثاني عشر، وجمرة العقبة يوم العيد، ولا يؤخرها إلى آخر يوم، هذا وإن كان قد رخص فيه بعض أهل العلم، فإن ظاهر السنة المنع منه إلا لعذر.

* * *

(٢٩٠) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : رمي الجمار ، حديث (١٧٤٦) ، وأبو داود ، حديث (١٩٧٢) ، والبيهقي في الكبرى (١٤٨/٥) حديث (٩٤٤٦) .

أخطاء تقع عند الرمي «تتمة»

س ٢٨١ : سالنا عن الأخطاء التي تقع عند رمي الهمار أو في الرمي، وذكرتم من هذه الأخطاء: الظن بان المصى لابد أن يكون من مزدلفة، وغسل المصى، والظن بان الهمارات شياطين، والرمي بالهمار الكبيرة، والرمي بالآهذبة والفسق وما الى ذلك، وأيضاً الرمي دون تحقق وقوع المصى في المرض، والظن بأنه لابد من اصابة العمود، والتهاون أيضاً في الترکيل في الرمي مع القدرة، وعَلَّس الترتيب في الرمي، ورمي الهمارات قبل الزوال. فهل هناك أخطاء أيضاً غير هذه الأخطاء التي ذكرتم؟

الجواب : نعم، هناك أخطاء بقيت من الأخطاء التي تقع من بعض الحاجاج في الرمي، ولكن ورد فيما ذكرتم أن من الأخطاء عدم تحقق وصول الحصاة في المرمي، الواقع أن المقصود هو أن بعض الناس يرمي جمرة العقبة من الخلف - من خلف الجدار - فيقع الحصى في غير المرمي، لأن الجدار يحول بينهم وبين الحوض، وتحقق وقوع الحصاة في المرمي ليس بشرط، لأنه يكفي أن يغلب على الظن أنها وقعت فيه، فإذا رمي الإنسان في المكان الصحيح وحذف الحصاة، وهو يغلب على ظنه أنها وقعت في المرمي كفى، لأن اليقين في هذه الحال قد يتذرع، وإذا تعذر اليقين ^{عمل} بغلبة الظن، ولأن الشارع أحال على غلبة الظن فيما إذا شك الإنسان في صلاته: كم صلى^(٢٩١) ، ثلثاً أم أربعاً؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «ليسحر الصواب ثم ليثئم عليه» ، وهذا يدل على أن غلبة الظن في أمور العبادة كافية، وهذا من تيسير الله ، لأن اليقين أحياناً يتذرع.

نرجع الآن إلى تكميل الأخطاء التي تحضرنا في مسألة الرمي، أعني رمي

(٢٩١) رواه البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : التوجيه نحو القبلة حيث كان ، حديث (٤٠١) ، ومسلم كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : السهو في الصلاة والسجود له ، حديث (٥٧٢) ، وأبي داود ، حديث (١٠٢٠) ، والنمسائي بنحوه ، حديث (١٢٤٦) ، وكذلك ابن ماجه ، حديث (١٢١٢) .

الجمرات:

فمنها: أن بعض الناس يرمي بحصى أقل مما ورد، فيرمي بثلاث أو أربع أو خمس، وهذا خلاف السنة، بل يجب عليه أن يرمي بسبع حصيات، كما رمى رسول الله ﷺ، فإنه رمى بسبع حصيات بدون نقص، لكن رخص بعض العلماء في نقص حصاة أو حصتين لأن ذلك وقع من بعض الصحابة ، فإذا جاءنا رجل يقول: إنه لم يرم إلا بست ناسياً أو جاهلاً، فإننا في هذه الحالة نعذرها، ونقول: لا شيء عليك، لورود مثل ذلك عن بعض الصحابة ، وإنما فالالأصل أن المشروع سبع حصيات، كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ.

ومن الخطأ الذي يرتكبه بعض الحاج في الرمي، وهو سهل لكن ينبغي أن يتضمن له الحاج: أن كثيراً من الحاج يهملون الوقوف للدعاء بعد رمي الجمرة الأولى والوسطى في أيام التشريق، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان إذا رمى الجمرة الأولى انحدر قليلاً، ثم استقبل القبلة، فرفع يديه يدعو الله دعاء طويلاً، وإذا رمى الجمرة الوسطى فعل كذلك، وإذا رمى جمرة العقبة انصرف ولم يقف ، فينبغي للحاج أن لا يفوت هذه السنة على نفسه، بل يقف ويدعو الله تعالى دعاء طويلاً إن تيسّر له، وإنما فقدر ما تيسر، بعد الجمرة الأولى والوسطى.

وبهذا نعرف أن في الحج ست وقوف للدعاء: على الصفا، وعلى المروة - وهذا في السعي - وفي عرفة، ومزدلفة، وبعد الجمرة الأولى، وبعد الجمرة الوسطى، فهذه ست وقوفات، كلها وقوفات للدعاء في هذه المواطن، ثبتت عن رسول الله ﷺ.

ومن الأخطاء التي يرتكبها بعض الناس: ما حدثني به من أثق به من

(٢٩٢) رواه البخاري ، كتاب: الحج ، باب: رفع اليدين عند جمرة الدنيا والوسطى ، حديث (١٧٥٣) ، وأبن حبان (١٩٩/٩) حديث (٣٨٨٧) والبيهقي في الكبير (١٤٨/٥) حديث (٩٤٤٥) .

أن بعض الناس يرمي رميًا زائداً عن المشرع، إما في العدد، وإما في التوقيت والمرات، فيرمي أكثر من سبع، ويرمي الجمرات في اليوم مرتين أو ثلاثة، وربما يرمي في غير وقت الحج، وهذا كله من الجهل والخطأ، والواجب على المرء أن يتبع بما جاء عن رسول الله ﷺ لينال بذلك محبة الله ومغفرته، لقوله تعالى: ﴿فَلْئَمَّا كُنْتُمْ تُبَعِّدُونَ اللَّهَ فَأَتَيْتُمْنِي يُعِذِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

هذا ما يحضرني الآن من الأخطاء في رمي الجمرات.

* * *

أخطاء تقع في المبيت بمنى أيام التشريق

س ٢٨٦: كنا قد سألنا عن الإقامة بمنى في اليوم الثامن قبل الصرج إلى عرفات، وذكرتم الأخطاء التي تقع فيها، لكن صباً أيضاً لعرفنا الأخطاء التي قد تقع من بعض الصهاج في الإقامة بمنى في أيام التشريق؟.

الجواب: الإقامة في منى أيام التشريق يحصل فيها أيضاً أخطاء من بعض الصهاج، وأنا أعود إلى مزدلفة فإن فيها بعض الأخطاء التي لم ننبه عليها سابقاً. فمنها: أن بعض الناس في ليلة المزدلفة يُحيي هذه الليلة بالقيام والقراءة والذكر، وهذا خلاف السنة، فإن النبي ﷺ في تلك الليلة لم يتبع لله بمثل هذا، بل في «صحيح مسلم» من حديث جابر أن النبي ﷺ لما صلى العشاء اضطجع حتى طلع الفجر ثم صلى الفجر ^(٢٩٣). وهذا يدل على أن تلك الليلة ليس فيها تهجد أو تعبد أو تسبيح أو ذكر أو قرآن.

ومنها - أي من الأخطاء في مزدلفة - أتنى سمعت أن بعض الصهاج يبقون في مزدلفة حتى تطلع الشمس ويصلون صلاة الشروق، أو الإشراق، ثم ينصرفون

بعد ذلك، وهذا خطأ؛ لأن فيه مخالفة لهدي النبي ﷺ، وموافقة لهدي المشركين، فإن النبي ﷺ دفع من مزدلفة قبل أن تطلع الشمس حين أسرف جداً، والمشركون كانوا يتظرون حتى تطلع الشمس، ويقولون: «أشرق ثير كيما ثغير». فمن بقي في مزدلفة تعبد الله حتى تطلع الشمس، فقد شابه المشركين وخالف سنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

أما الأخطاء في منى فمنها: أن بعض الناس لا يبيتون بها ليلاً حتى الحادي عشر والثاني عشر، بل يبيتون خارج منى من غير عذر، يريدون أن يترفهوا، وأن يشموا الهواء - كما يقولون - وهذا جهل وضلال، ومخالفة لسنة الرسول ﷺ، والإنسان الذي يريد أن يترفه لا يأتي للحج، فإن بقاءه في بلده أشد ترفاً وأسلم من تكُلُّ المشاق والنفقات.

ومن الأشياء التي يُخلُّ بها بعض الحجاج في الإقامة بمنى، بل التي يخطئ فيها، أن بعضهم لا يهتم بوجود مكان في منى، فتجده إذا دخل في الخطوط ووجد ما حول الخطوط ممتلئاً قال إنه ليس في منى مكان، ثم ذهب ونزل في خارج منى، والواجب عليه أن يبحث بحثاً تاماً فيما حول الخطوط وما كان داخلها، لعله يجد مكاناً يمكث فيه في أيام منى، لأن البقاء في منى واجب لقول النبي ﷺ: «لتأخذوا عني مناسككم» ^(٢٩٤) ، وقد أقام ﷺ في منى، ورخص للعباس بن عبد المطلب من أجل سقايته أن يبيت في مكة ليسقي الحجاج ^(٢٩٥) .

ومن الأخطاء أيضاً: أن بعض الناس إذا بحث ولم يجد مكاناً في منى، نزل إلى مكة أو إلى العزيزية، وبقي هنالك، والواجب إذا لم يجد مكاناً في منى

(٢٩٤) سبق تخرجه برقم (٢١٧) .

(٢٩٥) رواه البخاري ، كتاب : الحج ، باب : هل يبيت أصحاب السقاية أو غيرهم بمكة ، حديث (١٧٤٥) ، ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : وجوب المبيت بمنى ليالي التشريق ، حديث (١٣١٥) ، وأبو داود ، حديث (١٩٥٩) ، وابن ماجه ، حديث (٣٠٦٥) ، وأحمد في مسنده (٢٢/٢) حديث (٤٧٣١) وابن خزيمة في صحيحه (٣١١/٤) حديث (٢٩٥٧) ، وابن حبان في صحيحه (٢٠٢/٩) حديث (٣٨٩١) .

أن ينزل عند آخر خيمة من خيام الحجاج ليقى الحجيج كله في مكان واحد متصلة بعضه ببعض، كما نقول فيما لو امتلاً المسجد بالمصلين، فإنه يصلى مع الجماعة حيث تتصل الصنوف ولو كان خارج المسجد.

ومن الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الإقامة بمنى، وهو يسير لكن ينبغي المحافظة عليه، أن بعض الناس يبيت في منى، ولكن إذا كان النهار نزل إلى مكة، ليترفه في الظلّ الظليل والمكبات والمبردات، ويسلم من حر الشمس، ولفتح الحر، وهذا وإن كان جائزًا على مقتضى قواعد الفقهاء حيث قالوا: إنه لا يجب إلا المبيت، فإنه خلاف السنة، لأن النبي ﷺ بقي في منى ليالي وأياماً فكان عليه الصلاة والسلام يمكث في منى ليالي أيام التشريق وأيام التشريق، نعم لو كان الإنسان محتاجاً إلى ذلك كما لو كان مريضاً أو مرافقاً لمريض فهذا لا بأس به، لأن النبي ﷺ رخص للرعاة أن يبيتوا خارج منى، وأن يبقوا هذه الأيام في مراعيهم مع إبلهم . هذا ما يحضرني الآن من الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الإقامة بمنى.

* * * أخطاء تقع في الهدي

س ٤٨٢: تحدثنا عن الأخطاء التي يقع فيها الصهاج في بعض أعمال الصبح، وفي بعض المستاغر أيضاً، بقى علينا أن نعرف إذا كانت هناك أخطاء يقع فيها الصهاج بالنسبة للهدى؟.

الجواب: نعم، يرتكب بعض الحجاج أخطاء في الهدي. منها: أن بعض الحجاج يذبح هدياً لا يجزئ، كأن يذبح هدياً صغيراً لم

(٤٧٥) روأ أبو داود ، كتاب : المناسب ، باب : في رمي الحمار ، حديث (١٩٧٦) ، والترمذى ، حديث (٩٥٤) ، والنمسائى ، حديث (٣٠٦٨) ، وابن ماجه ، حديث (٣٠٣٦) ، وأحمد في مستنه (٤٥٠/٥) حديث (٢٣٨٢٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣١٩/٤) حديث (٢٩٧٦) ، والحاكم في المستدرك (٣/٢) حديث (٥٧٧٣) .

يبلغ السن المعتبر شرعاً للإجزاء، وهو في الإبل خمس سنوات، وفي البقر ستة، وفي الماعز سنة، وفي الضأن ستة أشهر، لقول النبي ﷺ: «لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن» ، ومن العجب أن بعضهم يفعل ذلك مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَمَا أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٦].
ويقول: إن ما تيسر من الهدى فهو كاف.

فنقول له: إن الله قال: ﴿فَمَا أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدَىٰ﴾ و «أَلْ» هذه لبيان الجنس، فيكون المراد بالهدى: الهدى المشروع ذبحه، وهو الذي بلغ السن المعتبر شرعاً، وسلم من العيوب المانعة من الإجزاء شرعاً. ويكون معنى قوله: ﴿فَمَا أَسْتَيْسَرَ﴾ أي بالنسبة لوجود الإنسان ثمنه مثلاً، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحْدُدْ فَصَبِّأْمَ تَلْثَلَةً أَيَامًٍ فِي الْحَجَّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فتجده يذبح الصغير الذي لم يبلغ السن، ويقول: هذا ما استيسر من الهدى، ثم يرمي به أو يأكله أو يتصدق به، وهذا لا يجزئ، للحديث الذي أشرنا إليه.

ومن الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الهدى: أنه يذبح هدياً معيناً بعيوب يمنع من الإجزاء، والعيوب المانعة من الإجزاء ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام حين تحدث عن الأضحية وسئل: ماذا يُنْقَى من الضحايا؟ فقال: «أربع» وأشار بيده عليه الصلاة والسلام: «العوراء البين عورها، والمربيضة البين مرضها، والعرجاء البين ضلعها، والهزيلة - أو العجفاء - التي لا تُنْقَى» ، أي التي ليس فيها نُقْى أي مخ، فهذه العيوب الأربع مانعة من الإجزاء، فأي بهيمة يكون فيها شيء من هذه العيوب أو ما كان مثلكاً أو أولى منها، فإنها لا تخزئ في

(٢٩٧) رواه مسلم ، كتاب: الأضحى ، باب: سن الأضحية ، حديث (١٩٦٣) ، وأبو داود ، حديث (٢٧٩٧) ، والنمسائي ، حديث (٤٣٧٨) ، وابن ماجه ، حديث (٣١٤١) ، وأحمد في مسنده (٣١٢/٣) حديث (١٤٣٨٧) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٩٤) حديث (٢٩١٨) .
 (٢٩٨) رواه أبو داود ، كتاب: الضحايا ، باب: ما يكره من الضحايا ، حديث (٢٨٠٢) ، والترمذى ، حديث (١٤٩٧) ، والنمسائي ، حديث (٤٣٦٩) ، وابن ماجه ، حديث (٣١٤٤) ، وأحمد في مسنده (٣٠٠/٤) ، والدارمي في سنته (١٠٥/٢) حديث (١٩٤٩) .

الأضحية ولا في الهدي الواجب كهدى التمتع والقران والجبران.

ومن الأخطاء التي يرتكبها الحجاج في الهدي: أن بعضهم يذبح الهدي ثم يرمي به، ولا يقوم بالواجب الذي أوجب الله عليه في قوله: ﴿فَلْكُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]. فقوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا﴾ أمر لابد من تنفيذه لأنه حق للغير، أما قوله: ﴿فَلْكُوا مِنْهَا﴾ فالصحيح أن الأمر فيه ليس للوجوب، وأن للإنسان أن يأكل من هديه وله أن لا يأكل، وقد كان النبي ﷺ يبعث بالهدي من المدينة إلى مكة ولا يأكل منه، فيذبح في مكة ويوزع ولا يأكل منه، لكن قوله: ﴿وَأَطْعِمُوا﴾ هذا أمر يتعلق به حق الغير، فلا بد من إيصال هذا الحق إلى مستحقه.

وبعض الناس كما قلت يذبحه ويدعه، فيكون بذلك مخالفًا لأمر الله تبارك تعالى، بالإضافة إلى أن ذبحه وتركه إضاعة للمال، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال، وإضاعة المال من السفه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيمًا﴾ [النساء: ٥].

وهذا الخطأ الذي يقع في هذه المسألة يتصل بعض الناس بأنه لا يجد فقراء يعطيمهم، وأنه يشق عليهم حمله لكثرة الناس والزحام والدماء واللحوم في المجازر وهذا التعلييل وإن كان قد يصح في زمن مضى لكنه الآن قد تيسر لأن المجازر مُدبّت وأصلحت، ولأن هناك مشروعًا افتتح في السنوات الأخيرة، وهو أن الحاج يعطي اللجنة المكونة لاستقبال دراهم الحجاج لتشتري لهم بذلك الهدي وتذبحه وتوزعه في مستحقه، فإذا كان الحاج أن يتصل بمحاسب هذه اللجنة، من أجل أن يسلم قيمة الهدي ويوكّلهم في ذبحه وتفريق لحمه.

ومن الأخطاء أيضًا: أن بعض الحجاج يذبح الهدي قبل وقت الذبح، فيذبحه قبل يوم العيد، وهذا وإن كان قال به بعض أهل العلم في هدي التمتع والقران، فإنه قول ضعيف، لأن النبي ﷺ لم يذبح هديه قبل يوم العيد، مع أن الحاجة كانت داعية إلى ذبحه، فإنه حين أمر أصحابه أن يحلوا من إحرامهم

بالحج ليجعلوه عمرة ويكونوا ممتنعين، وحصل منهم شيء من التأخير، قال : «لو استقبلت من أمري ما استدررت ما أهديت ، ولو لا أن معى الهدى لأحللت»^(٢٩٩) ، فلو كان ذبح الهدى جائزًا قبل يوم النحر لذبحه النبي عليه الصلاة والسلام وحلَّ من إحرامه معهم تطبيقًا لقلوبهم، واطمئنانًا لهم في ذلك، فلما لم يكن هذا منه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، علم أن ذبح الهدى قبل يوم العيد لا يصح ولا يجزئ.

ومن العجب أنني سمعت من بعض المرافقين لبعض الحملات التي تأتي من بلاد نائية عن مكة، أنه قيل لهم - أي هذه الحملات . لكم أن تذبحوا هديكم من حين أن تسافروا من بلدكم إلى يوم العيد، واقتصر عليهم هذا أن يذبحوا من الهدى بقدر ما يكفيهم من اللحم لكل يوم، وهذه مجرأة عظيمة على شرع الله وعلى حق عباد الله، وكأن هذا الذي أفتأهم بهذه الفتوى يريد أن يوفر على «الحملداري» الذي تكفل بالقيام بهذه الحملة، أن يوفر عليه نفقات هذه الحملة، لأنهم إذا ذبحوا لكل يوم ما يكفيهم من هداياهم وفرروا عليه اللحم، فعلى المرء أن يتوب إلى الله وأن لا يتلاعب بأحكام الله، وأن يعلم أن هذه الأحكام أحكاماً شرعية، أراد الله تعالى من عباده أن يتقرّبوا بها إليه على الوجه الذي سنته لهم وشرعه لهم، فلا يحل لهم أن يتعدوا إلى ما تملّيه عليه أهواءهم.

* * *

حكم ذبح الهدى في غير مكة

س ٢٨٤ : هناك بعض المهام إذا أراد أن يصح ، رفع تقدراً لبعض المؤسسات الفضائية التي تتولى ذبح هديه في أماكن المجاعة في سرت الأرض وغيرها ، مما حكم هذا العمل أتابكيم الله؟ .

الجواب : أقول هذا عمل خاطئ مخالف لشريعة الله ، وتغريب بعباد الله ،

وذلك أن الهدي محل ذبحه مكة، فإن رسول الله ﷺ إنما ذبح هديه بمكة، ولم يذبحه في المدينة ولا في غيرها من البلاد الإسلامية، والعلماء نصوا على هذا، وقالوا إنه يجب أن يُذبح هدي التمتع والقران والهدي الواجب - لترك واجب - يجب أن يذبح في مكة، وقد نصَّ الله على ذلك في جزاء الصيد، فقال: ﴿يَحِكُمْ بِهِ دَوَا عَدَلٍ مِنْكُمْ هَذِيَا بَلَغَ الْكَبْتَةَ﴾ [المائدة: ٩٥]. مما قيَّدَ في الشرع بأماكن معينة لا يجوز أن ينقل إلى غيرها، بل يجب أن يكون فيها، فيجب أن تكون الهدايا في مكة، وتوزع في مكة، وإن قُدرَ أنه لا يوجد أحد يقبلها في مكة، وهذا فرض قد يكون محالاً فإنه لا حرج أن تذبح في مكة، وتنقل لحومها إلى من يحتاجها من بلاد المسلمين، الأقرب فالأقرب، أو الأشد حاجة فالأشد، هذا بالنسبة للهدايا.

* * *

حكم ذبح الأضحية في غير مكان المضحي

س ٢٨٥ : هل ينطبق الهمم على الضحايا أيضاً؟

الجواب : نعم، ينطبق على الأضحية ما ينطبق على الهدي، ولأن الأضحية المشروع أن تكون في مكان المضحي، فإن الرسول ﷺ ذبح أضحيته في بلده، وبين أصحابه، حيث كان يُخرجُ بها إلى المصلى فيذبحها هناك إظهاراً لشعائر الله ، والدعوة إلى أن تؤخذ الدرارهم من الناس وتذبح الضحايا في أماكن بعيدة، دعوة إلى تحطيم هذه الشعيرة وخفائها على المسلمين، لأن الناس إذا نقلوا ضحاياهم إلى أماكن أخرى لم تظهر الشعائر - الأضحى - في البلاد وأظلمت البلاد من الأضحى، مع أنها من شعائر الله .

ويقول بذلك :

أولاً : مباشرة المضحي لذبح أضحيته بنفسه، فإن هذا هو الأفضل والسنة، كما فعل النبي ﷺ ، فإنه كان يذبح أضحيته بيده عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: يفوت بذلك سنتيُّ الأكل منها، فإن النبي ﷺ أمر بالأكل من الأضاحي، كما أمر الله بذلك في قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]. فإن هذا أمر بالأكل من كل ذبيحة يتقرب بها الإنسان إلى الله . ولما أهدى رسول الله ﷺ في حجة الوداع مائة بدنَة ذبح منها ثلاثة وستين بيده الكريمة، وأعطى علياً ﷺ الباقى فوَّلَه في ذبحه، ووَكَلَه أيضًا في تفريغ اللحم، إلا أنه أمر أن يؤخذ من كل بدنَة بضعة - أي قطعة من لحم - فجعلت في قدر، فطُبخت، فأكل من لحمها وشرب من مرقها ^(٣٠٠) ، وهذا يدل على تأكيد أكل الإنسان ما أهداه من الذبائح، وكذلك مما ضحى به.

نحن نقول: إنه يجوز التوكيل ؛ أن يوكل الإنسان من يذبح أضحيته، لكن لابد أن تكون الأضحية عنده وفي بيته أو في بلدِه على الأقل، يشاهدها ويأكل منها، وتظهر بها شعائر الدين، وليعلم أنه ليس المقصود من الأضحى المادة البحتة وهي اللحم، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَئِنْ يَنَالَ اللَّهُ لَحْومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَئِنْ يَنَالُ اللَّهُ النَّقَوْيَ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. والنبي ﷺ قال فيمن ذبح قبل الصلاة: «إنما هو لحم قدمة لأهله» ^(٣٠١) ، وقال لأبي بردة: «شاتك شاة لحم» ^(٣٠٢) . ففرق النبي ﷺ بين الأضحية وبين اللحم، وأيضاً فإن العلماء يقولون: لو تصدق بلحم مائة بغيره، فإنه لا يجزئه عن شاة واحدة يُضحي بها. وهذا يدل على أن الأضحية يتقرَّب إلى الله تعالى بذبحها، قبل أن ينظر إلى منفعة لحمها.

(٣٠٠) انظر حديث (١٢١٨) من صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ .

(٣٠١) رواه البخاري ، كتاب : الأضاحي ، باب : سنة الأضحية ، حدث (٥٥٤٥) ، مسلم ، كتاب : الأضاحي ، باب : وقتها ، حدث (١٩٦١) ، والنسائي ، حدث (١٥٦٣) ، وأحمد في مستنه (٢٨١/٤) ، وابن حبان في صحيحه (٢٢٧/١٣) حدث (٥٩٠٦) ، وأبو عوانة في مستنه (٦٧٥) حدث (٧٨١٢) ، والبيهقي في الكبرى (٢٦٩/٩) .

(٣٠٢) رواه البخاري ، كتاب : الأضاحي ، باب : قول النبي ﷺ لأبي بردة ، حدث (٥٥٥٦) ، مسلم ، كتاب : الأضاحي ، باب : وقتها ، حدث (١٩٦١) ، وأبو داود ، حدث (٢٨٠١) ، والنسائي ، حدث (٤٣٩٥) ، وأحمد في مستنه (٤٥/٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣٤١/٢) حدث (١٤٢٧) .

نصائح تتعلق بالهدى

س ٢٨٦ : تحدثنا عن الذين يرسلون نقوشاً لبعض البلدان الإسلامية ليذبح هديهم هناك أو أضحبيتهم هناك، وذكرتم أن ذلك مخالف لمقاصد الشريعة فهل من إضافة أو نصيحة تتعلق بهذا الموضوع؟.

الجواب : الأمر كما ذكرتم، أن بعض الناس أو بعض المؤسسات تطلب من المسلمين أن يسلّموا لها قيمة الهدى أو قيمة الأضاحي ليذبح في بلاد متضرر أهلها، ومحتججون إلى الطعام والغذاء، وذكرنا أن الهدايا لها محل معين وهو مكة المكرمة، وأنه يجب أن يكون الذبح هناك في جزاء الصيد، وفي هدى التمتع والقرآن، وفي الفدية الواجبة لترك واجب، وأما الواجبة لفعل المحظور، فإنها تكون حيث وُجد ذلك المحظور، ويجوز أن تكون في الحرم أي في مكة، وأما دم الإحصار فيحث وُجد سببه، هكذا ذكر أهل العلم - رحمهم الله - ولا يجوز أن تُخرج عن مكة وتُذبح في مكان آخر.

وأما تفريق لحمهما فيكون في مكة إلا إذا استغنى أهل مكة، فيجوز أن تُفرق في البلاد الإسلامية، في أقرب البلاد، هذا بالنسبة للهدى، أما الأضاحي فإنها تُضحى في بلاد **المُضْحِين**، فإن الرسول ﷺ لم ينقل عنه أن **ضَحَّى** إلا في محل إقامته في المدينة عليه الصلاة والسلام، والأفضل أن يياشرها بنفسه، فإن لم يستطع فإنه يوكل من يذبحها أمامه ليشهد أضحيته، وسبق لنا ما يحصل من المحظور في نقل الأضاحي إلى بلاد أخرى.

وإنني بهذه المناسبة أوجّه نصيحة إلى إخواني المسلمين ليعلموا أنه ليس المقصود من ذبح الهدايا والأضاحي مجرد اللحم، فإن هذا يحصل بشراء الإنسان لحماً كثيراً يوزعه على الفقراء، لكن المقصود والأهم هو التقرب إلى الله تعالى بالذبح، فإن التقرب إلى الله تعالى بالذبح من أفضل الأعمال الصالحة، كما قال الله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَشَكِّي وَمَحَبَّاتِي وَمَمَّاقِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَدْلِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿الأنعام: ١٦٢-١٦٣﴾ . وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرِبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾ [الكوثر: ٢]. وقال الله تعالى: ﴿لَئِنْ يَنَالَ اللَّهُ لُؤْمُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. وكون الإنسان يدفع دراهم لتذبح أضحيته في مكان الحاجة من بلاد المسلمين، يعني عنه أن يدفع دراهم ليشتري بها الطعام من هناك ويُوزع في الفقراء، وربما يكون هذا أفعى لهم حيث يُشتري ما يليق بحالهم ولائهم، وربما تكون الأطعمة هناك أرخص، فنصيحتي للMuslimين أن يتولوا ذبح ضحاياهم في بلادهم، وأن يأكلوا منها ويطعموا منها وينظروا شعائر الله تعالى بالقرب إليه بذبحها، وأن لا ينسوا إخوانهم المسلمين المتضررين في مشارق الأرض ومغاربها المحتاجين لبذل الأموال والمعونات لهم، فيجمعوا في هذه الحال بين الحسينين، بين حُسْنِي ذبح الأضحى في بلادهم، وحسنِي نفع إخوانهم المسلمين في بلادهم.

* * *

أخطاء تقع في الوداع

س ٢٨٧ : آخر أعمال الحج الوداع، فهل هناك أخطاء ترورت أن بعض المهاجر يقعون فيها؟ وما هي هذه الأخطاء هنالك الله خير؟^١

الجواب : طواف الوداع يجب أن يكون آخر أعمال الحج، لقول النبي ﷺ: «لا ينصرف أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت» ^(٣٠٣) . وقال ابن عباس رضي الله عنهم: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خف عن الحائض» ^(٣٠٤) . فالواجب أن يكون الطواف آخر عمل يقوم به الإنسان من أعمال الحج، والناس يخطئون في طواف الوداع في أمور:

أولاً: أن بعض الناس لا يجعل الطواف آخر أمره، بل ينزل إلى مكة ويطوف طواف الوداع، وقد بقي عليه رمي الجمرات، ثم يخرج إلى مني فيرمي

^(٣٠٣) سبق تخرجه برقم (٢١٩) .

^(٣٠٤) سبق تخرجه برقم (٧٩) .

الجمرات ثم يغادر، وهذا خطأ، ولا يجزئ طواف الوداع في مثل هذه الحال، وذلك لأنّه لم يكن آخر عهد الإنسان بالبيت الطواف، بل كان آخر عهده رمي الجمرات.

الثاني: ومن الخطأ أيضاً في طواف الوداع: أن بعض الناس يطوف للوداع ويقى في مكة بعده، وهذا يوجب إلغاء طواف الوداع، وأن يأتي بدلـه عند سفره، نعم لو أقام الإنسان في مكة بعد طواف الوداع لشراء حاجة في طريقه أو لتحميل العفش، أو ما أشبه ذلك فهذا لا بأس به.

ومن الخطأ في طواف الوداع: أن بعض الناس إذا طاف للوداع وأراد الخروج من المسجد رجع القهقرى، أي رجع على قفاه، يزعم أنه يتحاشى بذلك تولية البيت ظهره، أي تولية الكعبة ظهره، وهذا بدعة لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه ، ورسول الله ﷺ أشدّ منا تعظيمًا لله تعالى ولبيته، ولو كان هذا من تعظيم الله وبيته لفعله ﷺ، وحيثـنـدـ فإنـ السـنـةـ إذاـ طـافـ الإـنـسـانـ للـوـدـاعـ أـنـ يـخـرـجـ عـلـىـ وـجـهـ وـلـوـ وـلـيـ الـبـيـتـ ظـهـرـهـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ.

ومن الخطأ أيضاً: أن بعض الناس إذا طاف للوداع ثم انصرف ووصل إلى باب المسجد الحرام اتجه إلى الكعبة وكأنه يودعها، فيدعـو أو يُسـلـمـ أو ما أـشـبـهـ ذلكـ،ـ وهذاـ منـ الـبـدـعـ أـيـضاـ لـأـنـ الرـسـوـلـ ﷺـ لـمـ يـفـعـلـهـ،ـ وـلـوـ كـانـ خـيـرـاـ لـفـعـلـهـ النـبـيـ ﷺـ.ـ هـذـاـ مـاـ يـحـضـرـنـيـ الـآنـ.



حكم زيارة المسجد النبوي وهل لها تعلق بالحج

س ٢٨٨ : اذن بعد انة عرفنا النبي ، اللئـى عن الصـى رأى عـمالـه والـأخطـاء الـتي تـقـع فـيـه نـوـد اـنـت نـتـقـلـ مـعـ الـأـخـرـة الـمـهـاجـعـ إـلـى ما يـحـصـمـ فـيـ الـزـيـارـةـ ، زـيـارـةـ الـمـسـجـدـ الـنـبـوـيـ السـرـيفـ ، فـما حـلـمـ زـيـارـةـ الـمـسـجـدـ الـنـبـوـيـ؟ . وهـلـ لـهـ تـعـلـقـ بـالـصـيـعـ؟ .

الجواب : زيارة المسجد النبوي سنة لقول النبي ﷺ : «لا تشدوا الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الأقصى» (٣٠٥) فيسافر الإنسان لزيارة المسجد النبوي، لأن الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما عداه إلا المسجد الحرام ، ولكنه إذا سافر إلى المدينة فينبغي أن يكون قصده الأول الصلاة في مسجد الرسول ﷺ ، وإذا وصل إلى هناك زار قبر رسول الله ﷺ وقبرى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهمَا ، على الوجه المشروع في ذلك من غير بدء ولا غلو.

وقوله في السؤال : هل له علاقة بالحج؟ . جوابه : أنه لا علاقة له بالحج، وأن زيارة المسجد النبوي منفصلة، والحج والعمرة منفصلان عنه، لكن أهل العلم - رحمهم الله - يذكرونها في باب الحج، أو في آخر باب الحج، لأن الناس في عهد سبق يشقُّ عليهم أن يفردوا الحج والعمرة في سفر، وزيارة المسجد النبوي في سفر، فكانوا إذا حجوا واعتبروا مرجوا على المدينة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، وإنما فلا علاقة بين هذا وهذا.

* * *

^١ رواه البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، حديث (١١٨٩) ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد ، حديث (١٣٩٧) ، وأبو داود ، حديث (٢٠٣٣) ، والترمذى ، حديث (٣٢٦) ، والسائى ، حديث (٧٠٠) ، وابن ماجه ، حديث (١٤٠٩).

الآداب المشروعة في زيارة المسجد النبوى

س ٦٨٩: أشرتكم الى زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام اذا وصل المسلم الى المدينة المنورة وأيضاً قبر صاحبيه، فما الآداب المشروعة لزيارة قبر الرسول ﷺ؟ .

الجواب: الآداب المشروعة: أن يزور الإنسان قبره ﷺ على وجه الأدب، وأن يقف أمام قبر رسول الله ﷺ فسلم عليه فيقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك وسلم وبارك، وجزاك عن أمتك خير الجزاء» ثم يخطو خطوة ثانية، خطوة عن يمينه، ليكون مقابل وجه أبي بكر ، ويقول: «السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته، جزار الله عن أمّة محمد خيراً»، ثم يخطو خطوة عن يمينه، ليكون مقابل وجه عمر بن الخطاب، فيقول: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، جزار الله عن أمّة محمد خيراً». ثم ينصرف، هذه هي الزيارة المشروعة.

وأما ما يفعله بعض الناس من التمسح بجدران الحجرة، أو التبرك بها، أو ما أشبه ذلك، فكله من البدع، وأشد من ذلك وأنكر وأعظم أن يدعو النبي ﷺ لتفريج الكربات وحصول المغوبات، فإن هذا شرك أكبر مخرج عن الملة، والنبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا يملك لغيره كذلك نفعاً ولا ضرراً، ولا يعلم الغيب، وهو ﷺ قد مات كما يموت غيره من بني آدم، فهو بشر يحيا كما يحيون ويموتون، وليس له من تدبير الكون شيء أبداً، قال الله تعالى - أى للرسول ﷺ: ﴿فَلْئِمَنِي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشَدًا﴾ [٢١] قلن إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهُ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَحَدِّثًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢]. وقال الله تعالى له: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقال الله له: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلِكٌ إِنَّ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]

فالرسول ﷺ بشر محتاج إلى الله ، وليس به غنى عنه طرفة عين، ولا يملك

أن يجلب نفعاً لأحد أو يدفع ضرراً عن أحد، بل هو عبد مربوب مُكْلَفٌ كما يُكْلِفُ بني آدم، وإنما يمتاز بما من الله به عليه من الرسالة التي لم تكن لأحد قبله ولن تكون لأحد بعده، وهي الرسالة العظمى التي بعث بها إلى سائر الناس إلى يوم القيمة.

* * *

حكم زيارة البقير وشهداء أحد

س ٢٩٠ : أياضًا ما حلم زيارة بعض مقابر المدينة للبقاء
وشهداء أحد؟.

الجواب: زيارة القبور سُنّة في كل مكان، ولا سيما زيارة البقير التي دفن فيها كثير من الصحابة ، ومنهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وقبره هناك معروف، وكذلك يُسْئِنُ أن يخرج إلى أحد ليزور قبور الشهداء هنالك، ومنهم حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ، وكذلك ينبغي أن يزور مسجد قباء، يخرج متظهراً فيصلّي فيه ركعتين فإن في ذلك فضلاً عظيمًا، وليس هناك شيء يزار في المدينة سوى هذه، زيارة المسجد النبوى، زيارة قبر النبي ﷺ، زيارة البقير، زيارة شهداء أحد، زيارة مسجد قباء، وما عدا ذلك من المزارات فإنه لا أصل له.

* * *

يجد في قلبه ميلاً إلى طلب الشفاعة من المقربين فماذا يفعل؟.

س ٢٩١ : سألنا عن حلم زيارة بعض المقابر في المدينة التي تزار ذكرتني أن المزارات في المدينة خمسة وتلست أنه لا يهرب لليهود أن يدعوا أصحاب هذه المقابر أي دعاء، لكن ما الذي يلزم من واجب في قلبه ميلاً إلى طلب الشفاعة من أصحاب هذه القبور أو تضليل المهاجر أو السفارة أو ما إلى ذلك؟.

الجواب: الذي يجد في قلبه ميلاً إلى طلب الشفاعة من أصحاب القبور،

إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْقُبُورِ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَكَانَ إِنْسَانٌ يَؤْمِلُ أَنْ يَجْعَلُهُمُ اللَّهُ شَفَاعَةً لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَدْوَنَ أَنْ يَسْأَلُوهُمْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ يَرْجُو أَنْ يَكُونُوا شَفَاعَةً لَهُ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّا كُلُّنَا نَرْجُو أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ شَفِيعًا لَنَا، وَلَكِنَّا لَا نَقُولُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْفُعْ لَنَا، بَلْ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ شَفِيعًا لَنَا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْخَيْرِ الَّذِينَ يُرجَى مِنْهُمُ الصَّلَاحُ، إِنَّهُمْ يَكُونُونَ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنَ:

* قسم خاص برسول الله ﷺ لا يشركه فيه أحد، وهي الشفاعة العظمى التي يشفع فيها ﷺ للخلق إلى ربهم ليقضي بينهم، فإن الناس يوم القيمة ينالهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيقولون: ألا تذهبون إلى من يشفع لنا عند الله - يعني يريحهم من هذا الموقف - فيأتون إلى آدم، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام، وكلُّهم لا يشفع، حتى يأتوا إلى رسول الله ﷺ، وتنتهي الشفاعة إليه، فيشفع عند الله أن يقضي بين عباده، فيجيء الله فيقضي بين عباده.

* والشفاعة الثانية: شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

أما الشفاعة العامة التي تكون للرسول ﷺ ولغيره من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهذه تكون فيمن دخل النار أن يُخرَجَ منها، فإن عصاة المؤمنين إذا دخلوا النار بقدر ذنبهم، فإن الله تعالى يأذن لمن شاء من عباده من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أن يشفعوا في هؤلاء بأن يخرجوا من النار.

المهم أن الإنسان إذا رجا الله تعالى أن يشفع فيه نبيه محمد ﷺ، أو يشفع فيه أحد من الصالحين بدون أن يسألهم ذلك، فهذا لَا بَأْسَ بِهِ، وأما أن يسألهم فيقول: يا رسول الله اشفع لي - أو - يا فلان اشفع لي، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يجوز، بل هو من دعاء غير الله ، ودعاء غير الله تعالى شرك.

حكم زيارة المساجد السبعة وغيرها من المزارات

س ٢٩١: ذكرتني أن المواقع التي تزار في المدينة خمسة، لكن لم ترد إشارة متميزة للمساجد السبعة أو مسجد الفمامنة، أو بعض هذه المزارات التي يزورها بعض المهاجع، فما حكم زيارتها؟.

الجواب: نحن ذكرنا أنه لا يزار سوى هذه الخمسة التي هي:

مسجد النبي ﷺ، وقبره، وقبور صاحبيه - وهذه القبور الثلاثة في مكان واحد - والبقيع وفيه عثمان ، وشهداء أئمدة وفيهم حمزة بن عبد المطلب ، ومسجد قباء، وما عدا ذلك فإنه لا يُزار، وما أشرتَ إليه من المساجد السبعة، أو غيرها مما لم تذكر، فكل هذا لا أصل لزيارته، وزيارة بقصد التبعد لله تعالى بدعة، لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، ولا يجوز لأحد أن يثبت لزمان أو مكان أو عمل، أن فعله أو قصده قربة إلا بدليل من الشرع.

* * *

ما ينبغي لمن وفق لأداء الحج

س ٢٩٢: ما الذي ينبغي لمن وفقه الله تعالى بإتمام نسكه من الصبح والعمره؟ وما الذي ينبغي له بعد ذلك؟.

الجواب: الذي ينبغي له ولغيره من من الله عليه بعبادة أن يشكر الله على توفيقه لهذه العبادة، وأن يسأل الله تعالى قبولها، وأن يعلم أن توفيق الله تعالى إياه لهذه العبادة نعمة يستحق الشكر عليها، فإذا شكر الله، وسأل الله القبول، فإنه حرثي بأن يُقبل، لأن الإنسان إذا وفق للدعاء فهو حرثي بالإجابة، وإذا وفق للعبادة فهو حرثي بالقبول، وليرحص غاية الحرص أن يكون بعيداً عن الأعمال السيئة بعد أن من الله عليه بمحوها، فإن النبي ﷺ يقول: «الحجُّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» . ويقول ﷺ: «الصلوات الخمس وال الجمعة إلى الجمعة

ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»^(٣٠٧). ويقول بنبيه: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»^(٣٠٨). وهذه وظيفة كل إنسان يمْنُ الله تعالى عليه بفعل عبادة، أن يشكر الله على ذلك وأن يسأله القبول.

* * *

س ٦٩٤: هل هناك علامات يمكن أن تظهر على المقربلين في أداء الصبح والعمرة؟

الجواب: قد تكون هناك علامات لمن تقبل الله منهم من الحجاج والصائمين والمتصدقين والمصلين، وهي انشراح الصدر، وسرور القلب، ونور الوجه، فإن للطاعات علامات تظهر على بدن صاحبها، بل على ظاهره وباطنه أيضاً، وذكر بعض السلف أن من علامة قبول الحسنة أن يُوفَّق الإنسان لحسنة بعدها، فإن توفيق الله إياه لحسنة بعدها يدل على أن الله قبل عمله الأول، ومن عليه بعمل آخر ورضي به عنه.

* * *

الواجب على من عاد إلى بلاده تجاه أهله بعد أداء الحج

س ٦٩٥: ما الذي يهب على المسلم إذا انتهى من مهمته راسف عن هذه الأمالك المقدسة؟ ما الذي يهب عليه تجاه أهله وجماعته ومن يعيش في دسطهم؟

الجواب: هذا الواجب الذي تشير إليه واجب على من حج ومن لم

= ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ، حديث (١٣٤٩) ، والترمذى ، حديث (٩٣٣) ، والنسائى ، حديث (٢٦٢٩) ، وأ ابن ماجه ، حديث (٢٨٨٨) ، وأحمد في مسنده (٢٤٦/٢) حديث (٧٣٤٨) .

(٣٠٧) رواه مسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، حديث (٢٣٣) ، والترمذى بتحوته ، حديث (٢١٤) ، وأحمد في مسنده (٤٠٠/٢) حديث (٩١٨٦) ، وأ ابن حبان في صحيحه (٢٥-٢٤/٥) حديث (١٧٣٣) ، والحاكم في المستدرك (٢٠٧/١) حديث (٤١٢) .

(٣٠٨) سبق تخرجه برقم (٣٠٦) .

يحج، واجب على كلّ من ولاة الله تعالى على رعيته ؛ أن يقوم بحق هذه الرعية، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن: «الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته» (٣٠٩)، فعليه أن يقوم بتعليمهم وتأديبهم، كما أمر بذلك النبي ﷺ أو كما كان يأمر بذلك الوفود الذين يفدون إليه أن يرجعوا إلى أهليهم فيعلموهم ويؤدبوهم، والإنسان مسئول عن أهله يوم القيمة، لأن الله تعالى ولاه عليهم، وأعطاه الولاية، فهو مسئول عن ذلك يوم القيمة، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿هُنَّا إِلَّا ذِيَّنَا مَاءْمُونًا قُوَا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. فقرن الله تعالى الأهل بالنفس، فكما أن الإنسان مسئول عن نفسه يجب أن يحرص كل الحرص على ما ينفعها، فإنه مسئول عن أهله كذلك، يجب عليه أن يحرص كل الحرص على أن يجلب لهم ما ينفعهم ويدفع عنهم بقدر ما يستطيع ما يضرهم.

* * *

آثار الحج على المسلم

س ٤٩٦: ما هي آثار الصبح على المسلم؟

الجواب: سبق لنا الإشارة إلى شيء منها، حيث سألت: ما هي علامة قبول الحج؟.

فمن آثار الحج: أن الإنسان يرى من نفسه راحة وطمأنينة وانشراح صدر، ونور قلب.

وكذلك قد يكون من آثار الحج: ما يكتسبه الإنسان من العلم النافع الذي يسمعه في المحاضرات وجلسات الدروس في المسجد الحرام، وفي الخيمات في

(٣٠٩) رواه البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : قوله تعالى : «قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» حديث (٥١٨٨)، ومسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائز ، حديث (١٨٢٩) ، وأبي داود ، حديث (٢٩٢٨) ، والترمذى حديث (١٧٥٥) وأحمد في مسنده (٥٤/٢) حديث (٥١٦٧) . وابن حبان في صحيحه (٣٤٢/١٠) حديث (٤٤٨٩) .

مني وعرفة.

وكذلك من آثاره: أن يزداد الإنسان معرفة بأحوال العالم الإسلامي، إذا وُفقَ لشخص يحدثه عن أوطان المسلمين.

وكذلك من آثاره: غرس الحبّة في قلوب المؤمنين بعضهم البعض، فإنك ترى الإنسان في الحج وعليه علامات الهدى والصلاح فتحبه وتسكن إلهه وتألفه.

ومن آثار الحج أيضاً: أن الإنسان قد يتکسب أمراً مادياً بالتكسب بالتجارة وغيرها، لقوله تعالى: ﴿لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَمِ﴾ [الحج: ٢٨]. ولقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. وكم من إنسان اكتسب مالاً بالتجارة في حجه، شراءً وبيعاً، وهذا من المنافع التي ذكرها الله .

ومن آثار الحج: أن يعود الإنسان نفسه على الصبر على الخشونة والتعب، لا سيما إذا كان زجلاً عادياً من غير أولئك الذين تكمل لهم الرفاهية في حجتهم، فإنه يتکسب بذلك شيئاً كثيراً، أعني الذي يكون حجه عادياً يتکسب خيراً كثيراً بتعويذ نفسه على الصبر والخشونة.

* * *

نصيحة لمن أدى الحج

سر ٦٩٧: ما هي نصيحتكم لمن أدى فريضة الحج؟.

الجواب: نصيحتي له أن يتقى الله تعالى في أداء ما ألزمه الله به من العبادات الأخرى، كالصلاوة، والزكاة، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الخلق، وإلى الملوكات من البهائم، وغير هذا مما أمر الله به،

وَجَمَاعُ ذَلِكَ كُلُّهُ قَوْلُهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْمُعْدُلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٩١] وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تُنْقُضُوا الْأَيْمَنَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فَعَلُوكُمْ﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

* * *

الموضوع

الصفحة

| | | |
|----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|
| ٣ | | تقديم |
| ٥ | س١: ما هي الغاية من خلق البشر؟..... | |
| ٦ | س٢: لكن هل للعبادة مفهوم يمكن أن نعرفه، وهل لها مفهوم عام، ومفهوم خاص؟..... | |
| ٧ | س٣: هل يثاب من اختصوا بالعبادة الكونية عن هذه العبادة الشرعية؟..... | |
| ٧ | س٤: ما هو أول واجب علي الخلق؟..... | |
| ٨ | س٥: لكن هل تشمل أنواع التوحيد؟..... | |
| ٨ | س٦: ما معنى التوحيد؟..... | |
| ٩ | س٧: نود أن نعرف أنواع التوحيد علي سبيل الإجمال؟..... | |
| ٩ | س٨: ما هي أنواع التوحيد مع التوضيح والأمثلة لذلك؟..... | |
| ١٤ | س٩: نزيد زيادة تفصيل في القسم الأخير من أقسام التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات؟..... | |
| ١٧ | س١٠: نزيد أن نعرف الواجب علينا نحو كل نوع منها علي حدة؟..... | |
| ١٧ | س١١: ما حكم صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله سبحانه؟..... | |
| ١٨ | س١٢: نزيد أن نعرف معنى الشهادتين ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟..... | |
| ٢٠ | س١٣: هذا معنى شهادة لا إله إلا الله، فما معنى شهادة أن محمدا رسول الله؟..... | |
| ٢١ | س١٤: لكن ما الفرق بين الاعتراف باللسان والقلب؟ وهل يلزم الجمع بينهما؟..... | |
| ٢٢ | س١٥: الذي جرنا إلى هذا السؤال أن هناك فريقا من الناس الآن إذا دعى أحدهم إلى العبادة قال: إن الله رب قلوب، وهذا أيضا نزيد التعليق عليه..... | |
| ٢٣ | س١٦: نزيد أن نعرف مفهوم الإيمان وأركانه بصورة مختصرة..... | |
| ٢٤ | س١٧: هل هذا المفهوم الذي قاله رسول الله ﷺ لجبريل حينما سأله عن الإيمان؟..... | |

- س ١٨: لكن إذا سُئل الإنسان عن الإيمان هل يقول هو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان، أو يقول: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما قال الرسول ﷺ؟.....٢٤
- س ١٩: نريد أن نتوسيء في مفهوم الإيمان، وكذلك نريد أن نعرف أركان الإيمان؟.....٢٥
- س ٢٠: لكن نجد الدهريين مثلاً وهم كثير الآن وهم من العقلاة لأنهم يفكرون ويتتجون، لكنهم يجمعون على عدم وجود الله فكيف يُرد على مثل هؤلاء؟.....٢٨
- س ٢١: إذن بقي معنا أن نحدد أركان الإيمان؟.....٢٩
- س ٢٢: هل بقي شيء يتعلق بالإيمان بالملائكة تريدون أن تتحدثوا عنه أم ننتقل إلى بقية الأركان؟.....٣٠
- س ٢٣: بقي الركن الثالث من أركان الإيمان؟.....٣٢
- س ٢٤: هذا بالنسبة للركن الثالث فما قولكم في الركن الرابع الذي هو الإيمان بالرسل؟.....٣٣
- س ٢٥: كيف يكون الإيمان بالركن الخامس وهو اليوم الآخر؟.....٣٤
- س ٢٦: بقي الإيمان بالقدر نريد أن تحدثنا عنه أثابكم الله.....٣٦
- س ٢٧: هل الإيمان يزيد وينقص؟ ونود أن نعرف بأي شيء تحصل الزيادة وبأي شيء يحصل النقصان؟.....٤١
- لُكن ما سبب زيادة الإيمان ونقصانه؟.....٤٣
- س ٢٨: بالنسبة لزيادة الإيمان ونقصانه هناك من يرى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن المعصية تذهب الإيمان كله ويُكفر الإنسان. كيف يرد على هؤلاء؟.....٤٤
- س ٢٩: لكن ما حكم عدم الإقرار بزيادة الإيمان ونقصانه؟.....٤٥
- س ٣٠: ما هي صفة الحكم بغير ما أنزل الله؟.....٤٥
- س ٣١: لكن ذكرتم في الظالم والفاقد أشياء متقاربة أو يمكن أن تكون متداخلة وهي أن الظالم يحكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم أن حكم الله أفضل لكنه يريد أن يتشفى من أحد، فيطبق حكماً على شخص ما جاء عن الله، والفاقد يحكم وهو يعلم بحكم الله، ويعلم أنه هو الحكم السديد، لكنه لمصلحته أو هو في نفسه، أو ليوافق هوى لغيره يحكم بغير ما أنزل الله فما الفرق بينهما؟.....٤٧
- س ٣٢: ما هي الكهانة؟.....٤٧

| | |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| س ٣٣: حبذا لو عرفا أحوال الناس الذين يرتادون الكهنة والكهان؟..... | ٤٩ |
| س ٣٤: نريد أن نعرف التنجيم وحكمه؟..... | ٥٠ |
| س ٣٥: نفهم من ذلك أن هذا يكون من باب استقراء السنن الكونية؟..... | ٥١ |
| س ٣٦: هل هناك علاقة بين التنجيم والكهانة؟..... | ٥١ |
| س ٣٧: لكن أيهما أخطر على المسلمين؟..... | ٥١ |
| س ٣٨: ذكرتم في حديثكم عن التنجيم أنه نوع من السحر فما هو السحر؟..... | ٥١ |
| س ٣٩: ما المقصود باللطافة في قولكم السحر كل ما لطف وخفى سبيه؟..... | ٥٢ |
| س ٤٠: ما حكم السحر وما حكم تعلمه؟..... | ٥٢ |
| س ٤١: هل السحر حقيقة أم أنه تخيل أو تخيلات على الناس؟..... | ٥٣ |
| س ٤٢: تحدثتم عن الكهانة وعرفتم الكاهن، وعرفتم أيضا السحر. لكن هل هناك علاقة بين الكهانة والسحر؟..... | ٥٣ |
| س ٤٣: جاء عن رسول الله ﷺ أنه سحر، فنريد أن تتحدثوا عما سحر به النبي ﷺ وأيضا هل حصول السحر للنبي ﷺ ينافي مقام النبوة؟..... | ٥٤ |
| س ٤٤: ما هو الإلحاد في أسماء الله وصفاته؟..... | ٥٥ |
| س ٤٥: إذا ننتقل من معرفة هذه الأنواع إلى معرفة أنواع الشرك؟..... | ٥٦ |
| س ٤٦: عرفنا أنواع الشرك لكن هل هناك تعريف محدد لكل نوع منها؟..... | ٥٨ |
| س ٤٧: ورد فيما رواه مسلم قوله ﷺ: «إن بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة هل ترك العبادة يكون شركا؟»..... | ٥٨ |
| س ٤٨: ما هو دين الإسلام؟..... | ٥٨ |
| س ٤٩: إذن هل نفهم من ذلك أن لدينا تعريف للإسلام بالمعنى العام وتعريف له بالمعنى الخاص؟..... | ٦٠ |
| س ٥٠: أيضا نريد أن نعرف ما هو الطاغوت وما هي اشتقاتاته؟..... | ٦١ |
| س ٥١: نود أن تحدثنا عن عقيدة المسلمين في عيسى ابن مريم؟ وما حكم القول بقتله وصلبه؟..... | ٦٣ |
| س ٥٢: نريد أن نعرف إلى كم افترقت الأمة الإسلامية بعد نبيها محمد ﷺ؟..... | ٦٥ |
| س ٥٣: نريد أن نعرف خصائص الفرقة الناجية؟..... | ٦٦ |

| | |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| س ٥٤: لكن هل يلزم توافر أو تكامل هذه الخصائص في الأمور الأربعه وهي العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، دون نقص؟ وهل إذا نقص منها شيء يخرج الإنسان بذلك من الفرقة الناجية؟ أم أن النقص لا يخرجه من ذلك؟..... | ٦٧..... |
| س ٥٥: هل هناك إضافة حول خصائص هذه الفرقة الناجية؟..... | ٦٨..... |
| س ٥٦: نود أن نعرف التوسل الصحيح والتوسل الباطل؟..... | ٧٠..... |
| س ٥٧: هناك أنواع أخرى من التوسل غير أنواع التوسل الأربعه التي ذكرتموها؟..... | ٧٣..... |
| س ٥٨: بعد أن عرفنا التوسل الصحيح وأقسامه، لابد لنا من معرفة التوسل الباطل، وهل له أقسام أيضاً؟..... | ٧٤..... |
| س ٥٩: نريد أن نعرف الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفيه؟..... | ٧٥..... |
| س ٦٠: نود أن نعرف عقيدة أهل السلف في القرآن الكريم؟..... | ٧٨..... |
| س ٦١: نود أن نعرف أبرز أحكام التلاوة؟..... | ٧٩..... |
| * نود أيضاً في بقية حديثنا عن أصول الدين أن نعرف حكم التلاوة لروح الميت؟..... | ٨٠..... |
| س ٦٢: بالنسبة للذين يوصون أن تقرأ الفاتحة لروح النبي ﷺ أو له عند قبر النبي؟ | ٨٢..... |
| س ٦٣: ما هي نواقص الموضوع؟..... | ٨٣..... |
| س ٦٤: ولكن بالنسبة للنوم هل هناك فرق بين نوم الليل أو نوم النهار؟..... | ٨٥..... |
| س ٦٥: أيضاً نود أن نعرف موجبات الغسل، وما صفتة؟..... | ٨٥..... |
| س ٦٦: نود أن نعرف ما هي الطهارة؟..... | ٨٨..... |
| س ٦٧: ما هو الأصل في التطهير؟..... | ٩٠..... |
| س ٦٨: ما هو البدل عن هذا الأصل الذي هو الماء؟..... | ٩١..... |
| س ٦٩: يدل على هذا لو كان على الإنسان نجاسة، ولا يستطيع إزالتها، فإنه لا يتيمم عنها؟..... | ٩٢..... |
| س ٧٠: نود أن نبدأ ببيان صفة الموضوع؟..... | ٩٢..... |

| | |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| س ٧١: هذه الصفة المستحبة. لكن بالنسبة للأذنين، هل يلزمأخذ ماء خاص لهما مع الرأس؟..... | ٩٣..... |
| س ٧٢: نود أن نعرف نواقض الموضوع؟..... | ٩٣..... |
| س ٧٣: نود أن نعرف حكم المسح على الخفين وشروط ذلك؟..... | ٩٤..... |
| س ٧٤: لكن هل هناك شروط تتعلق بالمسوح عليه من خف وجورب؟..... | ٩٦..... |
| س ٧٥: ما حكم المسح على الجوارب أو الخف المخروق أو الجورب الشفاف؟..... | ٩٦..... |
| س ٧٦: هل موجبات الغسل تعدّ من نواقض الموضوع أم لا؟..... | ٩٧..... |
| س ٧٧: ذكرتم من موجبات الغسل الجنابة، فنود أن تحدثونا عن الأحكام المتعلقة الجنابة؟..... | ٩٨..... |
| س ٧٨: أيضًا ما يتعلّق بالطهارة الشك فيها؟ فريد الحديث عن الشك في الطهارة ومتى يكون مؤثراً؟..... | ٩٨..... |
| س ٧٩: نريد أن نعرف ما هي التجassات الحكمية من حيث المفهوم والأنواع؟..... | ١٠٠..... |
| س ٨٠: نود أن نعرف الأحكام المتعلقة بالحيض والنفاس؟..... | ١٠١..... |
| س ٨١: بالنسبة للمرأة إذا ظهرت من النفاس أو إذا لم ينزل منها الدم فهل تعتبر نساء؟..... | ١٠٥..... |
| س ٨٢: هل يجوز للمرأة أن تأخذ ما يمنع عنها الحيض أثناء حجها حتى تتمكن من أداء الحج، كالمحوب المانعة للحمل أو أي نوع من أنواع ما يتطلب به؟..... | ١٠٦..... |
| س ٨٣: لكن إذا ثبت ضررها فما حكمها؟..... | ١٠٦..... |
| س ٨٤: نود أن نعرف حكم الصلاة؟ وأهميتها؟..... | ١٠٧..... |
| س ٨٥: نود أن نعرف على من تجب الصلاة؟..... | ١٠٨..... |
| س ٨٦: إذا عرفنا حكم الصلاة وعلى من تجب نود أن نعرف حكم تارك الصلاة؟..... | ١٠٩..... |
| س ٨٧: عرفنا أن الحكم في تارك الصلاة هو الكفر، نريد أن نعرف ما الذي يترب على هذا الحكم على تارك الصلاة؟..... | ١١٢..... |
| قد يقول قائل: إن قولكم بأنه يكفر كفراً مخرجاً عن الملة، معارض بقول من قال من أهل العلم: إنه كفر دون كفر، وإنه لا يخرج به من الإسلام، ويحمل الأحاديث الواردة في | |

| | |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| ذلك من تركها جحوداً، لا من تركها تهاوناً..... | ١١٤ |
| س ٨٨: ما هي شروط الصلاة؟ وماذا يترتب عليها؟..... | ١١٦ |
| س ٨٩: قبل أن نخرج من الشرط الثاني قلتم إذا كان فيه خرق يناقش فيه، كيف يناقش فيه؟..... | ١٢٠ |
| س ٩٠: تحب أن نسأل إذا لم يعلم الإمام أن وضوءه متنقض إلا بعد انتهاء الصلاة فهل يلزم الإعادة هو والمأمومون أم لا؟..... | ١٢٢ |
| س ٩١: أيضاً ربما يستفسر: هل يجوز أن يوم متيمم متوضئاً؟..... | ١٢٣ |
| س ٩٢: نريد أن نستكمل معكم بقية شروط الصلاة، وقد ذكرتم منها: الوقت، وستر العورة، والطهارة، واستقبال القبلة؟..... | ١٢٦ |
| س ٩٣: نود أن نعرف صفة الصلاة، بعد أن عرفنا حكمها، وحكم تاركها، وشروطها؟..... | ١٢٩ |
| س ٩٤: ذكرتم، جزاكم الله خيراً ، وضع الأيدي في القيام وفي الركوع، وكذلك في السجود، وكذلك في الجلوس بين السجدتين، لكننا لم نسمع شيئاً عن وضع الرجلين، ونحن نشاهد الآن كثيراً من الناس يفرج ما بين رجليه، فيتسع ما بين مناكب المصلين. فما الصحيح في ذلك؟..... | ١٣٣ |
| س ٩٥: حبذا لو عرفنا من فضيلتكم أركان الصلاة؟..... | ١٣٥ |
| س ٩٦: ما حكم من ترك ركناً من هذه الأركان؟..... | ١٣٩ |
| س ٩٧: هذا بالنسبة إذا تأكد لديك أنه ترك ركناً من الأركان، لكن لو شك في تركه ماذا يفعل؟..... | ١٤٠ |
| س ٩٨: بعض الناس يأتي بعد إقامة الصلاة، ويدخل مع الإمام، وينسى عدد الركعات التي فاتته، ثم يقتدي بمن في جانبه من دخل الصلاة معهم فما حكم ذلك؟..... | ١٤٠ |
| س ٩٩: عرفنا صفة الصلاة وأركانها، ونود أن نعرف ما هي واجبات الصلاة؟..... | ١٤١ |
| س ١٠٠: ما دمنا عرفنا واجبات الصلاة، نود أن نعرف أيضاً شيئاً من سن الصلاة؟..... | ١٤٢ |
| س ١٠١: أيضاً نود أن نعرف سجود السهو في الصلاة من حيث موجباته وموضعه؟..... | ١٤٣ |

| | |
|----------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١٤٥..... | س ١٠٢: لكن لو كان سجود السهو بعد السلام هل يلزم له أيضاً سلام؟ |
| ١٤٥..... | س ١٠٣: هل يجب له التشهد؟ |
| ١٤٦..... | س ١٠٤: نود أن نعرف مبطلات الصلاة ولو على سبيل الإجمال؟ |
| ١٤٦..... | س ١٠٥: تحدثنا عن الصلاة، وحكمها، وشروطها، وكذلك الأركان، والواجبات وأيضاً عن السجود للسهو ونود أن نسأل ونركز على حكم صلاة الجمعة؟ |
| ١٤٨..... | س ١٠٦: ما دمنا عرفنا حكم صلاة الجمعة، نود أن نعرف علاقة المأمور بإمامه؟ |
| ١٥٠..... | س ١٠٧: لكن أي الحالات الثلاث أشد: المسابقة، أم الموافقة، أم التخلف عنه؟ |
| ١٥٠..... | س ١٠٨: نود أن تحدثنا عن صلاة التطوع من حيث الفضل والأنواع؟ |
| ١٥٢..... | س ١٠٩: هل هناك فروق بين صلاة الفرض والتالفة؟ |
| ١٥٤..... | س ١١٠: نود أن نعرف ما المقصود بالزكاة في اللغة، وفي الشرع؟ وما العلاقة بين المفهومين؟ |
| ١٥٥..... | س ١١١: ذكرتكم تعريف الزكاة اللغوي والشعري والعلاقة بينهما، ثم تحدثتم أيضاً عن الآثار التي تتعكس على الفرد، لكن أيضاً ما دمنا عرفنا الآثار التي تتعكس على الفرد، فريد أن نعرف الآثار التي تتعكس على المجتمع، وعلى الاقتصاد الإسلامي أيضاً؟ |
| ١٥٦..... | س ١١٢: حبذا لو عرفنا شروط وجوب الزكاة؟ |
| ١٥٩..... | س ١١٣: ذكرتكم من شروط وجوب الزكاة أن يكون المال حراً، وتحدثتم عن مال الملوك وأنه لا يجب عليه زكوة لأن المال مالُ مالكه، لكن: هل يعفى المال من التزكية أم يدفع المالك من المال؟ |
| ١٥٩..... | س ١١٤: ما هي الأموال التي تجب فيها الزكوة، ومقدار الزكوة في كل نوع؟ |
| ١٦٤..... | س ١١٥: بالنسبة للفواكه التي لا زكوة فيها هل إذا باعها الإنسان وجب عليه الزكوة في قيمتها؟ |
| ١٦٤..... | س ١١٦: لكن بالنسبة للأراضي التي اشتراها أصحابها، وكسدت في أيديهم نظراً لقلة قيمتها، فهم يقدرونها بتقديرات عالية، مع أنها لا تساوي إلا القليل في السوق. فكيف |

| | |
|----------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١٦٨..... | ثُرَكَيْ هذه الأراضي؟..... |
| ١٦٩..... | س ١١٧: كيف تُركي الديون التي في ذم الناس؟..... |
| ١٧٠..... | س ١١٨: هل يجوز خرض عروض التجارة إذا تعذر إحصاؤها أو شقّ على التاجر؟..... |
| ١٧١..... | س ١١٩: هل تجب الزكاة في مال غير المكفل، كالصغير والمحنون؟..... |
| ١٧٢..... | س ١٢٠: نود أن نعرف المصارف التي يجب أن تصرف فيها الزكاة؟..... |
| ١٧٣..... | س ١٢١: ما حكم جعل الزكاة في الأقارب الحاجين؟..... |
| ١٧٤..... | س ١٢٢: نريد التعميل أيضاً لدفع المال للوالد أو الوالدة، فيما لا يجب على الإنسان؟..... |
| ١٧٥..... | س ١٢٣: هل يجوز إسقاط الدين عن المدين ويكون ذلك من الزكاة؟..... |
| ١٧٦..... | س ١٢٤: هل يجوز دفعها للفقير المدين بشرط أن يردها للدافع؟..... |
| ١٧٧..... | س ١٢٥: ما حكم الزكاة في الإسلام؟..... |
| ١٧٨..... | س ١٢٦: وقع اشتباه في صيام اليوم الأول من رمضان، فبعض الناس صامه والبعض الآخر صام إلى نصف النهار وأفطر عندما رأى الآخرين مفترين، وعندما تأكد للمؤولين أن هذا اليوم أول أيام رمضان، وأمروا بقضاء هذا اليوم، فهل صيام من أيام صيام هذا اليوم جائز أم يقضى هذا اليوم؟..... |
| ١٧٩..... | س ١٢٧: رجل جامع زوجته في يوم الشك، ولم يعلما أنه أول يوم من رمضان إلا بعد صدور الفتوى بذلك، فماذا عليهم؟..... |
| ١٨٠..... | س ١٢٨: فضيلة الشيخ: والدتي كانت مريضة بمرض شديد، ودخل رمضان وهي على هذه الحال، فأحضرت لها الطبيب وذهبت بها إلى المستشفى، ولم تجد أي فائدة؛ مع العلم بأنها قد جاوزت من العمر مائة وعشرين سنة، ولم تقدر على الصيام، وتوفيت رحمها الله بعد رمضان هذا بثلاثة شهور. فهل عليّ صيام عنها هذا الشهر كله؟ أم عليّ كفاره؟ وهل يجوز من أبنائي أن يصوموا عنها أم لا يجوز إلا أنا أو أحد من أخوتي؟..... |
| ١٨١..... | س ١٢٩: رجل أصيب بحادث مروري وقال له الأطباء بأن الكلى والمسالك البولية ضعيفة جداً نتيجة للحادث، ويأمره الأطباء بشرب الماء بكميات كبيرة، فهل يجب عليه الصيام؟ مع العلم بأنني حاولت الصيام فحصل لي نزيف فأفطرت بأمر الأطباء؟..... |

- س ١٣٠ : أنا شاب أعاني من مرض ألم بي منذ عدة سنوات، وأستعمل علاجاً لهذا المرض، ولا أقدر أن أستغنى عنه حتى في نهار رمضان المبارك، لأنني إذا أوقفت العلاج في نهار رمضان أو غيره يحصل لدى مضاعفات شديدة وحاج على صحتي. فهل علي ذنب في هذا؟ وماذا أفعل؟..... ١٨٥
- س ١٣١ : صائم سافر مسافة ثلاثة وسبعين كيلو، وسافر صائمًا بحججة أنه سيقيم بذلك المنطقة، ولكن لم تتوفر له الإقامة هناك فرجع في نفس اليوم نفس المسافة، وعند شروعه في الرجوع أفتر، فماذا عليه من القضاء والكافارة؟..... ١٨٦
- س ١٣٢ : جاء رمضان وأنا في الشهر التاسع، ولما وضعت خفت على نفسي وعلى الحنين فأفطرت، وقد قضيت هذه الأيام، فهل علي شيء غير ذلك؟ وهل علي إثم لأنني أفترت؟..... ١٨٧
- س ١٣٣ : ما هي العادة السرية؟ وهل ممارسة مثل هذه العادة حرام أم حلال؟ وإذا كانت حرامًا وفُعلت في نهار رمضان، هل تبطل الصوم أم لا؟ وهل له كفاره؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا..... ١٨٧
- س ١٣٤ : صاحب الفضيلة: الحجامة مفطرة للصائم، فما حكم الدم الذي يخرج من الإنسان، أو يخرج ليتحقق في مريض؟ هل يفطر به الصائم، أم لا؟ وجزاكم الله خيرًا..... ١٨٨
- س ١٣٥ : فضيلة الشيخ: شخص أكل وشرب، ولم يعلم بطلوع الفجر، ولكنه عرف فيما بعد أنه أكل وشرب في وقت قد تبين فيه الفجر، أفيدونا هل يلزمه إعادة اليوم أم لا؟..... ١٩٠
- س ١٣٦ : هل تقص مشاهدة التلفزيون والفيديو في شهر رمضان الصيام؟..... ١٩١
- س ١٣٧ : سافرت من السعودية إلى بلادي، وما وصلت بيتي كنت مفطراً وأهلي بصومون، فأجبرت زوجتي على الاتصال بها. فماذا على كل منا يا صاحب الفضيلة؟..... ١٩٣
- س ١٣٨ : عندما كان عمري أربعة عشر عاماً وبدأت تأتيي العادة الشهرية، ودخل رمضان فضمت ثم جاءتني العادة فأفطرت، وما ظهرت لم أكمل الصيام لحيائي، ولأمر أبي لأمي بعد إيقاظي لصغر سني، فماذا علي القضاء أم الكفاره؟..... ١٩٤
- س ١٣٩ : فضيلة الشيخ: في رمضان الماضي جاءتني العادة الشهرية قبل الإفطار بحوالي دقائق، ولم أفتر، بل أكملت اليوم، وعند انتهاء العادة انقطع الدم في نصف اليوم، وكنت

مفطرة وبعد العصر أكملت الصوم، وبعد رمضان فضيحت الأيام حتى اليوم الذي ما أفطرت فيه، فهل صومي صحيح؟ وعلى أيام من سنوات مضت أريد قضاها، لكنني لا أملك المال حتى أتصدق. فهل يجزئ القضاء فقط؟ ومتى يجب على الفتاة أن تصوم؟ وإذا بلغت ولم تصم لصغر سنها، هل عليها قضاء؟ وإذا كانت لا تعرف كم من الأيام تركت، فماذا يجب عليها؟..... ١٩٥.

س ١٤٠ : امرأة تسأل تقول: عليَّ من الصيام القضاء الكثير ؟ لا يقل عن ثلاثة أشهر تقريباً فهل هذا لا يقضى إلا بالصوم؟ أم هناك كفاره عنه تكون مقبولة عند الله؟ وإذا كنت لا تعرف مساكين للكفارة مثلاً فماذا أفعل؟..... ١٩٧.

س ١٤١ : منذ خمسة أعوام أتها العادة الشهرية لأول مرة، ولما حَلَّ رمضان صامت عدة أيام متفرقة إلى الضحى فقط، لأنها لا تصبر على الجوع، وفي عام ثلاث وأربعين وألف صامت يومين، وفي عام أربعة وأربعين وألف صامت أحد عشر يوماً؟ أفيدونا في ذلك. وجراكم الله خيراً..... ١٩٨.

س ١٤٢ : عند سفري إلى مصر كنت في شهر شعبان الماضي، وأتى عليَّ رمضان وأنا في البلد، وكان عندي شغل في المنزل استعداداً لزواجهي بعد عيد الفطر المبارك، فأفطرت فيه عشرين يوماً. مما الحال أفيدوني جراكم الله خيراً لأنني قلق جداً؟..... ١٩٩.

س ١٤٣ : توفي والدي في شهر رمضان وهو صائم، وبقي عليه خمسة عشر يوماً من شهر رمضان، فهل يجوز أن أصوم عنه الأيام التي بقىت عليه، أم عليه كفاره بما هو الصواب؟..... ١٩٩.

س ١٤٤ : فضيلة الشيخ: امرأة صامت من رمضان أربعة أيام فقط، ثم أفطرت لجيء الدورة، ولكن أثناء الدورة ازدادت عليها المرض، وبمعنى أصح رجع إليها المرض، حيث كانت قد أصبت قبل شهر رمضان الكريم بالتهاب وحساسية في صدرها، وكانت أعراض المرض كحة شديدة، لذلك حاولت الصيام، ولكنها وجدت نفسها في غاية التعب، فاضطررت لأن تفطر لأن أخذ الدواء في مواعيده، وحين تحسنت قليلاً فضلت الإفطار من أجل أخذ الدواء في مواعيده كي تشفى تماماً بإذن الله، وكانت إفطارها ولكنها ما كانت تأخذ الدواء إهمالاً أو كسلاً أو نسياناً منها... فهل إفطارها كان حراماً؟ وهل تقضي الصيام؟ وكيف؟ ثم هل يلزم عليها القضاء فور انتهاء شهر رمضان؟ أم تقضي في أي وقت من السنة إلى ما قبل رمضان التالي؟..... ٢٠٠.

س ١٤٥ : نذرت صوم شهر هل أصومه أم أطعم مسكيناً؟ أرجو أن

- ترشدوني ٢٠١
- س ١٤٦: أرادت أمي أن تصوم ثلاثة أيام من شهر رجب، فصممت أنا أيضاً صيام ثلاثة أيام معها، ونويت ذلك بعد أن أكمل صيام القضاء من شهر رمضان، ولكن صمت أول يوم وتعبت ولم أقدر أن أكمل الصيام، فقللت في نفسي: أحاول أن أصوم ولو يوماً ثانياً من أجل الجزاء من الله تعالى، وسؤالني: ٢٠٢
- س ١٤٧: قال ﷺ: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم، فإن لم يوجد أحدكم إلا لحاء عنب، أو عود شجر ، فليمضغها» رواه الحسن . وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: «كان أكثر ما يصوم من الأيام يوم السبت ويوم الأحد، وكان يقول: إنهم يوماً عيد للمشركين. وأنا أريد أن أخالفهم» أخرجه النسائي ٢٠٥
- س ١٤٨: ما حكم ترك صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك؟ وهل يصح صوم من تركها؟ ٢٠٦
- س ١٤٩: هل الزكاة تفضل في رمضان مع أنها ركن من أركان الإسلام؟ ٢٠٧
- س ١٥٠: إذا قبلَ الشاب أو الشيخ زوجته وهو صائم هل يلحقه بذلك إثنان؟ ٢٠٧
- س ١٥١: ما هو ضابط الدم الخارج من الجسد المفسد للصوم؟ وكيف يفسد الصوم؟! ٢٠٨
- س ١٥٢: قوله عليه الصلاة والسلام: «أنظر الحاجم والمحجوم» هل هو حديث صحيح؟ وإذا كان صحيحاً فما تفسيره؟ ٢٠٩
- س ١٥٣: يقول الرسول ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار» فهل معنى ذلك أن من يموت في رمضان يدخل الجنة بغير حساب؟ ٢١٠
- س ١٥٤: يتفاوت ظهور هلال رمضان أو هلال شوال بين الدول الإسلامية... فهل يصوم المسلمون عند رؤيته في إحدى هذه الدول؟ ٢١١
- س ١٥٥: هل للصومفائدة اجتماعية؟ ٢١٢
- س ١٥٦: ماذا ينبغي للصائم وماذا يجب عليه؟ ٢١٢
- س ١٥٧: الإفراط في إعداد الأطعمة هل يقلل من ثواب الصوم؟ ٢١٣
- س ١٥٨: بعض الشباب هداهم الله يتکاسلون عن الصلاة في رمضان وغيره، ولكنهم يحافظون على صيام رمضان، ويتحملون العطش والجوع فماذا تتصحهم؟ وما حكم صيامهم؟ ٢١٣

- س ١٥٩ : النوم طوال ساعات النهار ما حكمه؟ وما حكم صيام من ينام؟ وإذا كان يستيقظ لأداء الفرض ثم ينام، فما حكم ذلك؟..... ٢١٤
- س ١٦٠ : إذا شرب الصائم بعد سماعه أذان الفجر فهل يصح صومه؟..... ٢١٥
- س ١٦١ : إذا تضمض الصائم أو استنشق فدخل إلى حلقة ماء دون قصد هل يفسد صومه؟..... ٢١٦
- س ١٦٢ : هناك من يتحرج من السواك في رمضان خشية إفساد الصوم، هل هذا صحيح؟ وما الوقت المفضل للسواك في رمضان؟..... ٢١٦
- س ١٦٣ : هل الأبر والحقن العلاجية في نهار رمضان تؤثر على الصيام؟..... ٢١٧
- س ١٦٤ : ما حكم استعمال الصائم للروائح العطرية في نهار رمضان؟..... ٢١٧
- س ١٦٥ : هل يجوز وضع الحناء للشعر أثناء الصيام والصلوة لأنني سمعت بأن الحناء تفطر..... ٢١٧
- س ١٦٦ : ما حكم من أكل أو شرب ناسياً، وهل يجب على من رأه يأكل أو يشرب ناسياً أن يذكره بصيامه؟..... ٢١٨
- س ١٦٧ : ما حكم الاستحمام في نهار رمضان أكثر من مرة؟ أو الجلوس عند مكيف طوال الوقت وهذا المكيف يفرز رطوبة؟..... ٢١٩
- س ١٦٨ : إذا جامع الرجل زوجته في نهار الصوم، وقد أجبر الزوجة على ذلك علماً بأنهما لا يستطيعان الإغاثة ولا الصوم لانشغالهما بطلب المعيشة فهل يكفي الإطعام وما مقداره ونوعه؟..... ٢١٩
- س ١٦٩ : موظف يقول: إنه نام أكثر من مرة في الشركة أثناء العمل... وترك العمل هل يفسد صومه؟..... ٢٢٠
- س ١٧٠ : يتعمد بعض النساء أخذ حبوب في رمضان لمنع الدورة الشهرية - الحبض - والرغبة في ذلك حتى لا تقضي فيما بعد، فهل هذا جائز؟ وهل في ذلك قيود حتى تعمل بها هؤلاء النساء؟..... ٢٢٠
- س ١٧١ : ماذا على الحامل أو المرضع إذا أفترتا في رمضان؟ وماذا يكفي إطعامه من الأرز؟..... ٢٢١
- س ١٧٢ : امرأة وضعت في رمضان ولم تقض بعد رمضان لحوفها على رضيعها، ثم حملت وأنجبت في رمضان القادم، هل يجوز لها أن توزع نقوداً بدل الصوم؟..... ٢٢١

| | |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| س ١٧٣: هل ينطبق حكم المسافر على سائقي السيارات والخلافات لعملهم المتواصل خارج المدن في نهار رمضان؟..... | ٢٢٢ |
| س ١٧٤: هل يجوز صيام ستة أيام من شوال قبل صيام قضاء رمضان؟ وهل يجوز صيام يوم الاثنين من شهر شوال بنية قضاء رمضان وبنية الحصول على أجر صيام يوم الاثنين؟..... | ٢٢٢ |
| س ١٧٥: في البلاد الأسكندنافية وما فوقها شمالاً يعترض المسلم مشكلة الليل والنهار طولاً وقصراً إذ قد يستمر النهار ٢٢ ساعة والليل ساعتين، وفي فصل آخر العكس كما حصل لأحد السائلين عندما مر بهذه البلاد في رمضان مساءً، ويقول أيضاً بأنه قيل أن الليل في بعض المناطق ستة شهور والنهار مثله؟ فكيف يقدر الصيام في مثل هذه البلاد؟ وكيف يصوم أهلها المسلمين أو المقيمون فيها للعمل والدراسة؟..... | ٢٢٣ |
| س ١٧٦: نحن في بلاد لا تغرب الشمس فيها إلا الساعة التاسعة والنصف مساء أو العاشرة مساء فمتى نفطر؟..... | ٢٢٤ |
| س ١٧٧: يقول الرسول ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة» فما المقصود ببركة السحور؟..... | ٢٢٤ |
| س ١٧٨: طفل الصغير يصر على صيام رمضان رغم أن الصيام يضره لصغر سنّه واعتلال صحته، فهل استخدم معه القسوة ليفطر؟..... | ٢٢٥ |
| س ١٧٩: في أحد أيام رمضان أعلن المذيع في الإذاعة أن أذان المغرب بعد دقيقتين وفي اللحظة نفسها أذن مؤذن الحي فأيهما أولى بالاتباع؟..... | ٢٢٥ |
| س ١٨٠: ما هو الوصال وهل هو سنة؟..... | ٢٢٦ |
| س ١٨١: هناك من يولم في رمضان ويذبح ذبيحة ويقول عنها عشاء الوالدين... ما حكمها؟..... | ٢٢٦ |
| س ١٨٢: هل الاعتكاف في شهر رمضان سنة مؤكدة؟ وما شروطه في غير رمضان؟..... | ٢٢٨ |
| س ١٨٣: نود أن نعرف ما هو النسك وعلى ماذا يدور؟..... | ٢٢٨ |
| س ١٨٤: هذا هو تعريف الحج والعمرة، فما هو حكم الحج؟..... | ٢٣٠ |
| س ١٨٥: ما حكم العمرة؟..... | ٢٣١ |

| | |
|----------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| ١٨٦: وجوب الحج هل هو على الفور، أم على التراخي؟..... | ٢٣١ |
| ١٨٧: نود أن نعرف شروط وجوب الحج والعمرة؟..... | ٢٣١ |
| ١٨٨: ما دمنا عرفنا شروط الوجوب للحج والعمرة نود أن نعرف شروط الإجزاء؟..... | ٢٣٤ |
| ١٨٩: حبذا لو أشرتم ولو بإشارات سريعة إلى أبرز آداب السفر إلى الحج؟..... | ٢٣٤ |
| ١٩٠: نود أن نعرف ما ينبغي أن يستعد به المسلم لحجه سواء كان قبل السفر أو في أثناء السفر؟..... | ٢٣٥ |
| ١٩١: لكن أليس هناك استعداد معنوي غير الاستعداد المادي؟..... | ٢٣٥ |
| ١٩٢: بالنسبة للمواقت ما هي مواقت الحج الزمانية؟..... | ٢٣٦ |
| ١٩٣: لكن ما حكم الإحرام بالحج قبل دخول هذه المواقت الزمانية؟..... | ٢٣٧ |
| ١٩٤: عرفنا مواقت الحج الزمانية، ونود أن نعرف مواقت الحج المكانية؟..... | ٢٣٧ |
| ١٩٥: ما حكم الإحرام قبل هذه المواقت المكانية؟..... | ٢٣٩ |
| ١٩٦: نود أن نعرف حكم من تجاوز الميقات بدون إحرام؟..... | ٢٤٠ |
| ١٩٧: ما الفرق بين الإحرام كواجب، والإحرام كركن من أركان الحج؟..... | ٢٤٠ |
| ١٩٨: لكن نية الدخول في النسك، هل هي التي يتلفظ بها في التلبية؟..... | ٢٤١ |
| ١٩٩: نود أيضًا أن تبين لنا كيفية إحرام القادم إلى مكة جواً؟..... | ٢٤١ |
| ٢٠٠: حبذا لو يتيسم لنا صفة الحج؟..... | ٢٤٢ |
| ٢٠١: نود أن نعرف أركان العمرة حيث إنها تسبق الحج في التمتع؟..... | ٢٤٨ |
| ٢٠٢: يبقى أن نعرف أركان الحج؟..... | ٢٤٩ |
| ٢٠٣: ما حكم الإخلال بشيء من هذه الأركان؟..... | ٢٤٩ |
| ٢٠٤: عرفنا فيما مضى واجبات العمرة، لكن ما هي واجبات الحج؟..... | ٢٤٩ |
| ٢٠٥: ما حكم الإخلال بشيء من واجبات الحج أو العمرة؟..... | ٢٥٠ |
| ٢٠٦: تحدثتم عن صفة التمتع أثناء حديثكم عن صفة الحج، حبذا أيضًا لو تحدثتم عن | |

| | |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| صفة القرآن؟..... | ٢٥٠ |
| س ٢٠٧: عرفنا صفة الحج، وعرفنا التمتع والإفراد والقرآن، وقلتم في الإفراد إن المسلم يأتي بالحج وحده ولا يأتي بعمره معه، لكننا نرى كثيراً من الناس إذا انتهى من الإفراد اعتمر، فما حكم هذا العمل؟..... | ٢٥١ |
| س ٢٠٨: لكن ما الأولى بالنسبة لهذا الحاج الذي يعرف أن الإتيان إلى مكة يصعب عليه؟..... | ٢٥٢ |
| س ٢٠٩: لكن أليس أن يأتي متمتعاً أو قارئاً ليس له من المحتظور؟..... | ٢٥٢ |
| س ٢١٠: نود أن نعرف حكم الانتقال من نسك إلى نسك آخر؟..... | ٢٥٣ |
| س ٢١١: هل يجوز أن يتحول من التمتع إلى الإفراد؟..... | ٢٥٣ |
| س ٢١٢: نود من فضيلتكم لو تحدثنا أيضاً عن النيابة الكلية في الحج من حيث الأحكام والضوابط..... | ٢٥٤ |
| س ٢١٣: نود أن نعرف إذا كانت هناك شروط في النائب؟..... | ٢٥٥ |
| س ٢١٤: ما حكم من أخذ نقوذاً ليحج عن غيره وليس في نيته إلا جمع..... | ٢٥٦ |
| س ٢١٥: هل يمكن أن يقع ثواب بعض الأعمال للنائب؟..... | ٢٥٦ |
| س ٢١٦: حبذا لو حدثمنا فضيلتكم عن النيابة الجزئية في الحج؟..... | ٢٥٧ |
| س ٢١٧: ذكرتم أن التوكيل في الجزئية يكون مثلاً في الطواف أو الرمي أو الوقوف أو ما أشبه ذلك، فهل إذا جاز التوكيل في الرمي مثلاً يقادس عليه بقية أجزاء الحج؟..... | ٢٥٨ |
| س ٢٨: إذا عجز عن إكمال النسك فماذا يصنع؟..... | ٢٥٨ |
| س ٢٩: هذا بالنسبة إذا عجز الحاج عن إكمال النسك، لكن لو توفي الحاج أثناء تلبسه بالنسك فما الحكم؟..... | ٢٦٠ |
| س ٣٠: لكن هل يقتصر هذا الحكم على الوقت الذي يلبي فيه؟. يعني قبل رمي جمرة العقبة أم يشمل جميع الحج؟..... | ٢٦٠ |
| ٣١: ذكرتم الاشتراط إذا عجز الحاج عن إكمال النسك، نود أن نعرف حكم الاشتراط وما هي صفتة؟..... | ٢٦١ |
| ٣٢: لكن بالنسبة للمشترط هل يلزم أن يأتي بالصيغة التي وردت عن رسول الله أم يشترط بأي كلام يعبر به عن نفسه؟..... | ٢٦٢ |

- س ٢٢٣: نود أن نعرف ما هي محظورات الإحرام؟.....٢٦٢
- س ٢٢٤: قلتم أنه لا يستر المحرم رأسه أو لا يضع على رأسه ملاصق كالغطارة والطاقة هل يشمل ذلك أيضاً وضع قطعة ورق أو كرتون أو بطانية على رأسه؟.....٢٦٦
- س ٢٢٥: ما الفرق بين النقاب والبرقع؟. وهل يجوز للمرأة المحرم أن تلبس البرقع؟.....٢٦٦
- س ٢٢٦: قلتم بوجوب ستر المحرمة وجهها إذا حضر الرجال، فهل تستر وجهها بالنقاب أم بشيء آخر؟.....٢٦٦
- س ٢٢٧: فصلتم في الجماع كمحظوظ من محظورات الإحرام، وذكرتم أنه يترتب عليه خمسة أمور، لكن بقية المحظورات ما ذكرتم لنا حكم من تلبس بشيء منها؟.....٢٦٧
- س ٢٢٨: نود من فضيلتكم أن تكمل الحديث عن محظورات الإحرام، وما الذي يجب على من ارتكب محظوظاً من هذه المحظورات؟.....٢٦٨
- س ٢٢٩: ما حكم من ارتكب محظوظاً من هذه المحظورات ناسياً أو جاهلاً؟.....٢٦٩
- س ٢٣٠: ما حكم استبدال المحرم لباس الإحرام؟.....٢٧٠
- س ٢٣١: الترفه منوع منه المحرم كتقليم الأظافر وغيره، لكن هل يجوز للمحرم أن يفتسل من أجل النظافة؟.....٢٧٠
- س ٢٣٢: بالنسبة للمحرم والنبات الذي ينبت في مكة المكرمة في الحرم، ما حكم قلع هذا النبات والتعرض له بشيء من الإتلاف؟.....٢٧١
- س ٢٣٣: إذا جاء الحاج إلى البيت وطاف وتحلل من العمرة ومكث في مكة، فمتى يُحرِّم بالحج؟. ومن أين يحرم؟.....٢٧٢
- س ٢٣٤: لكن هل يلزم المحرم في يوم التروية أن يطوف بالبيت، أو يحرم من البيت؟.....٢٧٢
- س ٢٣٥: عرفنا في صفة الحج أن الحاج يخرج من مني في اليوم التاسع من ذي الحجة ضحى، لكن لو لم يدرك الوقوف بعرفة إلا متاخرًا فما الحكم؟.....٢٧٢
- س ٢٣٦: نود أن نعرف متى يبدأ الوقوف بمزدلفة، ومتى يتنهى وما حكمه أيضاً؟.....٢٧٣
- س ٢٣٧: متى يتنهى الوقوف بمزدلفة بحيث إن الحاج لو أتى لا يعتبر واقفاً

| | |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| ٢٧٤..... | بها؟ |
| س ٢٣٨ : ذكرتم أن من الأعمال التي يقوم بها الحاج يوم النحر المبيت بمنى، لكن ما حكم هذا المبيت؟..... | ٢٧٥..... |
| س ٢٣٩ : نرى بعضًا من الناس يتهاونون في المبيت بمنى، فيقلون من البقاء فيها، ويدهبون خارجها معظم الوقت، ولا يأتون إليها إلا ساعات محدودة، فما هو المقدار الكافي للبقاء في منى أو المبيت في منى؟..... | ٢٧٥..... |
| س ٢٤٠ : ما هي الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الحاج أثناء بقائه في منى يوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر لمن أراد أن يتأخّر؟..... | ٢٧٦..... |
| س ٢٤١ : بعض الناس يقضي هذه الأيام في منى إما بالاستماع إلى الملاهي أو بالتفكه بالحديث في أعراض الناس، فما حكم هذا العمل؟..... | ٢٧٧..... |
| س ٢٤٢ : في أيام التشريق تُرمى الجمار الثلاث في يومين أو ثلاثة أيام، فما الحكمة من رمي هذه الجمار؟..... | ٢٧٨..... |
| س ٢٤٣ : أيضًا بالنسبة للجمار، نوّة أن تذكروا لنا صفة رمي الجمار؟..... | ٢٧٨..... |
| س ٢٤٤ : لكن هل هناك أدعية عند رمي الجمرات؟..... | ٢٧٩..... |
| س ٢٤٥ : وهل هناك دعاء مخصوص؟..... | ٢٧٩..... |
| س ٢٤٦ : هل تلزم الطهارة لرمي الجمار؟..... | ٢٧٩..... |
| س ٢٤٧ : ما حكم غسل حصى الجمار؟..... | ٢٧٩..... |
| س ٢٤٨ : نوّة أن نعرف حكم من نسي شيئاً من أشواط الطواف أو السعي؟..... | ٢٨٠..... |
| س ٢٤٩ : إذا أقيمت الصلاة وهو في الطواف أو السعي فماذا يفعل؟..... | ٢٨٠..... |
| س ٢٥٠ : لكن هل يلزمه قطع الطواف أو السعي للصلاة أو يجوز له؟..... | ٢٨١..... |
| س ٢٥١ : إذا أذن للصلاحة وهو يسعى بين الصفا والمروءة، وهو على غير طهارة، وهذا جائز؟. فهل يخرج خارج الحرم ليتوضاً، ويرجع ويصلي مع الناس، ويكمّل سعيه أم يتأنّه من جديد؟..... | ٢٨١..... |
| س ٢٥٢ : في أثناء الطواف يشاهد بعض الناس يتمسحون بجدار الكعبة، وبكسوتها، وبالمقام والحجر، فما حكم ذلك العمل؟..... | ٢٨٢..... |
| س ٢٥٣ : لكن أيضًا ما حكم الذين يتمسكون بأستار الكعبة ويدعون طويلاً؟..... | ٢٨٣..... |

- س ٢٥٤: لكن ما صفة هذا الالتزام بين الحجر الأسود والبيت؟..... ٢٨٣
- س ٢٥٥: ذكرتم أنه لا يجوز التمسح بزمزم أو بشيء منها، لكن ما هي خصائص ماء زمم؟..... ٢٨٣
- س ٢٥٦: هل من خصائص مكة أو الكعبة التبرك بأحجارها أو آثارها؟..... ٢٨٤
- س ٢٥٧: أيضاً يطلق على جبل عرفة: جبل الرحمة، فما حكم هذه التسمية؟ وهل لها أصل؟..... ٢٨٤
- س ٢٥٨: يتلزم بعض الحجاج زيارة هذا الجبل قبل الحج أو بعده ويصلون في أعلىه، فما حكم زيارة هذا الجبل وما حكم الصلاة فيه؟..... ٢٨٥
- س ٢٥٩: أيضاً بخصوص هذا الجبل، كثير من الناس في يوم عرفة، يستقبلون الجبل ويستدبرون الكعبة، فما حكم هذا العمل؟ وما حكم رفع الأيدي والدعاء إليه؟..... ٢٨٥
- س ٢٦٠: هناك مواقف يقفها الحجاج وأمور يفعلونها في الحج، وهذه المواقف والأمور يحدث فيها أخطاء، ولعله من الترتيب أن نبدأ في الإحرام وما يقع فيه من أخطاء، إذا كان هناك أخطاء ترونها في ذلك؟..... ٢٨٦
- س ٢٦١: بالنسبة للإحرام يوم التروية، هل هناك أخطاء يرتكبها الحجاج؟ وما علاجها؟..... ٢٩١
- س ٢٦٢: إذا انتقلنا من الإحرام، فهل هناك أخطاء تقع من الحجاج بعد الإحرام؟ وما هي؟..... ٢٩٢
- س ٢٦٣: بقي علينا أن نعرف - أثابكم الله - الأخطاء التي تأتي عند دخول الحرم؟..... ٢٩٣
- س ٢٦٤: إذا دخل الحاج أو المعتمر أو غيرهما الحرم وأراد أن يطوف، لاشك أنه يقع هناك بعض الأخطاء، حبذا لو بيتم هذه الأخطاء التي تقع في الطواف؟..... ٢٩٤
- س ٢٦٥: كنا نتحدث عن الأخطاء التي تقع من الحجاج في الطواف وأخذنا طرفًا منها، فهل لنا أن نسمع البقية؟..... ٢٩٨
- س ٢٦٦: بعض الحجاج إذا جاء إلى هذا الخط الذي وضع علامات على ابتداء الطواف وقف طويلاً وحجر على إخوانه أن يستمروا في الطواف. فما حكم الوقوف على هذا الخط والدعاء الطويل؟..... ٣٠٢

- س ٢٦٧: سألنا عن الأخطاء التي تقع من بعض الحجاج في الإحرام ودخول الحرم والطواف، وبقي علينا ركعتا الطواف، هل هناك أخطاء في هاتين الركعتين يقع فيها الحجاج ينبغي التنبية عليها؟.....٣٠٣
- س ٢٦٨: ذكرتم من الأخطاء في ركعتي الطواف أن يدعو الإنسان بعد الركعتين، وهناك أيضاً من يدعوا طويلاً ثم يمسح وجهه، فهل هذا خاص بركعتين الطواف، أو يعم جميع السنن التي يصلحها الإنسان؟.....٣٠٥
- س ٢٦٩: وصلنا في أسئلتنا عن الأخطاء التي تقع في الحج إلى الأخطاء التي تقع في ركعتي الطواف وما يكون فيهما أيضاً من دعاء وإطالة وما إلى ذلك، الآن نريد أن نعرف الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج أو يقعون فيها في المسعي، وفي الأدعية التي تقال فيه؟.....٣٠٧
- س ٢٧٠: من المعروف أن الصفا ضيق والمروءة أضيق منه، ومع ذلك نرى النساء يصعدن إلى الصفا والمروءة ويزاحمن الرجال، فهل من السنة صعود المرأة على الصفا؟.....٢١٣
- س ٢٧١: أيضاً ذكرتم من الأخطاء ترك السعي الشديد بين العلمين الأخضرین، وذكرتم أنها أقرب إلى الصفا، وذكرتم أن السعي يكون في الذهاب من الصفا إلى المروءة، فهل يلزم أيضاً السعي الشديد في العودة بين العلمين الأخضرین من المروءة إلى الصفا؟.....٣١٣
- س ٢٧٢: ذكرتم من الأخطاء أن بعض الناس يدعوا أو يتلو الآية: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ...﴾ عند الصعود إلى الصفا أو المروءة كل شوط، وقلتم : إن الرسول ﷺ تلا أول الآية ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ﴾ - «أبدأ بما بدأ الله به» فهل يقول مثل الرسول ﷺ : «أبدأ بما بدأ الله به ، أو يكمل الآية؟.....٣١٤
- س ٢٧٣: ذكرتم من الأخطاء التي تقع في السعي الدعاء من خلال كتاب، فهل ينطبق هذا أيضاً على الذين يطوفون بالناس ويسعون بهم، ويقولون أدعية ويرددوها الناس خلفهم؟.....٣١٤
- س ٢٧٤: بالنسبة للتقصير والحلق بعد السعي لعمره، أو الإحلال من الحج في مني، هل هناك أخطاء؟.....٣١٥
- س ٢٧٥: نود أيضاً أن نعرف الأخطاء التي تكون في مني وفي البيت فيه؟.....٣١٧
- س ٢٧٦: بالنسبة للأخطاء التي يمكن أن يقع فيها بعض الحجاج في الخروج إلى عرفة والوقوف بها؟.....٣١٨
- س ٢٧٧: هل هناك أخطاء أيضاً في عرفة يفعلها الحجاج غير ما ذكرتم؟.....٣٢٠

- س ٢٧٨ : بعد أن عرفنا أهم الأخطاء التي تقع من الحجاج في عرفة نود أن نعرف أيضاً إذا كان هناك أخطاء يقع فيها بعض الحجاج في الطريق إلى المزدلفة وفي المزدلفة نفسها؟ ٣٢٣
- س ٢٧٩ : هناك أخطاء أخرى غير ما ذكرتم في الطريق إلى مزدلفة والمبيت بها؟ ٣٢٤
- س ٢٧٩ : نود لو حدثمنا عن الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الرمي؟ ٣٢٧
- س ٢٨٠ : ذكرتم شيئاً من الأخطاء التي تقع عند الرمي منها: الظن بأن الحصى لابد أن تلتقط من مزدلفة، وأيضاً غسل الحصى وأنه خلاف السنة، والظن بأن الجمرات شياطين، والرمي بالأحجار الكبيرة، والرمي بالأحذية والخشب وما شابهها، فهل هنا أخطاء أخرى تقع من بعض الحجاج في الرمي يتبعي التنبية عليها والاستفادة في تجنبها؟ ٣٢٩
- س ٢٨١ : سألنا عن الأخطاء التي تقع عند رمي الجمار أو في الرمي، وذكرتم من هذه الأخطاء: الظن بأن الحصى لابد أن يكون من مزدلفة، وغسل الحصى، والظن بأن الجمرات شياطين، والرمي بالأحجار الكبيرة، والرمي بالأحذية والخشب وما إلى ذلك، وأيضاً الرمي دون تحقق وقوع الحصى في الحوض، والظن بأنه لابد من إصابة العمود، والتهاون أيضاً في التوكيل في الرمي مع القدرة، وعكس الترتيب في الرمي، ورمي الجمرات قبل الزوال. فهل هناك أخطاء أيضاً غير هذه الأخطاء التي ذكرتم؟ ٣٣٤
- س ٢٨٢ : كنا قد سألنا عن الإقامة بمنى في اليوم الثامن قبل الخروج إلى عرفة، وذكرتم الأخطاء التي تقع فيها، لكن حبذا أيضاً لو عرفنا الأخطاء التي قد تقع من بعض الحجاج في الإقامة بمنى في أيام التشريق؟ ٣٣٦
- س ٢٨٣ : تحدثنا عن الأخطاء التي يقع فيها الحجاج في بعض أعمال الحج، وفي بعض المشاعر أيضاً، بقي علينا أن نعرف إذا كانت هناك أخطاء يقع فيها الحجاج بالنسبة للهدي؟ ٣٣٨
- س ٢٨٤ : هناك بعض الحجاج إذا أراد أن يحج، دفع نقوداً لبعض المؤسسات الخيرية التي تتولى ذبح هديه في أماكن المجاعة في شرق الأرض وغربها، فما حكم هذا العمل أثابكم الله؟ ٣٤١
- س ٢٨٥ : هل ينطبق الحكم على الضحايا أيضاً؟ ٣٤٢

- س ٢٨٦: تحدثنا عن الذين يرسلون نقوذاً لبعض البلاد الإسلامية ليذبح هدئهم هناك أو أضحيتهم هناك، وذكرتم أن ذلك مخالف لمقاصد الشريعة فهل من إضافة أو نصيحة تتعلق بهذا الموضوع؟.....٣٤٤.
- س ٢٨٧: آخر أعمال الحج الوداع، فهل هناك أخطاء ترون أن بعض الحاج يقعون فيها؟.....٣٤٥.
- س ٢٨٨: إذن بعد أن عرفنا الشيء الكثير عن الحج وأعماله والأخطاء التي تقع فيه نود أن ننتقل مع الأخوة الحاج إلى ما يهمهم في الزيارة، زيارة المسجد النبوي الشريف، فما حكم زيارة المسجد النبوي؟. وهل لها تعلق بالحج؟.....٣٤٧.
- س ٢٨٩: أشرتم إلى زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام إذا وصل المسلم إلى المدينة المنورة وأيضاً قبر صاحبيه، فما الآداب المشروعة لزيارة قبر الرسول ﷺ؟٣٤٨.
- س ٢٩٠: أيضاً ما حكم زيارة بعض مقابر المدينة كالبقيع وشهداء أحد؟.....٣٤٩.
- س ٢٩١: سألنا عن حكم زيارة بعض المقابر في المدينة التي تزار وذكرتم أن المزارات في المدينة خمسة وقلتم إنه لا يجوز للإنسان أن يدعو أصحاب هذه المقابر أي دعاء، لكن ما الذي يلزم من وجد في قلبه ميلاً إلى طلب الشفاعة من أصحاب هذه القبور أو قضاء الحاجات أو الشفاء أو ما إلى ذلك؟.....٣٤٩.
- س ٢٩١: ذكرتم أن المواقع التي تزار في المدينة خمسة، لكن لم ترد إشارة مثلاً للمساجد السبعة أو مسجد الغمام، أو بعض هذه المزارات التي يزورها بعض الحاج، فما حكم زيارتها؟.....٣٥١.
- س ٢٩٣: ما الذي ينبغي مل وفقه الله تعالى لإتمام نسكه من الحج والعمرمة؟. وما الذي ينبغي له بعد ذلك؟.....٣٥١.
- س ٢٩٤: هل هناك علامات يمكن أن تظهر على المقبولين في أداء الحج والعمرمة؟.....٣٥٢.
- س ٢٩٥: ما الذي يجب على المسلم إذا انتهى من حجه وسافر عن هذه الأماكن المقدسة؟. ما الذي يجب عليه تجاه أهله وجماعته ومن يعيش في وسطهم؟.....٣٥٢.
- س ٢٩٦: ما هي آثار الحج على المسلم؟.....٣٥٣.
- س ٢٩٧: ما هي نصيحتكم لمن أدى فريضة الحج؟.....٣٥٤.